

جَامِعَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُوسِيِّ الْإِسْلَامِيَّةِ  
Mohammad Bin Ali Assanosi University



كلية التاريخ والحضارة



# المجلة العلمية للدراستات التاريخية والحضارية

Scientific Journal of Historical and Civilizational Studies

العدد الرابع  
ديسمبر / 2019 م



رقم الصفحة	المحتويات	ت
3	شروط النشر	1
5	هيئة التحرير	2
	الأبحاث	3
	الحياة الأدبية والفنية والصحافية في عهد المملكة الليبية (1951-1969 م): د. إدريس بوالحسين	
31 - 6		
	The Role of People with Special Needs in Scientific Life Dr Ghassan Mahmoud Weshah	4
46 - 32	إعادة تأهيل المباني الأثرية الإسلامية كمدخل للصيانة الوقائية تطبيقاً على مدرسة جوهر اللالا بدرب اللبان - ميدان القلعة - القاهرة "	5
63 - 47	ربيع راضي عبد القادر سيد ، شيماء سيد محمد السيد	
	أعيان المدن ودورهم في تنشيط حركة البناء والترميم في بلاد المغرب ما بين 282-439م د(ة) / قبائلي كاهينة	6
75 - 64	الأوضاع الاقتصادية في لبدّة في العصر الفينيقي القرطاجي وعلاقتها التجارية مع واحات الجنوب عبدالحفيظ عبدالله ابولموشة .	7
95 - 77	التراث المعماري بتفيلالت جنوب شرق المغرب الأقصى؛ واقع الحال وأفاق التثمين ورد الاعتبار محمد حمداني	8
113 - 96	القرابين البشرية عند القرطاجيين الدكتور :- الامين علي الامين عبد العاطي	9
135 - 114	النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط في عهد الحماديين الأستاذة: جهيدة بوعزيز	10
143 - 136	مدينة طوس خلال العصرين الغزنوي والسلجوقي (دراسة حضارية وسياسية) د. علي محمد سعد أمحيدة	11
171 - 145	آثر الثورات الناتجة عن التحولات الاقتصادية المختلفة في ضعف وانهيار الدول بمصر الإسلامية 358-41هـ / 968-661م).	12
190 - 172	د. شيماء أحمد السيد علي صالح تبلور الفكر التحرري في إفريقيا وآسيا وبداية تراجع الاستعمار التقليدي الأوروبي خلال القرن العشرين-كينيا والهند نموذجا	13
215 - 191	د/ كركب عبد الحق تطور التعليم في ليبيا خلال فترة الستينيات د/ أكرم عثمان عبد الرازق عمر	14
230 - 216	البركل جبل الحضارة والتراث د.ة. ليلي بومريش / أ. عبلة عبد الحي مجتمع حاضرة تبنكت في الكتابات الفرنسية (مونتوغرافية الأب والمستكشف أوغوسطان بروسبير هاكار نموذجا)	15
249 - 231	د. عادل بن محمد جاهل رؤية نظرية مقترحة للبناء التنظيمي والاكاديمي لمعهد فني تقني متوسط في مجال الآثار والتراث د. احمد عيسى فرج / د. محمد مفتاح فضيل	16
272 - 250	محمد بن شهاب الزهري ( ت 124 هـ ) د. ابراهيم أحمد أبو شبيكة	17
288 - 273	ظاهرة نسخ المخطوطات بالجزائر منطقة معسكر نموذجا د بوكعبير تقي الدين نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي ودوره في تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى جانب قوات الحلفاء 1940 - 1943 م.	18
312 - 289		
331 - 314		
	د. صالح عبد المولي	20
357 - 332		





## شروط كتابة البحث العلمي ونشره في المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

- 1- ملخص البحث يكون باللغة العربية وباللغة الانجليزية في حدود ( 150 كلمة )
- 2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ ملخص عن موضوع الدراسة (مدخل) يشمل أهمية الدراسة والمنهج العلمي المتبع فيها.
- 3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث – التوصيات)
- 4- قائمة المصادر والمراجع.
- 5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (30) صفحة ولا تقل عن (15) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع، على أن تكون هوامش جانبي الصفحة (2.5) وأعلى وأسفل الصفحة (3).

### القواعد العامة لقبول النشر

#### 1- تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية و الإنجليزية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- ✓ أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير .
- ✓ ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى.
- ✓ أن يكون البحث مراعيًا لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال – إن وجدت – ومطبوعاً على ملف وورد word، حجم الخط (13) وبخط (Simplified Arabic) للغة العربية. وحجم الخط (12) وبخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية .
- ✓ أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية.
- ✓ في حالة التوثيق وفق دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) تثبت هوامش البحث في نفس الصفحة والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المصادر أو المراجع بذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم وضع تاريخ نشره بين حاصرتين، ويلى ذلك ذكر عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.



- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: ذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.
- 2- تحتفظ المجلة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

## إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة وهو كالتالي:

- يرسل البحث إلكترونياً إلى عنوان المجلة وهو رابط المجلة : [fhci@ius.edu.ly](mailto:fhci@ius.edu.ly) أو موقع الجامعة الإلكتروني : [ius.edu.ly](http://ius.edu.ly)
- أو (نسخة CD ) بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ومؤهله العلمي، ومكان عمله، ومجال تخصصه.
- يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر موجود على موقع المجلة، وكذلك إرفاق للسيرة الذاتية العلمية للباحث إلكترونياً .
- لايقبل استلام الورقة العلمية إلا بشروط المجلة.
- في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضه على مُحكمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يعرض عليهما اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- يبلغ الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال خمسة عشرة يوماً من تاريخ الاستلام.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها أسبوعين.
- الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- الأفكار الواردة في ما نشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن آراء أصحابها.
- لا يجوز إعادة نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.

رئيس هيئة تحرير المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

د. سعيد محمد غريدة

[saeidgrida@gmail.com](mailto:saeidgrida@gmail.com)



رئيس التحرير

د. سعيد غريدة

هيئة التحرير

أ. الفرجاني محمد الفرجاني

أ. أكرم علي الحمروش

أ. صالح الجراري

أ. حمدي علي سعد

أ. حماد فضل الله

أ. حمدي خليفة الصادق

المراجعة اللغوية

د. حسين نوح الحمري

سكرتير التحرير

منى طه زيدان

تنسيق وإخراج

محمد حسن الخضر

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 2018/225



## الحياة الأدبية والفنية والصحافية في عهد المملكة الليبية (1951-1969 م)

د . إدريس بوالحسين

يتناول هذا البحث دراسة الحياة الأدبية والفنية ، في ليبيا خلال الفترة (1951-1969 م) ، حيث بدأت تنشط الحياة الأدبية في النصف الثاني من أربعينات القرن العشرين وذلك بفك الحصار الثقافي المضروب على الليبيين وتخلص البلاد من قبضة الاستعمار الإيطالية ، حيث ظهر خلال عقد الأربعينات نشاط ثقافي واسع تمثل في تأسيس الاندية الثقافية والرياضية وظهور العديد من الصحف الجديدة ، وخاصة بعد انفتاح ليبيا على الشرق والغرب وقدم المهاجرين الليبيين الذين جلبوا معهم ثقافة عصرية جديدة ساهمت في إثراء الثقافة في ليبيا وظهور المقالة الأدبية والاجتماعية والسياسية المعبرة عن هموم الناس وتطلعاتهم واستبشارهم بالمستقبل ، وهو ما تجسد خلال حقبة العهد الملكي.

### Abstract:

#### Literary, artistic and journalistic life in the era of the Kingdom of Libya (1951-1969):

This article presents a study on literary and artistic life in Libya during the period (1951-1969). Literary life in Libya began to be active in the second half of the 1940s, after the end of the cultural siege and the liberation of the country from the Italian grip. During the 1940s, there was widespread cultural activity, which included the establishment of cultural and sports clubs as well as the launching of newspapers. Libya's openness to the East and West with the return of the Libyan immigrants, who brought with them a new modern culture, contributed to the enrichment of culture and the emergence of literary, social and political articles that express the concerns of people and their aspirations for the future. The period of the 1940s was characterized by a strong desire for cultural training and to benefit from the production of literary figures in the Arab East, which was one of the main factors in the formation of modern literary renaissance. Literary life in Libya during the post-independence era has been illuminated by the lights of literature and art, and the demand for its pools was unmatched. This leads to the belief that literature in Libya, in all its arts, occupies a prominent place among the etiquette of the Arab East.



## المقدمة :

إن دراسة الحياة الأدبية والفنية في ليبيا خلال العهد الملكي (1951-1969 م) أمر بالغ الأهمية لما شهدته البلاد من طفرة أدبية خليقة بشد الانتباه إليها ودراستها دراسة رصينة وموضوعية لمعرفة التطور الثقافي خلال عهد الاستقلال .

ويصف لنا الكاتب الليبي **خليفة التليسي** هذه الفترة من تاريخ ليبيا الثقافي بقوله : " تميزت فترة الأربعينات بالإقبال الشديد على التكوين الثقافي والاستفادة من إنتاج أعلام الأدباء في الشرق العربي ، وقد كان ذلك من العوامل الرئيسية في تكوين النهضة الأدبية الحديثة "، وكذلك يصف الشاعر الليبي محمد أبو حامد المعاصر لتلك الفترة الحياة الأدبية الليبية خلال هذه المرحلة بقوله : " بعد الحرب العالمية الثانية أشرقت جوانب نفوسهم ( يقصد الليبيين ) بأنوار الأدب والفن وأصبح الإقبال على مناهله الفياضة ، إقبالاً منقطع النظير ، مما يدفع إلى الاعتقاد بأن الأدب في ليبيا على اختلاف فنونه سوف يتبوأ مكاناً بارزاً بين آداب الشرق العربية "(1).

وقد كان الملك إدريس السنوسي محباً للأدب ، مقدر للشعر ، مشجعاً للشعراء ، متذوق للجيد من الكلام ، حيث لقي أهل الأدب في ليبيا خلال الحقبة الملكية الكثير من الرعاية والتقدير والتشجيع ، حيث وجدوا مجالاً فسيحاً لإنتاجهم الأدبي في العديد من الوسائل الثقافية المتاحة آنذاك مثل المحاضرات والندوات والنوادي والجمعيات ، بالإضافة إلى الإذاعتين المرئية والمسموعة ونشر إنتاجهم الأدبي من الشعر والمقالة والقصة القصيرة والقصة المسرحية والنقد والدراسات الأدبية وغيرها من صنوف الأدب(2)، وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع في دراسة هذه النهضة الأدبية والفنية خلال هذه الحقبة البسيطة التي اتاحت لليبيين فيها التعبير عن آرائهم والإفصاح عن مشاعرهم واتجاهاتهم وثقافتهم بعد أن توفر لهم الجو المناسب من حرية الرأي التي ضمنها لهم الدستور ، ومن واقع هذه الأهمية جاءت أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ، وسنعمد في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي القائمة على جمع المادة العلمية ونقد مصادرها وتحليلها من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية وإلى النتائج المتوخاة في نهاية هذه الدراسة .

(1) الطيب علي سالم الشريف ، الصحافة الأدبية في ليبيا ( منذ الحرب العالمية الثانية إلى بداية العقد الأخير من القرن العشرين) وأثرها في تطور الأدب الحديث ، ط1 ، مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية ، ( طرابلس ، 2000 م ) ، ص 76-77.

(2) محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الادب في ليبيا العربية منذ الفتح الاسلامي وحتى اليوم ، ص 64 ، 108.





## أولاً الحياة الأدبية :

### الشعر :

ازدهر الشعر الليبي خلال هذه المرحلة ، بل كان أكثر الفنون ذيوماً وانتشاراً ، وذلك لعدة عوامل منها شحذ الهمم في مقاومة الغزاة ورفع روح المجاهدين المعنوية إلى جانب الدور الذي لعبته الحركة السنوسية في تطور هذا الفن، فالشعر الليبي خلال هذه المرحلة متنوع ومتعدد المشارب ، فإلى جانب الشعر الغنائي فهناك الشعر الوطني والقومي والوصفي والغزلي وغيرها ، فالشعر الليبي يمتاز بالأصالة والمحافظة في جملته على عمود الشعر العربي ، فهو شعر عربي من حيث الفكرة والمعنى والخيال والأسلوب ، وقد تأثر الشعراء الليبيون بمدارس الشعر المعاصرة لتلك الفترة ، ومن بينها مدرسة أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، ومدرسة شعر الديوان ومدرسة أبولو ومدرسة شعراء المهجر كما تأثر الشعراء الليبيون بالثقافات العالمية ، وخاصة الثقافة الإيطالية ، فقد ترجم بعض الشعراء الليبيين بعض القصائد الإيطالية مثل ما قام به الشاعر فؤاد الكعبار الذي ترجم أنشودة البحر الأبيض المتوسط للشاعر الإيطالي (فيديريكو) جاء في مطلعها : " يا بحر ، يا متوسط .. أنت لي كدمي .. في شرايين نسامك كأنفاسي ، كذلك قام الشاعر الليبي أحمد قنابة بترجمة قصيدة ( انهيار روما ) للشاعر الإيطالي ( هال سيبمان ) حيث يقول في بدايتها:

" أتسأل عن بنت الحضارة مالها .. رأيت صرح روما وهو يهوي فهالها

رويدك لا ترتب لما جرى لها .. فكل بلاء نالها من رجالها

فهم ألبسوها الخزي بعد هزيمة .. بأثيوبيا قد كابد الشعب نارها

ولا تنس الخزي حتى يذكر كل ما .. جرى في صحاري ليبيا ورمالها "

كما ترجم أحمد الفقيه حسن وغيره من العديد من القصائد والمسرحيات والملاحم الإيطالية إلى العربية ، ونشرت في الصحف الليبية مثل (الكوميديا الإلهية) لدانتي<sup>(3)</sup>.

وفي منتصف الخمسينات ولدت القصيدة الشعرية الحديثة في ليبيا وظهرت الدواوين الشعرية مثل ديوان (الحنين الضامئ) و ديوان (أشواق صغيرة ) للشاعر علي الرقيعي وديوان (أحلام وثورة) لشاعر

<sup>(3)</sup> محمد عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 57-61.



علي صدقي عبد القادر<sup>(4)</sup> وديوان (أغنية الميلاد) للشاعر خالد زغبية وأخرج ديوانه الثاني (السور الكبير) سنة 1964 م ، وظهر خلال هذه الفترة الشاعر محمد الشلطامي الذي عرف عنه حسه الصوفي العميق ورصيده في الشعر الشعبي وخلفيته العروبية المتأثرة بالفكر العربي القومي ، وقد ظهرت دواوينه بعد انقلاب سبتمبر 1969 م ، حيث صدر له ديوان بعنوان (أنشودة الحزن العميق) سنة 1972 م وديوان (أناشيد عن الموت والحب والحرية) سنة 1976 م<sup>(5)</sup>.

وعند الحديث عن الشعر الحديث في ليبيا لأبد لنا من التعريف بأبرز الشعراء خلال فترة هذه الدراسة ، ولعلّ من أبرز شعراء هذه الفترة ما يلي:

### 1 - إبراهيم الأسطى عمر:

ولد في مدينة درنة الليبية سنة 1907 م ، نشأ يتيماً فقيراً، إلا أنه أحب العلم و مداومته على المطالعة ، وعين خلال الحقبة الإيطالية كاتباً في المحاكم الشرعية ثم هاجر إلى بلاد العربية ( مصر - والشام - العراق )، ولقد استفاد من أسفاره وتقلاته واكتسب تجارب وثقافات وتعرف على الأدباء والشعراء بالعالم العربي وقرأ لهم، ثم بدأ في خضم الشعر ، وفي سنة 1940 م عاد إلى مصر فاشترك في جيش التحرير الليبي في الحرب العالمية الثانية إلى جانب قوات الحلفاء ثم استقر به المقام في ليبيا وتولى القضاء في مدينة المرج ، كما ترأس جمعية عمر المختار في مدينة درنة<sup>(6)</sup>.

وتميز شعره " بإجادة السبك و غزارة الفكر وخصب الخيال وقوة العاطفة و ثراء اللغة"<sup>(7)</sup>، وله شعر في الوصف والغزل والهجاء والرثاء ، كما أبدع في الشعر الوطني حتى أطلق عليه شاعر الشعب<sup>(8)</sup>.

ومن شعره الوطني قوله:

إن هذا الشعب كافح ثلث قرن ... فلم يذعن ولا ألقى الحسام

<sup>(4)</sup>عوض محمد الصالح ، الشعر الحر في ليبيا (دراسة في اتجاهاته وخصائصه)، رسالة دكتوراه في الأدب الحديث غير منشورة، جامعة الإسكندرية ، (الإسكندرية ، 1997 م) ، ص 36.

<sup>(5)</sup> محمد المفتي ، زمن المملكة (تطور المجتمع الليبي 1951 - 1969 م) ، ط. 1 ، دار الكتب الوطنية (بنغازي ، 2012 م)

، ص 303-304.

<sup>(6)</sup>محمد عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 88.

<sup>(7)</sup>محمد الصادق عفيفي ، الشعر والشعراء في ليبيا ، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة ، 1957 م) ، ص 148.

<sup>(8)</sup>علي مصطفى المصراطي ، شاعر من ليبيا ( إبراهيم الأسطى عمر) ، (د.ط) ، مكتبة الشرق ، (طرابلس ، 1957 م) ، ص 55.



إلى أن غادر المحتل قسراً ... أراضيهِ و قد ولى انهزماً<sup>(9)</sup>

ومن أشهر قصائده قصيدته التي أرسلها إلى المستر ( أنديه بليت ) مندوب الأمم المتحدة في ليبيا ونادى فيها بوحدة ليبيا نذكر منها البيت التالي:

يريد الشعب وحدته ففيها ... كرامته ولا يرضا انقساماً

ومن شعره السياسي قصيدته (عودة القائد) التي أهداها للأمير إدريس السنوسي بعد عودته للبلاد قادماً إليها من مصر، وكذلك قصيدته (تحية الإدريس) وقصيدته (نبأ) التي ألقاها بمناسبة إعلان هيئة الأمم المتحدة حق ليبيا في الاستقلال وغيرها من القصائد في شتى بحور الشعر<sup>(10)</sup>.

ومن شعره العاطفي نقتبس هذه الأبيات من قصيدته بعنوان (أسرار الجمال)، حيث يقول:

" أنت مرّحل في روحي وجسمي وخيالي

أنت نور شعّ في عيني وسمعي ومقالي

أنت من أنت ؟ أجبني أنت عن هذا السؤال " <sup>(11)</sup>.

وعند وفاته <sup>(\*)</sup> قال عنه السيد إدريس السنوسي : ( أنا أعرف وطنية إبراهيم من يوم أن كان في الجيش عند الكيلو 9 وقد فقدنا اليوم سيفاً من سيوف الوطن )<sup>(12)</sup>.

## 2- أحمد الشارف:

ولد في مدينة زليتن سنة 1872 م، حفظ القرآن بالمعهد الأسمرى ودرس العلوم في زاوية الفطيسي زليتن ، وفي عام 1906 م تولى الخطابة والتدريس بمسجد بني مسلم بمسلاته ثم القضاء الشرعي في تاورغاء ثم القربولي ، ثم عين بالمحكمة العليا الشرعية بطرابلس عام 1922 م ، وكان شاعراً كبيراً ملهماً ولقب (شاعر ليبيا) وأيضاً (شيخ الشعراء)، وبدأ الشارف يحفظ الشعر ويرويهِ ويتذوقه ثم أخذ ينظمه منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وكان يلقب أيضاً (بشاعر القطرين) " برقة وطرابلس "، ويعد

(9) زينب الجبري ، إطلالة على الحياة الثقافية في ليبيا ، (1943-1969 م) ( د.ط. ) ، ( د.ن. ) ، ( د.م. ) ، (2009 م ) ، ص 92.

(10) محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 88-89.

(11) علي مصطفى المصراطي ، علي مصطفى المصراطي، شاعر من ليبيا ( إبراهيم الأسطى عمر )، ( د.ط. )، مكتبة الشرق، (طرابلس، 1957م)، ص 98.

(\*) قدمات غرقا في مدينة درنة يوم 26 سبتمبر 1950 م.

(12) علي مصطفى المصراطي ، المرجع السابق ، ص 58.



الشارف من أبرز شعراء عصره في ليبيا ، وظهرت موهبته الشعرية منذ صباه وبدأ ينشر شعره في العديد من الصحف الليبية مثل : جريدة العصر الجديد والمرصاد والرقيب واللواء الطرابلسي وطرابلس الغرب وغيرها من الصحف الليبية (13).

ويقول عنه المؤرخ المصري محمد صادق عفيفي : " إنه علم من أعلام شعراء ليبيا في العصر الحديث صاحب نسج محكم وعبارة بليغة وقافية متمكنة رصينة ، مجيد في مجموع شعره أكثر تغلب عليه الجزالة " (14). وكان الشاعر أحمد الشارف متنوع الشعر ، وكان يعتز بوطنه وعروبته حتى ليقول من قصيدته (أمة ومجد):

"لا غرو أن يدعي الليبي أنه له ... ما للعروبة من مجد ومن حسب

لديه من لغة القرآن معجزة ... تلوح كالدرد والياقوت والذهب "

وقد مات أحمد الشارف عن عمر 87 عاماً وترك خلفه إنتاج غزير من الشعر والنثر، نشره في العديد من الصحف الليبية (15).

### 3 - أحمد رفيق المهدي:

ولد سنة 1898 م في قرية فاسطو الليبية وتعلم في نالوت ثم مصراتة ، وفيها درس اللغة الفرنسية ثم هاجر إلى مصر وفيها أكمل تعليمه ، وفيها أيضاً قال الشعر ثم رجع إلى ليبيا سنة 1921م ، إلا أن الإيطاليين نفوه إلى تركيا فمكث بها طويلاً ولم يستقر في بلاده إلا سنة 1946 م بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وفي عام 1951 عيّن عضواً بمجلس الشيوخ (16).

ولقد ساهم المهدي في إثراء الحركة الشعرية في ليبيا ، وقد طُبع ديوان الشاعر رفيق المهدي طبعتان ، الأولى كانت سنة 1959 م والثانية في عام 1963 م، وهي جزء من طبع على نفقة وزارة العمل وشؤون الاجتماعية بالمملكة الليبية المتحدة.

(13) محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 101-103.

(14) محمد صادق عفيفي ، المرجع السابق ، ص 192.

(15) محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 104-112.

(16) الطاهر أحمد الزاوي ، أعلام ليبيا ، ط 1 ، مكتبة الفرجاني ، (طرابلس ، 1961 م ) ، ص 59-64.



ويمتاز شعر المهدي بالوطنية الراقية ، وبالتجارب الشعرية العميقة وبالعاطفة الصادقة الحزينة وبالخيال المجنح الملحق وبالأسلوب الحلو العذب الرصين ، وكان رفيق يلقب بشاعر الوطن الكبير<sup>(17)</sup> وعندما حصلت ليبيا على استقلالها بعد أن أعلن الملك إدريس السنوسي أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة وأن دستورها أصبح منذ ذلك الإعلان ساري المفعول ويعمل به ، قال رفيق المهدي يخلد هذه المناسبة:

عيد عليه مهابة وجلال ... عيد و حسبك أنه استقلال

يوم عليه من السعادة بهجة ... وعليه من نور السرور جمال<sup>(18)</sup>

وكان الشاعر أحمد المهدي يؤمن بقوميته وعروبته ، وقد احتلت قضية فلسطين شطر مهماً من شعره وشعر كثير من زملائه الليبيين والعرب ، وها هو يعبر عن حزنه العميق لما أصاب فلسطين الجريحة من احتلال حيث يقول :

" أبعد فلسطين الشهيدة عندنا ... سرور بعيد ؟ نحن بالحزن أخلق

فلسطين في الأعماق ما زال جرحها ... يمج دماً ، أو دمعة تترقق " <sup>(19)</sup>

وظل يعمل ويواصل نشاطه الأدبي واتصالاته بالأدباء إلى ان وفته المنية في اليونان ، وقد دفن في بنغازي<sup>(20)</sup>.

#### 4 - حسن أحمد السوسي:

ولد عام 1924 م بواحة الكفرة ، هاجر صغيراً مع والده إلى مصر قبل احتلال الكفرة من قبل الطليان ، ودرس في الأزهر الشريف ثم عاد إلى البلاد سنة 1944 م ، مارس مهنة التدريس وبدأ ينشر قصائده في الصحف والمجلات الليبية وخاصة جريدة برقة الجديدة ، وكان من أبرز أدباء الليبيين وله مشاركات كثيرة في الندوات والمهرجانات العربية نذكر منها مهرجان الأدباء المغاربة سنة 1967 م

<sup>(17)</sup> محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 117.

<sup>(18)</sup> محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 133 .

<sup>(19)</sup> محمد الصادق عفيفي ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العربي ، (د.ط.) ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، (القاهرة ، 1962 م) ، ص 517 .

<sup>(20)</sup> وهبي أحمد البوري ، مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين ، ط 1 ، مجلس الثقافة العام ، (ليبيا ، 2008 م ) ، ص 419 .



ومؤتمر الأدباء العرب بالقاهرة سنة 1967 م ، ومؤتمر الأدباء العرب ببغداد سنة 1969 م وله دواوين شعرية نذكر منها (الركب التائه) (21) .

ومن شعره قصيدته حديث الجبل الأخضر في عيد الاستقلال وفيها يجعل الجبل الأخضر ينطق يتحدث عن نفسه ويروي ما مرّ به من أحداث ويصف ما به من جمال ومدن وقرى وشلالات وغيرها(22).

#### 5 - راشد الزبير السنوسي:

وهو من الأسرة السنوسية ، ولد في مدينة مطروح بمصر سنة 1938 م ، وهو من أوائل الليبيين الذين شاركوا بالنهضة الشعرية في ليبيا ، عاد إلى ليبيا بعد إنهاء الحرب العالمية الثانية ، تخرج من الجامعة الليبية سنة 1963 م وعمل بالتدريس ثم بالإعلام ، وكان له إنتاج أدبي غزير نشره بصحف الليبية مثل جريدة الزمان والعمل وبرقة الجديدة ومجلة الإذاعة وغيرها ، شارك في العديد من المؤتمرات الأدبية في ليبيا ومصر والعراق ، ومن أشهر دواوينه الشعرية (قيثارة الخلود) و(النغم الحائر) و(أنفاس الربيع) الذي أصدره سنة 1968 م.

#### 6 - أحمد أحمد قنابة:

وهو من أسرة ليبية تنتمي إلى آل البيت ، كانت تقطن في قرية ودّان بإقليم فزان، هاجرت إلى أفريقيا الجنوبية ، حيث ولد هناك عام 1898 م ثم عاد مع والده إلى طرابلس وتلقى التعليم فيها ، كما امتهن حرفة التجارة ثم عمل في إذاعة طرابلس ، وأخيراً انتهى به المطاف محرراً صحفياً بجريدة طرابلس الغرب.

أسهم هذا الشاعر في الحركة الوطنية ونظم الشعر وله ديوان مخطوط عرف عن الشاعر انتمائه للوطن والعروبة ، وكثيراً ما كان يدعوا في أشعاره إلى وحدة الأمة العربية ، ويعتبر أحمد قنابة أحد رواد الشعر وعلماء من أعلام الفكر والأدب في ليبيا(23).

(21) هشام محمد علي الحداد ، تاريخ الحياة الثقافية في ليبيا (1951-1969 م) ، رسالة ماجستير جامعة قاريونس ، كلية الآداب - قسم التاريخ ، (بنغازي ، 2006 م) ، ص 100.

(22) محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 168.

(23) محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 143-144.



وفي الحقيقة لا يتسع المجال لتعريف بشعراء ليبيا الخمسينات والستينات من القرن العشرين ، فهم كثر مثل ( أحمد راسم قدرى - حسين محمد الأحلافي - عبد القادر الحصادي - منير البرعصي - علي صدقي عبد القادر - علي الرقيعي - محمد بشير المغيربي - عبد ربه الغناي - عبد السلام بوهديمة - أحمد الفقيه حسن ) وغيرهم (24).

ومهما يكن من أمر فقد ازدهر الشعر الليبي ، بل كان أكثر الفنون ذيوياً وانتشاراً ، وذلك لعوامل كثيرة منها الحاجة إليه لشحن الهمم في مقاومة الغزاة ورفع روح المعنوية للمجاهدين إلى جانب الدور الذي لعبته الحركة السنوسية في تطوير هذا الفن ، فالشعر الليبي المعاصر يمتاز بالأصالة والمحافظة في حملته على عمود الشعر العربي ، وقد تأثر الشعراء الليبيون بمدارس الشعر المعاصرة مثل مدرسة أحمد شوقي (25).

وكان الشعر الوطني في ليبيا لا يميل إلى وصف العواطف الشخصية ، بل تجاوزها بكثير ، ذلك أنه كان تصوير لعاطفة عامة بمشاعر تلقائية ، اتسمت بصدق المشاعر وعمق الخيال وروعة التصوير ، ولقد تجاوز الشعر الوطني مفهوم الإقليمية ، فاهتزت مشاعر الشعراء وأزهر خيالهم وأثمر حتى عبرت قصائدهم في نظمها عن أحداث الوطن العربي الكبير ومشاكله وآرائه وآماله (26).

(24) للمزيد انظر : عبد الله سالم امليطان ، معجم الشعراء الليبيين ( شعراء صدرت لهم دواوين ) ، (د.ط) دار مراد للطباعة والنشر والإنتاج الفني ، (طرابلس ، 2001 م).

(25) محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 57-58.

(26) زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 92.



## ثانياً : القصة القصيرة

لقد عنى الأدباء الليبيون بكتابة القصة شعراً ونثراً ، حيث تعكس القصة الليبية خلال فترة هذه الدراسة تاريخ الحركة الأدبية والواقع الاجتماعي لشعب الليبي ، ومن خلال هذا الواقع تظهر القيم والمفاهيم الاجتماعية للأمة وتبقى المؤثرة في حركة الأدب بصفة عامة والقصة بصفة خاصة (27).

ولقد سارت القصة في ليبيا جنباً إلى جنب مع الألوان الأدبية الأخرى لتأخذ مكانها على صفحات المجلات والجرائد اليومية ، وقد كان الكتاب الليبيون متأثرون إلى حد كبير بأقرانهم من رواد القصة خصوصاً في مصر وبلاد الشام من أمثال ( محمود تيمور - نجيب محفوظ وعبد الحليم عبد الله) وغيرهم (28).

وكانت مجلة الرواد المجلة الليبية الوحيدة المتخصصة في الآداب والثقافة خلال العهد الملكي ولقد ملأت مجلة الرواد فراغاً كبيراً في حياة ليبيا الأدبية والفكرية(29). وما من شك في أن الصحافة الأدبية كانت المساحة الأولى التي ولد معها معظم فروع الآداب ونمت فيها القصة القصيرة والرواية والمقالة والمسرحية والشعر ، وكانت جسراً يربط الأدب العربي في ليبيا بالآداب العربية والعالمية عن طرق الاقتباس والنقل والترجمة من هذا الأدب وإليه(30).

ومن أبرز كتّاب القصة الأوائل في ليبيا الحديثة الكاتب عبد القادر أبو هروس المولود عام 1930 م الذي أفتتح مجموعته القصصية الأولى تحت عنوان (نفوس حائرة) سنة 1957 م(31) ، كما أخرجت الكاتبة الأدبية زعيمة سليمان الباروني مجموعة قصصية جميلة عنوانها (القصص القومي) كتبتها عام 1953 م ونشرت بعضها في العديد من الجرائد والمجلات وهي تحتوي على إحدى عشرة قصة قصيرة ذات مضامين قومية وتاريخية واجتماعية ، ولها قصة أخرى بعنوان (قدسية الأمومة) (32).

(27) رمضان عبد اله ، مفهوم القصة المعاصرة ، مجلة الرواد ، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة ، السنة 2 ، العدد 5 ، شهر مايو ، ( طرابلس ، 1966 م ) ، ص 31.

(28) زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 105.

(29) محمد صلاح الدين موسى ، الصحافة الأدبية في ليبيا (1869-1969 م)، (د.ط) ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، (طرابلس ، 1998 م ) . ص 471.

(30) الطيب سالم الشريف ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص 100.

(31) هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 86.

(32) محمد عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 127-128.





ولقد ظهر في ليبيا خلال هذه الفترة مجموعة من القصاصين الذين شهد لهم العمل الأدبي بالريادة والتفوق الفكري والثقافي من أمثال الكاتب أحمد إبراهيم الفقيه ، الذي أصدر مجموعة قصصية بعنوان (البحر لا ماء فيه) سنة 1966 م ثم أصدر مجموعة قصصية أخرى تحت عنوان (أربطوا أحزمة المقاعد) سنة 1968 م ولقد فازت مجموعته القصصية (البحر لا ماء فيه) بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة لعام 1965 م من اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب.

ومن أبرز رواد القصة الليبية الروائي كامل المقهور الذي ولد عام 1935 م وهو خريج جامعة القاهرة كلية الحقوق عام 1957 م ، وقد نشر إنتاجه الأدبي في الصحف والمجلات ، ومن أهم أعماله (قصة مدينتي) التي صدرت سنة 1965 م وقصة (الأمس المشرق) التي صدرت سنة 1968 م<sup>(33)</sup>.

كما لا ننسى الكاتب والأديب والمؤرخ مصطفى علي المصرتي المولود عام 1926 م والمتخرج من كلية أصول الدين بالأزهر الشريف سنة 1947 م ، عمل في بداية حياته صحفياً في مصر بجريدة الأسبوع ثم عاد إلى أرض الوطن 1948 م وأصدر أول كتاب له بعنوان (أعلام ليبيا) كما أصدر كتاب أبي بعنوان (فردوس الأدباء) قدم له الدكتور طه حسين ، كما أخرج المصرتي مجموعات قصصية نذكر منها (مرسال) و (حفنة من الرماد) و (مجمع الجهلة) و (الشمس والغربال) ولأستاذ علي مصطفى المصرتي أعمال كثيرة ، بحيث يصعب إدراجها من خلال هذه الترجمة القصيرة جداً<sup>(34)</sup>.

وفي سنة 1968 م نشر القاص محمد أبو القاسم الهوني مجموعة قصصية بعنوان (الخطيئة) ، ولعل من أكثر كتّاب القصة الليبيين إنتاجاً القاص عبد الله القويري الذي تخرج من جامعة القاهرة كلية الآداب سنة 1955 م ، وكان ينشر إنتاجه الفكري في العدد من الصحف والمجلات الليبية مثل (مجلة الرواد) ومجلة الإذاعة وصحيفة الحقيقة والعمل و فزان وطرابلس الغرب) وغيرها ، وترجمت بعض قصصه إلى اللغات (الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية) ، ولقد صدرت له عدة مجموعات قصصية هي (حياتهم) سنة 1960 م ، تضم 15 قصة ، ومجموعة الثانية ظهرت تحت عنوان (العيد في الأرض) سنة 1963 م ، وصدرت المجموعة الثالثة سنة 1965 م تحت اسم (قطعة من الخبز) ، وفي نفس السنة أصدر قصة أخرى تحت عنوان (الفرصة و القناص ) ، وكانت هذه القصة من أجمل قصصه التي

<sup>(33)</sup> هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 86-87.

<sup>(34)</sup> شعيبان علي القبلي ، مصراتة معالم وملاحم ، ط 1 ، الشركة العامة للورق و الطباعة ، ( مصراتة ، 2000 م ) ، ص 242-244.



اشتهر بها على المستوى المحلي والعالمي ، وختاماً يعتبر القاص عبد الله القويري من أهم رواد القصة الليبية القصيرة خلال فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين ، كما أنه تميز بغزارة الإنتاج القصصي ، فهو صاحب أكبر عدد من المجموعات القصصية في ليبيا<sup>(35)</sup> ، وهكذا ساهمت القصة القصيرة في تنشيط الحركة الأدبية سواء عبر الصحف والمجلات أو عبر المجموعات القصصية التي صدر لكتاب القصة ، والتي بلغ بعضها درجة من الجودة والنضج الفكري والأدبي جعلتها في مستوى الأعمال الأدبية العالمية حتى أنها ترجمت لعدة لغات كما كان للصحافة الليبية الفضل الأول في احتضان تلك النهضة الأدبية الشابة ومدنها بعوامل النمو والازدهار .

### ثالثاً : المسرح

ظهر المسرح في ليبيا الحديثة مؤخراً شأنها في ذلك شأن كل البلاد العربية ، ففي مدينة درنة أول فرقة مسرحية سنة 1928 م عرفت باسم فرقة هواة التمثيل أسسها رائد المسرح الليبي الأستاذ محمد عبد الهادي ، والذي برع في تمثيل الأدوار الكوميديّة ، وكان أيضاً من مؤسسي هذه الفرقة الشاعر إبراهيم الأسطى عمر الذي ساهم في تمثيل بعض الأدوار وإخراج عدد من المسرحيات<sup>(36)</sup>.

وقدمت هذه الفرقة أول مسرحية لها بعنوان (هارون الرشيد) والتي عرفت باسم مسرحية (خليفة الصياد) في مدينة طرابلس سنة 1936م<sup>(37)</sup>، وفي نفس هذه السنة أسس أحمد قنابة فرقة مسرحية في طرابلس عرفت باسم (الفرقة الوطنية الطرابلسية)، وقدمت هذه الفرقة مسرحيتها الأولى تحت اسم ( وديعة الحاج فيروز) ثم أعقبها بمسرحية أخرى عرفت باسم (حلم المأمون) من تأليف وإخراج أحمد قنابة<sup>(38)</sup>.

أما عن أول فرقة تأسست قبيل الاستقلال كانت فرقة (القومية للتمثيل والموسيقى) بتاريخ 1951/4/2 م أسسها مجموعة من الفنانين الوطنيين مثل (محمد قنيدي ومصطفى الأمير وشعبان القبلاوي وغيرهم)، وقد ساهمت هذه الفرقة في إثراء الحركة الثقافية ولعبت دوراً مهماً في زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي لدى أبناء الوطن، ولعلّ من أهم مسرحياتها التي قدمتها الفرقة القومية

<sup>(35)</sup> هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 88-89.

<sup>(36)</sup> علي الراعي ، المسرح في الوطن العربي ، عالم المعرفة (سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت)، يناير ، (الكويت ، 1980 م ) ، ص 455.

<sup>(37)</sup> حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، (د. ط) ، مطبعة سجل العرب ، (القاهرة ، 1962 م ) ، ص 43

<sup>(38)</sup> علي الراعي ، المرجع السابق ، ص 454.



للممثل والموسيقى، ومسرحية (صلاح الدين الأيوبي) ومسرحية (ولدي الهدى) ومسرحية (نكران واعتراف) وغيرها من المسرحيات.

وفي سنة 1957م تأسست فرقة (الأمل) وكان من بين مؤسسيها الكاتب المسرحي الفنان عبد الحميد الصادق المجراب والأديب بشير الهاشمي وآخرون، ومن مسرحيات فرقة الأمل، نذكر مسرحية (الشيخ لنقي و (الصبر باهي) و(المتشرد) وغيرها من المسرحيات الهادفة التي ساهمت وخلقت مناخاً ثقافياً واجتماعياً ، وأبرزت العديد من الفنانين والكتاب والممثلين وآخرين الوطنيين<sup>(39)</sup>.

ومع بداية الستينات من القرن العشرين توالى ظهور المسارح في العديد من المدن الليبية وخاصة بنغازي وطرابلس ودرنة ومصرارة وسبها وغيرها ، حيث تأسست مع بداية الستينات فرقة (المسرح الجديد) سنة 1960 م ثم ظهرت فرقة (الجيل الصاعد) سنة 1962م ، وأخرجت هذه الفرق العديد من المسرحيات الاجتماعية الهادفة.

حيث أخرجت فرقة المسرح الجديد مسرحية (قهوة الحاج منصور، وأنت السبب) ، في حين أخرجت فرقة الجيل الصاعد المسرحيات التالية ( بنت الناس ،سر الجريمة ،مشاكل وحكايات)، وفي مدينة بنغازي قام بعض الشباب المثقف بتأسيس أول فرقة مسرحية أطلق عليها اسم (فرقة الشاطئ) والتي اشترك في تأسيسها كل من الشاعر المعروف عبد ربه الغناي والأديب الصحفي عمر فخري المحيشي ورجب جعودة والكاتب المسرحي رجب البكوش وفاضل العجيلي<sup>(40)</sup>.

وفي عام 1961 م أسس رجب البكوش (المسرح الشعبي) في مدينة بنغازي وقام بعرض العديد من المسرحيات مثل مسرحيات (نكري الاستعمار ، والشنطة والعمل) وغيرها<sup>(41)</sup>. ومن أشهر المسرحيات التي قدمتها هذه الفرقة مسرحية (عمر المختار) وهي أولى المسرحيات التي قدمتها الفرقة وهي مسرحية وطنية تحكي مسيرة وكفاح الشهيد البطل عمر المختار.

وتكونت في مدينة بنغازي فرق مسرحية أخرى نذكر منها فرقة (الشباب للممثل) التي تأسست سنة 1962 م وقدمت عدة مسرحيات منها ( غلطة أب - الخطيئة) ، وفي سنة 1968 م تأسست فرقة مسرحية عرفت

<sup>(39)</sup> عبد الحميد الصادق المجراب ، المسرح الليبي في نصف قرن ، (1928-1978 م) ، (د.ط)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع و الإعلان (طرابلس ، 1986 م)، ص 133-135.

<sup>(40)</sup> هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 110-111.

<sup>(41)</sup> زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 126.



باسم (فرقة المسرح العام)، والتي من أشهر أعمالها مسرحية (الشقة جوها هلهما) والتي تم عرضها على مسرح الإذاعة المرئية في بنغازي<sup>(42)</sup> وفي مدينة طرابلس تأسست فرقة (التمثيل الشعبي) والتي عرضت عدة مسرحيات مثل (الصراع مع الحياة - البيت الحرام - عيادة المجانين) وغيرها، وشهده مدينة طرابلس ازدهاراً مسرحياً وخاصة بعد تأسيس (مسرح الغزالة) سنة 1968 م<sup>(43)</sup>.

كما ظهر في مدينة مصراتة فرقة مسرحية التابعة للنادي الأهلي المصرتي والتي أسسها الكاتب المسرحي عبد الكريم خليفة الدناع<sup>(44)</sup>، أما مدينة سبها تأسست فيها فرقة مسرحية عرفت باسم (الفنون المسرحية للهواة) تولى إدارتها السيد عبد الرحمن سوف الجين ومن أعمالها المسرحية التي قدمتها مسرحية (المأساة) ومسرحية (طبيب المسرح)<sup>(45)</sup>.

ولقد كان وراء هذا النشاط المسرحي عدد من الكتاب الذين كان لهم دور مهم في نهضة المسرح في ليبيا نذكر منهم الكاتب المسرحي (عبد الحميد الصادق المجرب) الذي كتب عدة مسرحيات، منها مسرحية (البوكشاش) أو الانتهازي، ومسرحيات (الصبر باهي، المتشرد، لو تشرق الشمس في الليل، من الأرض إلى الأرض - سبب بسيط، أصبح الاتهام) وقد تولى المجرب العديد من المناصب في المسرح والإذاعة الليبية واشترك في العديد من المهرجانات الثقافية والفنية في ليبيا والخارج، ومن كتاب المسرح الليبي الأستاذ أحمد إبراهيم الفقيه والذي كان عضواً بالمسرح القومي وإلى جانب كونه كاتب مسرحي كان يقوم بتمثيل بعض الأدوار المسرحية، وأيضاً يقوم بمهمة الإخراج لعدد من المسرحيات، ومن أهم المسرحيات التي كتبها (هند والمنصور) وهي مسرحية غنائية من تأليفه وإخراجه، بالإضافة إلى مسرحية (زائر المساء) و(صحيفة الصباح) ومن كتاب المسرح الذين كان لهم نشاط بارز السيد عبد الكريم خليفة الدناع، ومن أهم مسرحياته (دوائر الرفض والسقوط - سعدون - باطل الأباطيل - المنحة - العاشق).

ولعله من المهم أن نشير إلى أكثر الكتاب غزارة في التأليف المسرحي الكاتب: الأزهر أبوبكر حميد الذي التحق بالفرقة القومية للتمثيل عام 1956 م واشترك في بعض المهرجانات المسرحية في

<sup>(42)</sup> هشام الحداد، المرجع السابق، ص 111.

<sup>(43)</sup> زينب الجبري، المرجع السابق، ص 126.

<sup>(44)</sup> علي الراعي، المرجع السابق، ص 469.

<sup>(45)</sup> هشام الحداد، المرجع السابق، ص 111.



إيطاليا والجزائر وتونس ودمشق ، وأهم مسرحياته (يوم الهاني - نقابة الخنافس الأرض والناس ، دولاب الملابس ، وابليس كان هنا ، السماسرة ، تحطمت الأصنام - حجرة المكياج ) (46).

ولا يتسع المجال لذكر كتاب المسرح في ليبيا خلال الحقبة الملكية، فهم كثر ساهموا في إثراء الحياة الثقافية وخلق النهضة المسرحية التي عبرت عن المجتمع الليبي ، كذلك عبرت عن الحرية الفكرية التي كان يتمتع بها النخبة المثقفة في العصر الملكي (1952-1969 م).

### الإذاعة المسموعة والمرئية:

كان أول ظهور للإذاعة المسموعة في ليبيا سنة 1936 م على يد الإيطاليين وكان الغرض من إنشائها خدمة أغراض إيطاليا الاستعمارية ، وانتهى دور هذه الإذاعة بخروج الإيطاليين من ليبيا في 23 يناير 1943 م (47).

وفي عهد حكم الإدارة العسكرية ( البريطانية - الفرنسية ) أنشأت بريطانيا إذاعتين محليتان واحدة في طرابلس والأخرى في بنغازي ، وكان ذلك بطلب من أعيان برقة وطرابلس ، وكان البث الإذاعي في أول الأمر لا يستمر أكثر من ساعتين تقدم خلالهما الأغاني العربية القديمة وبعض الأحاديث العربية المقتبسة من الإذاعات العربية ، كما كان هناك برنامجاً لتعليم اللغة الانجليزية ، بالإضافة إلى نشرة الأخبار التي كان يحررها مكتب الاستعلام البريطاني (48).

وعندما استقلت البلاد أنشأت أول إذاعة ناطقة باسم الدولة الليبية في 28 يوليو سنة 1957 م وكانت تحت إشراف وزارة المواصلات ، وظلت الإذاعة الليبية تحت إشراف وزارة المواصلات حتى يوم 10 ديسمبر سنة 1959 م، إذا انضمت الإذاعة إلي المصلحة الجديدة التي تم إنشاؤها تحت اسم (مصلحة الإذاعة والمطبوعات الليبية) (49) ، ولقد اعتمدت الإذاعة الليبية منذ نشأتها على المساعدات الأجنبية ، وخاصة المساعدات الأمريكية والتي قامت ببناء محطة إذاعة كاملة في ليبيا على سبيل الإهداء ، حيث قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمنح الحكومة الأمريكية آنذاك (2,656,000) دولاراً

(46) علي الراعي ، المرجع السابق ، ص ص 469 ، 470 ، 476 ، 485 ، 491.

(47) حسن سليمان محمود ، المرجع السابق ، ص 376 .

(48) علي مصطفى المصراتي ، مجلة الإذاعة الليبية ، العدد 27 ، يناير سنة 1949 م ، ص 7.

(49) حسن سليمان محمود ، المرجع السابق ، ص 378.



لبناء محطتي إذاعة في كل من طرابلس وبنغازي ، ومنذ 1957/7/28 م انطلق صوت ليبي يعلن عبر الأثير بقوله : (هنا دار الإذاعة الليبية)، ومنذ ذلك التاريخ عرف المواطن الليبي أن له إذاعة وطنية حديثة تعبر باسمه وتقدم له المعرفة والأخبار والثقافة والمتعة الشريفة<sup>(50)</sup>.

أما الإذاعة المرئية فقد ظهرت في أواخر العهد الملكي ، حيث بدأ إرسال الإذاعة المرئية في ليبيا يوم 1968/12/24 م في مدينة طرابلس<sup>(51)</sup>.

ولعله من المفيد أن نشير إلى أسماء بعض رواد الإذاعة المسموعة والمرئية في ليبيا مثل الأستاذ محمد أبو عامر وكان مذيع ومقدم برامج وممثل لبعض التمثيليات بإذاعة طرابلس ، كذلك الإذاعي حسن صالح الذي كان بدأ من قسم الأخبار بالإذاعة ، بالإضافة إلى مراقبة البرامج السياسية ، وكان هناك رواد آخرون من أمثال مصطفى بن شعبان مدير الإذاعة والتلفزيون سنة 1966 م ، والمذيع نجية الطرابلسي والمذيع ناصر عبد السميع ، ولا ننسى أن نذكر الإذاعية الليبية الأستاذة خديجة الجهمي التي كانت متخصصة في ركن الأطفال والتي كان يسميها الأطفال في ذلك الوقت (ماما خديجة)<sup>(52)</sup> وفي الحقيقة لا يتسع المجال في ذكر أهم رواد الإذاعة الليبية المسموعة والمرئية والتي ساهمت في تنشيط وإثراء الحركات الفنية والفكرية والثقافة ونشر الوعي الوطني والقومي بين أبناء الوطن.

#### الصحافة:

كان أول ظهور للصحافة في ليبيا في أواخر العهد القرمانلي (1711-1835 م) ، حيث أصدر القنصل الفرنسي روسوا ( Rwsosa ) صحيفة مخطوطة باليد أطلق عليها اسم (المنقب الأفريقي) صدر العدد الأول منها يوم 1827/7/31 م ، وهي صحيفة شهرية إخبارية سياسية أدبية ، خطت باليد باللغة الفرنسية وكانت محدودة الانتشار توزع على قناصل الدول الأجنبية المتواجدين في مدينة طرابلس<sup>(53)</sup>.

<sup>(50)</sup> هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 123.

<sup>(51)</sup> سالم علي الحجاجي ، المرجع السابق ، ص 254.

<sup>(52)</sup> هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 128-130.

<sup>(53)</sup> عبد العزيز الصويغي ، بدايات الصحافة الليبية ( 1866 - 1922 م)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، (طرابلس ، 1989 م ) ، ص 73.



أما عن أول جريدة حكومية رسمية تصدر في ليبيا هي جريدة (طرابلس الغرب) وهي جريدة أسبوعية في أربع صفحات ، اثنان منها باللغة التركية والاثنان الأخران باللغة العربية ، واستمرت هذه الجريدة بالصدور إلى أن وقع الغزو الإيطالي لليبيا سنة 1911 م ، فحلت محلها جريدة (إيطاليا الجديدة) التي اعتبرها الإيطاليون جريدة رسمية تصدر باللغتين الإيطالية والعربية<sup>(54)</sup>.

وفي سنة 1897 م صدرت أول صحيفة عربية في ليبيا هي صحيفة الترقى أصدرها محمد البوصيري ، وهي صحيفة أسبوعية تعنى بشؤون السياسية ، وهي من أربع صفحات ، أما أول مجلة عرفتها ليبيا هي (مجلة الفنون) صدرت سنة 1898 م ، وهي مجلة متخصصة بحرفة الزراعة ومبادئ الجغرافيا ، وتصدر شهرية باللغة العربية في (23) صفحة<sup>(55)</sup>. أما عن أول دورية سنوية صدرت في ليبيا هي (سالنامة) ، حيث ظهر العدد الأول منها بتاريخ 9 محرم 1286 هـ / أي سنة 1869 م ، وكانت عبارة عن تقويم سنوي يحتوي على المعلومات ذات الصبغة الخاصة والعامة لولاية طرابلس الغرب ، بإضافة إلى الأمور التاريخية والجغرافية والفلكية وغيرها من معلومات تجارية وزراعية وصناعية وما على شاكلتها<sup>(56)</sup>.

ولقد عرفت الصحافة الليبية نوعاً من الإزدهار بعد صدور الدستور العثماني على أثر الثورة التركية سنة 1908 م ، فقام عدد من مثقفي طرابلس من عرب وترك وإيطاليين ويهود بإنشاء المطابع وإصدار الصحف في جو من التنافس لا يتسع المجال لتناول هذه المرحلة الهامة من تاريخ الصحافة الليبية خلال العهد العثماني الثاني (1835-1911 م)، ولكن مع وقوع الغزو الإيطالي على ليبيا أوقفت السلطات الاستعمارية كافة الدوريات الناطقة باللغة العربية واستولت على كافة المطابع العامة في البلاد ، وسخرتها لطبع الصحف الناطقة باللغة الإيطالية ، حيث صدرت خلال هذه المرحلة العديد من الصحف التي تدعوا إلى طليانة البلاد وشعبها وجعلها جزء من الإمبراطورية الرومانية أو ساحلاً رابعاً إيطالياً<sup>(57)</sup>، ولكن بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وخروجها من ليبيا ووقوع ليبيا تحت حكم الإدارة

<sup>(54)</sup>أديب مروة ، الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها ، ط1 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، 1961 م) ، ص 220.

<sup>(55)</sup>عبد العزيز الصويغي ، فن الصحافة ماضيه وحاضره و مستقبله ، (شكل الصحيفة الليبية في مائة عام) ، (د.ط)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، (طرابلس ، 1984 م) ، ص 26-27.

<sup>(56)</sup>عبد العزيز سعيد الصويغي ، بدايات الصحافة الليبية ، المرجع السابق ، ص 109-110.

<sup>(57)</sup>عبد العزيز سعيد الصويغي، بدايات الصحافة الليبية، المرجع السابق، ص 171.



العسكرية الأنجلوفرنسية عادت الصحف الوطنية للصدور من جديد ، حيث رجعت جريدة طرابلس الغرب للصدور من جديد بتاريخ 1943/2/8 م ، كما عادت جريدة برقة الجديدة سنة 1944م ، بالإضافة إلى ظهور العديد من الصحف والمجلات ، نظراً لهامش الحرية التي تمتعت به الصحافة خلال عهد الإدارة العسكرية ، ولقد أسهمت الصحافة خلال المرحلة التي تلت انتهاء الاستعمار الإيطالي في نصره القضية الوطنية وفي المطالبة عبر الصحافة بالحرية والاستقلال ، كما ظهرت خلال هذه الفترة تيارات سياسية ساهمت في إثراء الحياة الصحافية والسياسية ، كما برزت أقلام نشيطة في العديد من الميادين مثل الميدان الثقافي والاجتماعي والسياسي وغيرها<sup>(58)</sup>.

ومن أهم الصحف التي صدرت في إقليم طرابلس خلال هذه الحقبة جريدة (طرابلس الرسمية) والتي أصدرها مكتب الاستعلامات البريطانية وهي عبارة عن جريدة بثلاث لغات ( عربية - انجليزية - ايطالية ) وهي خاصة بنشر القوانين والإصدارات البريطانية.

كما صدر خلال هذه الفترة مجلة ( المرأة ) سنة 1946 م وهي عبارة عن مجلة أدبية رياضية تولى إدارتها **مصطفى العجيلي** وجريدة ( أخبار البلاد ) أصدرها الشيخ **محمد الماعزي** سنة 1947 م وهي جريدة إخبارية سياسية اجتماعية أدبية ، وكذلك جريدة (المرصاد) أسسها **محمد قنابة** عام 1950 م ، وهي جريدة أسبوعية تهتم بالأخبار السياسية والموضوعات الاجتماعية ، كما صدرت جريدة (الليبي) سنة 1951 م أنشأها **علي الديب** وهي جريدة أدبية اجتماعية سياسية ، وجريدة (شعلة الحرية) أصدرها المناضل **أحمد زارم** سنة 1951 م وهي اللسان الناطق لحزب المؤتمر الوطني.

أما في إقليم برقة فقد صدرت عدة صحف أبرزها:

جريدة (بنغازي) التي أصدرها مكتب المطبوعات سنة 1943 م ثم تحولت إلى جريدة (برقة الجديدة) سنة 1945 م ، ويرأس تحريرها صالح بويصير وهي تهتم بالأخبار السياسية والاجتماعية والأدبية ، وكذلك صدرت خلال هذه الفترة مجلة (برقة الرياضية وعمر المختار) أشرف على إصدارهما جمعية عمر المختار ثم تغير اسم إلى اسم الاخيرة (جريدة الوطن)، وتعني بالأخبار الرياضية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، كذلك صدرت جريدة ( الاستقلال ) أصدرها رابطة الشباب الليبي ، ولقد حفلت هذه الجريدة بالموضوعات السياسية والاجتماعية والفنية والثقافية ، كما أسس الصحفي صالح

<sup>(58)</sup>أديب مروة ، المرجع السابق ، ص 377-378.





بويصير جريدة (الفجر) سنة 1947 م وهي جريدة إخبارية سياسية ، وفي سنة 1948 م أصدر توفيق البرقاوي صحيفة (الجبيل الأخضر) وتعني بالأخبار الثقافية والاجتماعية والرياضية ، وعندما استقلت برقة سنة 1949 م أصدرت حكومتها جريدة عرفت باسم (برقة الرسمية)، وهي تقوم بنشر اللوائح والإعلانات الرسمية ، وفي سنة 1950 م أصدر أحد أبرز أعضاء جمعية عمر المختار الأستاذ مصطفى بن عامر (مجلة ليبيا ) وهي مجلة نصف شهرية تحتوي على مواضيع مختلفة ( سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ورياضية )<sup>(59)</sup>.

وقد شهدت الصحافة الليبية في عهد الملك إدريس السنوسي صدور العديد من الصحف والمجلات متنوعة المشارب ومتعددة المواضيع ، سواء منها الرسمية والخاصة ، كما عرفت الصحافة خلال هذه الفترة ظهور الصحافة المتخصصة ، كما شهدت الصحافة في ليبيا تطوراً ملحوظاً في كثرة عدد الصحف وحتى من ناحية الإخراج الفني لأصحف والمجلات ، مما ساهم في نمو ازدهار الصحافة ، وخاصة بعد صدور قانون المطبوعات الذي ينظم الحياة الصحافية في البلاد سنة 1959 م ، وقد هيئة الدولة الليبية كافة الإمكانيات لتطور الصحافة في المطابع الحديثة وحرية الصحافة وتوفير مصادر الأخبار من وكالة الأنباء الليبية والصحف الخارجية والإذاعة وغيرها<sup>(60)</sup>. وكانت الدولة الليبية تشجع وتدعم الصحف من خلال توليها طباعة معظم الصحف العامة والخاصة<sup>(61)</sup>.

وما من شك في أن ازدهار الصحافة خلال الحقبة الملكية كان وليد هامش كبير من حرية التعبير، وذلك في حدود الحق الدستوري المنظم لقانون المطبوعات الذي ظهر عام 1959 م ، وقد كان الملك إدريس يتعامل بروح أبويه متسامحة حتى مع الذين ينتقدوه ، ولعل خير دليل على ذلك ما وقع من تعدي وقذح على شخصية الملك في جريدة ( برقة الجديدة ) سنة 1960 م عندما ظهر على صفحاتها صورة الملك مطبوع على شنته (قبعته) كلمات مقلوبة تقول : ( فضاءً غليظ القلب .. لا شفقة ولا رحمة ) وفي صفحة أخرى من نفس الجريدة عبارة على صورة الملك تقول : ( أحد عتاه المشركين )، وعلى أثر هذه الحادثة قام مدير المباحث باعتقال أصحاب الجريدة وأوقفت رواتبهم وبعد ثلاثة أشهر من الاعتقال علم الملك بهذه الحادثة فقال للدكتور علي الساحلي الذي كان يشغل يومذاك منصب رئيس الديوان الملكي

<sup>(59)</sup> محمد صلاح الدين موسى ، المرجع السابق ، ص 61-63.

<sup>(60)</sup> هيئة تحرير ، تطور الصحافة الليبية ، مجلة المعرفة ، العدد 381 ، تصدر عن المعاهد الثقافية الأمريكية ، في بلدان شمال أفريقيا ، (طرابلس ، 1968/5/6 م) ، ص 7 .

<sup>(61)</sup> هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص ، 161



: ( يا دكتور علي أكتبوا رسالة .. ردهم لأعمالهم وصرقوا لهم رواتبهم وقلوا لهم سامحونا )<sup>(62)</sup> ،  
وهذا الموقف إن دلّ على شيء إنما يدل على تسامح الملك وعلى مدى حرية التعبير التي تمتعت به  
الصحافة خلال عهد إدريس السنوسي ، وفيما يلي جدول يوضح الصحف الصادرة خلال الحقبة الملكية:

الرقم	اسم الجريدة / المجلة	صاحب الامتياز/المؤسس	سنة التأسيس	نهاية الصدور	مضمونها	مكان الصدور
1.	الليبي	علي محمد الديب	1951 م	-	سياسية إخبارية جامعة	طرابلس
2.	الدفاع	صالح مسعود بويصير	1952 م	1954	-	بنغازي
3.	النار	عمر إدريس الأشهب	1952 م	1952	اجتماعية جامعة	بنغازي
4.	اللواء	علي رجب	1952 م	-	سياسية إخبارية	طرابلس
5.	مجلة ليبيا	مصطفى بن عامر	1950 م	1953	أدبية اجتماعية رياضية ثقافية	بنغازي
6.	البشائر	عوض ومحمد زاقوب	1953 م	1971	سياسية أسبوعية	بنغازي
7.	الزمان	عمر إدريس الأشهب	1953 م	1972	سياسية أسبوعية جامعة	بنغازي
8.	مجلة المعلم	معهد المعلمين والمعلمات	1953 م	1957	تربوية علمية أدبية	بنغازي
9.	هنا طرابلس	مكتب إذاعة طرابلس	1954 م	1960 م	أدبية فنية نصف شهرية	طرابلس
10.	مجلة العربي (فضيلة)	اللجنة الثقافية لرابطة المعلمين	1955 م	1956 م	ثقافية تربوية اجتماعية	بنغازي
11.	الأفكار	الجمعية الليبية التركية	1955 م	1960 م	ثقافية اجتماعية	طرابلس
12.	مجلة النور	عقيلة صادق بالعون	1956 م	1957 م	ثقافية اجتماعية جامعة	بنغازي
13.	الرائد	عبد القادر أبو هروس	1956 م	1972 م	سياسية اجتماعية أدبية	طرابلس
14.	الطلیعة	سالم شينته	1957 م	1969 م	سياسية جامعة	طرابلس
15.	فزان	إدارة المطبوعات ولاية فزان	1957 م	1967 م	سياسية جامعة	سبها
16.	الضياء (مجلة) العدالة	عمر إدريس الأشهب	1957 م	1958 م	سياسية جامعة	بنغازي
17.	العمل	أحمد بوهدمة	1958 م	1971 م	تعني بشؤون العمال	بنغازي
18.	المساء	سليمان الدهان	1958 م	1958 م	سياسية اجتماعية	طرابلس
19.	مجلة كلية الأداب والتربية	الجامعة الليبية	1958 م	-	تربوية أدبية اجتماعية	بنغازي
20.	مجلة المنار	طلبة الآداب والتربية الجامعة الليبية	1959 م	1959 م	أدبية تربوية	بنغازي
21.	الإذاعة والتلفزيون (مجلة)	مصلحة الإذاعة والتلفزيون	1961 م	-	أدبية فنية إخبارية	طرابلس
22.	الرقیب	رجب محمد المغربي	1961 م	1972 م	سياسية أدبية اجتماعية	بنغازي
23.	الهدى الإسلامي	جامعة محمد بن علي السنوسي	1961 م	-	دينية اجتماعية جامعة	البيضاء
24.	ليبيا الحديثة	إدارة المطبوعات بطنابلس	1963 م	1969 م	أدبية ثقافية مصورة	طرابلس
25.	الميدان	فاضل المسعودي	1964 م	1969 م	سياسية جامعة	طرابلس
26.	البلاغ	علي وريث	1964 م	1969 م	-	طرابلس
27.	الشعب	علي مصطفى المصراطي	1964 م	1970 م	سياسية إخبارية	طرابلس

<sup>(62)</sup> محمد محمد المفتي، زمن المملكة، المرجع السابق، ص 288-290.



الرقم	اسم الجريدة / المجلة	صاحب الامتياز/المؤسس	سنة التأسيس	نهاية الصدور	مضمونها	مكان الصدور
28.	الحرية	عمر الطشاني	1964 م	1972 م	سياسية اجتماعية مستقلة	طرابلس
29.	مجلة الرواد	وزارة الأنباء والإرشاد	1964 م	1970 م	أدبية فكرية	طرابلس
30.	مجلة ليبيا القديمية	الإدارة العامة للآثار والمتاحف	1964 م	1970 م	تاريخية ثقافية بثلاث لغات	روما
31.	الحقيقة	محمد بشير الهوني	1964 م	1972 م	إخبارية اجتماعية ثقافية	بنغازي
32.	النفط العربي	وزارة النفط	1964 م	1971 م	الصناعات النفطية	بنغازي
33.	الريپورتاج	عبد القادر الطويل	1965 م	1969 م	اجتماعية ثقافية أدبية	بنغازي
34.	المرأة (مجلة)	وزارة الإعلام والثقافة	1965 م	1969 م	شؤون المرأة	طرابلس
35.	الأولمبياد	محمد فريد سيالة	1966 م	1968 م	سياسية رياضية شبابية	طرابلس
36.	الحصاد (مجلة)	شركة إسو للنفط في ليبيا	1966 م	1973 م	متنوعة	طرابلس
37.	قورينا (مجلة)	كلية الآداب الجامعة الليبية	1996 م	1972 م	أدبية علمية متنوعة	بنغازي
38.	البلاد	وزارة الإعلام والثقافة	1967 م	1969 م	سياسية جامعة	سبها
39.	الأمة (مجلة)	وزارة الإعلام والثقافة	1967 م	1969 م	سياسية جامعة	بنغازي
40.	الرياضة (مجلة)	المهدي المطردي	1967 م	1969 م	رياضية شهرية	بنغازي
41.	العلم	محمد الشاوش	1967 م	1969 م	إخبارية سياسية اجتماعية	بنغازي
42.	الشعلة	حسين الكيلاني	1967 م	1969 م	سياسية اقتصادية ثقافية	بنغازي
43.	ليبيا الاقتصاد (مجلة)	أحمد بن مسعود	1967 م	1969 م	اقتصادية باللغة العربية والانجليزية	طرابلس
44.	ليبيا الرياضية (مجلة)	وزارة الشباب	1967 م	1969 م	رياضية ثقافية	بنغازي
45.	الهدف	جمعة نصر	1967 م	1970 م	ثقافية رياضية	طرابلس
46.	كلية الضباط الملكية (مجلة)	كلية الضباط	1967 م	1969 م	شؤون الأمن وشرطة	بنغازي
47.	الفجر	محمد فريد سيالة	1968 م	1971 م	إخبارية سياسية	طرابلس
48.	ليبيا السياحية (مجلة)	وزارة السياحة	1968 م	1969 م	سياحية تراثية	طرابلس
49.	اليوم	محمد الشاطر	1968 م	1972 م	سياسية إخبارية	بنغازي
50.	التجارة والاقتصاد	غرفة التجارة والصناعة	1969 م	1969 م	تعني بالشؤون الاقتصادية	بنغازي

من خلال قراءة الجدول السابق لصحف والمجلات الصادرة خلال الحقبة الملكية (1952-1969)

م) من تاريخ ليبيا يتضح لنا مدى ازدهار وانتعاش الصحافة في ليبيا ، وخاصة إذا ما علمنا أن ليبيا عند استقلالها وصفت بأنها من أشد دول العالم فقراً وتخلفاً ، إذ لم يكن عدد سكانها يزيد عن المليون ونصف المليون نسمة ، بينما كانت الأمية تضرب بأطنابها في المجتمع الليبي ، إذ بلغت فيها الأمية إلى أكثر من 90 % ، فضلاً عن افتقارها للخبرات الفنية.

ولعلّ مرد انتعاش الصحافة في ليبيا على الرغم من الحيثيات سابقة الذكر هو وليد هامش كبير من حرية التعبير وصل فيه الأمر حد نقد الحكومة ومحاربة الفساد المالي والإداري ، وخاصة بعد أن أصدر الملك إدريس السنوسي في 13/7/1960 م منشوره المعروف ( بلغ السيل الزبي ) فضاغت



الصحافة حملاتها ضد مظاهر الفساد بكافة أنواع ، بل وصل الأمر أن بعض الصحفيين تعرض للملك في شخصه ، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على حرية التعبير والنشر الذي تمتعت بها الصحافة في عهد الملك إدريس السنوسي ، ولعل ما يجب الإشارة إليه أن كثير من صحف هذه المرحلة توقف عن الصدور عند انقلاب سبتمبر أو بعده بقليل.

كما نلاحظ من الجدول السابق ظهور الصحافة المتخصصة سواء أهلية أو رسمية تابعة لجهات اعتبارية ، فظهرت الصحف الأدبية والفنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الإخبارية والرياضية ، كما ظهرت صحيفة (المرأة) وهي تعني لشؤون المرأة ، كما يعد عامي (1964/1967 م) من أكثر الأعوام صدوراً للصحف ، ولعل مرجع ذلك هو الانتعاش الاقتصادي الذي حدث بعد تصدير النفط في ليبيا ، مهما يكن من أمر فلا بد أن نذكر لصحافة هذه الحقبة أنها هيأت أرضية خصبة ترعرعت على صفحاتها كثير من أقلام و اشتهرت فيما بعد وأسهمت في إثراء الحركة الثقافية والفكرية في البلاد.

**الخاتمة :** لقد خُصت الدراسة الى ان الشعر الليبي كان أكثر الفنون ذيوغاً وانتشاراً ، وذلك لعوامل كثيرة منها الحاجة إليه لشحن الهمم في مقاومة الغزاة ورفع روح المعنوية للمجاهدين إلى جانب الدور الذي لعبته الحركة السنوسية في تطوير هذا الفن ، فالشعر الليبي المعاصر يمتاز بالأصالة والمحافظة في حملته على عمود الشعر العربي ، وقد تأثر الشعراء الليبيون بمدارس الشعر المعاصرة مثل مدرسة أحمد شوقي كذلك اتسمت الشعر الليبي بصدق المشاعر وعمق الخيال وروعة التصوير ، عملت القصة القصيرة على تنشيط الحركة الأدبية سواء عبر الصحف والمجلات أو عبر المجموعات القصصية التي صدر لكتاب القصة ، والتي بلغ بعضها درجة من الجودة ولنضج جعلتها في مستوى الأعمال الأدبية العالمية حتى أنها ترجمت لعدة لغات كما كان للصحافة الليبية الفضل الأول في احتضان تلك النهضة الأدبية الشابة ومدنها بعوامل النمو والازدهار.

ساهم المسرح في إثراء الحياة الثقافية وخلق النهضة المسرحية التي عبرت عن المجتمع الليبي ، كذلك عبرت عن الحرية الفكرية التي كان يتمتع بها النخبة المثقفة في العصر الملكي . كما ساهمت الإذاعة الليبية المسموعة في تنشيط وإثراء الحركات الفنية والفكرية والثقافة ونشر الوعي الوطني والقومي



بين أبناء الوطن، كما ان الصحافة خلال هذه الحقبة هيأت أرضية خصبة ترعرعت على صفحاتها كثير من أقلام و اشتهرت فيما بعد وأسهمت في إثراء الحركة الثقافية والفكرية والأدبية في البلاد.

### قائمة المصادر والمراجع :

1. الطيب علي سالم الشريف ، الصحافة الأدبية في ليبيا ( منذ الحرب العالمية الثانية إلى بداية العقد الأخير من القرن العشرين) وأثرها في تطور الأدب الحديث ، ط1 ، مركز جاهد الليبيين للدراسات التاريخية ، (طرابلس ، 2000 م ) ، ص 76-77.
2. محمد عبد المنعم خفاجي ، قصة الادب في ليبيا العربية منذ الفتح الاسلامي وحتى اليوم ، ص 64 ، 108.
3. محمد عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 57-61.
4. عوض محمد الصالح ، الشعر الحر في ليبيا (دراسة في اتجاهاته وخصائصه)، رسالة دكتوراه في الأدب الحديث غير منشورة، جامعة الإسكندرية ، (الإسكندرية ، 1997 م) ، ص 36.
5. محمد المفتي ، زمن المملكة (تطور المجتمع الليبي 1951 - 1969 م ) ، ط. 1 ، دار الكتب الوطنية (بنغازي، 2012 م )
6. ، ص ص 303-304.
7. محمد عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 88.
8. محمد الصادق عفيفي ، الشعر والشعراء في ليبيا ، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة ، 1957 م) ، ص 148.
9. علي مصطفى المصراتي ، شاعر من ليبيا ( إبراهيم الأسطى عمر) ، (د.ط) ، مكتبة الشرق ، (طرابلس ، 1957 م) ، ص 55.
10. زينب الحبري ، إطلالة على الحياة الثقافية في ليبيا ، (1943-1969 م ) (د.ط) ، (د.ن) ، (د.م) ، ( 2009 م ) ، ص 92.
11. محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق ، ص 88-89.
12. علي مصطفى المصراتي ، علي مصطفى المصراتي، شاعر من ليبيا ( إبراهيم الأسطى عمر)، (د.ط)، مكتبة الشرق، (طرابلس، 1957م)، ص 98.
13. علي مصطفى المصراتي ، المرجع السابق ، ص 58.
14. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 101-103.



15. محمد صادق عفيفي ، المرجع السابق ، ص 192.
16. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 104-112.
17. الطاهر أحمد الزاوي ، أعلام ليبيا ، ط 1 ، مكتبة الفرجاني ، (طرابلس ، 1961 م ) ، ص 59-64.
18. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 117.
19. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 133 .
20. محمد الصادق عفيفي ، الاتجاهات الوطنية في الشعر العربي ، (د.ط)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، (القاهرة ، 1962 م) ، ص 517 .
21. وهبي أحمد البوري ، مجتمع بنغازي في النصف الأول من القرن العشرين ، ط 1 ، مجلس الثقافة العام ، (ليبيا ، 2008 م ) ، ص 419 .
22. هشام محمد علي الحداد ، تاريخ الحياة الثقافية في ليبيا (1951-1969 م) ، رسالة ماجستير جامعة قاريونس ، كلية الآداب - قسم التاريخ ، (بنغازي ، 2006 م) ، ص 100.
23. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 168.
24. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 143-144.
25. للمزيد انظر : عبد الله سالم امليطان ، معجم الشعراء الليبيين ( شعراء صدرت لهم دواوين ) ، (د.ط) دار مراد للطباعة والنشر والإنتاج الفني ، (طرابلس ، 2001 م).
26. محمد خفاجي ، المرجع السابق ، ص 57-58.
27. زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 92.
28. رمضان عبد اله ، مفهوم القصة المعاصرة ، مجلة الرواد ، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة ، السنة 2 ، العدد 5 ، شهر مايو ، ( طرابلس ، 1966 م ) ، ص 31.
29. زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 105.
30. محمد صلاح الدين موسى ، الصحافة الأدبية في ليبيا (1869-1969 م)، (د.ط) ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، (طرابلس ، 1998 م) . ص 471.
31. الطيب سالم الشريف ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص 100.
32. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 86.
33. محمد عبد المنعم خفاجي ، المرجع السابق ، ص 127-128.
34. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 86-87.



35. شعبان علي القبلي ، مصراتة معالم وملاحم ، ط 1 ، الشركة العامة للورق و الطباعة ، ( مصراتة ، 2000 م ) ، ص 242-244.
36. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 88-89.
37. علي الراعي ، المسرح في الوطن العربي ، عالم المعرفة (سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت)، يناير ، (الكويت ، 1980 م ) ، ص 455.
38. حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر ، (د. ط) ، مطبعة سجل العرب ، (القاهرة ، 1962 م ) ، ص 43
39. علي الراعي ، المرجع السابق ، ص 454.
40. عبد الحميد الصادق المجراب ، المسرح الليبي في نصف قرن ، (1928-1978 م) ، (د.ط)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع و الإعلان (طرابلس ، 1986 م)، ص 133-135.
41. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 110-111.
42. زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 126.
43. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 111.
44. زينب الجبري ، المرجع السابق ، ص 126.
45. علي الراعي ، المرجع السابق ، ص 469.
46. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 111.
47. علي الراعي ، المرجع السابق ، ص ص 469 ، 470 ، 476 ، 485 ، 491.
48. حسن سليمان محمود ، المرجع السابق ، ص 376 .
49. علي مصطفى المصراتي ، مجلة الإذاعة الليبية ، العدد 27 ، يناير سنة 1949 م ، ص 7.
50. حسن سليمان محمود ، المرجع السابق ، ص 378.
51. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 123.
52. سالم علي الحجاجي ، المرجع السابق ، ص 254.
53. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 128-130.
54. عبد العزيز الصويغي ، بدايات الصحافة الليبية ( 1866 - 1922 م)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، (طرابلس ، 1989 م ) ، ص 73.
55. أديب مروة ، الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها ، ط1 ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، 1961 م) ، ص 220.



56. عبد العزيز الصويغي ، فن الصحافة ماضيه وحاضره و مستقبله ، (شكل الصحيفة الليبية في  
مائة عام) ، (د.ط.)، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، (طرابلس ، 1984 م) ، ص 26-  
27.
57. عبد العزيز سعيد الصويغي ، بدايات الصحافة الليبية ، المرجع السابق ، ص 109-110.
58. عبد العزيز سعيد الصويغي، بدايات الصحافة الليبية، المرجع السابق، ص 171.
59. أديب مروة ، المرجع السابق ، ص 377-378.
60. محمد صلاح الدين موسى ، المرجع السابق ، ص 61-63.
61. هيئة تحرير ، تطور الصحافة الليبية ، مجلة المعرفة ، العدد 381 ، تصدر عن المعاهد الثقافية  
الأمريكية ، في بلدان شمال أفريقيا ، (طرابلس ، 1968/5/6 م) ، ص 7 .
62. هشام الحداد ، المرجع السابق ، ص 161
63. محمد محمد المفتي، زمن المملكة، المرجع السابق، ص 288-290.





## The Role of People with Special Needs in Scientific Life

Dr Ghassan Mahmoud Weshah

Professor of History and Islamic Civilization

Islamic University of Gaza

### Summary

People with special needs played an important role in the Islamic State, especially in the early part of Islam. Some of them had a clear role in science and education, some were symbolic of jihad and the spread of Islam, and some of them were a star in the sciences of interpretation, jurisprudence, language, Hadith and other sciences. In all fields.

### key words:

People with special needs - Islam - Hadith - Fiqh.

### An introduction

Since Islam came and the lights of the universe and its laws prevailed we find that he cared about all segments of society, especially those with special needs, who paid special attention, he urged Muslims to take full care of them, and therefore

The verses in the book of God and the hadiths of the Prophet to confirm to everyone that God urges to support the weak and help him as much as possible The Holy Prophet that these weak cause of victory and livelihood, Islamic history has monitored many models of people with special needs in the heart of Islam It has a great role in spite of the physical disabilities that accompanied it for periods of time, but these models underlined championships and honors in several fields and was

It has a clear impact in building the Islamic State in many aspects.



### **First: A- Introducing people with special needs:**

Disability is an inherent phenomenon of all human societies, and the incidence, types and attitudes of societies vary according to the socio-economic conditions of those communities and those with disabilities recognized by people with special needs.

To clarify the fact that term needs to know the meaning of disability in the language and the term disability in the language: it is stated in the tongue of the Arabs Article (disability): his disability for the thing disability, ie prevented from him and filled him it is a hindrance and a combination is a disability for the sane and other obstacles, and the obstacles of the age of his concerns and events and impede any abstention and discouraged<sup>1</sup>.

In the dictionary surrounding: disability any confinement and exchange and discourage such as foreclosure and release and the man who does

The good has hindered people for good, hindered me obstacle, and obstacles of the age: the concerns of events<sup>2</sup>.

As for the terminology: other definitions have been developed for people with disabilities or people with special needs to say modernists, including these definitions:

- A condition of neurological, bone or muscular weakness and it is a chronic condition requiring therapeutic and educational intervention to enable the physically disabled to benefit, and this disability includes cases of cerebral palsy

Spinal disorders, muscular dystrophy, multiple sclerosis and epilepsy are disabilities that limit their ability to use their bodies as naturally and flexibly as normal, negatively affecting their participation in one or more of their life activities<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - Ibn Manzoor, the Arab tongue, 235 /6.

<sup>2</sup> -Turquoise Abadi, the dictionary surrounding 279/3.

<sup>3</sup> - Said Hosni, motor and sensory disabilities, p. 47.



## **B - honorable models of people with special needs in the early Islam:**

**1 - Abdullah bin Masoud Al-Hadhli:** Of the first 11 immigrants of the men who were the first to

He migrated to the land of Abyssinia, migrated migrations and prayed kisses and saw all the scenes with the Messenger of Allah, may Allah be pleased with him, and the Messenger of Allah, may Allah be pleased with him<sup>4</sup>. Light flesh, very dermis in the legs Hammouche and Ali bin Abi Talib (e. Said: The Messenger of Allah, may Allah be pleased with him, Abdullah bin Masood to climb a tree and bring him something, so his companions looked at the legacy of his legs, they laughed and the Prophet said: may Allah be pleased with him laughing for a man Abdullah in the balance

Heavier than one<sup>5</sup>.

**2 - Anas ibn Malik al-Ansari:** served the Prophet peace be upon him, the son of eight years, was said nine or ten, and was a leper<sup>6</sup>.

**3 - Amr ibn al-Jamouh al-Ansari al-Khazraji,** one of Sadat al-Ansar from Ashraf Bani Salamah, was a man

Gimp lamer<sup>7</sup>.

**4 - Samra bin grasshopper** bin Hilal bin Hureij bin Marra bin Hazan bin Amr al-Fazari was squint.<sup>8</sup>

**5 - Talha bin Obaid Allah Altimi:** Little attributed to the Messenger of Allah in Jeddah once bin Kaab, and is consideredThe first two who emerged in the incident of one of the Prophet rose to a rock from the mountain to be overturned and had the body and apparent between the two shields Talha sat and the Messenger of God himself and feared nobility with his hand until his hand was paralyzed, and Talha lived by the rest of his life.<sup>9</sup>

**6- Moaz bin Jabal Al Ansari Al Khazraji:** Nothing he gave him, he saw an obstacle with the seventy men of the protagonists and he was lamer<sup>10</sup>.

<sup>4</sup> - Isfahani, the ornament of the Awliya. 124/1.

<sup>5</sup> - Ibn Abd al-Barr, absorption, 989/3.

<sup>6</sup> - Ain Qutaiba, Al-Maarif, 251/1.

<sup>7</sup> - Ibn Hisham, Biography of the Prophet, p, 428.

<sup>8</sup> - Ain Qutaiba, Al-Maarif, 251/1.

<sup>9</sup> - The Poor, The Twenty Twenty Heaven, p. 57.

<sup>10</sup> - Deserts, genealogy, 185/1.



**7 - Rubai bin Amer:** Sahabi Jalil was disabled because of the severity of limp and difficulty walking and movement, but distinguished fluently The tongue and the ability to negotiate where he sent Saad bin Abi Waqas to the commander of the Persian Rustam was one of the most successful ambassadors and political envoys due to the solidity of his faith and courage and sincerity in the task did not solve his disability without choosing that difficult task, and hence the history books that the lame barrier challenged the largest leaders of the world's armies In his imperial palace<sup>11</sup>.

**8 - Atta bin Rabah:** Imam of the people of Mecca and its world and jurisprudence Although he was paralyzed lame, which impedes his movement among people, but he was a scholar and jurist. Ben Marouane says: Lifty people in the season Hajj only from the tender bin Rabah.

**9 - Aban bin Othman bin Affan:** was deaf and around and leprosy then hit by hemiplegia - a paralysis affects one brat The body taller - and was one of the scholars Tabi and scientists in the hadeeth and jurisprudence appointed Abdul Malik bin Marwan and automatically On the city in 76 e was God 's mercy spend among the people, a ruler them died in 85<sup>12</sup>.

**10 - Imam Zamakhshari:** Imam Galilee was an interpreter of the Koran and a scientist in the language and set the foundations of the rhetoric, but he was lame, but it was as scientists and historians of the imams of the interpreters and suffice to infer their saying "Lula lamer to raise the Koran virgin."<sup>13</sup>

**11 - Imam Tirmidhi:** Imam Hafiz updated, Mohammed bin Issa Tirmidhi Sunan Tirmidhi Famous and one of the six famous books in the hadith - God's mercy - blind, but he gave of talent and ethics, which made it one of the biggest scientists excelled in the science of modern and memorized and perfected the country and heard the elders and scientists and classified a number of useful and useful books, including: Singular and asceticism<sup>14</sup>.

**12 - Abu Ala Al-Maari:** He lived a blind life after suffering from smallpox at the age of four lost his eye

The left sight and the Yemeni blurred whiteness weakened its ability to Roya and soon lost his sight, where he did not give up, but faced his problem and firmly ordered him to triumph and continue jihad until it reaches the end Vchq certain way creativity

<sup>11</sup> - Ibn Hajar, injury in distinguishing companions. 454/2.

<sup>12</sup> - Ibn al-Jawzi, regular, 100/7.

<sup>13</sup> - Ibn al-Mubarak, History of Arbil, 581/2.

<sup>14</sup> - Calf, knowing the trust, 117/1.



Poet, Idea, and Philosopher. His loss of sight stuck to insight and made the mind a measure of all judgments and his absolute imamate by saying "there is no imam but the mind."

**13 - Othman bin Mazoon:** The immigrant to God is the saying: The Tek eyes in the satisfaction of God has an atheist hand in religion is not Muhtadi has been rewarded by the beneficent Rahman, including the satisfaction of Rahman, O people happy when he announced his Islam and lit the Koran his heart tasted from the harm of the polytheists What man does not bear, and what the Prophet ordered

Then he asked to be in the protection of al-Walid ibn al-Mughira from hurting the polytheists, but he retreated and chose not to seek refuge except in Allaah despite the urgency of al-Walid, and Osman lost one of his eyes in a clash. My eyes are right for a poor woman like what befell her sister in Allah, and I am in the vicinity of who is dearest. "He began to sing his poetry in the plight of his eye, and endured harming the Quraysh with unrelenting and unshakeable faith, and emigrated with the immigrants to the city to begin a life of worship, asceticism and jihad for the sake of Allah. The mother increased his eye and weakened his body's resistance. He fluttered with the banner of faith, honesty and will, It ordered the Prophet

(Peace be upon him) to pray for him to be the first to be buried in the Baqi<sup>15</sup>.

**14- Abdullah bin Abbas:** the title of the translation of the Koran and the ink of the nation, a cousin of the Holy Prophet (peace be upon him) He was born in Mecca and the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) was obliged to narrate the saheeh ahaadeeth, and he lost his sight in old age. He knew that Allah Almighty compensated him for the best of his sight. Intelligent and mental is not entered and in my mouth is strict as a famous sword has illuminated this window his chest when he called him the Prophet (peace be upon him), which includes him to his chest, saying: «God taught him the book<sup>16</sup>," Abdullah bin Abbas continued to draw from science and wisdom and knowledge, was Omar bin The letter, may Allah be pleased with him, consulted him in every matter and nicknamed him as «the elderly boy». I am not Ibn Abbas .. Halal, Haram, Arabic, genealogy and poetry Jurisprudence and novel and flooded until he died in the reign of Abdul Malik bin Marwan in 68 AH for seventy-one years.

**15 - blind martyr .. Abdullah bin Umm Maktoum:** The Prophet (peace be upon him) whenever he saw him say to him:

«Welcome to Atabni Lord!» He endured a lot of hardship in order to declare his religion. He emigrated with those who emigrated from Mecca to Medina and despite his blindness he

<sup>15</sup> – Ibn al-Jawzi. Regular, 191/3.

<sup>16</sup> – 16. Bukhari, right, 2104/5.



participated actively in the Islamic call. He memorized the Qur'an and narrated from the Prophet (peace be upon him) a lot of hadiths. Rabah<sup>17</sup>.

**16 - Abdul Rahman bin Auf:** one of the first eight companions who converted to Islam, was converted to Islam by my father

He was born in Mecca in 43 years before the emigration. When he became Muslim, the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) called him Abdul Rahman, and his mother was Al-Shifa bint Auf. She became Muslim and emigrated. In the first and second immigration, then immigrated to the city to witness invasions and events with the Prophet (peace be upon him) and be of the righteous companions close to God and his messenger missionary paradise, and in the battle of one injured several injuries throughout his body Sabit one always limp in his leg, and the other dropped His folds and left Htma clear in his pronunciation, and in the Battle of Tabuk believe all What he has in order to equip the army of Muslims did not leave to his family anything the Prophet (peace be upon him) said to him: Did you leave something to your family, Abdul Rahman? He said to him: Yes, I left them more than spent and the best: what promised Allah and His Messenger of livelihood, good and reward, and Ibn Auf was many charity until it was said that the people of the city are all partners of Ibn Auf in his money, one-third lends them, and one-third of their debt, and one-third of them and gives them, even Aisha, the mother of the believers, and Uthman ibn Affan have been given the benefits of Ibn Auf. When Umar ibn al-Khattab was stabbed, he took the hand of Abdulrahman bin Auf and offered him to pray.

The caliphate in them after him, and said: «The Messenger of Allah (peace be upon him) died and he is satisfied with them»<sup>18</sup>

**17 - Musa ibn Nusayr:** lamer Andalusia and the great conqueror is the Islamic leader known for his conquests in the north

Africa and Andalusia in the era of the Umayyad Caliphate, Musa ibn Nusayr was born in 19 AH during the reign of Caliph Omar bin al-Khattab, and belongs to the tribe of Bakr ibn Wael, which inhabits the country of perplexity in Iraq, and Musa was lame, and the emergence of the emergence of science and piety, and received his first science by Senior companions and followers, especially in modern science Sharif<sup>19</sup>.

<sup>17</sup> - Ibn al-Jawzi, regular, 348/4.

<sup>18</sup> - Ibn Habban, famous scientists scientists, p. 26.

<sup>19</sup> - Ibn al-Jawzi, regular, 309/6.



## **Second: The Role of People with Special Needs in Islam:**

It is no secret to the observer of the history of human and Islamic civilization, in particular, the great role of human contributions in advancing the wheel of the public and the development of knowledge and dissemination of arts in various journals, has been for people with special needs active role and a major contributor to the development of public knowledge and legitimacy, etc., and highlight the contributions of people with special needs In the development and dissemination of forensic science through certain models.

### **First: The science of Quranic readings**

The Holy Quran is the miraculous speech home to the Messenger of Allah, may Allah be pleased with him, written in the Mus-haf, transmitted by the frequency of the worshiper recited and its rulings, and since it was revealed to the Messenger of Allah, may Allah be pleased with him This is the science concerned with the most important was the science of readings, because reading the Koran properly, which was revealed in the way received by the first companions of the Messenger of Allah, may Allah be pleased with him is the preoccupation of Muslims in addition to that has been associated with the growth of other sciences<sup>20</sup> Isla The first thing that the companions learned from the sciences of religion was to read and memorize the Qur'an, then when people differed in reading the Koran and adjusting its words according to the difference and different dialects of Arab tribes, the need for a flag distinguishes between the correct and sick and decided by what can be read and not. His words can be prevented from distorting the impulse of disagreement among Muslims. The role of people with special needs in this field has emerged from early on, from the companions and followers.

**1 - Abdullah bin Masood:** Ibn Isaac pointed out that he was the first to speak out in the Koran before Mecca,

Orwa ibn al-Zubayr from his father said: ((was the first to speak out after the Messenger of Allah in Mecca Abdullah bin Masood

<sup>20</sup> – Ibn Khaldun, Introduction, p. 355.



When the companions of the Messenger of Allah met that they want someone to speak out in front of the Quraysh on the campus of the Kaaba. Abdullah bin Masood said: I, they said: I am afraid of you, but we want a man with a clan to prevent him from the people if they wanted him, and he said let me God will stop me, so tomorrow Ibn Masood came to the mornings and Quraish in its clubs, until he rose at the place and then read from Surah Rahman, so they made a beating in the face, and make reads until he reached what God wants to inform and then went to his companions have influenced his face, they said to him that we feared you, he said:

God gave them a similar tomorrow and said: Do not you have heard what they hate)<sup>21</sup>. To take science from its fresh fountains without looking at the image of the world or its physical disability (take the Koran of four of Abdullah bin Masood and Salem and Mawla Abu Hudhayfah and Muath bin Jabal and Abu bin Kaab)<sup>22</sup>

**2 - Abdullah bin Umm Maktoum**, after the honorable migration to Medina Ibn Umm Maktoum helped (may Allah rest his soul in peace) Bin Omair and Ibn Maktoum means to migrate to the city)).<sup>23</sup>

**3 - Maaz bin Jabal:** who memorized the Koran during the era of the Prophet, has been sent by the messenger factor in Yemen

For the sake of his tasks there is reading the Koran and teaching people Islam with the elimination, collecting charity from

Workers of Yemen as narrated by Al-Balatri not only this, but Roy Anu behind the Prophet in Mecca after the conquest of people to read and read the Koran, and still holds the Koran read Muslims and teach them the origins of their religion even after the death of the Prophet, Roy Anu went to Palestine teach people the Koran in the era Omar bin al-khattab<sup>24</sup>.

<sup>21</sup> - Ibn Hisham, Biography, p. 201.

<sup>22</sup> - Ibn al-Athir, Lion of the Forest, 187/5.

<sup>23</sup> - Ibn Saad, Classes, 117/3.

<sup>24</sup> - Waqidi, Fattouh al-Sham, 37/1.





**4 - Abdul Rahman bin Hormuz:** lamer who heard Abu Huraira and Abu Saeed and others the presence of the Koran and read it

He was writing the Koran, and it was more than that I know of the genealogy of Quraish was said to have taken Arabic from

Abi Aswad al-Dowali, and died lame in Alexandria<sup>25</sup>.

**5- Hamid bin Qais** Araj, who was said to him: ((that he was not in Mecca read from him)) Ibn Saad said

According to his narrators that the lame ((was read in the mosque and people meet him until the conclusion of the Koran))<sup>26</sup> and thus provide sources a beautiful picture of the status and status of this category in the hearts of public and private, including Muslims in that era without a disability or disability suffered by any negative impact in The souls of their fellow citizens.

**Second / the science of explanation** Science, which examines the conditions of the Koran in terms of its significance to the Almighty God as far as human energy has taken the honorable companions and then followers of the task of interpretation, including a number of people with special needs, including:

**1 - Abdullah bin Masood:** he was interested in understanding the meaning of great interest and this is due to the guidance of the Prophet and then

The companions met and published the Koran so they read and explained to them. Ibn Mas'ood himself described what Allah Almighty inspired from the mental abilities in the service of the great religion of Allah by saying: ((Allah, who is not the God of any other. I am aware of the book of God to be communicated to the camel to install it)), and in this explicit statement from him to attach to the request for knowledge of the book of God Almighty and keenness to

The introduction of a strong growth, even if it cost him camel riding and the hardship of travel and mercy for the sake of God<sup>27</sup>.

**2 - Qatada bin pillar Alsodosi:** Hafez era and role models interpreters, the world of argument, a just

<sup>25</sup> - Golden, biographies of the nobles, 43/5.

<sup>26</sup> - Ibn Saad, classes, 486/5.

<sup>27</sup> - Ibn al-Jazari, the very end, p. 459.



Ahmad ibn Hanbal: ((Qatada was a world of interpretation and different scholars)) Qatada was interpreted from the preservation of the numbered in his time and scientists of his time in the Koran and jurisprudence, even if the reader browsing the interpretations of the Koran would not have lost sight of the novel mentioned in the interpretation transferred from Qatada<sup>28</sup>.

### Third/ Hadith Science:

Hadith narrated from the Prophet after the prophecy of saying and doing and orders and in the field of the Hadith novel, has created a number of companions and followers of people with special needs, including:

**1 - Samra bin Jundeb:** He was appalled about the Prophet, may Allah be pleased with him many hadiths and said Muhammad bin Sirin:

Samra Sadooq hadeeth, from the many keepers of the Messenger of Allah may Allah be pleased with him narrated from Companions Imran bin Husayn, and senior followers in Basra.

**2 - Qatada bin pillar Alsodosi:** Qatada was safe confidence argument in the Hadith was if he heard the talk

He kidnapped him and was hated to repeat the hadeeth of the Messenger of Allah in the Council as he says: (repeat the conversation in

The board goes light, and what I've prepared for one.<sup>29</sup>

**3 - Ata ibn Abi Rabah:** Of the vessels of science was a scientist much talk has described its accuracy in tracking the hadeeth

The prophet himself and his respect for the campaign of science from others by saying: ((that the man to talk to me to talk, listen to him

As if I didn't hear him, I heard him before he was born)).<sup>30</sup>

**4 - stolen bin Ajda:** was no less than his predecessors in the field of Hadith, but knew

Keen to track it so that the sources pointed out that Anu was very nomadic, he said by the popular Imam: (What I learned that one of the people was asking for knowledge in the horizon of the horizons of stolen) and many others<sup>31</sup>.

<sup>28</sup> - Ibn Habban, scientists scientists, 96/2.

<sup>29</sup> - Ibn Saad, classes, 171/7.

<sup>30</sup> - Golden, biography, 52/5.

<sup>31</sup> - Ibn Hajar, Injury, 192/3.



#### Fourth: Islamic Jurisprudence:

1- Moaz bin Jabal, has clearly indicated the ability of Moaz bin Jabal to diligence until he received The Messenger of Allah admired about it, it was narrated that the Messenger of Allah said to Muath when he intended to send him to Yemen: How do you make that offer you spend: He said spend the book of God said: If not in the book of God? He said: The Sunnah of the Messenger of Allah, he said: If not Sunnah of the Messenger of God? He said: He strove my opinion and his family did not strike, so the Messenger hit his hand on his chest and said: Praise be to Allaah who is according to the Messenger of Allah and Abu Muslim al-Khawlani said:

Companions of the Prophet and if there is a young man Ookhal eyes shining folds silent does not speak, if the Umtra people in

Something they came to him and they asked him, so I told me: Who is this? Said: Maaz bin Jabal)<sup>32</sup>.

2 - stolen bin Ajda Hamdani: followers of Kufa, who was narrated by the boys has been a fatwa scientist

Ali Ibn Abi Talib said: (O people of Kufa will not be unable to be like Hamdani and Salmani, but they are part of a man and in this text a statement of the right to their status without being impaired for their affairs, but a source of pride and a reason to encourage the public healthy body to despair Their.<sup>33</sup>

3 - Slice of the judge: He was one of the imams of Kufa scholars popular said: (The scholars after the owners of the Messenger God in Kufa of the owners of Ibn Masood and these Alaqmh and Obeida and slice and stolen, and in one of the scientific council explained the jurisprudence slice how to address the stings of the scorpion after his wife was exposed to it and succeeded in addressing them by saying (lark her finger in the water and salt and read them Almoadtin and Fatihah the book .<sup>34</sup>

4 - Ata Ibn Abi Rabah: It was narrated by the boys of the followers of the people of Mecca

The evacuation of its jurisprudence, Ibn Abbas said: (O people of Mecca you meet me and you have a tender). This is evidence and great testimony from a great companion as the son of Abbas al-Ata ibn Abi Rabah, as he favored himself in the boys, including the knowledge and jurisprudence, And the knowledge of the tender bin Abi Rabah and His Majesty.<sup>35</sup>

5 - Obeida Salmani: It was the owners of Abdullah bin Masood Freon who read

<sup>32</sup> - Ibn Saad, classes, 388/7.

<sup>33</sup> - Razi, wound and modification, 696/4.

<sup>34</sup> - Isfahani songs, 134/17.

<sup>35</sup> - Ibn Habban, Trusts, 190/3.



Wafun, Ibn Sirin said: What I saw a man was more vomiting than Obeida, and said: I realized the Kufa and the four who promise jurisprudence are Harith bin Qais and Obeida al-Salmani and Guelmeh and a slide is those narrated by the young followers in Kufa.<sup>36</sup>

## V/ Poetry

Poe 1 - Ahnaf bin Qais al-Tamimi has found poetry as he said:

If Sarwai extended much money I found and if I was "the virility can not if it is not virtuous.try is an honorable art for the Arabs."<sup>37</sup>

2- Abu al-Aswad al-Da'wali: numbered in the poets.

He loves him very much and accompanied by Abu al-Aswad al-Dowali, my uncle bin Abi Talib, and the famous companions and his love and love of his family and say that: the cousin of the Prophet and his relatives I love all people are automatically people of advice is no doubt and the people of my love as long as I give it to what turned Islam Together.<sup>38</sup>

<sup>36</sup> - Ibid., 265/3.

<sup>37</sup> - Bigeye statement and statement, 184/3.

<sup>38</sup> - Isfahani, songs, 371/12.



## Results

1. Persons with special needs are an integral part of society and disability is a natural condition affecting some

People without discrimination.

2 - deal with the Prophet with many types of people with special needs and assigned them the tasks of each according to his abilities and was

Known as men's metals.

3 - that the disability has not hit the mind, it does not strain on some people with high motivation that

We brought it out in the previous study.

4 - Stand on the contributions made by Hamat people with special needs.

5 - the great role of people with special needs in the dissemination of forensic science and jurisprudence and poetry in the yards

Field.



### Sources and references

- **Al-Bukhari**, Abu Abdullah Mohammed bin Ismail, (Tel: 256 e) First edition, the House of Scientific Books, (Beirut 2001).

- **Ibn al-Jawzi**: Jamal al-Din Abu al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Mohammed, a regular book in the history of nations

The Kings (Tel: 597 AH), Investigator: Mohamed Abdel Kader Atta, Mustafa Abdel Kader Atta, Publisher: Dar Al Kotob Scientific, Beirut, First Printing.

- **Ibn Hajar**: A4 Hamad bin Ali Abu al-Fadl al-Ashqalani Shafi'i, Injury in distinguishing the companions, Publisher: Dar Al-Jeel - Beirut First Printing 1412 e, Probe: Ali Mohammad Bejaoui Number of parts: 8

- **Ibn al-Mubarak**: Ibn Ahmad ibn al-Mubarak ibn al-Mahboob al-Lakhmi al-Irbali, known as Ibn al-Mustafi

637 AH) Date of Irbil Investigator: Sami bin Sayed Khammas al-Saqar Publisher: Ministry of Culture and Information, Dar Al-Rasheed Publishing, Iraq Publishing Year: 1980 AD Number of parts: 2

- **Ibn Habban**: Mohammed bin Habban bin Ahmed bin Habban bin Moaz bin temple, Tamimi, Abu Hatim, Darmi, which

(Deceased: 354 AH) Famous celebrities scientists and flags flags of the countries of the country achieved and documented and commented on: Marzouk Ali Ibrahim Publisher: Dar Al-Wafaa for printing, publishing and distribution - Mansoura Edition: First 1411 e - 1991 AD Number of parts: 1

- **Ibn al-Atheer**, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Mohammed (Tel: 630 e), the lion of the forest in the knowledge of the companions, Achievement: Ali Mohammed Moawad, House of Books, Fifth Edition, 1994.

- **Ibn Hajar al-Askalani**, Abu al-Fadl Ahmed bin Ali bin Mohammed Ibn Hajar, (Tel: 852 e), Injury in

Discrimination of the Companions, Investigation: Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, Beirut, Scientific Books House, 1st edition, 1415 H.

- **Ibn Saad**, Abu Abdullah Mohammed bin Saad al-Hami, (Tel: 230 e), the major classes, the investigation: Mohammed Atta, Beirut - Scientific Books House, i 1, 1410 e.

**A - Ibn Abdul Barr**, Abu Omar Yousef bin Abdullah Mohammed bin Barr, (Tel: 463 e) Absorption in knowledge



Friends, Achievement Ali Mohammed Bejaoui, Beirut, Dar al-Jabal, i 1992, mother.

- **Ibn Manzoor**, Abu al-Fadl Jamal al-Din ibn Makram al-Ansari African, (Tel: 711 e), the tongue of the Arabs, Beirut, Dar Samed, 3rd floor.

- **Ibn Hisham**, Abu Mohammed Abdul Malik bin Hisham bin Ayyub Humayri Maafri, (Tel: 213 e) Biography of the Prophet,

Investigation: Mustafa Al-Saqi, second edition, 1955.

- **Golden**, Shams al-Din Abu Abdullah bin Othman, (Tel: 748 e), the conduct of the flags of the nobles | Investigators group

Under the supervision of Sheikh Shoaib, Beirut, third edition.

- **Ajali**, Abu Hassan Ahmed bin Abdullah bin Saleh Ajali Kufi, (Tel: 261 e), the history of trusts, Publishing House: Dar Baz, i 1, 1984.

- **Isfahani**, Abu al-Faraj Ali bin Hassan, (Tel: 356 e), songs, the first edition, the House of Biology Thrati Al-Arabi, Beirut, 1997).

- **Al-Jahez**, Abu Othman Amr ibn Bahr, (d: 255 e), the statement and the statement, the investigation: Hassan Al-Sindousi, Edition Third, straightness printing press.

- **Al-Razi**, Abu Mohammed bin Abdul Rahman bin Abi Hatem Tamimi, (d. 327 e), wound and modification, Press House of the Ottoman House of Knowledge - India.

- **Ibn al-Jerzi**, Shams al-Din al-Khair Muhammad, Tel: A833, the very end in the layers of readers ,, Khanji Library, Egypt - 1933.

- **Ibn Khaldoun**, Abdul Rahman Mohammed Khaldoun Al-Khadrami, Tel: 808 e, Introduction, House of revival of Arab heritage, Beirut 2006.

- **Turquoise Abadi**, Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub, Dar al-Jabal, Beirut - Plat.

- **The poor**, Hamza, the ten missionaries of paradise, the first edition, Dar Al-Isra - Jordan.

- **Hosni**, Said, motor and sensory disability, pride first edition, printing press, Jordan, 2000.



## " إعادة تأهيل المباني الأثرية الإسلامية كمدخل للصيانة الوقائية تطبيقا على مدرسة جوهر اللالا بدرب اللبان - ميدان القلعة - القاهرة "

ربيع راضي عبد القادر سيد<sup>1</sup>، شيماء سيد محمد السيد<sup>2</sup>

1- باحث ومدير عام ترميم قصور ومتاحف رئاسة الجمهورية - مدير إدارة ترميم آثار أطفح - وزارة الآثار - مصر .

2- مدرس بقسم الترميم - كلية الآثار - جامعة الأقصر - مصر .

E-mail: [Egyptianconservators2013@gmail.com](mailto:Egyptianconservators2013@gmail.com)

### ملخص البحث :

تعتبر عملية إعادة تأهيل المباني الأثرية بمثابة إحياء لوظيفة هذه المباني ودمجها مع المجتمع العمراني المحيط بها مع المحافظة على أصالة وأثرية هذه المباني ، ولإعادة التأهيل دور كبير في خدمة المجتمع من الناحية الاقتصادية ، الناحية الإجتماعية والبيئية ، حيث تعتبر أيضا بمثابة صيانة وقائية لهذه المباني وحماية لها من التلف المستقبلي ، ذلك عن طريق الحفاظ على هذه المباني بالترميم أيضا للمجتمع المحيط دورا فعالا في الحفاظ عليها إذا تم توظيفها ودمجها لخدمة هذا المجتمع ، مع مراعاة الحفاظ عليها من التجديد والتحديث المخالف للطابع الأثري لهذه المباني . تتضمن إعادة التأهيل إستخدام المبنى الأثري في نفس الوظيفة المخصص لها منذ إنشائه أو إستخدامه في وظيفة مناسبة لا تتنافى مع عراققة وأصالة هذه المباني ، كتحويل المبنى على سبيل المثال كمتحف ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر تحويل سبيل محمد على بالنحاسين من مكان متهدم مهمل إلى أكبر متحف للنسيج في الشرق الأوسط ، ينطبق الأمر كذلك على مدرسة جوهر اللالا (موضوع الدراسة) حيث أنشأها الأمير جوهر اللالا عام 833هـ/1429م ومقرها درب اللبان المتفرع من شارع المحجر بميدان القلعة ، تتألف هذه المنشأة من مدرسة وسبيل وكتاب ، تشمل إعادة التأهيل لهذه المدرسة على توظيفها في الوظيفة الأصلية لها من حيث تعليم المذاهب الأربعة وكذلك تعليم الأطفال بكتاب المدرسة ، أيضا إستخدام السبيل كوظيفة خدمية لسقاية المارين بعد القيام بأعمال الترميم ودمجها مع المجتمع العمراني المحيط بها لضمان الحفاظ عليها ، كل ذلك مع مراعاة التوصية بتطبيق عملية إعادة التأهيل على كافة المنشآت الأثرية الإسلامية المهملة والتي تعرض الكثير منها للتعديات البشرية والإهمال .

### الكلمات المفتاحية :

إعادة التأهيل - مدرسة - كتاب - سبيل - صيانة وقائية.





## 1- مقدمة :

### 1.1- مقدمة تاريخية عن مدرسة جوهر اللالا (بطاقة الأثر) :

- موقع الأثر: تقع المدرسة في درب اللبان المتفرع من شارع المحجر بميدان القلعة.

### 2- تاريخ الإنشاء: 833هـ/1429م - العصر المملوكي.

**3- المنشئ:** هو الأمير جوهر اللالا حبشي الجنس كان في أول أمره مملوكاً للأمير عمر بن بهادر المشرف بمكة المكرمة، ثم أهداه إلى زوج أخته أحمد الجلباني، وبعد وفاة الجلباني أنتقل إلى خدمة الأمير برسباي . بعد إستيلاء الأمير برسباي على السلطنة عام 825هـ عين جوهر الجلباني في وظيفة لالا . أستمر في تولية الوظائف الرفيعة في عصر السلطان برسباي وعهد أبنه عبد العزيز يوسف ، حتى تولى السلطان الظاهر جقمق السلطنة عام 842هـ الذي أمر بالقبض عليه وسجنه بالقلعة حتى مرض مرضاً شديداً إلى أن توفي عام 842هـ .

### الدراسة الوصفية :

#### أ- المدرسة من الخارج :

للمدرسة واجهتان أحدهما رئيسية تطل على درب اللبان والأخرى فرعية.

#### 1- الواجهة الرئيسية (الجنوبية الشرقية) :

تقع الواجهة الرئيسية بالجهة الجنوبية الشرقية ، تنقسم إلى ثلاثة أقسام القسم الأول: يشغله السبيل بالزاوية الشرقية من الواجهة ، القسم الثاني : يلي السبيل ويشغله المدخل الرئيسي للمدرسة - شكل (1-2).

أما القسم الثالث : وهو الجزء الواقع على يسار المدخل الرئيسي ويمثل الجدار الشرقي لإيوان القبلة ، ويزين هذا الجزء دخلة مستطيلة ذات صدر مقرنص يشغل أسفلها نافذتان مستطيلتان ذات مصبغات نحاسية ، يعلوها شبكان معقودتان بعقود نصف دائرية بينهما قمرية مستديرة.

أما الجزء المنكسر من الواجهة فيشكل الواجهة الجنوبية للضريح تزينة دخلة مستطيلة ذات صدر مقرنص. وقد فتح في الطرف الجنوبي من تلك الواجهة فتحة باب حديثة ، وهي باب الدخول إلى المدرسة حالياً وتؤدي إلى دورة مياه حديثة.

#### 2- السبيل والكتاب :

يقع في الركن الشمالي الشرقي من المدرسة ، ويطل على الطريق بواجهتين ويتوصل إليه من باب بالضلع الشمالي الشرقي من دركاة المدخل.



ويعلو السبيل كتاب له شرفة خشبية بارزة ، على واجهتها رفرف خشبي لحماية الأيتام من حرارة الشمس ومطر الشتاء .

### 3- المدخل الرئيسي :

يقع على يسار السبيل في الواجهة الجنوبية الشرقية ، يتقدمه سلم مزدوج نصح من خلاله إلى داخل المدرسة . أما الآن فأرتفع منسوب أرضية الشارع عن مستوى أرضية الأثر ، فأصبح يهبط إليه بعدد من درجات السلم . المدخل من النوع التذكاري الغائر، على جانبيه مكسلتان من الحجر يعلوهما بقايا نص كتابي من الخشب . يعلو فتحة الباب عتب مستقيم من الرخام الأبيض ويحيط به إطار من الرخام الأسود ، يعلوه عقد عاتق مكون من صنجات معشقة ، يليه دخله ذات صدر مقرنص - صورة (1-3).

### ب- المدرسة من الداخل :

يلي المدخل الرئيسي دركاة مستطيلة يتصدرها مصطبة حجرية مغطاة بسقف خشبي من براطيم خشبية ملونة . بها بابان معقودان الأيمن منهما يؤدي إلى حجرة تتقدم السبيل وإلى سلم صاعد للكتاب ، أما الأيسر فيؤدي إلى الممر الموصل لصحن المدرسة مباشرة وعلى يسار هذا الدهليز نافذة تطل على جدار القبلة .

### 1- الصحن :

عبارة عن مساحة مربعة ذات أرضية رخامية مغطاه بشخشيخة مثمثة من إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية 1316هـ .

يفتح على الصحن أربعة أبواب يفضي الشمالي منها إلى حجرة مستطيلة، يفضي الغربي إلى داخل المدرسة، يفضي الجنوبي إلى القبة الضريحية، يفضي الشرقي إلى الممر المنكسر الموصل بين المدخل الرئيسي والصحن . يحيط بالصحن أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة .

### 2- الإيوان الجنوبي الشرقي :

هو أكبر أووين المدرسة ويطل على الدور قاعة بعقد كبير من الحجر المشهر، يتصدره محراب مجوف عبارة عن حنية نصف دائرية تزينها وزره من الرخام الملون، وقد زخرفت طاقيته بزخارف زجاجيه يتوسطها عقد بداخله لفظ الجلالة (الله) - شكل (3) .

يوجد على جانبي المحراب نافذتين تطلان على الخارج مغطاه بمصبغات معدنية ، تختلف دخلة النافذة الجنوبية مع الدخلة الأخرى في السمك ، حيث أن سمكها قليل جداً نتيجة لوضعها عند بداية إنحراف الواجهة . سقف هذا



الإيوان من البراطيم الخشبية المزخرفة بزخارف نباتية محورة ، وعلى يمين المحراب منبر خشبي من تجديد لجنة حفظ الآثار - صورة (4-5).

### 3- الإيوان الشمالي الغربي :

هو ثاني هذه الإيوانات في المساحة وغطي بسقف خشبي ، يتصدر ضلعه الشمالي الغربي دخله بها دكة مبلغ على جانبيها كتيبتان - شكل (4).

### 4- الإيوان الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي :

عبارة عن سدلتين متشابهين ، غطيت كل منهما بسقف خشبي مسطح يطلان على السطح بعقود مدببة.

### 5- القبة الضريحية :

تقع في الجهة الجنوبية من المدرسة ، يتم الوصول إليها من خلال فتحة باب في الركن الشرقي من الجدار الجنوبي للصحن، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة ترتفع أرضيتها عن أرضية الصحن تعلوها قبة ، ولقد أمكن وضع القبة فوق تلك المساحة المستطيلة ، وذلك عن طريق الدخول بالجدار الشرقي من أعلى حتى يحصل على المربع الذي تقام فيه القبة.

أرتكزت القبة علي منطقة إنتقال مثمثة في الأركان أرتكزت علي حنايا ركنية ، ويعلو ذلك رقبة القبة وهي رقبة مستديرة بها ست عشرة دخلة فتح بها ثماني نوافذ. يعلو تلك الرقبة الخوذة وقطاعها ببيضاوي الشكل ، خالية من أي زخارف من الداخل ، أما من الخارج فهي علي شكل ببيضاوي مضلع لوحة.

يتوسط الجدار الشرقي من الضريح محراب عبارة عن حنيه نصف دائرية تتقدمها دخلة ذات عقد مدبب ، ويتوسط أرضية الضريح تركيبية رخامية خالية من الزخارف.

### ج- المئذنة :

تعلو الواجهة الرئيسية للمدرسة ، ويمكن الوصول إليها من أعلى سطح المدرسة. تتكون من مربع ينتهي في الأركان مشطوفه إلى أسفل ليرتكز عليها البدن المثلث ، يعلو البدن المربع بدن مثلث يوجد بالجزء العلوي منه دخلات مستطيلة ، تنتهي بعقود نصف دائرية مزخرفة بزخارف مشعه ويتوجه أربع حطات من المقرنصات. يعلو البدن المثلث بدن مستدير يتوجه ثلاثة حطات من المقرنصات. وهذه المئذنة ليست من عصر الإنشاء ولكن تاريخ تجديدها غير معروف - صورة (6).

## 2- عمليات إعادة التأهيل والتوظيف للعمائر الدينية:

### أ- مفهوم إعادة التأهيل : Rehabilitation



تطبق عملية التأهيل علي المناطق التاريخية المتدهورة أو التي في طريقها للتدهور وتهدف عملية إعادة التأهيل لرفع مستوى المنطقة عن طريق تحسين مستوى المباني الموجودة بالمنطقة سواء كانت أثرية أو قديمة أو حديثة كذلك تحسين المرافق العامة والخدمات الأساسية بالمنطقة<sup>(1)</sup>.

#### ب- طرق إعادة التأهيل Rehabilitation methods :

##### 1- الترميم :

تختص بالمباني ذات الطابع المميز الأثري أو التاريخي ، وترتبط بشكل أكبر بتعامل الأثريين دون المعماريين ، لأنها تهتم بأعمال الواجهات والتشطيبات الخارجية لتلك المباني التي تحتاج لترميم لتعاد إلي شكلها الأصلي ، وهي وسيلة من وسائل التعامل مع حالات فردية من المباني الواقعة داخل المنطقة التاريخية ، وفي حالة إذا كان الهيكل الإنشائي لتلك المباني هو الذي يحتاج لتعديلات لإعادته لحالته الأولى ، فيأتي هنا دور عملية الترميم المعماري.

##### 2- الحماية :

عندما لا تكون هناك قدرة على القيام بأعمال الترميم ، فلا بد من التأكيد على عدم حدوث تدهور للوضع القائم ، ولا تكفي الحماية القانونية فقط للمنطقة التاريخية والمبنى الأثري.

##### 3- إعادة الإستعمال :

وتختص بإعادة توظيف المباني ذات القيمة التاريخية الأثرية في إستعمالات جديدة تلائم التطور الحالي ، وفي نفس الوقت تضمن إستمرارية حياة تلك المباني والحفاظ عليها بصورة علمية ، على أنه في سبيل ذلك لا بد أن تكون هناك خسارة ما سواء في قيمة المبنى أو تكوينه ، أو إعادة إستعماله في وظيفته الأولى لكن هذا التوظيف مع أقل تغيير ممكن في هيكل المباني ، وهو الحل العملي الوحيد للحفاظ علي أهمية المباني التاريخية والثقافية في ضوء الموارد المتاحة.

##### 4- الحفاظ :

يكون الحفاظ لمباني معينة أو للنسيج العمراني والطابع الخاص للمنطقة التاريخية وقد تتسع أحيانا لتشمل حماية الهيكل الإجتماعي والإقتصادي جنبا إلى جنب مع الهيكل العمراني<sup>(2)</sup>.

#### ج- إعادة توظيف المباني الأثرية:

##### 1- أهداف إعادة التوظيف للمباني الأثرية :

إن إعادة التوظيف للمباني الأثري تزيد من أهميته وتضعه في مكانه لائقه به ، وذلك يمكن أن يتحقق من خلال أهداف عديدة كما يلي :



### 1.1- أهداف خاصة بالمبني الأثري :

أ- إيجاد نوع من الإشراف الدائم علي هذه المباني الأثرية عن طريق مستخدميها والمتخصصين بها ، مما يؤدي إلى الحيلولة دون إهمال هذه المباني وهجرها ، كذلك منع التعدي عليها وإتلافها بشكل متعمد .

ب- الحماية والحفاظ والإحياء للمباني الأثرية وضمان إستمرارية أعمال الصيانة لهذا التراث المعماري ، وخاصة الأعمال قصيرة الأجل كأعمال النظافة ، والتي يصعب ضمان إستمرارها دون إعادة توظيف المبني .

ج- هذا وتعتبر إجراءات الصيانة لمثل هذه المباني الأثرية غير منتهية لإستمرارية إتصالها بالظروف المحيطة ، والوسيلة الوحيدة للحفاظ عليها هي وجود الصيانة المستخدمة ، ويمكن تسمية تلك العملية بالصيانة الذاتية Auto Conservation .

د- رفع القيمة الجمالية للمبني الأثري ، مما يؤدي إلى إظهار وتدعيم قيمته الفنية والتاريخية .

### 1.2-أهداف عمرانية تخص المحيط العمراني للمبني الأثري :

أ- تنمية المجتمع المحيط بالمبني الأثري ، مما يساعد على الحفاظ على الطابع العمراني الأثري للمنطقة ، حيث أن إهمال أحد المباني الأثرية هو فقدان لأحد عناصر المنطقة الأثرية.

ب-عمل إسترجاع متلائم بين النسيج الحضري القديم والجديد ، لذلك فإن توظيف وإحياء وإعادة تأهيل المباني الأثرية التي توقف استخدامها تعتبر إجراء ضروريا يتناسب مع المكان بقيمته الحضارية .

ج-العمل علي استمرارية بقاء الأنماط التقليدية الإسلامية<sup>(3)</sup>.

### 1.3-أهداف اقتصادية :

إستثمار هذه المباني الأثرية وجعلها ذات نفع اقتصادي ، حيث يرى البعض إن إعادة استخدام المبني الأثري تعمل علي توفير عائد مناسب يغطي تكاليف صيانة هذه المباني الأثرية ، ويساعد على رفع مستوى الصيانة المتاحة لها ، كما يرى البعض الآخر إن من أبرز مشاكل المباني الأثرية أو التاريخية إعتبارها ضمن قطاع الخدمات ، وبالتالي فرعايتها بالصيانة والترميم والحماية تعتبر مستهلكا للموارد المالية ، ومن ثم يفضل عند التعامل مع مثل هذه المباني تحويلها إلى قطاع للإستثمار في مشروعات لها عائد مادي ، مع ضرورة وضع ضوابط لهذا الاستغلال بحيث لا يضر بالمبني الأثري.

### 1.4- أهداف إجتماعية :

أ- إيجاد نوع من التعاطف الجماهيري بين المبني الأثري وجمهور المتعاملين معه من خلال الوظيفة التي يفرضها المبني للمجتمع المحيط ، هذا وقد أضيف أن الأسلوب الأمثل لتحقيق هذا الهدف هو إنتشار جمعيات



وجماعات أهلية للصيانة والمحافظة من جمهور مستعملي المبني الأثري ، ذلك للإشراف المحلي على إعادة التوظيف ، وتنمية موارد ذلك المبني الأثري وإعداد مشاريع إعادة التوظيف لمباني أثرية أخرى.

ب- تدخل المبني مع البيئة المحيطة القديمة والمتدهورة ، وذلك في صورة خدمات إجتماعية مثل : الخدمات الثقافية والتعليمية.

### 3- شروط التوظيف الملائم للمباني الأثرية في ضوء المعايير والمواثيق الدولية:

- أ- تشابه الوظيفة المقترحة مع الوظيفة الأصلية بقدر الإمكان .
- ب- عدم تعارض الوظيفة المقترحة مع التكوين المعماري للأثر أو زخارفه ، فيما عدا المستلزمات الضرورية جدا كدورات المياه ، شبكة الكهرباء والمياه والصرف الصحي ، على أن تكون غير مشوهة للمبني وإذا تطلبت الوظيفة شيئا من التجهيزات الداخلية ، فيجب أن تتسم بالبساطة وتكون في أضيق الحدود ، كذلك سهلة الإستبعاد وقت اللزوم.
- ج- أن تضمن تلك الوظيفة المقترحة إستمرار عمليات الصيانة والمحافظة الدورية على المبني الأثري.
- د- ينبغي عند إحداث إضافات إنشائية تتطلبها الوظيفة الجديدة أن تكون بشكل متوافق ومنسجم مع طابع المبني القديم ، وفي نفس الوقت تكون حاملة لطابع العصر الذي أنشئت فيه ، وبصفة عامة يجب إختيار الوظيفة المناسبة للمبني من حيث فراغاته وموقعه ، دون اللجوء بقدر الإمكان إلى إحداث مثل هذه الإضافات.
- هـ - يجب ألا تتعارض تلك الوظيفة المقترحة مع التكوين الوظيفي العام للمنطقة.
- و- أن تكون المدينة القديمة في حاجة إلى هذه الوظيفة ، سواء لتأكيد هويتها وطابعها أو لتلبية رغبات سكانها ، ومن ثم الترغيب في البقاء فيها .
- ز- أن لا يترتب علي الوظيفة الجديدة للمبني الأثري تواجد عدد كبير من المستخدمين بصفة دائمة كما هو الحال إذا ما أستخدم المبني مدرسة ، وما ترتب علي ذلك من توابع إستهلاك المياه بكثرة أو عبث بعناصر المبني .
- ح- أن لا تكون تلك الوظائف ذات متطلبات خاصة لا تتلائم مع الواقع المادي والأثري للمجموعة المعمارية.
- س- أن لا يترتب علي تقادم الوظيفة الجديدة مع مرور الوقت تعديلات بالمبني الأثري ، وتكون بدايتها قليلة ثم يؤدي تكرارها إلى تغيير محسوس بذلك المبني<sup>(4)</sup>.



ش- يقصد بكلمة " الحفاظ " أي أعمال تتم بالتدخل المباشر للعمل الفني أو غير المباشر ، كعملية إعادة التوظيف بهدف إمتداد صلاحية الأثر مستقبلا (5).

#### 4 - إعادة التأهيل والتوظيف للعناصر الدينية مع التطبيق على مدرسة جوهر اللالا:

إن الوظيفة الأساسية لمدرسة جوهر اللالا هي كونها منارة لتدريس العلم لكافة الطلاب من جميع أنحاء العالم ، لذا توفر بالمدرسة كتاب بجانب المسجد بالإضافة إلى السبيل والمنذنة ، وقد تعرضت هذه المدرسة للعديد من التبعديات البشرية ، بالإضافة إلى العديد من عوامل التلف بالبيئة المحيطة وخصوصا المياه الأرضية ، مما أدى إلى وجود تلف شديد بالأساسات والتربة وإنفصال الحوائط ، وبالتالي خطورة وضعها القائم على السادة المصلين ، مما جعلها تفقد وظيفتها نتيجة عوامل التلف بالبيئة المحيطة ، لذا يقترح الآتي لإعادة تأهيل هذه المدرسة في ضوء ما ورد ذكره سابقا :

1- القيام بعمليات الترميم الإنشائي والمعماري والمتمثل في خفض منسوب المياه الأرضية ، معالجة التربة والأساسات ، حقن وتزوير الشروخ البالغة والإنفصالات كذلك عزل الحوائط ، أيضا أعمال الترميم الدقيق لهذه المدرسة من عمليات التنظيف بكافة أنواعها ، إستخلاص الأملاح ، تقوية طبقات الملاط ومواد البناء الضعيفة.

2- إزالة التبعديات البشرية بكافة مظاهرها وصورها مثل: بناء المنازل ملاصقة للمدرسة - صورة (7-10).

3- ضرورة إعادة توظيف المدرسة عن طريق فتحها لطلاب العلم لتلقي العلوم بكافة أنواعها في كتاب المدرسة ، مع مراعاة الحفاظ على الطابع الأثري للمدرسة ، بجانب أداء الصلوات بها وإستخدام السبيل لسقاية المارين ( إستخدام المدرسة في وظيفتها الأصلية مع وجود بعض التغييرات النسبية وفقا للضرورة والحدثة مثل : شبكات المياه والصرف الصحي بدورات المياه ، كذلك وصلات الكهرباء مع مراعاة ضرورة صيانتها من حين لآخر " مبدأ الحدثة مع المحافظة على الأصالة " ).

4- إندماج المدرسة مع المحيط العمراني المحيط بها عن طريق تقديمها لناحية خدمة هامة ألا وهي التعليم وخاصة لأطفال الشوارع .

#### 5- النتائج والتوصيات :

من خلال ما تم سرده يتضح أهمية إعادة تأهيل المباني الأثرية الإسلامية كنوع من الحفاظ عليها عن طريق إندماجها مع الوسط المحيط وحمايتها والتي تعد بمثابة إحياء لهذه المباني ، يتطلب ذلك التعاون بين العديد من



المؤسسات كوزارة الآثار ، وزارة الأوقاف وشرطة السياحة والآثار التابعة لوزارة الداخلية ، ولا يقتصر هذا الدور فقط على مؤسسة دون غيرها بل تعاون متكامل من أجل الحفاظ على هذه المباني الأثرية الإسلامية التي تسجل حقبات تاريخية مختلفة ، ومنها مدرسة جوهر اللالا (موضوع الدراسة) ، بالإضافة إلى دور المجتمع.

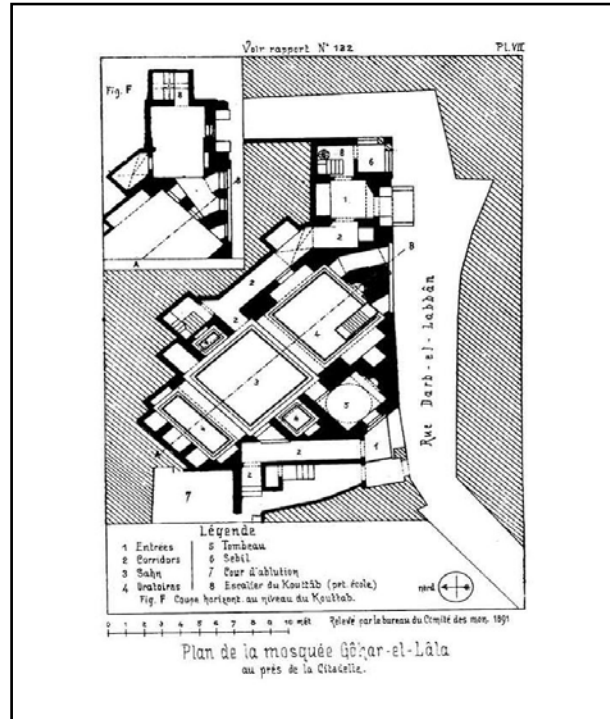
#### 6- شكر وتقدير :

خالص الشكر والتقدير للسيد الأستاذ / مسعد رمضان عبد الحق - مدير عام بقطاع الآثار الإسلامية والقبطية - وزارة الآثار على تعاونه المثمر .

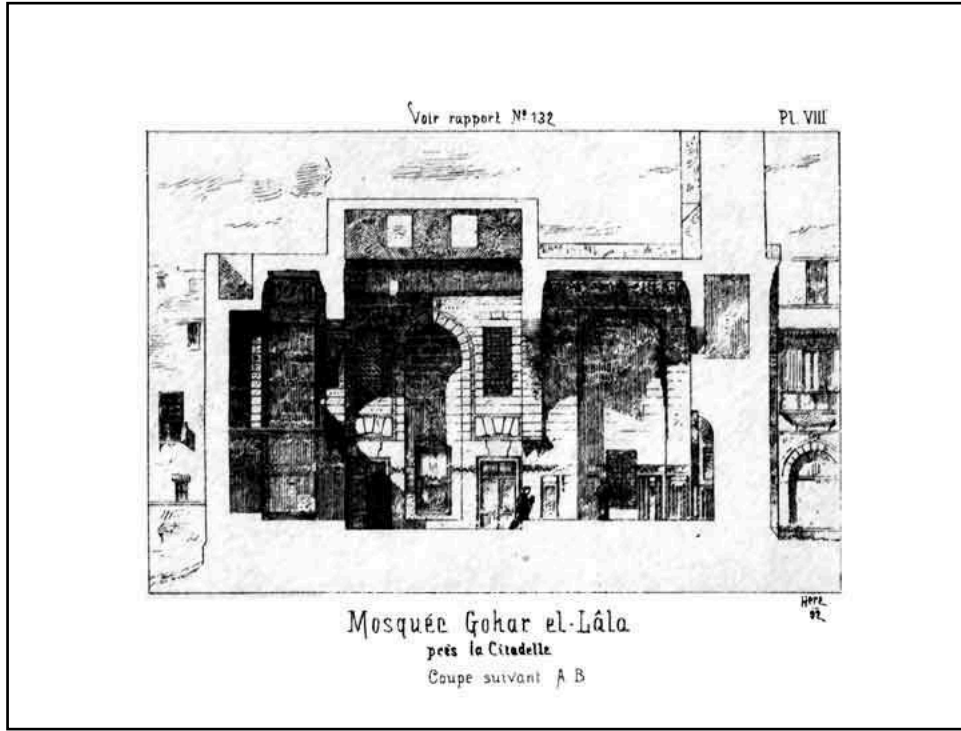
#### 7- قائمة المراجع :

- (1)علاء ياسين ، المحافظة والتجديد في المناطق التاريخية ، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ص 84 .
- (2)مصطفى كمال مدبولي ، إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة السياحية التاريخية في الدول النامية . دراسة حالة القاهرة . منطقة الدرب الأحمر ، قسم الهندسة المعمارية ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ص 26.
- (3،4)السيد محمود البنا (1997) ، أحمد شعيب ، بعض معايير إعادة الاستخدام أو التأهيل للمباني الأثرية التي توقف إستخدامها ، مجلة كلية الآداب ، العدد الثامن ، ص 9 .
- (5) علياء عبد العزيز محمود عبد الدايم (2001)، " دراسة ترميم وصيانة المنازل الأثرية بمدينة القاهرة وإعادة توظيفها تطبيقا علي سراي المسافر خانه " العصر العثماني " رسالة ماجستير ، قسم الترميم ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ص 38 .

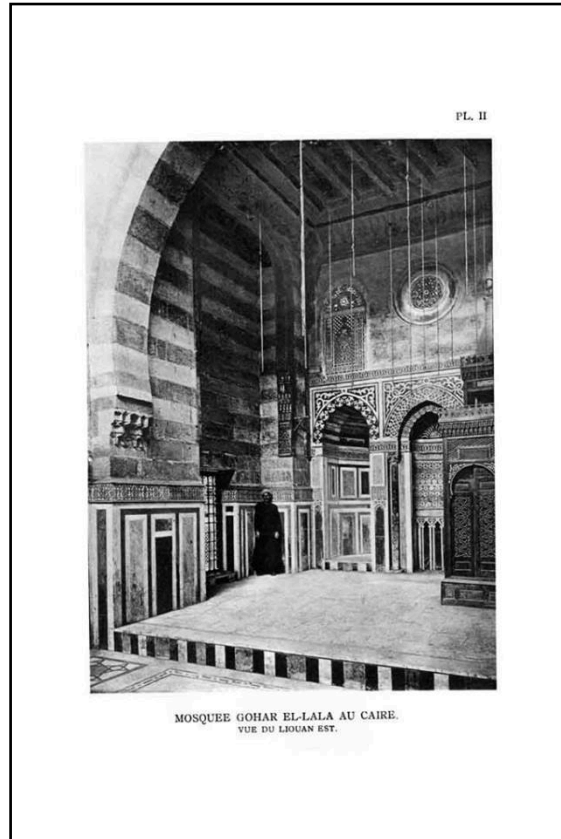




شكل (1): يوضح مسقط أفقي لمدرسة جوهر اللالا عن لجنة حفظ الآثار العربية 1882-1902م .

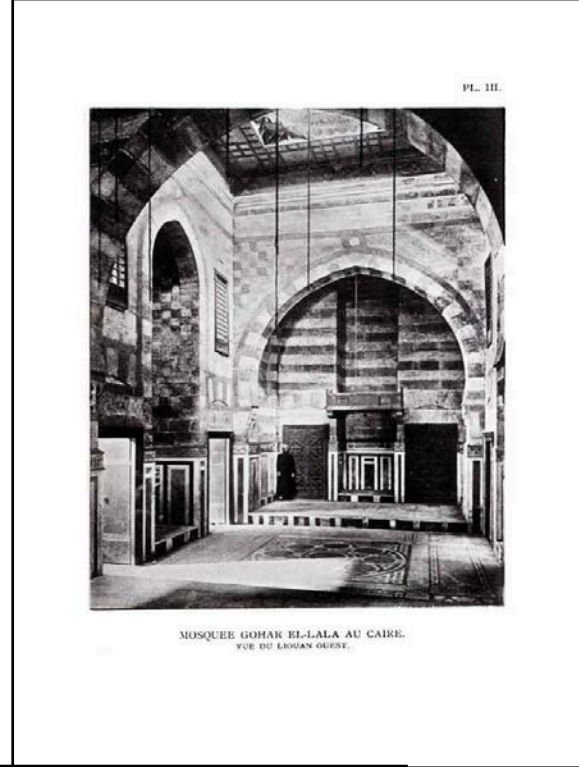


شكل (2): يوضح الواجهة الرئيسية للمدرسة عن لجنة حفظ الآثار العربية 1882-1902م.





شكل (3): يوضح الإيوان الرئيسي بالمدرسة والمحتوي على المحراب والمنبر (لجنة حفظ الآثار العربية 1902-1882م).



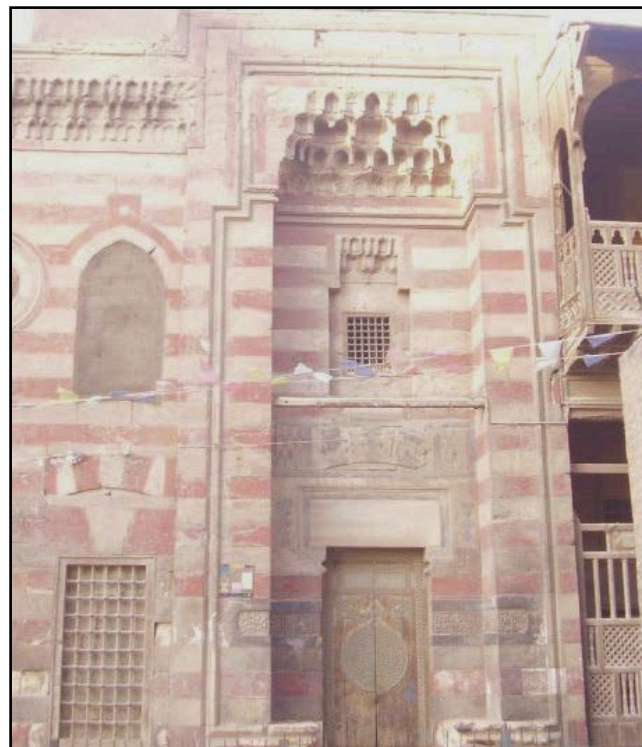
شكل (4): يوضح الإيوان المواجه لإيوان القبلة والإيوانين الجانبين عن لجنة حفظ الآثار العربية (1902-1882م).



صورة (1): يوضح الواجهة الرئيسية لمدرسة جوهر اللالا.



صورة (2): يوضح المدخل الرئيسي للمدرسة ويتضح وجود الكتاب والسبيل.

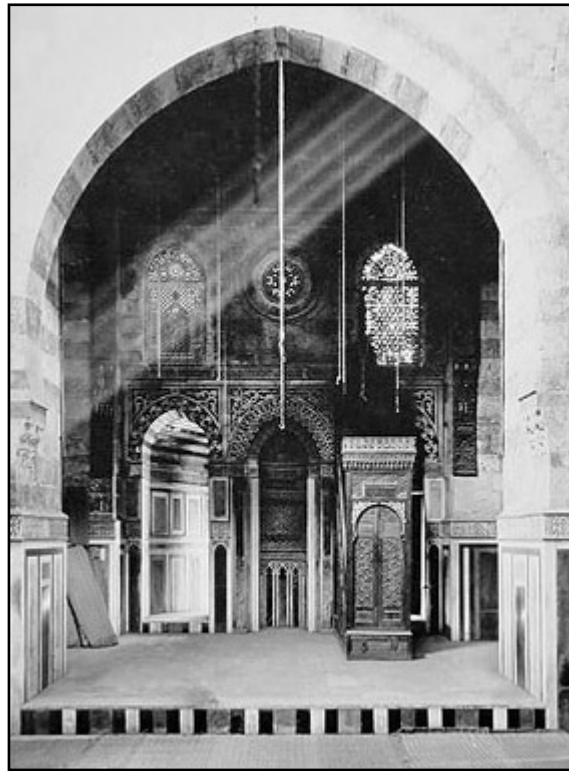




صورة (3): صورة أكثر تفصيلا توضح المدخل الرئيسي للمدرسة.



صورة (4): توضح محراب ومنبر مدرسة جوهر اللالا.



صورة (5): توضح محراب ومنبر المدرسة عن لجنة حفظ الآثار العربية (1882-1902م).



صورة (6): توضح قبة ومئذنة المدرسة.



صورة (7): توضح تلف الأحجار الخارجية للمدرسة بسبب المياة الأرضية والتلوث الجوي ، مما يستدعي التدخل بالترميم لحماية المدرسة وإعادة تأهيلها.



صورة (8): توضح تآكل المداميك السفلى بأحد جدران المسجد ووجود شروخ بالغة وفقد في طبقة الملاط ،  
أيضا التعديات البشرية المتمثلة في الكتابة على جدران المسجد.



صورة (9): توضح وجود أحد المنازل ملاصقة لجدران المدرسة ، وهو مظهر من مظاهر التعديات البشرية  
البالغة على الأثر.



صورة (10): توضح مظهر آخر للتعديات البشرية المتمثل في إلقاء القمامة بجوار المدرسة ، بجانب الكتابة على جدران المدرسة.





## أعيان المدن ودورهم في تنشيط حركة البناء والترميم في بلاد المغرب ما بين 282 - 439م

الدكتور: قبايلي كاهينة

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة-

### الملخص باللغة العربية:

كانت الطبقة الأرستقراطية البلدية قادرة على نشر نفوذها من خلال تحكمه أفرادها في العديد من المناصب الإدارية، الاجتماعية والدينية، التي أصبحت في عهد الإمبراطورية السفلى من حقهم في نقلها إلى أطفالهم، ما جعلهم القوة الفعلية في المجتمع، وقد ترتب عن هذا الوضع بعض الواجبات تجاه الدولة والمدينة، والتي أصبحت بمرور الوقت أعباء إلزامية، دفعت في شكل ضرائب ورسوم وأعمال كبيرة نحو الدولة والإمبراطور، وفي شكل أعمال جلية للمدن التي ينتمون إليها ساهمت في حركة البناء وترميم.

الكلمات المفتاحية: بلاد المغرب - المدينة- المجلس البلدي- الأرستوقراطية- البناء- الترميم

### الملخص باللغة الإنجليزية:

The municipal aristocracy was able to spread its influence by occupying many administrative, social and religious positions, which in the era of the lower empire had the right to transfer these positions to their children, making them the power in society, and the privileged ruling in the city. This situation led to some duties towards the society and the emperor, which became over time the mandatory burdens, many of them were paid in the form of taxes, fees towards the state and the emperor, and public works contributed to the revitalization of construction and the restoration of the cities they belonged to.

الكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية:

Magreb region- city- municipal council- aristocracy municipal- construction- restoration.



## المقال:

أثر التطور السياسي والاقتصادي لروما على الحياة الاجتماعية، فبنمو الثروة والجاه أخذت الطبقة تظهر داخل مجتمعها كغيرها من المجتمعات القديمة، فتكونت ثلاثة طبقات هي: الطبقة الحاكمة النافذة سياسيا واقتصاديا ودينيا، والطبقة المحكومة التي تؤدي مختلف الأعمال اليدوية والمتمثلة في عامة الناس، والطبقة المملوكة التي تمثل الفئة المغلوبة على أمرها منهم من سيق من ساحات المعارك، ومنهم من جلب من أسواق النخاسة.

تعدى هذا الوضع مدينة روما إلى بقية ولايات الإمبراطورية بما فيها بلاد المغرب، حيث كانت المجالس البلدية تمثلها نخبة المجتمع التي تسيطر على إدارة شؤون الدولة وإنجاز المشاريع العامة. وكان أفرادها يملكون مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة تدر عليهم بأموال ضخمة، لذا لم تعد لهم حاجة للعمل بأجرة مقابل ما يؤديه من نشاط تجاه المدينة. كما منحهم روما امتيازات اقتصادية واجتماعية، وكان لهؤلاء دور بالغ في ترسيخ وتكريس الاحتلال في جميع المجالات وفي المقابل كانوا عيوننا لها، وقد حافظوا على استمرارية استنزاف خيرات بلاد المغرب، إذ جعلوا خدمة الدولة ومصالح الامبراطور فوق كل اعتبار، وكانت السلطة تدعمهم بدورها بفرضها الامن والاستقرار على حساب الفئة المستضعفة لحد أنها أصبحت مناصب وراثية منذ نهاية القرن الثالث.

### 1- التعريف بطبقة اعيان المدن (الارستقراطية البلدية):

كان لتوريث المهن في هذه الفترة سببا في ظهور طبقة اجتماعية مهنية في كل مدينة افريقية تسمى بطبقة الأعيان، وفي هذا الترتيب نجد أعضاء المجلس البلدي Ordo Decurionum وعائلاتهم، وكان المجلس البلدي أو الكوريا السلطة الفعلية في المدينة وهو بمثابة مجلس شيوخ بلدي،<sup>1</sup> فهو هيئة محلية ومؤسسة ادارية ساهرة على تنظيم الحياة في داخل المدينة وحماية مصالحها واحلال النظام، وكذا المسؤولة عن تزويد السكان بالغذاء، واختيار الأطباء والمحامون العامون وتقسيم الطقوس ومختلف المهام على أعضائها، بعد أن اختفت جميع التجمعات الشعبية وأصبح المجلس هو الوحيد الذي يقوم بجميع المسؤوليات اتجاه المدينة، ومصدرا للأموال التي تستغل في بناء وترميم وصيانة المنشآت العامة والحرص على تزويد أفران الحمامات بالخشب اللازم، الانارة ومختلف مستلزمات كالزيوت، ومراقبة الأسعار في الأسواق والاوزان والمكاييل، تمويل الألعاب والمسابقات،<sup>2</sup> وكان لهم دور بارز ويتمتعون بالسلطة القضائية، غير أن نشاطهم لم يكن يقتصر على هذا فقط، بل كان عليهم اتخاذ الإجراءات اللازمة في ميادين أخرى، فمثلا كان يترك لهم اتخاذ القرار بموجب مرسوم لنصب تمثال لصالح الامبراطور أول حاكم ولاية او أي أرستقراطي كان، وكما يسمح لهم بتعيين الحامي (الباترون) بالانتخاب

<sup>1</sup> Yann Le Bohec, Histoire de l'Afrique Romaine 146 av. J.-C - 439ap. J.-C, Ed. A et J. Picard, Paris, 2005, P 217.

<sup>2</sup> Paul Petit, Histoire Générale de l'empire, Ed. Du Seuil, Paris, 1974, P 684.



وكذا السفراء والحكام، وكانت أعدادهم تختلف من مدينة الى أخرى من بضعة عشرات الى بضعة مئات مثلما هو الحال في مدينة قرطاج،<sup>3</sup> فقد أشارت قائمة الاعيان التي سجلت في مجموعة من القطع عثر عليها في المجلس البلدي للمدينة سبعون اسما في قطعة واحدة، بالإضافة الى هذا لم يكن الأعيان يتقاضون أجرا على عملهم، بل على العكس كانوا يتكفلون حتى بدفع رواتب الإداريين.<sup>4</sup>

وقد جرت العادة أن تأخذ هذه المجالس اسم أحد الآلهة أو الأباطرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر نسبت بلدية لمباز الى الإمبراطور هادريان وأصبح مجلسها يسمى بكوريا أدريانا Curia Hadriana، وبلدية تيمقاد الى نسبت الى كومودوس، ومنه مجلسها يسمى بكوريا كوموديانا Curia Commodiana، وكان ينتخب عليها حاكم يحمل لقب القائد يتولى مهام إدارة الشؤون الإدارية ويساعده في ذلك مسؤول المالية والخزينة الكستور Queastor والذي بدوره يعين بالانتخاب.<sup>5</sup>

وهكذا أصبحت فئة البرجوازية البلدية طبقة اجتماعية جديدة عرفت في هذه الفترة بطبقة الكوريات،<sup>6</sup> حيث حل اسم كوريات Curiale بعد أن كانوا سابقا يعرفون باسم الديكوريون Décurion،<sup>7</sup> غير أن الاسم الجديد لم ينهي الاسم القديم بل ضل في التداول لفترة الى ان طغى اسم الكوريات عليه في منتصف القرن الرابع، وقد استمدت قوتها من منصبها الذي أصبح متوارثا وأكثر أهمية من منصب الماجسترات، وهذا ما خلق طبقة منغلقة على نفسها تربطهم صلة التضامن أكثر من الصلة التي تربط الأعيان سابقا، وقد أصبح يمنع على كل من ولد حاملا للقب مزاوله مهنة أخرى خارجها،<sup>8</sup> وذلك ابتداء من سنة 320م؛<sup>9</sup> للعلم أنهم جعلوا وراثته المنصب في فئة الذكور فقط وأنه لا يصبح عضو في المجلس الا بعد استدعاؤه وتكليفه بمهام مختلفة، وكان السن الأدنى للدخول هو 25 سنة، وقد قام قسطنطين بتخفيضه الى 18 سنة في 329م ثم الى 16 سنة، وأكثر من هذا قد صدر قانون عام 331م يرغم فيه الأطفال في عمر السابعة والثامنة الالتحاق بالقوة وقد يكون هؤلاء من اليتامى من أبناء الاعيان المتوفون، وذلك لضمان دفع الأعباء المالية التي ترتبت عن الترقية.<sup>10</sup>

ولم يقتصر الوضع على هؤلاء بل مس كذلك بباقي أبناء الاعيان، المكلفين بمناصب مختلفة خاصة المهام الإدارية، وقد سجل ارتفاع أعدادهم بعد أن اتخذ القانون التدابير اللازمة في هذا الشأن منذ 325م، ثم أتى قانون 362م لإلزامهم بدفع الأعباء المالية وتسجيلهم على السجل البلدي مع رجال الدين المسيحيين في آخر المسلة،

<sup>3</sup> Yann Le Bohec, Op. Cit, P 217.

<sup>4</sup> G. Boissier, L'Afrique Romaine, promenades Archéologique en Algérie et en Tunisie, 3<sup>eme</sup> Ed, Hachette et Cie, paris, 1907, P196.

<sup>5</sup> توفيق حموم، النخب الإدارية والاجتماعية للكونفدرالية السيرتية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني منذ سنة 46ق.م الى نهاية القرن الرابع، أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه، اشراف محمد البشير شنياتي، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 37.

<sup>6</sup> Jean Gagé, les classes sociales dans l'empire romain, 2ed, Ed. Payot, Paris, 1971, P367.

<sup>7</sup> Yann Le Bohec, Op. Cit, P 217.

<sup>8</sup> Jean Gagé, Op. Cit, pp377-378.

<sup>9</sup> Andrieu Piganiol, Histoire Romaine, l'empire chrétien 325-395, T2, 2<sup>eme</sup> partie, presse universitaire de France, Paris, 1947, P68.

<sup>10</sup> A. Chastagnol, L'évolution politique, sociale et économique du monde romain 284-363, Ed. Sedes, 2ed, Paris, S.D, PP 282-283.



وقد ظهرت أسماؤهم على سبيل المثال في سجل تيمقاد<sup>11</sup> أين أحصي 70 عضو من أبناء الاعيان؛ خمسة مسجلين في مكاتب فكير افريقيا Vicaire d'Afrique في قرطاج و37 عضو في مكاتب القنصلية في نوميديا و05 في إدارة الجباية Rationalis du fisc في نوميديا وكانوا جميعا في قسنطينة، و23 عضو في مكاتب المسؤول عن أنونة افريقيا في قرطاج، أما البقية كانوا في الانتظار الى أن يتم تعيينهم.

كان أبناء الاعيان يشكلون فئة بيريتكستاتي Praetextatii وهم صغار في السن يهيئون لمهنتهم المستقبلية وهم موجهين لحضور حصص كطلاب مستمعون،<sup>12</sup> كما كانوا ينشطون في نوادي شبابية iuuenes التي كثيرا ما كان أعضاؤها ينكبون على ممارسة الرياضات القتالية، ويكرمون الآلهة الحامية لهم على رأسها الاله مارس، وكانت هذه النوادي منتشرة في بداية القرن الرابع لكنها تلاشت بسرعة، وقد يرجع ذلك الى كون العلاقة التي جمعتهم لم تكن روابطها قوية قدر الكفاية لاستمرارها، ومن أشهرها شبابيات صلداي Les Iuuenes de Saldae.<sup>13</sup>

وكانت الدعامة الأساسية لهذه الطبقة بدورها هي امتلاك الأرض، وقد نال هؤلاء كذلك نصيب كاف من الأراضي الى أن أصبحت حكرا عليهم، رغم تغير الصيغة في النصوص القانونية لهذه الاراضي في نهاية القرن الرابع من ملكية Possessor الى كورياليس curialis بمعنى ملكية فردية مرهونة أو وديعة عند الدولة، وبموجب هذا منع صاحب الأرض التصرف في بيعها أو ائتمالها ابتداء من النصف الأول من القرن الرابع، وبعد موته تنتقل الى وريثه الذي عليه الاستمرار بالاهتمام بها بنفس الطريقة.<sup>14</sup>

غير أن هذا التحول الذي أصبح قاعدة لتصنيف الطبقات المشكلة للهرم الاجتماعي والذي أدى الى توريث المناصب، لم يغلق الأبواب نهائيا أمام الأغنياء الجدد للالتحاق بركب هذه الطبقة مثلما لم تغلق الطبقة السيناتوروية أبوابها في وجه هؤلاء للارتقاء بدورهم، غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو، كيف يقبل عضوية بورجوازي جديد في مجلس الاعيان باعتبار الارتقاء لطبقة الارستقراطية المحلية مرهون بالترشح لهذا المنصب؟ أو بمعنى آخر، كيف يصبح أحد الافراد خارج الطبقة الكوريال عضو من أعضاء المجلس البلدي الذي معه تنتقل عائلته الى الوضعية الجديدة؟

قبل الإجابة على السؤال لابد من الحديث أولا عن كيفية الالتحاق بمجلس الكوريا؟ فبالنسبة لهذا الامر، يشبه طريقة الارتقاء لمجلس الشيوخ، فيكون بمجرد استدعائه من قبل المجلس لمزاولة اول نشاط له في المجلس البلدي، حيث كان المجلس كثيرا ما كان يضطر الى استدعاء عدد كبير من الأعضاء الجدد من طبقة الكوريال من الذين لم يسبق لهم أن زالوا هذه الوظيفة من أجل إتمام العدد الكامل للمجلس؛ أي ان الدخول الرسمي يكون من نصيب خلف أعضاء المجلس كما سبق الذكر، ويكون بذلك التوظيف داخلي، الا أن المجلس أحيانا يلجأ الى التوظيف الخارجي، وفيه يمنح المجال للأثرياء الجدد في المدينة بالإلحاق بعالم الأرستقراطيين، ويكون ذلك في

<sup>11</sup> حرر سجل تيمقاد في السداسي الثاني من سنة 363 م في نهاية حكم جوليان Julien

<sup>12</sup> Ibid., P282-P301.

<sup>13</sup> Yann Le Bohec, Op. Cit, P 217.

<sup>14</sup> Jean Gagé, Op. Cit, P379.



حالة عدم كفاية الأعضاء من فئة أبناء الاعيان، ويكون بالاستدعاء بعد أن تم الغاء عملية انتخاب الأعضاء في سنة 326 م،<sup>15</sup> وبمجرد توظيفه يعلن انتمائه لمدى الحياة.<sup>16</sup>

وقد فسر لنا قانون لوسينيوس Lucinius سنة 317م ثلاثة حالات يتم فيها الدخول للمجلس وهي:

• **الحالة الأولى على أساس المولد Origo:** فكما سبق الذكر يتم استدعاء شخص مولود في عائلة

أرستقراطية ومقيمة في المدينة كما سبق الذكر.

• **الحالة الثانية نوعية الغريب أي المقيم في مدينة أخرى له أملاك في مدينته الاصلية Incolatus:** فقد

يكون الشخص الواحد عضوا لمجلس البلدي في مدينتين ولكونه لا يستطيع الحضور عموما الا في مجلس واحد،

الا أنه مكلف بدفع الأعباء للمدينتين، ومن بين هؤلاء بوبليوس جوليوس ليبراليس Publius Julius Liberalis

من أصل تيمقادي، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث، والذي اشتغل في مناصب بلدية ودينية على

التوالي في تيمقاد سقط رأسه ثم في الجام Thysdrus أين أقام لفترة ثم عاد من جديد الى تيمقاد.

• **أما السبب الثالث هو امتلاك الأراض Possidenti Condicio:** ولم تكن تحتسب الممتلكات

الأخرى، ليأتي قانون 342م ليؤكد إمكانية بلوغ المنصب دون امتلاك أكثر من 25 الي 50 يوجيرا ( 6 وربع

هكتار الي 12 ونصف هكتار)،<sup>17</sup> و 50 يوجيرا يمكن تقدير قيمته ما بين 25000 الي 50000 سيسترس، وقد

تتعدى القيمة المئة اذا تم احتساب الممتلكات من المنازل،<sup>18</sup> ويكون بذلك قريب من القيمة المحددة في العهد

الامبراطوري الاول، للعلم أن القانون منع التجار وأصحاب الحرف من الدخول اليها،<sup>19</sup> الا انه فتح المجال

لأصحاب الأموال اللذين اشترروا الأراضى الدخول عند استدعائهم من طرف المجلس، وكان هذا الأخير لا

يستدعى الا لشخص قادر على دفع الأعباء،<sup>20</sup> والذي تتوفر فيه التربية والسلوك، وأن لا يكون قد مارس عمل

خسيس وحقير أو يكون من العتقاء،<sup>21</sup> إذ كان القانون بغاية الصرامة بخصوص المعتوقين، حيث يشترط ان يكون

حرا بالمولد.<sup>22</sup>

للهولة الاولى قد يضمن القارئ أن هذا النوع من الارتقاء بسيط في شكله، وفي كونه سهل المنال لفتح

الآمال الواسعة للعامة في الوصول اليه، لكن الحقيقة غير ذلك في عالم كانت فيه الهوة بين الطبقات واسعة،

لا يستطيع أغلبهم ضمان قوتهم وقوت عيالهم، وبات هذا حلم يصعب تحقيقه إلا لمن كان يتمتع بالصبر

والعمل والتضحية، وكان هذا شأن أحد الحصادين من مكتر الذي روى لنا قصة حياته وقال: "ولدت في

عائلة فقيرة ولم يكن لأبي مورد ولا منزل يملكه، فانكبت من يوم ولدت على العمل في ضيعتي فلم أعرف

راحة وكذلك أرضي. وإذا أتت فترة نضج سنابل القمح كنت أول من يقلع الكلاً، وإذا ظهرت لي في الأرياف

<sup>15</sup> A. Chastagnol, Op. Cit, PP283-299.

<sup>16</sup> Yann Le Bohec, Op. Cit, P 217.

<sup>17</sup> A. Chastagnol, Op. Cit, PP283-285.

<sup>18</sup> Françoise Jaques, Les Cités de l'occident Romain, de l'I<sup>er</sup> siècle av. J-C, au VI siècle ap. J-C, Ed. Les belles Lettres, Paris 1990, P111.

<sup>19</sup> Yann le Bohec, Op. Cit, p233.

<sup>20</sup> A. Chastagnol, Op. Cit, PP28.

<sup>21</sup> Paul Petit, Op. Cit, P683.

<sup>22</sup> G. Boissier, Op. Cit, PP196-197.



جماعات من الحصادين يبحثون عن يؤجرهم في ضواحي سيرتا عاصمة النوميديين أو في السهول التي يشرف عليها جبل جويتير كنت أول من يحصد قمحه. ثم إنني غبت عن وطني اثني عشرة سنة كنت أحصد أثناءها لغيري تحت شمس من نار، ولقد سهرت طيلة إحدى عشرة سنة على جماعة من الحصد، وكنت أقطع سنابل القمح في ضياع النوميديين ولم أزل أكد قانعا باليسر حتى أصبحت أملك دارا وأرضا، فأنا اليوم أعيش في رفاهية بل إنني نلت شرفا كبيرا، إذ عينت في مجلس الشيوخ ببلدتي وأصبحت مراقبا بعد أن كنت فلاحا صغيرا، لقد رأيت بعيني أولادي وأحفادي يولدون حولي لقد كانت حياتي وديعة محفوفة بتقدير الجميع"<sup>23</sup>، وعن هذه الترقية الاجتماعية تذكر نقيشة أخرى من مكثر كذلك، أن مواطن اسمه بيناريوس مستيلوس Pinarius Mustulus الذي توفي عن عمر يناهز 75 سنة يفتخر في هذه النقيشة على أنه عاش طويلا ذكر فيها أنه جمع ثروة محترمة من ربح قليل دون أن يلتجأ للخداع.<sup>24</sup>

## 2- دور أعيان المدن في تمويل المشاريع :

لم تكن الضرائب العبد الوحيد الذي سقط على كاهل أفراد هذه الطبقة، بل كان الضفر بالمناصب مصدرا آخر له، حيث تترتب عن نجاح المترشح مجموعة من النفقات منها الرسمية تضاف إليها القيم المالية التي وعد بها سلفا، والتي تحولت الى نفقات اجبارية في هذا العصر، فبخصوص القيمة الرسمية التي يشارك بها هؤلاء، إذ كانت مختلفة باختلاف البلديات من حيث الأهمية وحسب حاجياتها من جهة، ومن جهة أخرى حسب قدرة الأشخاص على الدفع،<sup>25</sup> فعلى سبيل المثال، للحصول على العضوية في المجلس البلدي، يدفع الأعضاء الجدد في مدينة قرطاجة 38000 سيسترس وفي مدينة عنابة 10000 سيسترس وما بين 4000 الى 5000 في المدن المتوسطة كسوق هراس وتبسة، اما عن أدنى قيمة حسب المعطيات التاريخية كانت تدفع في ألتوروس ( المدينة في تونس) وهي 2000 سيسترس.<sup>26</sup>

أما العطايا والهبات اتخذت أشكال مختلفة، ويمكن تصنيفها الى قسمين munera و munera patrimonialia و personalia، ومنها كذلك تلك التي تعود بالنفع على المدينة والتي تعود بالنفع على الدولة الرومانية والادارة الإمبراطورية.<sup>27</sup> فتمثل الأولى munera patrimonialia كانت في البداية يقدمها النبلاء السيناتورين ثم أخذ مجالها يتسع الى الارستوقراطيين المحليين لتمس أفراد حتى خارج هذه الطبقة من المعترقين الأغنياء ومن العامة الذين لعبون أدوارا هامة في بلدياتهم، وهي مجرد عطية أو هدية يمنحها الشخص Ob Honorem بسبب الحصول على مناصب شرفية في البلديات بعد أن تعهد بها وبمقدارها، وكانت للدولة في عهد تراجان الحق في متابعة هؤلاء ان تخلفوا عن تقديمها وارغامهم على زيادة مقدار إضافي يضاف الى ما تعهد به، وفي حالة وفاة الشخص يلزم ورثته بتقديمها، وهذه الهبة لا علاقة لها بالمقادير الرسمية التي سبق الحديث عنها، المقدمة من

<sup>23</sup> شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر. محمد ميزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط3، تونس، 1978، 224.

<sup>24</sup> A. G. Hamman, La vie quotidienne en Afrique du nord au temps de st Augustin, nouvelle édition, Hachette, Paris, 1985, P 126.

<sup>25</sup> G. Boissier, Op. Cit, 197.

<sup>26</sup> A. G. Hamman, OP. Cit, P 138.

<sup>27</sup> G. Boissier, Op. Cit, P296.



طرف المترشح عند الضفر بالمنصب، فالهبة إذا مجرد منحة شرفية كانت تضاف مباشرة الي المنحة الرسمية في الولايات الافريقية، للعلم أنها كانت تأخذ أشكال مختلفة؛ قد تكون نقدا تذهب مباشرة الى خزينة المدينة أو توزع على سكانها، أو ينجز بها مشروع سواء يكون مرفق عمومي أو تزيين ونحت معلم، تنظيم مأدبة، إقامة ألعاب، أو يتم بها دفع النفقات التي تتكفل بها المدينة كتسديد الضرائب، تأمين نفقات الجيش، أو تخصص أحيانا لصالح العامة في شراء القمح،<sup>28</sup> ووقود الحمامات التي تزود يوميا بالحطب اللازم، وكذا لصيانة قنوات المياه ومختلف تجهيزات المدينة، أما الثانية *munera personalia* هي هبة من أملاك الشخص أو من وقته كالمشاركة في هيئة دبلوماسية كعضو ناشط أو للدفاع عن مصالح المدينة في المحاكم، مراقبة صيانة الطرق والجسور وقنوات المياه والبنائيات العمومية ومراقبة الأسعار في الأسواق وأرصدة التجار، أما بخصوص الهبات المقدمة للدولة فكانت تضاف الى الأعباء المفروضة على المدينة والتمثلة في أقساط من الأموال أو أعمال السخرة لخدمة مصالح الإمبراطورية سواء في مراقبة مصانع الأسلحة، توفير الحيوانات لمصلحة البريد، نقل الحبوب لتمويل العاصمة روما، جمع الضرائب المختلفة سواء نقدا أو عينا لاسيما الضريبة العقارية وضريبة الرأس.<sup>29</sup>

وقد كانت هذه العطايا التي تغدق على المدينة وعلى أهلها جعلت من أصحابها ذات شهرة خلدت أسماؤهم النقوش وسجلت فيها أعمالهم كشكر وعرفان على جميلهم، ومن هؤلاء سيدة كبيرة من قائلة كانت تسمى كاهنة الاباطرة قدمت هبة للشعب، متمثلة في مسرح، وكاعتراف أهل المدينة بعملها قاموا بوضع خمسة تماثيل لها دفعة واحدة،<sup>30</sup> أما في تالا في الميزاق خلدت نقيشة فارس، وعد بإصلاح حديقة عند توليه منصب الإيدل، ولوفاته قبل وفائه بالوعد، قام أبناؤه القصر في سنة 287م- بإشراف من ولي أمرهم- بإنجازها،<sup>31</sup> وفي تبسة خلد اسم ضابط سامي في الفرقة العسكرية، قدم قيمة مالية معتبرة لإقامة الألعاب وتزيين المعابد كما بني قوسا على شرف الامبراطور كراكلا وعائلته والموجود الى يومنا هذا عند مدخل المدينة، والذي كلفه حوالي 25000 سيسترس،<sup>32</sup> وفي تيمقاد بني سيرتيوس *Sertius* المتقاعد من الجيش الروماني سوقا وأهداه للبلدية، وبهذا العمل أصبح نيراسا للإقليم كله لكرمه وعطائه واعتبر مواطن حقيقي لتضحياته من أجل المصلحة العامة،<sup>33</sup> والذي خلدت اسمه نقيشة وجدت في ساحة الفوروم وهي *Sertii Macellum Et Aream Eius Patriae Svae Fecurent*،<sup>34</sup> ولم يكن الوحيد في تيمقاد حيث كانت ساحة الفوروم مليئة بالنصب الموضوعة على شرف الامراء،<sup>35</sup> وفي مدينة

<sup>28</sup> François Jacques, John Scheid, Rome et l'intégration de l'empire 44 av. J-C, 260 ap. J- C, T1, Ed.

Presses universitaire de France, Paris, 1990, PP324-325.

<sup>29</sup> A. Chastagnol, Op. Cit, P297.

<sup>30</sup> G. Boissier, Op. Cit, PP198-199.

<sup>31</sup> A. Chastagnol, L'évolution politique, Op. Cit p296.

<sup>32</sup> G. Boissier, Op. Cit P199.

<sup>33</sup> R. Cagnat, Les villes antiques d'Afrique du nord, Ed. H. Laurens, Paris, 1909, P100.

<sup>34</sup> ناصر بن سعود، أسواق مقاطعة نوميديا، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2010، ص56.

<sup>35</sup> G. Boissier, Op. Cit, P200.



الجام Thysdrus أشرف أحدهم على تمويل العباب المدرج، وفي نفس المناسبة قرر رفع القيمة التي وعد بها،<sup>36</sup>  
أما في سيرتا والمدن التابعة للإقليم قدمت عناصر النخبة هيئات مختلفة ومبالغ مالية مسجلة في الجدول التالي:<sup>37</sup>

• جدول رقم 1: بعض التبرعات المالية لإقامة أو ترميم المنشآت

الشخص	القيمة	الاعمال المنجزة
I(VLIVS) VRBANVS	HS 60 000	معبد رباعي الاعمدة وتمثال المعبودة وألعاب مسرحية
Q. BAEBIANVS	HS100 000	معبد الاعمدة وتمثال المعبودة وألعاب
C. AVFIDIVS MAXIMVS	HS 60 000	قوس النصر ومعبد رباعي الاعمدة وتمثالان من البرونز للإمبراطور أغسطس
؟	HS 34 000	تمثالان ومبني رباعي الشكل
L.CORNELIVSFRONTOPROBIANVS	HS 30 000	تمثال لإلهة النصر ومبني رباعي الشكل
M. FABIVSFRONTO	1000 دوني	تشديد مسح وتزيينه
M.AEMILIVS BALLATOR	HS 10 000	معبد
SEX.OTACILIVSRESTITVS		مرافق مدينة روسيكاد
C.CAECILIVSGALLVS		مرافق مدينة روسيكاد
Q. FVLVIVSFAVSTVS		قوس نصر ومرافق كابيتول سيرتا
Q. MARCIVSBAREA		تمثال
P. IVLIVSGEMINVS MARCIVS		تزيين الفوروم بتمثال

المصدر: حموم توفيق المرجع السابق، ص 235.

كما استغلت هذه الأموال في اعداد المآدب ذات الصبغة الدينية التي استمر اقامتها في المدن الولايات الافريقية في هذه الفترة، بالرغم من أن المسيحية قطعت شوطا كبيرا إلا أنها لم تتمكن من القضاء على رواسب الفكر الوثني، بل حتى أن البعض من عاداته دخلت في هذا الدين الجديد، وحتى أنهم استمروا في إحياء الاحتفالات بأعياد الآلهة الوثنية، ومن أشهرها الأعياد الساتورنية،<sup>38</sup> وكانوا يغتيمون أي مناسبة ليحيطوا الأوراق بأبواب المنازل، وذبح الخنازير أو الكباش كقرابين، ويضيئون الساحات وملقبات الطرق بالشموع في المساء ،

<sup>36</sup>A. Chastagnol, Op. Cit, P296.

<sup>37</sup>حموم توفيق المرجع السابق، ص 235.

<sup>38</sup>أندري إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، ص633.





وكان أفراد هذه الطبقة في حفلات الاله باخوس يقودون الأهاجيج الشعبية ويقومون كرنفالات صاخبة بالألعاب والموسيقي ومآدب وولائم في الهواء الطلق<sup>39</sup> وقد صورت مثل هذه الأجواء فسيفاء تعود للقرن الرابع، وقد برر استمرارها القديس أغوستين في كتابه مدينة الله، على أنها حفلة لا علاقة بالفكر الوثني، و أن اسمها Liber لا يعبر عن ذلك الجوهر، بل أن حقيقتها تكمن في تدعيم السلطة الذكرية، فهي حفلة الربيع والخصوبة،<sup>40</sup> أما عن حفلات المسيحيين فكانت على رأسها حفلة ميلاد المسيح عليه السلام حيث اختاروا في البداية اليوم السادس من شهر جانفي ليتحول هذا التاريخ في القرن الرابع الى عيد الظهور (العماد)، وفرض يوم الخامس والعشرين من ديسمبر كيوم لعيد الميلاد الذي يوافق في نظرهم يوم الانقلاب الشتوي الذي احتل به منذ القرن الأول، والذي به أرادو فيه إحياء ذكرى مولد الشمس،<sup>41</sup> ومن الأعياد كذلك من كانت لأغراض اجتماعية هدفها مساعدة الفقراء، حيث قام المسيحيون منذ عهد ترتيليانوس باستدعاء الفقراء والأرامل الى طاولة الاكل والذي سمي بـ "رضاع الإيمان" أو "مشروع التغذية" Les nourrissons de la foi" وقد استمرت هذه الدعوة طوال القرن الرابع،<sup>42</sup> ولم تكن المبادرة الوحيدة حسب المصادر، إذ تشير نقيشة سيكا فيينريا Sicca Veneria التي عثر عليها في الكاف بتونس، على جمعية للمساعدة الأطفال الفقراء من سن الثالثة الى الخامسة، والتي تمنح 10 سيسترس شهريا للذكور و ثمانية سيسترس للإناث، أي من 120 الى 96 سيسترس لكل طفل سنويا بهدف اطعامهم.<sup>43</sup>

### 3- أعمال البناء والترميم :

شهدت المدن الافريقية في هذه الفترة نشاط ملحوظ في البناء والتشييد، والجدول التالي يبين عدد ورشات البناء في الفترة الممتدة ما بين 364-383م في الولايات الافريقية حيث أشارت اليها 76 نقيشة منها أشغال البناء أو أشغال ترميم المنشآت العامة في مدة عشرين سنة تنحصر ما بين تولى فلاننتيان الاول السلطة في 1 فيفري 364م الى غاية وفاة ابنه فلافيوس غراتيانوس Flavius Gratianus في أوت 383م، والتي يشير اليها الجدول:<sup>44</sup>

#### • الجدول رقم 2: مجموع أشغال بناء والترميم في بلاد المغرب ما بين 276-439م.

المجموع	موريطانيا القيصرية	موريطانيا السطافية	نوميديا	طرابلس	الميزاق	البروقنصلية	
6			3		3		285-276
31 أو 32	1		8 أو 9		9	13	293-285

<sup>39</sup>Louis Bertrand, Saint Augustin, Ed. Artheme Fayard et C<sup>ie</sup>, Paris, 1913, PP68-69.

<sup>40</sup> A. G. Hamman, OP. Cit, P75.

<sup>41</sup>أندري إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، تر. فريد م. داغر، فؤاد أبو الريحان، مج.2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2006، ص633.

<sup>42</sup> A. G. Hamman, OP. Cit, P75.

<sup>43</sup> Ibid, P138.

<sup>44</sup>Claude Lepelley, Aspects de l'Afrique Romaine, Les cites, la vie rurale, Le christianisme, Ed. Edipuglia, Bari, 2001, P191.



30 أو 29	2	1	6 أو 5	3	18	305-293
						312-305
10 أو 9		1 أو 0	2	1	6	324-312
16 أو 15		1 أو 0		2	3	337-324
10	1			4	5	350-337
12	1			2	1	361-350
10		2	1		7	364-361
29			16	2	10	367-364
14 الى 18			3 الى 5	1 أو 2	11 أو 10	375-367
29 الى 34	1 أو 0	1	8 الى 10	1	1 أو 0	383-375
16 الى 19	2 أو 0	1	5	1	9 الى 11	395-383
8 الى 6			2		4 الى 6	408-395
10			1		9	423-408
2					2	439-429
236	6	6	57	9	25	133
96	3	3	23	4	10	53
332	9	9	80	13	35	186
						مجموع النقوش المؤرخة
						مجموع التواريخ الغير المؤكدة
						المجموع للفترة

المصدر: Claude Lepelley, Les cités de l'Afrique Op. Cit, P74.

- الجدول رقم 3 : أشغال بناء وترميم المرافق العامة في فترة ما بين تولى فلانتيان الاول السلطة الى نهاية حكم فلافيوس غراتيانوس Flavius Gratianus

عدد ورشات البناء	البروقنصلية	الميزاق	طرابلس	نوميديا	الموريطانياتين
29	11	2	0	16	0
من 14 الى 18	10 أو 11	1 أو 2	0	من 3 الى 5	0
من 29 الى 34	من 19 الى 20	من 0 الى 1	1	من 8 الى 10	1 أو 2
76 أو 77	41	4	1	29	1 أو 2

المصدر: Claude Lepelley, Aspects de l'Afrique Op. Cit, P191.

أخذت الاحصائيات الواردة في الجدول 7 و 8 من 332 نقيشة ومنها 236 تواريخها تعود الى هذه الفترة، ومن خلات المعطيات تبين أن حركة البناء وترميم المنشآت عرفت نشاط في الفترة الممتدة ما بين 276 الى



439م، حيث بلغت عددها الإجمالي 332 ورشة بناء، ومنها من 50 الى 52 بناء جديد ومن 47 الى 49 عملية ترميم هامة، و113 عملية ترميم بسيطة و120 ورشة بناء لا يعرف عنها طبيعة العمل المنجز.<sup>45</sup> على ما يبدو حركة البناء والترميم التي شهدتها بلاد المغرب في القرن الأول والثاني التي كانت أكثر كثافة مقارنة بالفترة التي سبقت وعقبت حكم ديقليانوس، وقد يرجع السبب الأساسي الى الركود الذي عرفته المنطقة بسبب أزمة القرن الثالث التي تأثرت بها حيث عبر المؤرخ الروماني هيروديان (عاش بين 175-249م) في حديثه عن المدن الرومانية أثناء الازمة على أنها أنهكت بسبب ارتفاع الضرائب، وما يدعم هذا سكوت النقوش لحوالي خمسين سنة عن ذكر أعمال البناء أو الترميم،<sup>46</sup> غير أن الفترة ما بين حكم ديقليانوس الى غاية نهاية حكم تيودوسيوس اتسمت بالانتعاش في مجال التهيئة الحضرية من جديد، لذا عرفت حركة واسعة من عمليات الترميم والبناء، والتي يرجعها دوبيليي الى الهدم الذي مس أجزاء من المدن بعد أن أصيبت بهزتين أرضيتين؛ فالأولي تورخ ما بين 306-310م والثانية في 31 جويلية 365م، وعلى اثر هذه الأخيرة طغت موجة عارمة من البحر في الحوض الشرقي للمتوسط والتي انجر عنها خراب وأضرار على طول 1800 كلم من السطح فوق بورة الزلزال وهي المسافة ما بين جزيرة كريت وموريطانيا السطايفية، ثم تعود من جديد الى الركود من نهاية حكم تيودوسيوس لعدم استقرار الأوضاع بسبب الاحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها.<sup>47</sup>

هكذا، أصبحت هذه الطبقة تجمع بين ممارسة السلطة الرسمية والأعباء المالية الثقيلة لكثرة أشكال النفقات من ضرائب وهبات ومستحقات رسمية، لذا أصبحت حالتهم تتحدر الى الأسفل خاصة الأغنياء الصغار الذين كانت إراداتهم من الأرض قليلة ومنهم من ذكره القديس أغوستين في رسائله أو في اعترافاته،<sup>48</sup> وبلغ بهم الوضع الى رفض الوظائف بعد أن كان الوصول اليها في وقت من الأوقات امتياز وشرف.

<sup>45</sup> Claude Lepelley, Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T.1, Etudes Augustiniennes, Institut des études augustiniennes, collection des études augustiniennes, Paris, 1979, PP72- 78.

<sup>46</sup> Ibid., PP82-83.

<sup>47</sup> Claude Lepelley, Aspects de l'Afrique, OP. Cit, P179-180.

<sup>48</sup> G. Ch. Picard, La Carthage de saint Augustin, Librairie Artheme Fayard, Paris, 1965, P130.



### قائمة المراجع:

- أندري إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وامبراطوريتها، تر. فريد م. داغر، فؤاد أبو الريحان، مج.2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2006، ص633.
- توفيق حموم، النخب الإدارية والاجتماعية للكونفدرالية السيرتية والمدن الكبرى بنوميديا أثناء الاحتلال الروماني منذ سنة 46ق.م الي نهاية القرن الرابع، أطروحة التخرج لنيل شهادة الدكتوراه، اشراف محمد البشير شنيبي، جامعة الجزائر، 2009-2008، ص 37.
- شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، تر. محمد ميزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط3، تونس، 1978، 224.
- ناصر بن سعود، أسواق مقاطعة نوميديا، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر، 2010، ص56.
- Andrie Piganiol, Histoire Romaine, l'empire chrétien 325-395, T2, 2<sup>eme</sup> partie, presse universitaire de France, Paris, 1947.
- Chastagnol, L'évolution politique, sociale et économique du monde romain 284-363, Ed. Sedes, 2ed, Paris, S.D.
- Claude Lepelley, Aspects de l'Afrique Romaine, Les cites, la vie rurale, Le christianisme, Ed. Edipuglia, Bari, 2001.
- Claude Lepelley, Les cités de l'Afrique romaine au Bas-Empire, T.1, Etudes Augustiniennes, Institut des études augustiniennes, collection des études augustiniennes, Paris, 1979.
- François Jacques, John Scheid, Rome et l'intégration de l'empire 44 av. J-C, 260 ap. J- C, T1, Ed. Presses universitaires de France, Paris, 1990.
- Françoise Jaques, Les Cités de l'occident Romain, de l'I<sup>er</sup> siècle av. J-C, au VI siècle ap. J-C, Ed. Les belles Lettres, Paris 1990.
- G. Boissier, L'Afrique Romaine, promenades Archéologique en Algérie et en Tunisie, 3<sup>eme</sup> Ed, Hachette et Cie, paris, 1907.
- G. Hamman, La vie quotidienne en Afrique du nord au temps de st Augustin, nouvelle édition, Hachette, Paris, 1985.
- Jean Gagé, les classes sociales dans l'empire romain, 2ed, Ed. Payot, Paris, 1971.
- Louis Bertrand, Saint Augustin, Ed. Artheme Fayard et C<sup>ie</sup>, Paris, 1913.
- Paul Petit, Histoire Générale de l'empire, Ed. Du Seuil, Paris, 1974.
- R. Cagnat, Les villes antiques d'Afrique du nord, Ed. H. Laurens, Paris, 1909.
- Yann Le Bohec, Histoire de l'Afrique Romain 146 av. J.-C - 439ap. J.-C, Ed. A et J. Picard, Paris, 2005.





## الأوضاع الاقتصادية في لبدّة في العصر الفينيقي القرطاجي

### وعلاقتها التجارية مع واحات الجنوب

عبدالحفيظ عبدالله ابولوشة . أستاذ التاريخ القديم بجامعة سرت

#### مدخل :

الكنعانيون – الفينيقيون ، ساميون عرب قدموا من شبه الجزيرة العربية، وسكنوا فلسطين وأقاموا بها حضارة راقية، وانتقل جزء منهم إلى الساحل السوري حيث عرفوا هناك باسم الفينيقيين المشتق من لفظة فينيكس الإغريقية التي تعني اللون الأحمر ، وهي تسمية أطلقها الإغريق على الكنعانيين الذين استقروا بالساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك لتميزهم في صناعة نوع من الصبغة الأرجوانية المستخرجة من حيوانات بحرية رخوة تكثر بالقرب من شواطئهم<sup>1</sup>.

بدأ اتصال الفينيقيين بسواحل أفريقيا منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وبلغ الفينيقيون درجة عالية من التقدم والرقي وسيطروا على البحر الأبيض المتوسط واحتكروا تجارته وكانوا عند عبورهم هذا البحر بين شواطئ الشام وإسبانيا التي كانوا يجلبون منها الفضة والقصدير، يبحرون بمحاذاة الساحل الغربي من ليبيا وذلك لأنهم اعتادوا عدم الابتعاد كثيراً عن الشاطئ خوفاً من اضطراب البحر، وقد تطلبت كثرة المعاملات التجارية إنشاء مراكز تجارية على شواطئ غرب البحر الأبيض المتوسط وكذلك موانئ ترسو عندها السفن، قدرها الجغرافي اليوناني استرابو بحوالي ثلاثمائة مركز تجاري ومرافاً<sup>2</sup> وهو ما يدل على قلة المصاعب التي واجهتهم و ترحيب السكان المحليين بهم ، وقدرة الفينيقيين على التكيف مع الأماكن الجديدة ، ولقد أختار الفينيقيون بدقة المواقع الملائمة لهذا الغرض، ومن هذه المراكز مدينة لبدّة على الشاطئ الليبي موضوع هذه الدراسة.

1 - محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990 ، ص 161

2 - جغرافية سترابو، الكتاب السابع عشر الفصل الثالث، ترجمة الدكتور محمد المبروك الذويب ، منشورات جامعة قارونس ط1، بنغازي، 2003، ص 96.



### أهمية الدراسة :

1 - تسليط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ ليبيا القديم في ظل مرحلة جديدة بدأت بسيطرة الفينيقيين على البحر الأبيض المتوسط .

### الهدف من الدراسة :

- 1 - تهدف الدراسة إلى التعرف على دور مدينة لبة في تاريخ ليبيا القديم .
- 2 - كما تهدف الدراسة إلى معرفة دور الفينيقيين في تنشيط التجارة بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وواحات الجنوب عبر مدينة لبة .
- 3 - ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى معرفة العلاقات التجارية التي كانت سائدة بين لبة و واحات الجنوب الليبي.

وقسم البحث إلى مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة .

مقدمة: تاريخية عن الفينيقيين واستقرارهم بمنطقة الدراسة.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والمناخ والسكان وتأسيس مدينة لبة.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية في لبة في العصر الفينيقي القرطاجي.

المبحث الثالث: العلاقات التجارية بين لبة وواحات الجنوب.

والخاتمة: سنتناول فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

ولقد اعتمدت على السرد التاريخي التحليلي في هذا البحث وكذلك على الزيارة الميدانية إلى بعض مواقع هذه الدراسة.

### المبحث الأول

#### الموقع الجغرافي:

تقع مدينة لبة بالساحل الغربي لليبيا بالقرب من مدينة الخمس وتتبع إدارياً بلدية الخمس.

ويصف لنا سترابو الإقليم الذي به مدينة لبة بأنه يتكون من سهول تمتد بين الساحل و مواقع الجرمنت في جنوب الإقليم ، كما يتحدث عن بحيرات عظيمة ولكنها غير مرئية تجري تحت الأرض، ويشير كذلك إلى وجود سهول خصبة في منطقة خليج سرت.<sup>3</sup>

كما يتحدث هيرودوت عن خصوبة وادي كينيس Cinyps (وادي كعام) خاصة في إنتاج القمح بالقرب من مدينة لبة الذي يجري عبر أراضي قبيلة المكاي التي كانت تقوم برحلات موسمية خلال فصل الصيف من الساحل إلى الجبل ، كما تحدث عن تل الحسان (جبل مسلاته) وما تغطيه من أشجار.<sup>4</sup>

3 - جغرافية سترابون ، الكتاب السابع عشر، الفصل الثالث فقرة 19 ، المرجع السابق، ص113.



أما السهل الساحلي فهو شريط ضيق يمتد من لبدة الكبرى حتى خليج سرت، ويبلغ عرض هذا السهل من الشمال إلى الجنوب 150 كيلو مترو وطوله من الشرق إلى الغرب 350 كيلو متر، وهذه المنطقة الساحلية هي الأكثر كثافة سكانية بسبب وجود المياه الجوفية والواحات.

أما الهضبة الصحراوية وهي جنوب المنطقة الساحلية حيث يوجد بها أودية سوف الجين و زمزم و بي الكبير، وهي أودية ذات تربة خصبة وكانت تنتشر بها بساتين الزيتون وتعتبر حلقة وصل بين المنطقتين الساحلية و واحات الجنوب.

وإلى الجنوب من الهضبة الصحراوية نجد هضبة الحماده الحمراء التي تشكل حاجزاً طبيعياً يفصل إقليم الساحل في الشمال و واحات الجنوب في منطقة فزان، وهي عبارة عن صحراء صخرية تندر فيها المياه، و إلى الشرق من الحماده الحمراء تقع واحات الجفرة (هون - سوكنه - ودان - زلة - الفقهاء) و اوجله ، وهي تشكل حلقة وصل للعديد من الواحات حتى نهر النيل.<sup>5</sup>

أما جنوب الحماده الحمراء تقع المنطقة فيما بين أدري و مرزق ،حيث توجد ثلاث أحزمة من الواحات تكاد تكون متوازية ،تُكون إقليم فزان حيث قبائل الجرمنت الليبية.<sup>6</sup>

#### المناخ:

يسود الاعتقاد السائد بأن المناخ من أهم العوامل الجغرافية للساحل الشمالي من ليبيا و جنوب المنطقة الساحلية.

#### الأمطار:

الأمطار بصورة عامة قليلة بإستثناء المنطقة الساحلية ما بين الخمس و طرابلس ، حيث يصل معدل سقوط الأمطار إلى حوالي 300 ملم في السنة إلى جانب ذلك تعتبر هذه المنطقة من أكثر الأجزاء في الإقليم خصوبة، ويشمل هذا الإقليم حوض وادي كينيس الذي يشتهر منذ القدم بخصوبته.<sup>7</sup>

أما أمطار الهضبة الصحراوية فهي قليلة لا يزيد معدلها عن 100 ملم في السنة وهي غير كافية للنشاط الزراعي ،ومع ذلك أزدهرت الزراعة وخاصة بساتين الزيتون في كل من قرزة و سوف الجين و زمزم و بي الكبير.

وفي واحات الجنوب من غدامس حتى الجفرة ، معدل سقوط الأمطار لا يتجاوز 25ملم في السنة ، وتصل نسبة سقوط الأمطار إلى 10ملم في السنة في واحات فزان.

4 - هيرودوت ، الكتاب الرابع ،فقرة 198، ترجمة الدكتور محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2003م، الطبعة الأولى، ص ص 133 -134

5 - هيرودوت ، فقرة 181، المرجع سابق ، ص124.

6 - .5. 26. Nat ,Hist,Translated by H,Rackham,HUP,London1978, v. Pliny , كذلك هيرودوت، ، فقرة 183، المرجع سابق ، ص125.

7 - هيرودوت ، فقرة 198 ، مرجع سابق ،ص133.





### الحرارة:

يقول أرسطو إن ليبيا رملية وخالية من الرطوبة<sup>8</sup> إلى جانب أن المنطقة تقع تحت تأثير البحر والصحراء، حيث مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل، أما في الواحات الجنوبية يسود المناخ الصحراوي الذي تشتد فيه الحرارة نهاراً والبرودة ليلاً.

### الرياح:

الرياح التي تهب على المنطقة هي رياح شمالية غربية ممطرة ، ورياح القبلي التي تهب مع بداية شهر أبريل وحتى نهاية فصل الصيف والتي عادة ما تكون محملة بالأتربة و تؤدي إلى ارتفاع درجات الحرارة لتصل إلى 40 درجة على منطقة الساحل حيث لبدة.

### السكان:

تشير المصادر التاريخية ومنها هيروdot إلى أن ليبيا كان يسكنها في الشمال الليبيون وفي الجنوب الأثيوب<sup>9</sup>، ويؤكد أغلب الباحثين إلى أن اصل القبائل الليبية من شبه الجزيرة العربية، هاجروا لتحسين أوضاعهم بعد فترة الجفاف التي أصابت المنطقة منذ ما قبل التاريخ، ومن القبائل الليبية التي كانت تسكن منطقة لبدة قبل مجئ الفينيقيين إلى ليبيا قبيلة المكاي

### المكاي Macae :

قسم ديودورس سكان المنطقة الجنوبية من الأقاليم إلى ثلاثة أقسام ، مزارعون و رعاة و مجموعات أخرى تعيش على السلب والنهب، و المكاي من القبائل التي تتألف من هذه المجموعات الثلاث<sup>10</sup>.

ومن بين المجموعات القبلية التي تردد ذكرها في المصادر القديمة، والتي كانت تعيش في المنطقة قبل مجيء الفينيقيين وتمكنا من التعرف على أربع منها هي: النسامونيس و المكاي و الجرمنت و اللوتوفاجي.

إذن قبيلة المكاي كانت توجد في المنطقة قبل قدوم الفينيقيين وكان موطنهم إلى الغرب من النسامونيس ، وتمتد من مدبح الأخوين فيلاني حتى نهر كينيس (وادي كعام)<sup>11</sup>، وهذه القبيلة شاركت القرطاجيين في تدمير المستعمرة الإغريقية التي أسسها المغامر الأسبرطي الأمير دوريس عند نهر كينيس في سنة 514 قبل الميلاد بعد ثلاث سنوات من تأسيسها.

ويذكر المؤرخ بليني أن موطن قبيلة المكاي يقع ما بين موطن قبيلة النسامونيس و موطن قبيلة الأمانتس<sup>12</sup>، ونعتقد أن موطن قبيلة المكاي أمتد إلى جنوب المنطقة الساحلية في أودية الهضبة الصحراوية سوف الجين و زمزم و بي الكبير، ويؤكد سكيلاكس ذلك عندما ذكر أن المكاي رعاة ينتقلون مع قطعانهم

8 - عبدالرحمن بدوي، (ليبيا في مؤلفات أرسطو) مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث '1998، ص134.

9 - هيروdot ، فقرة 197 ، مرجع سابق، ص133. و كذلك علي فهمي خشيم ،نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر ،الطبعة الثانية، طرابلس1975م، ص ص 69 -70.

10 - Diodorus , Siculus .Historia,III ,L.C.L.Cambridge,1953, p 49

11 - هيروdot ، فقرة 175 ، مرجع سابق ، ص120.

12 - علي فهمي خشيم ، مرجع سابق ، ص108.



ومواشيهم بعيداً عن الساحل إلى الجنوب خلال فصل الصيف<sup>13</sup>، كما كان المكاي يعرفون على الساحل بالسررتيين<sup>14</sup>.

وكانوا يقطنون عند منبع نهر كينيس في الداخل<sup>15</sup> بينما يقول روبروفا<sup>16</sup> بأن الأدلة تشير إلى وجود المكاي في منطقة جولاً Jola (أبونجيم) وهي تأتي في جنوب المنطقة الصحراوية التي تقع بها أودية سوف الجين و زمزم و بي الكبير.

ويصف ديودورس الصقلي المكاي بكثرة عددها، وأنها تفوق القبائل الليبية الأخرى عدداً، و تتألف من مجموعة من العشائر نذكر منها على سبيل المثال توتامي و الكنيقي، كما تطرق سيلبيوس بأن لهما جنود في جيش هانيبال وأنها من المكاي.

### سكان الواحات الجنوبية :

سكان واحات الجنوب هم الجرمنت أو الجرمنتس Garments قبائل ليبية صحراوية كثيرة العدد تُعدُّ من أقدم الذين سكنوا منطقة إقليم فزان، عاشوا وسط الصحراء وفي أماكن صعبة، وفرضوا سيطرتهم على مناطق واسعة من الصحراء الكبرى. ولقد أشار هيرودوت إلى الجرمنت ضمن حديثه عن القبائل الليبية<sup>17</sup> ويقال أنهم بعد أن فشلوا في الاستيطان بوادي النيل ومهاجمة الجيش المصري لهم أتجهوا إلى فزان لسبب غير معروف، حيث وجدوا فيها واحات غنية بالمراعي وجبال غنية بالمعادن<sup>18</sup>، ويعتقد حسب ذلك أن أول ظهور لهم كان بواحات فزان حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، وهناك رواية تقول أنهم من شعوب البحر الأبيض المتوسط، ونزلوا بالساحل الليبي حتى طردهم الفينيقيون إلى الجنوب في القرن الثامن قبل الميلاد.<sup>19</sup>

كما يروي عدد من المؤرخين أن الفلسطينيين الذين هاجروا من بلادهم بعد أن تغلب داوود ملك اليهود على جالوت، قد هاجروا من أوطانهم إلى مصر عبر سيناء، إلا أن المصريين لم يرحبوا بهم، فأتجهوا غرباً عبر واحة سيوه إلى ليبيا حيث أستقرت مجموعة منهم في واحات فزان وهم الذين عرفوا بالجرمنت<sup>20</sup>.

13 – Scylax ,Caryandensis ,Periplus ,Geographici ,Gracci, Paris,1882,x .p 109

14 - يمكن أن تكون التسمية نسبة إلى خليج سرت الكبير.

15 – Scylax ,C,Geog , op.cit, P .iv .3.6

16 - روبروفا : عالم آثار فرنسي قام بالعديد من الحفريات الأثرية في حصن أبونجيم (جولاً) خلال فترة السبعينات من القرن الماضي وحتى سنة 1980م، وله العديد من البحوث المنشورة عن هذه الحفريات في مجلة ليبيا القديمة وكذلك كتاب بعنوان : شقاف أبونجيم.

17 - هيرودوت، الفقرة 174، مرجع سابق، ص ص 119-120.

18 - محمد سليمان أيوب ' جرمة في عصر أزدهارها 100 ميلادي إلى 450 ميلادي، مجلد ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية 1968، ص155.

19 - محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراطي، طرابلس ليبيا، ب.ت، ص ص132-133.

وذلك، رجب عبدالحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط1، ، 1914،p257.، Oric Bates, Eastern Libyans, London, 20 - دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1989م، ص213



ويقول هيرودوت أن الجرمنت كانوا يسكنون في واحات فزان وأنهم كانوا يقومون بأصطياد من سماهم الأثيوبيين (تروجلودي) في عربات تجرها أربعة خيول، كما يصنفهم إلى مزارعين ورعاة.<sup>21</sup>

وتقع عاصمتهم في غرب وادي الأجال وهو وادي يمتد مسافة مائتي كيلو متر غرب مدينة سبها و يحده شمالاً صحراء أوباري وجنوباً حمادة مرزق وتقع مدينة جرمة وسط الوادي ويحيط بها سور من قوالب اللين، وموقعها الجغرافي على أطراف الصحراء الكبرى جعل منها نقطة وصل بين الشمال وأواسط أفريقيا، ويقول ديفيد ماتتقلي الذي استفاد في حفرياته بمنطقة جرمة من تقنية الأقمار الصناعية إن عاصمة الجرمنت جرمة التي تقع في منطقة وادي الأجال كانت تقع في منتصف طرق القوافل العابرة للصحراء<sup>22</sup>. وبذلك يبدو أن مدينة جرمة منذ تأسيسها صممت كمدينة تجارية .

### تأسيس لبة :

يقول ديورانت إن فن الملاحة أرتقى عند الفينيقيين حتى أنهم بدأوا يسترشدون بالنجم القطبي<sup>23</sup>

من هنا يتضح لنا أن الفينيقيين كانت لهم مهارة فائقة في ركوب البحر والملاحة مما جعل لهم الريادة في هذا المجال والوصول إلى المناطق التي أستطاعوا أن يبنوا لهم فيها علاقات تجارية مع سكانها وخاصة في الشواطئ الغربية للبحر الأبيض المتوسط وشمال ليبيا.

وتشير الحفريات الأثرية إلى أن الفينيقيين أنشأوا مراكز ومحطات تجارية خلال القرن الثامن قبل الميلاد على الساحل الغربي من ليبيا وتعتبر لبنتس ماجني من أهم هذه المراكز والمحطات البحرية التي أسسها الفينيقيون .<sup>24</sup>

وحول هذا الموضوع يقول الشاعر الروماني سيليوس أتاكيلوس من القرن الأول ميلادي أن مهاجرين من صور قد أنشأوا لبة.<sup>25</sup>

بينما المؤرخ سالوست من القرن الأول قبل الميلاد تحدث عن مهاجرين من مدينة صيدا اضطروا إلى الفرار من وطنهم نتيجة لصراعات داخلية إلى غرب البحر الأبيض المتوسط وقد أنشأوا لبة.<sup>26</sup>

وعندما بدأت رحلة الفينيقيين إلى السواحل الليبية كانوا يبحثون عن أماكن يستطيعون أن يرسوا بها سفنهم وينزلون بها بضائعهم حتى يتمكنوا من تحقيق أغراضهم التجارية، فبدوا بتأسيس مراكز ومحطات تجارية تبعد عن بعضها البعض مسافة ثلاثين كيلو متر وكانوا يبحرون بالقرب من الشواطئ للاحتماء من العواصف البحرية، ولكي يأخذ المجدفين قسط من الراحة، و صيانة سفنهم و التزود بحاجتهم من المؤن والماء.

21 - هيرودوت ، الفقرة 183 ، مرجع سابق ، ص125 .

22 - David J Mattingly and et al, The Archaeology of Fazzan ,volume I, synthesis , published by the department of antiquities , Tripoli , the Society for Libyan studies, London , 2007. Pp445 -460

23 - وول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد بدران ، جامعة الدول العربية،1953، ص310.

24 - حفريات جامعة بنسلفانيا الأمريكية 1960 – 1961م، في مدينة لبة تحت المسرح الروماني .

25 - Silius Italicus ,punica ,translated by Duff,j,d,vol.i,BK.III.London.1961,p397.

26 - Sallust, The Wer with Jugurtha , translated by Rolfe, J.C.,Ch., London , 1920 ,p. 78



ونتوقع بأن لبدة أنشئت بعد فترة من تأسيس قرطاجة في سنة 814 قبل الميلاد<sup>27</sup> ، وتحت زعامة هذه المدينة، ويحتمل أن الأستقرار الفينيقي في الساحل الغربي من ليبيا وفي لبدة خاصة كان بعد محاولة الإغريق الإستيطان في نهر كينيس (وادي كعام) بالقرب من لبدة في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، حيث نزلت مجموعة من الإغريق بقيادة داريوس (Darius)<sup>28</sup> ، لاستعمار بعض المناطق من خليج سرت سنة 517 قبل الميلاد، وقد أسس داريوس عند نزوله بوادي كينيس مستعمرة عرفت باسم سينبس<sup>29</sup> ، ويشير هيرودوت إلى أن القرطاجيين تمكنوا بمساعدة قبيلة المكاي الليبية بالمنطقة من مهاجمة المستعمرين الإغريق الجدد وطردهم بعد ثلاث سنوات من تأسيس هذه المستعمرة<sup>30</sup>.

لقد ظهرت مدينة لبدة كمرفأ طبيعي أسس عنده الفينيقيون مدينة لببتيس ماجنا Liptis Magna في نهاية القرن السابع قبل الميلاد و أسمها الصحيح لفيقي، وأول ذكر لهذا الاسم الفينيقي ورد في العملات الفينيقية في القرن الأول قبل الميلاد، سميت باللاتيني لبكيس وكانت المدينة معروفة عند القرطاجيين باسم لبكي، وقد حرفها اليونانيون إلى لبشس وبقت هذه الكلمة مستعملة إلى القرن الثالث قبل الميلاد، ثم أطلق عليها اليونانيون اسم نيبولس Neapolis أي المدينة الجديدة<sup>31</sup>. ومما يؤكد أن الفينيقيون أستقروا في لبدة في وقت متأخر الأثار القديمة التي تم أكتشافها تحت المسرح الروماني بالمدينة والتي يرجع تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهي عبارة عن قطع من الفخار من النوع المعروف بالطراز الكورنثي الذي كان يجلب من مدينة كورنثة وهو من اللون الأسود اللامع الجيد. وقد يكون السبب الرئيسي لإنشاء لبدة هو تزويد السفن الفينيقية بالمؤن والماء، إلى جانب موقعها كحلقة مع منتجات أواسط أفريقيا من الذهب والعاج، كما إن الأقليم كان غنياً بالنعام الذي كان ريشه وبيضه من السلع المهمة التي يتسابق على اقتنائها رجال الطبقة الأرسقراطية في العالم القديم وكذلك الأحجار القديمة ومن أهمها العقيق الذي أطلق عليه الإغريق الحجر القرطاجي<sup>32</sup> ولم تواجه الفينيقيون أي مشاكل مع السكان المحليين عند نزولهم إلى الشاطئ الليبي وربما يرجع ذلك إلى أحتمالين:

الاحتمال الأول: إن السكان المحليين من القبائل الليبية بدو مع قطعان ماشيتهم بالمناطق الداخلية، ونعتمد في ذلك على ما ذكره سكيلاكس بأن قبائل المكاي بمنطقة لبدة كانت شعباً يعيش على الرعي، ويتنقلون مع قطعانهم ومواشيهم بعيداً عن الساحل إلى الجنوب، وخلال فصل الصيف حيث تتوفر المياه<sup>33</sup>.

27 - الاسم الفينيقي لقرطاجة هو ( قرت حدثت)، ويعني المدينة الجديدة ، أما الاسم اللاتيني لتلك المدينة هو Carihago وعرفت عند الإغريق باسم ديدو ، غير أن تاريخ تأسيس هذه المدينة لا يزال يكتنفه الغموض ، وذلك للتضارب الكبير بين ما أشارت به المصادر الكلاسيكية و المخلفات الأثرية ، حيث يذكر الكلاسيكيون أن تشييدها يسبق بنحو ثمانية وثلاثين عاماً على إقامة الإغريق للألعاب الأولمبية التي تمت عام 776 ق. م. ، وطبقاً لهذا ، فإن تاريخ التشييد يرجع لعام 814 ق.م. ، والذي يتعارض مع أقدم الأثار الفينيقية التي عثر عليها بقرطاجة ، والتي يرجع تاريخها لعام 750 ق.م. للمزيد راجع رشيد الناصوري ، المغرب القديم ، القاهرة ، 1966، ص 164 وما بعدها.

28 - داريوس ابن ملك أسبرطة عندما طرده القرطاجيون والمكاي ، عاد إلى موطنه جزيرة البلبونيز بعد أن فشل في تأسيس ملك له في ليبيا ، ولكن الأسبرطيين تجاهلوه ولم يتخذوه ملكاً لهم .

29 - أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الأول ، تونس ، 1959، ص 143.

30 - كما هاجم الإغريق المنطقة مرة ثانية في عهد البطالمة خلفاء الأسكندر المقدوني، بقيادة أوفيلاس Ophellas حاكم قورينا في سنة 309 قبل الميلاد، وتمكن القرطاجيون من القضاء على أوفيلاس الذي كان جيشه عبارة عن مستعمرة متنقلة ، لأن عدد كبير من النساء و الأطفال كانت تتبع الجند.

31 - محمد الصديق أبو حامد، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس، مجلد ليبيا في التاريخ، مرجع سابق، ص 124.

32 - محمد الصديق أبو حامد، المرجع نفسه، ص ص، 117-138.

33 - Scylax. Caryandensis, Periplus, Geographici, Paris, 1892, p109



الاحتمال الثاني : أن الفينيقيين ليسوا غرباء على السكان المحليين حيث يجمعهم الجنس السامي العربي، كما مر بنا سابقاً بأن أصل الليبيين من شبه الجزيرة العربية، و بذلك تقبلوا المهاجرين الجدد إلى جانب الفائدة الاقتصادية المتبادلة. ويعتبر العصر الفينيقي في شمال أفريقيا مكملاً للتاريخ الفينيقي في الشرق، وكان يمثل مرحلة توسع اقتصادي خارجي في ميادين جديدة على فينيقي الشرق كما لم يتوغل إلى الداخل ولم يحصل اندماج مع الليبيين، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الفينيقيين البحرية، إلا أننا نرى مجموعة من الليبيين خدموا في جيش هانيبال. ونرى أن الفضل يرجع إلى الفينيقيين في تحويل بعض السكان الليبيين من حياة البداوة إلى حياة المدنية والاستقرار في لبدّة ومدن الساحل الغربي من ليبيا.

### الأوضاع الاقتصادية في لبدّة في العصر الفينيقي القرطاجي:

أهتم سكان منطقة لبدّة بتربية الأغنام والمواشي حيث ذكرت المصادر التاريخية أن قبيلة المكاي المستقرة بالمنطقة كانت تعيش على الرعي<sup>34</sup>، و مما لا شك فيه أن الموقع الذي أنشئت فيه مدينة لبدّة كان ميناءً طبيعيًا ويصلح تحويله إلى ميناء تجاري وهو مصب وادي لبدّة، ما جعل موقع المدينة الفينيقية مركزاً مهماً لتجميع المواد التجارية والزراعية، كما أن المنطقة التي أقيمت فيها لبدّة تمتاز بوفرة المياه الصالحة للشرب، ولهذا السبب أخذها الفينيقيون مركزهم الإداري عند استقرارهم في ليبيا. ولقد مر بنا أن سبب تواجد الفينيقيين في الساحل الليبي وتأسيسهم مراكز ترسو عليها سفنهم و هم في طريقهم إلى إسبانيا لأغراض تجارية، ويُعدّ الفينيقيون الذين كانوا يعتمدون على التجارة من أمهر التجار الذين عرفتهم منطقة البحر الأبيض المتوسط، إلى جانب ذلك كانت مدينة لبدّة وبقية المدن على الساحل الغربي الليبي تعتمد على تربية المواشي إلى جانب الزراعة .

### الزراعة :

كانت الزراعة في المركز الأول بالنسبة للنشاط الاقتصادي في مدينة لبدّة، نتيجة موقع هذه المدينة في منطقة زراعية خصبة عند نهر كينيس ، رغم أن هذه المدينة نشأت كمرفأ تجاري على شاطئ البحر، كما كان الفينيقيون من أمهر الزراع في العصور القديمة لأن طبيعة بلاد الفينيقيين ومواردها جعلتهم يعتمدون على الزراعة والقوة البدنية في زراعة الحبوب إلى أن أدخلوا المحراث، ولقد أستثمر الفينيقيون مساحات شاسعة حول وادي كينيس الذي كان إنتاج البذرة فيه كما يقول هيرودوت تنتج ثلاثمائة ضعفها<sup>35</sup> ، بعد أن أدخلوا عليها تحسينات ناجحة بوسائلهم الجديدة، و من هذه الوسائل توجيه الإنتاج كالتركيز على محصول واحد وقد أستخدموا الأدوات المعدنية التي جلبوها معهم وذلك لمعرفتهم بمعدن النحاس والبرونز<sup>36</sup> وكان الزيتون هو المحصول الذي أهتم به الفينيقيون في لبدّة وأعتنوا بغرسه، ونتيجة لاستعمالات زيت الزيتون وأهميته فقد كان الإقبال عليه شديد، حيث يعتبر سلعة رائجة في أسواق العالم القديم، وبذلك كان من أهم المصادر الاقتصادية في لبدّة، كما أنهم أدخلوا زراعة الأشجار المثمرة الأخرى المهمة والملائمة لمناخ إقليم المنطقة كشجرة الرمان والخوخ والتين والكروم واللوز، كما استفادوا من مياه الأمطار وتخزينها في صهاريج أعدت لذلك<sup>37</sup>، وعثر على بعض من أثارها في مدينة

34 - Scylax,op,cit,p109

35. - هيرودوت،فقرة 198، مرجع سابق ، ص133.

36 - محمد الصديق أبو حامد ، الحضارة الفينيقية في طرابلس ، مرجع سابق، ص132.

37 - هذا الأسلوب تناوله العالم القرطاجي في مجال الزراعة ماجون في بحوثه الأستفادة من مياه الأمطار في الري عند الحاجة إليها في غياب الأمطار.



لبدة ، وأقاموا عليها مشاريع للري ولقد تم اكتشاف خزان فينيقي بالقرب من وادي كينبس<sup>38</sup>، وقد أدى الاهتمام بالزراعة والتوسع في استصلاح الأراضي وتطوير و تحسين المعدات الزراعية والاستفادة من أسلوب ماجون في حفظ مياه الأمطار، إلى زيادة الإنتاج الزراعي وأزدهار مدينة لبدة اقتصادياً، ونلاحظ ذلك من خلال الجزية الباهظة التي فرضها يوليوس قيصر على لبدة بعد أنتصاره في معركة ثابوس وقيمتها 3 ملايين رطل من زيت الزيتون ، ولم يتوقف استغلال الفينيقيين على المناطق الساحلية بل تعداه إلى مناطق الوديان بالهضبة الصحراوية حيث تم العثور على حوالي اثنين وثلاثين قطعة من المسكوكات القرطاجية البرونزية في إحدى المواقع الأثرية بوادي سوف الجين، وهذا دليل مادي على استغلال منطقة الأودية منذ بداية العهد الفينيقي بليبيا حيث كانت زراعة القمح والشعير المعتمدة على مياه الأمطار أي الغير مروية، ولقد استخدم القرطاجيون العبيد في الزراعة إلى جانب السكان المحليين كمستأجرين.

### الثروة الحيوانية:

يعتبر الرعي من الأعمال المهمة التي أشغل بها الليبيون في المنطقة ، فقد ذكر هيرودوت أن ليبيا تتميز بتربية الأغنام<sup>39</sup> والتي يقول عنها هوميروس بأنها تلد ثلاث مرات في العام<sup>40</sup> . ونتيجة للمراعي الشاسعة في منطقة جنوب سهل لبدة حيث الهضبة الصحراوية التي تتخللها أودية سوف الجين زمزم ووادي بي والتي كانت إلى جانب خصوبة أراضيها منطقة مراعي جيدة، فأهتم السكان بتربية الأغنام والمواشي وتوجد صهاريج لتخزين مياه الأمطار في هذه المنطقة استغلت لسقاية الحيوانات، وبعض هذه الصهاريج لازال بحالة جيدة حتى الآن، كما ذكر لنا هيرودوت أن قبائل المكاي المتواجدة بمنطقة لبدة كانت شعباً يعيش على أفضل الأراضي في أنتاج الحبوب<sup>41</sup> ويعتمدون على ثروتهم الحيوانية التي كانت تتميز بجودة صوفها وكثرة أعدادها. كما أهتم الفينيقيون في المدينة بتربية الأغنام التي كانت تقدم كقرابين للآلهة ملك عشتارت Milk Ashtart وكذلك الآله شادرفا Shadrafa<sup>42</sup> من أجل مساعدتها حيث وجدت بقايا هذه القرابين في معابد الآلهة في الإقليم ، يعتقد بعض الباحثين أن حرفة الرعي تناقصت خلال العصر الفينيقي بسبب الأهتمام بالتجارة والزراعة .

### الصناعة:

إلى جانب الزراعة والثروة الحيوانية أقام الفينيقيون بعض الصناعات التي تتوفر موادها الأولية، ولقد مر بنا أن مدينة لبدة تشتهر بكثرة أشجار الزيتون وبذلك أقام الفينيقيون صناعة الزيت عن طريق معاصر استخراج الزيت من حب الزيتون ، ولقد تم العثور على بقايا هذه المعاصر بالمنطقة ، كان من بينها مصنع يضم تسع معاصر حيث يقدر إنتاجها بحوالي مئة ألف لتر في السنة<sup>43</sup> . كما أهتموا بصناعة الخمر التي كانت قبيلة النسامونيس الليبية تقوم بتهيئه ومبادلته بسلفيوم قورينا في سوق خاراكس (سلطان) 50 كم شرق مدينة سرت<sup>44</sup> كما عثر على عدد من الخوابي والجرار التي كانت تستعمل في

38 - مجلة ليبيا القديمة ، أخبار الاكتشافات الأثرية، المجلد الأول، منشورات مصلحة الآثار، ب ت ، ص 32

39 - هيرودوت ، فقرة 155، مرجع سابق ، ص 108.

40 - Home, Odysea, L.CL. ,iv, 85 ff

41 - هيرودوت ، فقرة ، 198، مرجع سابق ، ص 133 .

42 - شادرفا عند الفينيقيين هو إله الخصب والعالم السفلي، كما يدل اسمه على أنه إله الشفاء، للمزيد من المعلومات أنظر عبدالحفيظ فضيل الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ، طرابلس 2001 ، ص 212 وما بعدها .

43 - محمد سليمان أيوب ، جرمه في عصر ازدهارها ، مرجع سابق، ص 18.

44 - سترابون ، فقرة 20 ، مرجع سابق ، ص 114 .



حفظ ونقل الحبوب والسوائل (الزيت والخمر) يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وحتى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، كما توجد صناعة الهاروما في لبدة<sup>45</sup> وهي عبارة عن تمليح السمك وتجفيفه<sup>45</sup> كما تشير المخلفات الأثرية في منطقة الدراسة إلى وجود صناعة الأرجوان التي اشتهر بها الفينيقيون والنسيج والزجاج والسفن.

### التجارة:

لقد مر بنا أن الفينيقيين عندما ركبوا البحر وأتجهوا إلى الساحل الغربي من ليبيا وأنشأوا مراكز تجارية لهم تم تطورت إلى مدن كان هدفهم تجاري، ولقد لعبت التجارة دوراً مهماً في حياة الفينيقيين، وكانت سياستهم الاقتصادية تهدف إلى فتح الأسواق بالقوة أو بعقد المعاهدات ومنها المعاهدة التي أبرمت مع الرومان سنة 509 قبل الميلاد وجددت في سنة 348 قبل الميلاد ترمي إلى تحريم الملاحة الأجنبية من الأقطاب من السواحل الليبية، وبهذه المعاهدة تكون قرطاجة قد احتكرت الملاحة في حوض البحر المتوسط، مع منع السكان الليبيين من التعامل مع الشعوب الأخرى، وأسس الفينيقيون أبراج ومراكب كثيرة لمراقبة جميع السفن الأجنبية التي كانت تحاول الإبحار إلى الشواطئ الليبية، كما فرضت على مدينة لبدة ضرائب باهضة، يقول المؤرخ ليفي كانت قيمتها تالنت Talent أي ما يعادل 240 جنيه إسترليني، إلى جانب ضريبة أخرى نوعية عن الرسوم الجمركية التي فرضتها قرطاجة على الواردات والصادرات<sup>46</sup>. كما تشير النقوش التي عثر عليها في لبدة إلى صنف من القضاة يسمى محزم أي الجابي أو المحصل وكان من مهامه الرئيسية تحصيل الغرامات وجمع الضرائب، وكان هذا الجهاز الإداري يتولى الإشراف على جميع أنواع الضرائب، وقد اشتغل سكان المدن الفينيقية على الساحل الليبي ومنها لبدة الكبرى بالتجارة في المنتجات الزراعية وخاصة زيت الزيتون كما تاجروا ببيض وريش النعام الموجود بالمنطقة، حيث كان بيض النعام يستخدم في تزيين مداخل البيوت الفينيقية وقد اعتبروا أن لوجود البيض قرب أبواب المنازل أثره الحسن في إبعاد العين الشريرة والحاسدة، وكان الفينيقيون يرسمون على قشور بيض النعام صورة عين بواسطة صباغ الحنة والأرجوان<sup>47</sup>. كما كانت هناك سوق سرية في مدينة خاراكس شرق سرت يتم فيها تهريب الخمر من لبدة عن طريق قبيلة النسامونيس الليبية ومبادلته بالسلفيوم القوريني. ويتضح لنا أن تجارة الفينيقيين الذين استقروا في مدينة لبدة وبقية مدن الشاطئ الليبي الأخرى كانت تعتمد على أسلوب المقايضة في عملية البيع والشراء مع السكان المحليين الذين كانوا يتعاملون معهم إلى أن استعملوا السبائك والنقود الأجنبية وهذا ما رواه هيرودوت من أن الفينيقيين قالوا بأن هناك مكان ما في ليبيا حيث يعيش قوم خلف أعمدة هرقل يأتون إليه ويفرغون بضائعهم، وبعد وضعها بنظام على الشاطئ يذهبون إلى ظهور سفنهم ويوقدون نار ذات دخان فيرى الليبيين الدخان فيأتون إلى الشاطئ البحر ويضعون على الأرض ذهباً للبضائع وينسحبون بعيداً عنها، ثم يهبط الفينيقيون إلى شاطئ البحر ويتأملون الذهب، فإذا بدأ الثمن مرضي أخذوه ومضوا في سبيلهم وإن لم يكن كذلك ذهبوا ثانية إلى ظهور سفنهم ينتظرون ويعود الأهالي ويزيدون الذهب حتى يرضى التجار الفينيقيون، كما يقال بأن الثقة بين الطرفين كانت قائمة، أي لا يخدع أي فريق منهما الآخر، فالفينيقيون لا يأخذون الذهب حتى يعادل قيمة سلعهم كما أن الأهالي لا يمسون البضائع حتى يأخذ التجار الفينيقيون

45 - عبدالحفيظ فضيل الميار، مرجع سابق، ص 175.

46 - عبداللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، دار الصياد، بيروت 1971، ص 208، 209.

47 - جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1998، ص 199.



الذهب.<sup>48</sup> مما سبق يتبين لنا أن حركة تجارية رائجة بين الليبيين والتجار الفينيقيين الذين كانوا يمرون على السواحل الغربية من ليبيا وبأنه لم يكن هناك اختلاط أو لقاء مباشر مع السكان الليبيين أثناء عملية البيع والشراء وربما يرجع ذلك إلى احتفاظ القرطاجيين بطبيعتهم الفينيقية الأولى وهي الطبيعة البحرية، ولم يستخدم القرطاجيين عملة خاصة بهم إلا في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. كما نمت تجارة الفينيقيين على الساحل الليبي الذي كان مركزاً مهماً للوصول إلى منتجات بلاد الأثيوب (أواسط أفريقيا) ولقد كانت لبدة من أهم المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون لهذا الغرض .

### العلاقة التجارية مع الواحات الجنوبية :

إلى الجنوب من الهضبة الصحراوية لسهل لبدة توجد واحات الجنوب ومن منطقة الساحل الليبي إلى هذه الواحات منطقة صحراوية كبيرة، تتكون من بحار من الرمال شبه عديمة الأمطار وقليلة المياه ، هذه الصحراء فصلت بين مناطق الحضارات القديمة التي قامت على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ومناطق المواد الخام في أواسط أفريقيا، وقد عمل الإنسان منذ القدم على اجتياز هذه العقبة عن طريق السفر بالقوافل، وأنسب مكان لعبور الصحراء يبدأ من المواني الليبية الواقعة على خليج سرت الكبير، ولبدة إحدى المواني التي تخرج منها القوافل مخترفة الصحراء، لقصر المسافة بين هذه المواني وأواسط أفريقيا، كما تجمعت فيها البضائع المختلفة التي تأتي من أواسط أفريقيا وكانت قبائل الجرمنت المسيطرة على الجنوب الليبي وقبيلة المكاي التي تقيم على الساحل حيث مدينة لبدة من يسيطران على تجارة القوافل الصحراوية بين الشمال والجنوب ، حيث سلك التجار الليبيين في تلك الفترة عدة طرق من جرمة لنقل البضائع عبر الصحراء حتى تصل إلى مدينة لبدة ومنها:

الطريق الذي يسير شرقاً إلى وادي الأجال تم إلى سبها ومنها إلى دبدب بوادي الشاطئ، ومنها عبر وادي زمزم إلى جزا (قرزة) تم إلى لبدة<sup>49</sup> . ومن خلال زيارتي لمنطقة الهضبة الصحراوية جنوب سهل لبدة شاهدت الآثار التي لا تزال شاهد على هذا الطريق ومنها صهاريج المياه ونقاط المراقبة على قمم جبال وادي قرزة و زازمت و وادي بي الكبير ، ونعتقد بأن هناك طريق من لبدة إلى قرزة وادي زمزم، إلى ماجن العتق<sup>50</sup> وقارة سرسي<sup>51</sup>، إلى أبونجيم ومنها إلى وادي ونزف و وادي رواوص و وادي نينة ومنها إلى سوكنة بواحات الجفرة و سبها عبر جبال السودان ومحطتها الأخيرة جرمة ، وذلك لوجود آثار في هذه المناطق تتمثل في أبار جوفية على مسافات قريبة وصهاريج للمياه على طول هذا الطريق، ولقد مر بنا أن قبيلة المكاي كانت متواجدة في منطقة وين (أبونجيم) ، كما يؤكد الدكتور عبدالحفيظ الميار وجود هذا الطريق ولكن بدون الإشارة إلى المواقع التي ذكرتها(لبدة - أبونجيم - سوكنة - مرزق)<sup>52</sup>

أما أشهر الطرق التي تربط جرمة بأواسط أفريقيا هي:<sup>53</sup> - جرمة - زويلة - الكفرة - إنيدي - إلى مورو في السودان.

## 2 - جرمة - القطرون - فايا لارجو - تشاد .

48 - علي فهمي خشيم ، مرجع سابق،ص96.

49 - محمد سليمان أيوب ، مختصر تاريخ فزان، المطبعة الليبية ، طرابلس، ص49.

50 - ماجن العتق، في صحراء أبونجيم يوجد به ماجن وصهريج للمياه جنوب غرب أبونجيم 50كم.

51 - سرسي ، مرتفع جبلي يقع إلى الغرب من أبونجيم بمسافة 28كم يوجد بها قصر وصهريج مياه.

52 - عبدالحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العظمى، 2001، ص187.

53 - عبد اللطيف محمود البرغوثي، مرجع سابق، ص320.





3 - جرمة - قصر مارا - شرابا - إلى كوار على نهر النيجر .

4 - جرمة - أمسك - نهر النيجر. وبذلك نفهم أن جرمة كانت مركز مهم تتجمع فيه منتوجات أواسط أفريقيا تم تنقل عبر الصحراء إلى المراكز الساحلية بواسطة التجار الليبيين حيث تباع إلى التجار الفينيقيين مقابل المواد التي كانوا يجلبونها معهم.<sup>54</sup>

وكانت هذه الطرق تتميز بقرب مناطق المياه من بعضها البعض، حيث كان التزود بمياه الشرب مشكلة كبيرة للتجار قبل ظهور الجمل، لأن أي حمل للمياه سيكون على حساب حمولة البضائع التي يسعى التجار إلى زيادتها لا إلى تقليصها من أجل المياه، وكذلك على حساب سرعة السير، كما كان لكثرة العيون والأبار بهذه الطرق ميزة كثرة حيوانات الصيد كالغزال و الودان و الأرانب البرية حيث ساهمت في حل جزء من مشكلة التموين لرجال القوافل والمسافرين.<sup>55</sup> وكان يقوم على حراسة هذا الطريق نقاط عسكرية محصنة، وكانت هذه النقاط في العادة حصون لها سور مرتفع له أبراج و بوسط الحصن بئر للشرب، وكانت القلعة تشرف على وادي وهذا الوادي في الغالب يستعمل كمخزن لماء المطر عن طريق الصهاريج كما كان يستعمل كمرعى لحيوانات النقل، ولقد شاهدت خلال زيارتي لمنطقة قرزة هذه الحصون على قمم جبال وادي قرزة، ولقد أستقرت حول هذه الحصون العسكرية بعض العائلات من القبائل الليبية التي كان لها دور كبير في تجارة القوافل، حيث كانت تبيع وتشتري من القوافل المارة بعض ما يحتاجونه، ولتأكيد ذلك نعتقد بأن مدينة جرزا (قرزة) نشأت بمرور الزمن حول هذه الحصون. ولقد دلت الحفريات الأثرية في المنطقة الغربية من ليبيا على أنه كان يوجد مركز تجاري خاص بالفينيقيين أيام المواسم التجارية منذ القرن الثامن قبل الميلاد في كل من لبد و صبراتة<sup>56</sup>. وتشير الأدلة الأثرية إلى أنه كان هناك عمليات تبادل تجارية في بعض السلع الصناعية مثل الأواني السوداء الزجاجية التي عثر عليها في مقابر جرمة ويعود تاريخها إلى فترة سابقة للعصر الروماني بالمنطقة إلى جانب تجارة العبيد<sup>57</sup>، الذي نعتقد أنها كانت موجودة منذ القدم حيث ذكر هيرودوت أن الجرمنت كانوا يطاردون سكان الكهوف الأثيوبيين بالعربات التي تجرها أربعة خيول لأن سكان الكهوف الأثيوبيين أسرع في الجري من جميع البشر الذين سمعنا حولهم الروايات<sup>58</sup>،

كما يتحدث بليني عن تجارة الحجر القرطاجي (الكربونكل) والذي عثر عليه في المواقع الجرمنتية في مناطق الجنوب وهو نوع من العقيق الأحمر كانت تحمله القوافل التجارية إلى المدن الساحلية.<sup>59</sup>

ومن المواد التي شملتها تجارة القوافل عبر الصحراء الزمرد والفراء و ريش النعام و الأخشاب وخاصة الأبانوس والذهب الذي يأتون به من النوبة أو النيجر و جلود الحيوانات و الحيوانات المفترسة و العاج المستخرج من أسنان الفيل والذي أستخدم في أغراض مختلفة حيث صنعوا منه أواني الشرب و المراود العاجية وتمائيل الآلهة و يزينون به الخيول وكان من الكماليات المرغوب فيها في منطقة شمال

54 - مصطفى كمال عبدالعليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي 1966، ص27.

55 - Herodot, ii, 32

56 - محمد الصديق أبوحامد، مجلد ليبيا في التاريخ، مرجع سابق، ص 121, 122.

57 - رشيد الناصوري، المغرب الكبير، الجزء الأول، العصور القديمة، الإسكندرية 1966، ص213.

58 - هيرودوت، الكتاب الرابع، فقرة 181، مرجع سابق، ص

59 - . 174 . Pliny ,Nat, Hist, v , 37, 923104 وكذلك سترابو، فقرة 19، مرجع سابق .



الصحراء<sup>60</sup> ، وقد عثر بالمنطقة على نقوش تكرس أسنان فيل للإلهة الحارسة<sup>61</sup> ، وكان الفيل يعيش في الطرف الشمالي من الصحراء الليبية ، كما أستخدم القائد القرطاجي هانيبال مجموعة من الفيلة في جيشه الذي حارب به روما، وهذا دليل على أن القرطاجيين أستوردوا الفيلة من واحات جنوب عبر القبائل الليبية التي كانت تسيطر على تجارة القوافل.

ولأهمية تجارة العاج أتخذت لبدة الفيل كرمز لتجارته، كما تم أكتشاف أثري في سوق المدينة لتمثال فيل من الرخام في سنة 1931 ميلادي في شارع النصر بين قوس الإمبراطور هادريان وقوس تيبيريوس ، ويعتقد أنه كان شعاراً لأحد تجار المدينة أيام العهد الروماني ، مما يدل على أن التجارة المتعلقة بالفيل ضلت منتشرة حتى عندما خضعت لبدة للاحتلال الروماني بعد سقوط قرطاجة في سنة 146 قبل الميلاد.<sup>62</sup> ولقد عثر على شواهد أثرية تدل على عمليات أستيراد واسعة قامت بها مدن الإقليم وخاصة لبدة، حيث عثر في المقبرة البونية التي تم أكتشافها تحت مسرح مدينة لبدة الكبرى على مجموعة من الأواني الفخارية من النوع الايطالي المعروف بالكمباني يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد.<sup>63</sup> كما كانت القوافل الجرمنية تستورد من أسواق لبدة الزيت والخمور، وكانت هذه السوائل تعبأ في الأمقورات الكبيرة التي كانت تحمل على عربات وبها فتحات لتثبيت هذه الجرار، كما كانت تشتري المنسوجات المختلفة، أما القوافل الجرمنية المتجهة إلى أواسط أفريقيا كانت محملة ببعض الأنتاج الجرمني من الملح والبضائع الواردة من الشمال و وراء البحر، وكانت وسائل النقل في تجارة القوافل هي الثيران والحمير والخيول<sup>64</sup>، لأن الجمل ظهر لأول مرة في شمال أفريقيا سنة 46 قبل الميلاد وفق تقرير عسكري ذكر فيه أن قيصر قد أسر من أعدائه بشمال أفريقيا اثنين وعشرين جملاً.<sup>65</sup> وبعد أن عرفت ليبيا الجمال تعتبر مدينة لبدة من أهم المراكز لبيع الأبل حتى أن الرومان فرضوا على لبدة أن تجمع على نفقتها بانتظام أربعة الأف جمل<sup>66</sup>. ومن خلال تجارة القوافل عبر الصحراء التي كانت تحتكرها القبائل الليبية لمعرفتها بدروب الصحراء مثلما أحتكرت قرطاجة التجارة البحرية لمعرفتها بالبحر وقوتها البحرية، ازدهرت مدينة لبدة كمركز لتجميع بضائع الواحات الجنوبية وأواسط أفريقيا وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً على حوض البحر الأبيض المتوسط يقصده التجار للتزود بالمنتجات الليبية و الأفريقية و بيع ما لديهم من بضائع غير موجودة بالمنطقة، والأثار الموجودة بالمدينة دليل على مكانة وعظمة الدور الذي لعبته هذه المدينة في تلك الحقبة التاريخية.

60 - أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، كتاب الصحراء الكبرى، ليبيا 1979، ص206.

61 - عبدالحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في طرابلس ، مرجع سابق، ص190.

62 - محمد الصديق أبوحامد، مجلد ليبيا في التاريخ، مرجع سابق، ص122.

63 - محمد الصديق أبوحامد وآخرون، أخبار أثرية ، ليبيا القديمة مجلد 11 - 12 ، 1974-1975م، ص ص44-54.

64 - محمد سليمان أيوب، جزمة في عصرها الذهبي من 100 ميلادي إلى 450 ميلادي، مرجع سابق، ص186.

65 - الجمل وأصله من الشرق الأدنى ، جاء أول مرة إلى مصر مع الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد أصطحب الأسكندر المقدوني معه عدداً من الجمال في رحلته إلى واحة سيوه، كانت أعداد الجمال بشمال أفريقيا محدودة لمدة طويلة إذ لم يرد أي ذكر للجمل في الوثائق الإغريقية والرومانية في القرون التالية لوصول الأسكندر المقدوني إلى واحة سيوه . لمزيد من المعلومات أنظر : ب. هـ . وارمنجتون ، العصر القرطاجي، تاريخ أفريقيا العام، توريننتو ايطاليا 1985م، ص ص 540 - 546.

66 - محمد بيومي مهران ، المغرب القديم ، مرجع سابق ، ص235 .



## الخاتمة:

في ختام هذا البحث أكون قد توصلت إلى النتائج الآتية:

- 1 – إن لبدة تأسست على يد الفينيقيين كمرفأ تلجأ إليه السفن المتجهة إلى إسبانيا للتزود بالماء والمؤن، ولكنها كسبت أهميتها بعد محاولة المغامر الأسبرطي داريوس تأسيس مستعمرة له عند نهر كينيس سنة 520 قبل الميلاد ، وتحالف قرطاج وقبيلة المكاي على طرد وتخريب هذه المستوطنة بعد ثلاث سنوات من تأسيسها.
  - 2 – العلاقات الودية التي كانت سائدة بين المستوطنين الجدد والسكان المحليين رغم احتكارهم للتجارة البحرية وفرض ضرائب باهظة على السكان المحليين ونرجح أن ذلك يرجع إلى جذورهم التاريخية وأصولهم الواحدة من شبه الجزيرة العربية، حيث تحالفوا ضد الإغريق عندما حاولوا الأستيطان في نهر كينيس باعتبارهم غرباء عليهم.
  - 3 – أن الفينيقيين لا يميلون بطبعهم إلى المسائل السياسية بل يركزون نشاطهم في المجالات الاقتصادية ويفضلون الاستقرار حتى يتمكنوا من تسويق بضائعهم والنجاح في عملياتهم التجارية.
  - 4 – الاستقرار وتنوع النشاط الاقتصادي لمدينة لبدة والسكان المحليين الذين كانوا يعتمدون على تربية الحيوانات في سهول وأودية المدينة.
  - 5 – أدخل الفينيقيين وسائل جديدة على الزراعة في لبدة إلى جانب أنواع جديدة من أشجار الفاكهة كالرمان والخوخ واللوز و التين وتوسعوا في زراعة الزيتون حتى أصبح الزيت أهم مورد اقتصادي في لبدة.
  - 6 – الدور الكبير للسكان المحليين من قبائل المكاي والجرمنت في إزدهار تجارة القوافل الصحراوية بين لبدة والواحات الجنوبية وأواسط أفريقيا.
  - 7 – أصبحت لبدة مركزاً تجارياً عالمياً يقصده التجار كما يرجع لها الفضل في تعريف شعوب البحر الأبيض المتوسط على منتجات أواسط أفريقيا وخاصة الذهب مصدر ثراء لبدة وقرطاجة.
- وفي النهاية نوصي بفتح شعبة للأثار في كل الجامعات الليبية لتخريج متخصصين وطنيين في مجال الأثار وإتاحة الفرصة للعناصر الوطنية بالتنقيب عن الأثار وإيفاد طلاب لدراسة اللغات القديمة اليونانية واللاتينية .



## هوامش البحث :

مصادر ومراجع البحث:

### أولاً: المصادر :

- 1 - جغرافية سترابو، الكتاب السابع عشر الفصل الثالث، ترجمة الدكتور محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 2003
- 2 - هيرودوت ، الكتاب الرابع ،فقرة 198، ترجمة الدكتور محمد المبروك الذويب، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2003م،
- 3 - Diodorus , Siculus .Historia,III ,L.C.L.Cambridge,1953
- 4 – Sallust, The Wer with Jugurtha , translated by Rolfe, J.C.,Ch., London , 1920.
- 5 – Scylax ,Caryandensis ,Periplus, Geographici ,Gracci, Paris,1882
- 6 - Silius Italicus ,punica ,translated by Duff,j,d,vol.i,BK.III.London.1961.
- 7 – Pliny , Nat ,Hist,Translated by H,Rackham,HUP,London1978
- 8 - Home, Odysea, L.CL. iv. London. 1961.

### ثانياً : المراجع العربية :

- 1 - أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، كتاب الصحراء الكبرى، ليبيا 1979
- 2 - أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، الجزء الأول ، تونس 1959.
- 3 - ب. هـ . وارمنجتون ، العصر القرطاجي، تاريخ أفريقيا العام، توريننتو ايطاليا 1985م
- 4 - جان مازيل ، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية ، ترجمة ريا الخش، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1998
- 5 - حفريات جامعة بنسلفانيا الأمريكية 1960 – 1961م
- 6 - رجب عبدالحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، ط1 ، دار أمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 1989م
- 7- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، الجزء الأول، العصور القديمة، الإسكندرية 1966.
- 8 - عبدالحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العظمى 2001
- 9 - عبدالرحمن بدوي ،(ليبيا في مؤلفات أرسطو) مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث '1998.
- 10 - عبداللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم ، دار الصياد، بيروت 1971.
- 11 - علي فهمي خشيم ،نصوص ليبية، دار مكتبة الفكر ،الطبعة الثانية، طرابلس 1975م،
- 12 - مجلة ليبيا القديمة ، أخبار الاكتشافات الأثرية، المجلد الأول، منشورات مصلحة الآثار، ب ت ،
- 13 - محمد الصديق أبو حامد، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس، مجلد ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية 1968،
- 14 - محمد بيومي مهرا، المغرب القديم ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية 1990.
- 15 - محمد سليمان أيوب ' جرمة في عصر أزدهاها 100 ميلادي إلى 450 ميلادي، مجلد ليبيا في التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية 1968،
- 16 - محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية ، دار المصراطي، طرابلس ليبيا ،ب.ت،



- 17 - محمد سليمان أيوب ، مختصر تاريخ فزان، المطبعة الليبية ، طرابلس، ب ، ت.
- 18 - مصطفى كمال عبدالعليم ،دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي 1966.
- 19 - وول ديورانت ، قصة الحضارة ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد بدران ، جامعة الدول العربية،1953.

#### ثالثاً : المراجع الأجنبية :

- 1 - David J Mattingly and et al, The Archaeology of Fazzan ,volume I, synthesis , published by the department of antiquities , Tripoli , the Society for Libyan studies, London , 2007.
- 2 – Herodot .II . Loeb Classical .Library.
- 2 - Oric Bates, Eastern Libyans,London,1914.



ملحق الصور :



نقطة مراقبة وحماية للقوافل التجارية بين لبدة و واحات الجنوب بوادي قرزة (تصوير الباحث)



نقطة مراقبة وحماية ثانية للقوافل التجارية بين لبدة و واحات الجنوب بوادي قرزة (تصوير الباحث)



صهريج مياه بوادي زمزم في طريق القوافل التجارية بين لبدة و واحات الجنوب ( تصوير الباحث)



صهريج مياه بوادي زمزم من الداخل (تصوير الباحث)



حصن أبونجيم نقطة مهمة في تجارة القوافل بين لبة و واحات الجنوب. (تصوير الباحث)





## التراث المعماري بتافيلالت جنوب شرق المغرب الأقصى؛ واقع الحال وآفاق التثمين ورد الاعتبار

محمد حمداني / كلية الآداب - جامعة محمد الخامس بالرباط

### تقديم

شكلت واحات الجنوب المغربي عموماً، نقط انطلاقٍ أساسية لمعظم الدول التي حكمت المغرب الأقصى منذ الفتح الإسلامي وحتى الوقت الراهن، مما دفعنا للبحث في المقومات الطبيعية والمعمارية التي ساهمت في بروز هذه المناطق على واجهة الأحداث السياسية في البلاد.

وقد برزت من بين هذه المناطق واحات تافيلالت، التي شهدت ميلاد آخر دولة حكمت وتحكم المغرب. يتعلق الأمر هنا بسلالة العلويين الذين بدأت إمارتهم تتشكل في تافيلالت انطلاقاً من سنة 1633م. وقبل ذلك ارتبطت شهرة المنطقة، بما كانت تقوم به من دور حيوي على مستوى محاور التجارة الصحراوية المتجهة جنوباً نحو بلاد السودان. لذا سنعمل على رد أبرز الخصائص الطبيعية والمعمارية في المنطقة التي ورثت مدينة "سجلماسة"<sup>67</sup> القديمة التي اعتبرت ثاني مدينة إسلامية في الغرب الإسلامي على وجه العموم.

### I. واحات تافيلالت؛ الخائص الطبيعية، على سبيل التمهيدي

توجد واحات تافيلالت، بمفهومها الواسع<sup>(68)</sup>، في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى على أبواب الصحراء الكبرى، على مساحة تمتد بين خطي عرض 31° و 31.20° شمال خط الاستواء. يحدها شمالاً الأطلس الكبير الشرقي، وجنوباً حمادة "كم"، والأطلس الصغير في الغرب، وحمادة "كير" في الشرق<sup>(69)</sup>. أما تضاريس منطقة تافيلالت فقد تشكلت أغلبها من توضعات الزمن الجيولوجي الرابع، وعرفت أقصى انخفاض لها في العهد التانسيفتي، ثم تعرضت للغمر، فارتفع مستوى سطح الأرض مجدداً بمعدل خمسة إلى عشرة أمتار، وتعرف ارتفاعاً متزايداً مع الزمن بفعل تراكم الطمي المنقول عبر فيضانات نهري "زيز" و"غريس"<sup>(70)</sup>.

يتميز حسن حافظي علوي<sup>(71)</sup> بين ثلاث وحدات تضاريسية كبرى بالمنطقة، تتمثل في مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي الواقعة في الشمال، وهي ذات صخور كلسية يصل ارتفاع أعلى قمة بها إلى 3700 م بجبل العياشي، والتي تشكل أهمية حيوية للمنطقة بحكم كونها مصدر المياه التي تغذي الأنهار والطبقات الجوفية، إلا أنها صعبة

### الهوامش:

67 - شيدت مدينة سجلماسة سنة 140 هـ / 757 م من طرف خوارج مكناسة بزعامة "أبي القاسم سمكو"، وعرفت نمواً كبيراً خلال الثلاثة قرون الموالية، باعتبارها ميناء تجارياً أساسياً في اتجاه بلاد السودان الغربي.

68 - على اعتبار أن تافيلالت، بمفهومها الضيق، توجد جنوب شرق المغرب الأقصى على أبواب الصحراء الكبرى، يحدها شمالاً واحة وادي الزهراء وأرفود، وجنوباً "بومعيز"، و"أمربوح" شرقاً ووادي "غريس" من الناحية الغربية، ويبلغ طولها حوالي 20 كلم، وعرضها ما بين 7 و9 كلمترات، وتعتبر منطقة "مدغرة" و"الرتب" إقليمياً مكملًا لها.

نقلاً عن حسن حافظي علوي، سجل، 1، G. Toutain, F. Deve: hydrauliques agricole au Sahara, Rabat, 1979, p: 1، ماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1418هـ/ 1997م، ص. 35.

70- F. Joly, Etude sur le relief de sud-est Marocain, Rabat, 1962. p.12.

71 - حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1418هـ/ 1997م، صص. 35- 37.



الاحتراق، لوجود ممرين أساسيين فقط هما "تيزي"<sup>(72)</sup> نتالغمت و"تيزي مقورن". أما الوحدات التضاريسية الثانية فتتمثل في جبال الأطلس الصغير الشرقي التي تحد المنطقة في اتجاه الجنوب الغربي، والتي تضم مرتفعات "أوكانت" و"صاغرو". في حين تشغل الحمادات مجالا واسعا في المنطقة، خصوصا في الجهة الشرقية والجنوبية، وهي عبارة عن هضاب قاحلة تخترقها أودية ذات مجاري عميقة ضعيفة التصريف، وتتمثل أساسا في حمادة "مسكي" التي تمتد على مساحة 60 كلم في الطول و40 كلم في العرض من قدم جبال الأطلس الكبير الشرقي في الشمال، إلى حدود منطقة "الرتب" في الجنوب. ثم حمادة "كير" (أو بودنيب) التي تمتد في شرق المنطقة على مساحة 100 كلم طولاً وحوالي 30 كلم في العرض. وأخيرا حمادة "كم كم" الممتدة في القسم الجنوبي على مشارف الصحراء الكبرى. ورغم انبساط أغلب تضاريس المنطقة، إلا أنها غير صالحة للزراعة، ما عدى الواحات التي تمتد على طول الأودية التي تخترقها.

أما مناخ واحات تافيلالت، فيتسم بشدة الحرارة والبرودة معا. على حد تعبير المقدسي في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، وكذا قلة التساقطات. علما أن تساقط الأمطار يبتدئ مع نهاية فصل الصيف، حيث تنخفض درجة الحرارة، لكن الأودية لا تعرف جريانها العادي إلا بعد هذه الفترة بمدة طويلة، وكمية التساقطات المحلية لا تكفي لتغذيتها بالماء اللازم، لأن فيضانات وادي "زيز" تعتمد أساسا على المياه التي توفرها مناطق الأطلس الكبير الشرقي<sup>(73)</sup>، وهذا ما أشار إليه الحسن الوزان بعدما أقام في قصر "المامون" القريب من خراب "سجلماسة" لمدة تزيد عن سبعة أشهر خلال القرن السادس عشر للميلاد، حيث ذكر أن الحرارة تشتد في فصل الصيف وكثيرا ما يجف النهر (زيز) في هذا الفصل من السنة<sup>(74)</sup>.

فالمعدل السنوي لدرجات الحرارة يبلغ 21° كحد أدنى وأكثر من 40° كحد أقصى في شهر يوليو<sup>(75)</sup>. وقد ذكر "لوي ماسينيون" (Luis Massignon) أن فصل الشتاء يبتدئ بشهر شنتبر وينتهي في فبراير، ثم تبتدئ درجة الحرارة في الارتفاع لتصل أقصى حد لها في شهري يوليو وشت. ولا يقتصر الاختلاف الواضح في درجة الحرارة على فصلي الصيف والشتاء، حيث يتراوح الفارق بين الشهر البارد والشهر الحار ما بين 20° و25°، بل يظهر ذلك أيضا في الاختلاف الحراري بين الليل والنهار الذي يتراوح غالبا ما بين 15° و20°، وهو ما يؤكد انتماء هذه المناطق للمناخ القاري الجاف، حسب رأي أحد الباحثين<sup>(76)</sup>. ولذلك ترتفع نسبة التبخر بشكل كبير في المنطقة، ومثال ذلك الأرقام التي سجلت بضواحي "الرشيدية"، حيث نسبة التبخر في الواحات 1,280 ملم في غابات النخيل و2,500 ملم خارجها<sup>(77)</sup>.

وتعتبر الرياح التي تهب من المناطق الصحراوية، وخاصة في فصلي الصيف والخريف، من أهم العوامل المسؤولة عن حدة الجفاف في المنطقة وهي نوعان: رياح ساخنة (الشرقي) ورياح الزوابع الرملية<sup>(78)</sup>، مما يخلف

72 - تحليل كلمة "تيزي" الأمازيغية، على معنى الفج أو الممر الطبيعي وسط الجبال.

73 - حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها، م. س، ص. 45.

74 - الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج. 2، ط. 2، بيروت 1983، ص. 126.

75 - كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة؛ الرباط، ج. 3، ص. 45.

76 - Gautier, Le Sahara; Paris, 1904, p.11.

77 - حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها، م. س، ص. 45.

78 - تدعى باسم "العجاج" في اللسان المحلي لأهل المنطقة.



أضرارا بليغة بالمنتجات الفلاحية، كما تؤدي إلى زحف الرمال وزيادة التصحر في المنطقة. وتعتبر رياح الزوابع الرملية مسؤولة عن ظهور بعض الأمراض بين سكان تافيلالت، فقد أشار "ابن الخطيب" إلى أن سجلماسة «معركة غبار والقرع برؤوس أهلها عابث والعمش في جفونهم لابت»<sup>(79)</sup>، وهذا ما ذهب إليه أيضا الحسن الوزان بقوله: «تشتد الحرارة في الصيف وكذلك الغبار إلى حد أنه فيما أظن يسبب التهاب أعين الناس، لكنهم سرعان ما يشفون»<sup>(80)</sup>. لكن الملاحظ هو أن رياح الزوابع الرملية التي تكثر في فصل الخريف يمكن أن تخف حذتها إذا كانت التربة مبللة بمياه الأمطار، ويمكن أن تختلط بحبات التراب حتى تحجب الرؤيا تماما حينما تتفكك جزئيات التربة بفعل تتابع موجات الجفاف.

وإذا كان مناخ واحات تافيلالت يتميز بجفافه وتقلباته المفاجئة بين طول مدة الجفاف وهبوب العواصف المطرية في بعض الأحيان، فإن المنطقة تعتمد على مياه الأنهار والمياه الجوفية للشرب وسقي المزروعات، ولذلك يعتبر وادي "زيز" ووادي "غريس"، اللذان ينبعان من جبال الأطلس الكبير الشرقي وينتهيان في الصحراء، المصدر الأساسي للتزود بالمياه، حيث تبلغ مساحة حوض غريس 9918 كلم<sup>2</sup>، أما مساحة حوض زيز فلا تتعدى 7835 كلم<sup>2</sup> ونظام التصريف السنوي فيهما يتميز بفصلين من الجريان هما فصلا الخريف والربيع، وقد يجفان في فصلي الصيف والشتاء، والسبب في ذلك أنهما يستمدان حمولتهما من ذوبان الثلوج وتساقط الأمطار العاصفية على جبال الأطلس الكبير الشرقي خلال هذه الفترة، كما أنهما يتغذيان بمياه العيون مثل عيون "فم غيور" إلى الأعلى من مدينة الرشيدية و"عين مسكي" بمنطقة "الرتب" وعين "المشارفة" في قدم جبل أرفود وعين "تيفوناسين" شمال مدينة "كلميمة".

وتذكر الروايات المحلية أن مدينة سجلماسة كانت تعتمد على مياه عين "تامدرين" التي كانت تنبع من المكان المسمى اليوم بـ «زرزف» شمال مدينة "أرفود"<sup>(81)</sup>. إضافة لهذين المصدرين، تعتمد المنطقة على المياه الجوفية التي هي عبارة عن بحيرة مغلقة تتجمع فوق سطح غير راسح، وتعرف انحدارا ضعيفا من الشمال إلى الجنوب، لكن نسبة ملوحتها كبيرة، حيث أكدت الدراسات الحديثة أن نسبة الملوحة في مياه الفرشة الجوفية بهذه المنطقة تتراوح ما بين 0,8 و70 غرام من الملح في اللتر الواحد. ونعرف أن نسبة الملوحة في المياه تزداد كلما انخفض مستوى وحجم المياه، وغالبا ما تطفوا الملح على سطح التربة في مناطق تافيلالت مشكلة فرشاة بيضاء تسمى في كتب الفلاحة العربية بـ "السبخة"، وهو ما يطلق عليه في لسان المحليين اليوم اسم "البخاخ"<sup>(82)</sup>، وهو ذات الأمر الذي يبرر قول البكري: «وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط بسجلماسة»<sup>(83)</sup>.

وليست الملوحة وحدها التي تميز مياه تافيلالت، فقد أكدت التحليلات الكيماوية التي أجريت عليها أنها مشبعة بمواد أخرى وعلى رأسها "الكور" و"الصوديوم"، أما المياه التي تحتوي على "حامض الكبريت" فهي قليلة جدا، وتزيد مياه زيز وغريس من ملوحة المياه الجوفية بالمنطقة<sup>(84)</sup>.

79 - ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مطبعة فضالة، المحمدية 1976. ص. 181.

80 - الوزان الحسن، وصف إفريقيا، م.س، ص. 126.

81 - حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها، م.س، ص. 65.

82 - نفسه، ص. 69.

83 - البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، باريس 1965، ص. 148.

84 - حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها، م.س، صص. 70، 71.



وبسبب ارتفاع نسبة الملوحة في المياه الجوفية بتافيلالت، فإن التربة تكثر فيها السبخة، غير أنها في غالب الحالات ذات لون رمادي مفتوح وتميل نحو الحمرة كلما كثر فيها الصلصال الآتي عبر مجرى وادي زيز، في حين تتكون توضعات وادي غريس من الطمي الأحمر بالأساس؛ وقد أكدت الدراسات "البيدولوجية" الحديثة أن نسيج التربة مكون من الطمي والرمل، باستثناء حافات الأودية، حيث تكون التربة رملية، لكن المواد العضوية الآتية عبر مياه الفيضانات تشكل عامل تخصيب يساعد على تجاوز عمق التربة المالحة، وعملية الغسل التي تتعرض لها تقلل من تجمع الملح فيها.

انطلاقاً من كل هذه المعطيات، يتشكل الغطاء النباتي في منطقة تافيلالت من مجموعة من النباتات القادرة على تحمل قساوة المناخ الشبه صحراوي، وهي تتعدم تماماً خارج المناطق المسقية في فصل الصيف وتكثر بالمقابل نتيجة رطوبة الهواء وارتفاع كمية الأمطار في فصل الشتاء؛ وقد ذكر "ياقوت الحموي" في معرض حديثه عن منطقة سجمساسة أن أكثر أقوات أهلها من التمر وأن غلتهم قليلة<sup>(85)</sup>. ومن بين أهم المزروعات التي توجد بالمنطقة، يشير "الشريف الإدريسي" إلى أنهم « يزرعون غلات الحناء والكمون والكروياء والبيلاج، ونبات الحناء يكبر بها حتى يكون في قوام الشجر ومنها يؤخذ بدهه ويتجهز به إلى كل الجهات». كما يذكر "العربي مزين" أن شجرتين فقط استطاعتا أن تتأقلا مع البيئة شبه الصحراوية بالجنوب الشرقي وهما: شجرة الأثل التي يستغل منتوجها في الدباغة، وشجرة النخيل التي لها قدرة على البحث عن الماء في الطبقات الجوفية<sup>(86)</sup>.



الوثيقة 01: صورة جوية لموقع  
واحات تافيلالت الواقعة بين وادي  
زيز وغريس.

## II. واحات تافيلالت؛ الخصائص العمرائية؛ بين الوحدة والتنوع

يشكل السكن بمنطقة تافيلالت مظهراً من مظاهر استقرار السكان في مخلف الواحات المنتشرة على طول الوديين المخترقين للمنطقتين (زيز وغريس). كما يعبر عن مدى الإحساس بأهمية الموارد الطبيعية الموجودة محلياً، إذ نجد تأثير المحيط بادية على مراكز الاستقرار البشري من خلال اختيار مواد البناء من جهة، والتفرد بتصاميم وأشكال هندسية تبرز مدى التناغم بين الإنسان ومجاله الطبيعي من جهة ثانية، ثم إنه قبل كل شيء تعبير عن شخصية إنسان الجنوب الشرقي المغربي وهويته المتنوعة الأصول والمشارب.

<sup>85</sup> - الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج3، ص. 192.

<sup>86</sup> - Mazzone Larbi; Le Tafilalet, contribution a l'histoire du Maroc au 17 et 18<sup>ème</sup> siècle, Rabat 1987 ; p.266.



## 1) القصر؛ مفهومه وأنواعه

القصر عبارة عن سكن قروي ينتشر في واحات وادي زيز وغريس، وكذلك في مجموع واحات الجنوب المغربي على العموم. وهو خلية سكنية تضم العديد من المنازل والأسر التي يجمعها تقارب وتشابه أنماط العيش، وأيضا بعض الترابطات الاجتماعية ذات الأصول القبلية المتعددة، أو الأدوار التي كانت تؤديها هذه القصور<sup>(87)</sup>، وتقابله في باقي أنحاء المغرب الأقصى كلمة "الدوار" و"الدشر"، كما تستعمل بعض الكلمات الأخرى كمرادف له كالكسبة وكذلك كلمة "قصيبة" و"قصيرة" التي هي تصغير للكسبة والقصر<sup>(88)</sup>، ويطلق عليه اسم «إغرم» بالأمازيغية. ونظرا لكونه محاطا بسور ضخم وعال تتخلله عدة أبراج وله مدخل رئيسي واحد<sup>(89)</sup>، يعرف باسم "فم القصر"، أوفي بعض الأحيان بباب ثانوي يعرف باسم "الخارجية"، فإنه يصنف ضمن السكن القروي التقليدي المنغلق<sup>(90)</sup>، وغالبا ما تلتصق جدران المنازل بالسور الخارجي للقصر<sup>(91)</sup>.

لم يكن هذا النوع من السكن يهدف إلى صد الهجمات الخارجية فقط، ولكنه كان يتغيا استغلال الموارد الطبيعية المتاحة إلى أقصى حد ممكن، لأن القصر كان يعتبر الوحدة الفلاحية المكتفية بذاتها<sup>(92)</sup>، أو لنقل أنه كان يشكل وحدة اقتصادية يتعاون فيها كل أعضائها ويتقاسمون الموارد فيما بينهم، ولو أن كل الأراضي الخصبة كانت ملكية خاصة<sup>(93)</sup>.

هذا النمط من السكن يرجع في أصله، حسب **Gautier**<sup>(94)</sup>، إلى القبائل "الزناتية" التي تتميز عن القبائل "الصنهاجية" التي تقطن جبال الأوراس في المغرب الأوسط (القبائل)، حيث نجد المنزل الزناتي يتكون من عدة طوابق في الوقت الذي يتكون فيه المنزل القبائلي من سكن أرضي فقط، نتيجة اختلاف طبيعة المجتمعين. فالأول يقدس المرأة ولا يسمح لها بالانفتاح على الخارج وعادته الاحتجاب بالنقاب، أما المجتمع الثاني (الصنهاجي) فتخرج فيه المرأة سافرة، ولذلك نجد الطوابق والسطح في السكن الزناتي لأنه يشكل المجال الوحيد الذي يسمح للمرأة برؤية زرقة السماء ونور الشمس.

ارتبط وجود القصور بتأفيلات، بتزايد الاستقرار البشري على طول أوديتها، وما تطلب ذلك من تكتل للمجموعات البشرية المستقرة لمواجهة الأخطار الخارجية من جهة، وتدبير مواردها الاقتصادية المحدودة من جهة ثانية. علما أن المصادر المتوفرة لا تسعفنا في تحديد زمن ظهور هذه القصور في واحات المنطقة. إلا أن الثابت أنها سابقة على وصول الأعراب إلى المنطقة، حيث ذكر ابن خلدون أن القبائل الزناتية تركت قصورها جنوب جبال درن لعرب المعقل بعد أن تكونت لها دول ببلاد المغرب، ممثلة في المرينيين بفاس والزيانيين بتلمسان<sup>(95)</sup>.

87 - لمراني علوي محمد، المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، ندوة المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم. 80. ص. 101.

88 - حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها، م.س. ص. 114.

89 - تاوشخت لحسن، عمران سجلماسة من خلال المصادر التاريخية والخريطة الأثرية، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ؛ جامعة محمد الخامس 2001-2002؛ ج 2؛ ص. 412.

90 - لمراني علوي محمد، المعمار المبني بالتراب؛ م.س. ص. 101.

91 - تاوشخت لحسن، عمران سجلماسة، م.س. ص. 441.

92 - دان روس، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912، ترجمة احمد بوحسن، منشورات زاوية للفن والثقافة، الرباط 2006، ص. 44.

93 - نفسه، ص. 93.

94 - E.F. Gautier; le passer de l'Afrique du nord; Payot; Paris 1964; p. 228-229.

95 - ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، ج 7، بيروت 1981، ص. 77.



تكونت ظاهرة القصور في واحة تافيلالت بعد اندثار مدينة سجماسة، إبان هجرة القبائل الهلالية والمعقلية خلال القرن السابع الهجري (13م)، وهجرة القبائل الصنهاجية الصحراوية إليها، وخاصة قبائل "آيت عطا"<sup>(96)</sup>. إلا أنه في فترة ظهور العلويين، مع بداية القرن السابع عشر الميلادي، تكاثرت أعداد القصور في المنطقة، حيث بلغ عددها في هذه الفترة حوالي 105 قصور، وهي الفترة التي تناسبت مع تحول اسم سجماسة إلى "تافيلالت"، إذ بنى السلطان "المولى إسماعيل" قسبة «المامون» بمنطقة "تيزيمي" والقسبة الشهيرة بناحية "السيفة"، وقسبة «البطرنى»<sup>(97)</sup>.

لكن هذه القصور عرفت مجموعة من التحولات مع مرور الزمن، حيث خرب بعضها وهجر البعض الآخر، علما أن بعضها تعرض للترميم والتجديد. ويعتبر عهد المولى إسماعيل (1672م-1727م) فترة ازدهار حركة بناء القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت قصد إيواء بعض أبنائه الذين كانوا يفضلون الاستقرار بالمنطقة، ومن ذلك قسبة "المامون" بتيزيمي، قصر "البطرنى"، قصر "مزكيدة"، قصر "الفيضة" (القديمة)، قصر "الشقارنة"، قسبة مولاي أحمد الذهبي، قصر "المنصورية"، قسبة "أولاد يوسف"، قسبة "المدرسة"، قسبة "مولاي الشريف"، قسبة "المولى المكتفي"، قسبة "عمارة"، قسبة "بني ميمون الشرفاء"، قسبة "أولاد عائشة"، قصر "أولاد عدو"، قسبة "كريفود"، قصر "المعارك"، القسبة الإسماعيلية... وغيرها كثير<sup>(98)</sup>.

كما أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757م-1790م) خلف مجموعة من المآثر العمرانية بتافيلالت، ومنها: قسبة "أبي القاسم الزياني"، قسبة "مولاي مستاعين"، قصر "الدار البيضاء"، قسبة "الحذب"، ضريح مولاي علي الشريف، فضلا عن إعادة بناء القسبة الإسماعيلية (السجماسية).

وعلى العموم، فالقصر عبارة عن بناء متماسك ومتصل تخترقه مجموعة من الأزقة التي تتفرع عن المدخل الرئيس للقصر. ويحمل كل زقاق منها اسم "العظم" الذي يسكنه من العظام المشكلة لقبيلة القصر في غالب الأحيان<sup>(99)</sup>. وتتخذ معظم القصور شكلا مستطيلا، وترتفع في جنباتها أربعة أبراج أو أكثر، وتكون جدرانها الخارجية سميكة، وغالبا ما تكون قاعدتها مبنية بالحجارة تحسبا لغمر فيضانات الأنهار.

ويتراوح عرض هذه الأسوار ما بين متر ومترين، وعلوها ما بين خمسة وعشرة أمتار، درءً للأخطار الأمنية التي يمكن أن تهدد ساكني القصر، كما يحاط المدخل الوحيد للقصر ببرجين للمراقبة، ويكون عبارة عن قوس يزين إطاره بنقوش جميلة، ويؤدي مباشرة إلى رواق مغطى، يفضي بدوره إلى ساحة داخلية تتفرق عنها مرافق القصر من المسجد والزقاق الرئيسي الذي تتفرع عنه بشكل منظم الأزقة الثانوية والدور، وتلعب هذه الأزقة عدة أدوار منها ما هو طبيعي مثل التهوية ومنع تسرب الرياح المحملة بالغبار والرمل، ومنها ما هو اجتماعي يتجلى في ضمان أوامر التآزر والتكافل، ومنها ما هو اقتصادي، حيث تستغل من طرف النساء في إنجاز بعض الأعمال اليدوية.

<sup>96</sup> - العلوي القاسمي هاشم، تافيلالت التاريخ والواقع، م.س، ج2، 2000. صص. 8، 9.

<sup>97</sup> - ابن زيدان عبد الرحمان، المنزح اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال، ص. 38.

<sup>98</sup> - تاوشخت لحسن، المنجزات العمرانية للسلطان المولى عبد الرحمان بتافيلالت، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة

الخامسة، مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني، دجنبر 1993، دار المناهل للطباعة والنشر، يناير 1996، صص 200، 201.

<sup>99</sup> - البوزيدي أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17، مطلع القرن 18)؛ دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، منشورات آفاق متوسطية 1994، ص. 202.



ويمكن تقسيم قصور تافيلالت إلى نوعين رئيسيين:

✚ **القصور التقليدية:** وهي القصور التي بناها سكان المنطقة، سواء بمساعدة من المخزن أو بدون مساعدته، وترتبط في الغالب بالتنوع القبلي، حيث نجد لكل قبيلة قصرا خاصا بها، تسيره جماعة برئاسة الشيخ، حيث يفرض على كل السكان بمختلف فئاتهم المشاركة في بناء التحصينات، كالأبراج والأسوار والمؤسسات الدينية والإنتاجية العامة (المسجد، المعصرة...)، بل ويتأوبون على حراسة باب القصر بالليل والنهار، لاسيما وقت الفتنة<sup>(100)</sup>.

✚ **القصور المخزنية أو السلطانية:** وهي عبارة عن مقرات للأشراف والأمراء العلويين، خاصة خلفاء السلطة المركزية على تافيلالت، ولذلك فهي مرتبطة بفترة ظهور الدولة العلوية على المسرح السياسي في بلاد المغرب الأقصى. وهي تمثل نموذجا رائعا للمعمار المبني بالتراب بمنطقة تافيلالت، حيث تتميز بتصميم عمراني شبه موحد يتوفر على مختلف المكونات المعمارية التي تعطيه شكل وحدة سكنية متكاملة، وغالبا ما يقطن بها عائلة واحدة من الشرفاء، فضلا عن الخدم وأحيانا بعض الأحلاف القبلية. وتضم بالإضافة إلى الدور السكنية، المسجد، الحمام، الرياض والساحة العمومية؛ ويمكن تحديدها من الخارج إلى الداخل كما يلي:

. **ال سور الخارجي،** الذي يحيط بالقصر، ويتميز بعلوه الذي يتجاوز أحيانا إحدى عشر مترا، تتخلله عدة أبراج مربعة الشكل، يتراوح عددها ما بين تسعة وثلاثة عشر، وتكون هذه الأبراج في الغالب مزينة بنقوش هندسية محززة من "الطوبية".

. **الساحة الخارجية أو المشور،** وتخصص لمراسيم الاحتفالات والاستقبالات، وغالبا ما تشيد في أحد جوانبها مرابض للخيل.

. **المدخل الرئيسي،** وهو عبارة عن باب كبير ذو قوس منكسر، يحيط به برجان مربعان، فضلا عن أفواس صغيرة مغلقة، ويفتح على رواق مغطى يسمى "الدكانة"، وتشيد فوق الرواق غرفة يسكنها الحارس تسمى "المصرية".

. **المسجد،** يحتل موقعا في وسط القصر، باعتباره المركز السياسي والاجتماعي والديني والثقافي والقضائي، ويتكون من صحن مكشوف وخمس بلاطات، وثلاثة أساكب، ثم المحراب والمنبر، ويتميز بثرائه الزخرفي من حيث النقوش الجصية والأشكال المصبوغة والخشب المنحوت

. **الزقاق الرئيسي،** وهو عبارة عن ممر طويل يحيط بالسور الخارجي من الداخل، وغالبا ما توجد بجوانبه دور الخدم، أو يمر في الوسط فيقسم القصر إلى شطرين.

. **الساحة الداخلية،** وتستغل أيضا في الاستقبالات والمراسيم المختلفة، وتؤدي مباشرة إلى "الدار الكبيرة".

. **الدار الكبيرة،** وهي مقر سكنى العائلة العلوية، تتوفر فيها مختلف المرافق من أروقة مغطاة، وصحن مفتوح وحمام وقاعات للحريم، وغرف للضيافة إضافة إلى المخازن والبئر والمطبخ... وغيرها.

. **العروضات و"الجنانات"،** وهي توجد خارج السور الرئيسي، وتزود القصر بما يحتاج إليه من مواد غذائية<sup>(101)</sup>.

100 - تاوشخت لحسن، عمران سجماسة، م.س، ص. 448.

101 - تاوشخت لحسن، عمران سجماسة، م.س. صص. 444، 445.



## 2) طرق بناء القصر والمواد المستعملة في ذلك

إن القصر الذي يشكل تجمعا سكنيا داخل بناية موحدة، لا يخرج في طريقة بنائه عن تصميم معظم المدن الإسلامية من حيث موافقته لطبيعة المناخ السائد في المنطقة، ذلك أن طبيعة هذا المعمار تتميز بمقاومتها للحرارة الأكثر ارتفاعا أو الحرارة الأكثر انخفاضا، كما أن المنطقة توفر المواد الضرورية واللازمة للعملية المعمارية<sup>(102)</sup>. أما من ناحية التصميم فإن الآثار الإسلامية تبرز في القصر من خلال المحافظة على حرمة الدار، فمن في الخارج لا يستطيع رؤية من في الداخل والمشربيات تلتف شدة الضوء وتدخل الهواء، وتمكن النساء من رؤية ما يحدث في الخارج دون أن يراهن أحد.

وقد لخص أحد الباحثين<sup>(103)</sup> خصائص العمارة الإسلامية في توفر ثمانية شروط أساسية وهي: توفر قنوات مياه الشرب، هندسة الأزقة والممرات، بناء المسجد الجامع وسط البنايات، وجود السوق قرب المركز الحضري، ضرورة تخصيص أحياء خاصة بكل الإثنيات، تحصين البنايات بسور كبير، توفر المنشآت العمومية، وأخيرا ضرورة توفر فضاءات علمية وأخرى خاصة بأصحاب الحرف المختلفة.

وإذا كانت هذه الخصائص من مميزات الحواضر الإسلامية الكبرى، فإننا نجد قصور منطقة تافيلالت تحتضن عددا من هذه المنشآت التي تعبر عن انتمائها لهذه المنظومة الحضارية العامة.

وفيما يلي جرد بأهم المواد المستعملة في تشييد القصور بواحات تافيلالت:

. الأجر المحلي، ونعني به الطوبية المحلية أو "القالب"، وهو المصطلح الأكثر تداولاً في المنطقة، حيث يتم خلط التراب الخالي من الرمل والحصى والابتعاد عن تربة الأرض السبخة الكثيرة الملوحة، مع التبن الرقيق، ويمزج الجميع بالماء، وبعد أن تندمج كل العناصر بعضها ببعض تشكل على شكل كرات طينية، ثم توضع في إطار خشبي (قالب) به فراغين مستطيلين، ثم يقوم الصانع . المسمى بـ"الطواب". بذلك جيدا ويزيل القالب تاركا الطوبية على الأرض حتى تجف جيدا تحت أشعة الشمس<sup>(104)</sup>. هذا النوع من الأجر يستعمل في بناء سوازي المنازل والأقواس وشرفات الأبراج، وعمليات التزيين بواجهات القصور، ويستعمل أيضا كمادة بنائية لاحمة بين مختلف طبقات السور المعتمد على بناء الطابية<sup>(105)</sup>.

. الطابية ( التابوت)، ويعتمد في تركيبها على "اللوح"، الذي هو عبارة عن لوحين من خشب الصفصاف، طول الواحدة منها مترا ونصف وعرضها متر واحد، ولا تستعمل هذه الأداة في عملية البناء إلا بعد وضع الأساس الذي يبنى بالحجارة والطين، ويملاً "اللوح" بتربة صلصالية متماسكة مخلوطة بالحصى والقطع الخزفية وبقايا عظام حيوانية وأجزاء خشبية، ولا يبيل هذا الخليط بالماء كثيرا حتى تسهل عملية ركزه بالمراكز. وحتى تكون عملية البناء متقنة ومحكمة الاتزان، لا بد من توفر "الركاز" على ميزان، وغالبا ما يكون ميزان الخيط وآلة لضبط جمالية الحائط. كما أنه يحتاج إلى الأجر المحلي أو بعض قطع الخشب عند الانتقال من ركز لآخر، وتصاحب عملية

102 - لمراني علوي محمد، المعمار الميني بالتراب، م.س، ص. 99.

103 - TAOUCHIKHT L. "Aspect monumental de Sijilmassa", in "L'architecture de terre en Méditerranée", publication de la faculté des lettres et des sciences humaines, série: colloques et séminaires n°:80, Rabat 1999, p. 238.

104 - تاوشخت، عمران سجماسة، م.س. ص. 437.

105 - لمراني علوي، المعمار الميني بالتراب، م.س. ص. 108.





الركز طقوس محلية منها ترديد بعض العبارات والأناشيد الدينية<sup>(106)</sup>. والجدار المبني بهذه الطريقة يكون عرضه 50 سنتمترا، غير أنه حين يصل ارتفاعه إلى مستوى ثلاثة أو أربعة أمتار، يشرع العمل في السقف باستعمال أعمدة من خشب الصفصاف أو النخيل، ومن ثم يوضع القصب أو جريد النخل المجرد من السعف، ويغطي الكل بالتراب المبلل، ثم يطمر بالتراب الجاف حتى يصل سمكه إلى حوالي 20 سم، وتوضع فوقه طبقة رقيقة من الطين<sup>(107)</sup>.

. **القلاع أو "الزلتاف"**، وهو الطوبية أو الأجر المقتلع من الأرض الصلبة قصد توظيفه في عملية البناء، وغالبا ما يستعمل في بناء الإسطبلات الخاصة بالمواشي أو فوق بعض أسوار التابوت، نظرا لكونه لا يعطي جمالية وتناسقا للحائط المبني به، ولا يحتاج كثيرا من الجهد في صقله وتركيب بعضه فوق بعض.

. **الزليج و"البجمات"**، ويستعملان في ترصيف الأرضية وتزيين بعض الممرات ومداخل الغرف، إلا أنها توجد فقط في بعض القصور، وخاصة المخزنية منها في منطقة تافيلالت على الخصوص.

. **الجبس والجص**، فالأول يستعمل في تبليط الواجهات الداخلية للأسوار، بينما يستخدم الثاني في النقش والزخرفة، خصوصا في المنشآت العامة كالمسجد ومداخل القصور.

. **القرمود الأخضر**، ويتخذ صبغة وظيفية وزخرفية، ويستعمل في الشرفات الخاصة بالأبواب الرئيسية أو بالحصن أو "الرياضات" في القصور المخزنية بمنطقة تافيلالت.

. **الحجارة**، وهي من النوع الغرانيتي السوداء، يتم استعمالها أساسا في بناء أساس الأسوار على علو متر واحد، اتقاء للرطوبة والفيضانات الناتجة عن عدم قدرة الأنهار على تصريف فائض المياه الواردة إليها.

. **الخشب**، وهو أنواع ثلاثة: خشب الأرز، خشب الصفصاف وخشب النخيل، ويستخدم في أسقف الأبواب والقباب والشرفات، وغالبا ما يكون مرفقا بعنصر الزخرفة<sup>(108)</sup>، هذه المادة تعتبر من ضروريات المعمار المبني بالتراب في قصور تافيلالت، وخاصة تلك الأخشاب المستمدة من أشجار النخيل، حيث يتم هدم تلك الضالعة في السن أو التي قل إنتاجها من التمور أو تلك التي أصيبت بمرض "البيوض"، ثم يتم إخضاعها لعملية النجارة التقليدية المحلية لاستخراج الأشكال الهندسية الملائمة والمخصصة لسقف المحل المراد بناؤه.

وهكذا يصنف الخشب الموظف في البناء إلى عدة أسماء، أهمها:

★ **المادة**، ويعتقد أنها سميت بذلك نظرا لامتداد طولها المتراوح ما بين ثلاثة وسبعة أمتار<sup>(109)</sup>، بينما يتخذ سمكها شكلا مربعا متساوي الأضلاع (0.30م×0.40م) أو مختلف الأضلع (ما بين 0.18م×0.30م أو 0.26م×0.40م).

★ **الكايزة**، وهي شكل مصغر لخشبة "المادة" المربعة الأضلع، لكن هذه الخشبة المستعملة في السقوف، لا غير، يمكن أن يتراوح طولها ما بين مترين إلى مترين ونصف، وسمكها ما بين 0.10م و0.16م.

106 - نفسه، ص. 109.

107 - حافظي علوي، سجداماسة وإقليمها، م.س. ص. 117.

108 - تاشيخت، المنجزات العمرانية للسلطان المولى عبد الرحمان بتافيلالت، م.س. ص. 203.

109 - لمراني علوي، المعمار المبني بالتراب، م.س. ص. 110.



☆ **الورقة**، والغالب على الظن أنها أخذت هذه التسمية نظرا لجماليتها ورقة سمكها المتراوح ما بين سنتمتر واحد ونصف إلى ثلاث سنتمترات، وطولها ما بين متر ونصف ومترين أو مترين ونصف، وهي ترافق "الكايزة" وتلتصق بها من الأسفل.

☆ **الفرد**، وهو عبارة عن خشبة من النخيل، يبلغ طولها ما بين مترين ونصف وثلاثة أمتار، وعرضها ما بين 0.30م و0.50م، وتستعمل في مداخل المنازل والغرف وأحيانا في السقف.

☆ **الكنطرة**، وهي خشبة من النخيل، لا تختلف في طولها عن "الفرد"، إلا أن عرضها يتراوح ما بين عشرين وخمسة وثلاثين سنتمترًا.

☆ **الكريدة**، وهي خشبة صغيرة مأخوذة من شجر النخيل، تشبه في شكلها "الكنطرة"، إلا أنها تختلف عنها في الطول والسمك، حيث الطول ما بين متر واحد ومتر وأربعين سنتمترًا، أما سمكها فمحدود ما بين خمسة عشر وثلاثين سنتمترًا، يتم تصفيفها وإتقانها لتكون بعض الأشكال الهندسية في السقف، إما على شكل مربعات أو مستطيلات<sup>(110)</sup>.

☆ **التشبيكة**، وهي أخشاب صغيرة، عبارة عن مواد لاحمة تؤخذ من أشجار النخيل، توظف لتشبيك أخشاب "الكايزة".

☆ **جريد النخل والقصب**، اللذان يستغلان في تسقيف بعض البيوت، وحظائر الحيوانات والدواجن بشكل خاص، وكذلك البيوت المخصصة لأعلافها.

☆ **الساكنف**، وهو عبارة عن شرفة تقابل العتبة من أعلى الباب، ويشيد إلى جانب السقوف والخرجات من الخشب.

أما الطين والتبن فيعتبران معادلة أساسية في العملية المعمارية المبنية بالتراب، نظرا لمتانتها ومقاومتها للتقلبات المناخية، إضافة إلى جانبها الجمالي<sup>(111)</sup>. وهكذا نجد الأشكال الزخرفية المستعملة في عملية بناء القصور تنقسم إلى ثلاثة أنواع؛ زخارف طينية، زخارف جصية وزخارف خشبية، وكلها تحتل الأماكن البارزة، سواء على شكل إفريز أو لوحة أو إطار، وتكون إما مصبوغة أو منقوشة على شكل عناصر هندسية (معينات، تشبيكات، مربعات ونجوم...) أو أشكال نباتية (أغصان، أزهار، نخيل...) وحتى حروف مكتوبة (الملك لله، العز لله، آيات قرآنية، العافية الباقية، أبيات شعرية مستوحاة من قصيدة البردة للبوصيري...)، وهذه الأخيرة تظهر بشكل جلي على جدران المساجد الجامعة أو في محاربيها ومنابرها.

هذه التشكيلات الهندسية لا تقتصر على دور الأغنياء، بل نجدها أيضا حتى في البيوت الأكثر فقرا، وقد عبر عن ذلك "دوفوكو" حين وصف هذه القصور بقوله: "لجميع القصور مظهر الأناقة (...). فلا يوجد بتاتا حائط واحد بدون نائتات أو بدون رسوم تخترقه شرفات مجيرة (...). وحتى المساكن الأكثر فقرا بها كثير من القباب الصغيرة والشرفات المقوسة والحواجر المفرغة"<sup>(112)</sup>.

110 - تاوشخت، عمران سجماسة، م.س. ص. 439.

111 - لمراني علوي، المعمار المبني بالتراب، م.س. ص. 113.

112 - دوفوكو شارل، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بلعربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1 الدار البيضاء 1999، صص. 282، 283.



### .III القصر الفيلاي؛ واقع الحال وآفاق رد الاعتبار

#### 1) ظاهرة انفجار القصر الفيلاي؛ الآثار والانعكاسات

يبدو تأثير الظاهرة جليا على مورفولوجية القصر الفيلاي، التي لم تعد محافظة على شكلها الهندسي المتناسق من الداخل والخارج، والمتسق مع معطيات محيطه الطبيعي موضعاً وموقعا، ذلك أن تصميم أغلب القصور يأخذ شكلا هندسيا مستطيلا بواجهة واحدة تضم المدخل الرئيس المفضي إلى أزقة القصر المختلفة، والتي بدورها تشكل حلقة وصل بين المنازل المترصة والمتشابهة إلى حد التطابق في غالب الأحيان. لكن ذلك الشكل لم يعد حال أغلب القصور الفيلاية التي تحولت إلى أشكال مشوهة البنية لا تراعي تناسقا ولا تهتم بجمال المنظر العام لهذا النوع من السكن القروي.

اتخذت ظاهرة "انفجار القصر" خارج الأسوار عدة مسارات بدءاً بالزيادة الواقعة على السور الداخلي أو الخارجي للقصر، والتي غالبا ما يعقبها فتح النوافذ والأبواب على أسوار القصر، وهو الشيء الذي لم تكن تسمح به "جماعة" من قبل، ثم الانتقال إلى البناء بعيدا عن الأسوار وخاصة على طول الطرق والمسالك والسواقي ووسط الحقول، وصولا إلى انتشار البناء بشكل عشوائي ومنفرد في مختلف الأحياء القريبة والبعيدة من القصر، وخاصة حينما تبني تلك الدور بالقرب من الإسطبلات. فقد ذكر أحد الباحثين<sup>(113)</sup> أن 45% من دور قصر "مزكيدة"<sup>(114)</sup> توجد خارج أسواره على سبيل المثال.

لقد نمت على جنبات القصر الفيلاي دور أشبه بالفطريات المختلفة الأشكال والمتنوعة البنية والمكونات، إن على مستوى مواد بنائها أو في المرافق التي تضمها، أو على مستوى أحجامها وأشكالها الخارجية، مما يوحي بنزوع ساكنة القصر إلى تبني نمط العيش الفردي المنفرد ما أمكنه من المراقبة الجماعية الصارمة التي تميز المجتمع المغلق، المتسم بروابطه العضوية القوية والتي تصنع اتساقا وحدويا شبيها جدا بمجتمع القبيلة الواحدة، ولأجل ذلك يجري تقديس عادات القبيلة ومحرماتها بشكل صارم. وأمام هذه الهالة الكبيرة لهذه العادات والمحرمات يتلاشى الحديث عن المسؤولية الشخصية والقرارات الفردية. فالصحيح محدد مسبقا وهو دائما مع المجموع الذي يحكمه هذا النظام القائم على القرابة والنسب والحياة بفعاليتها الاجتماعية المشتركة كالاحتفالات والأفراح والأفراح والأخطار. إنه مجتمع يرتبط أعضاؤه بروابط عضوية بيولوجية قوية، وليس بروابط تقسيم العمل وتبادل السلع كما هو الحال في المجتمع المفتوح<sup>(115)</sup>.

لا تقتصر آثار انفجار القصر الفيلاي على تشويه مورفولوجية السكن القروي بالمنطقة، بل تتعداه إلى جلب نوع دخيل من السكن الذي لا يأخذ بعين الاعتبار الخصائص الطبيعية في بعديها المناخي والتضاريسي، المتسم بميزات المناطق الصحراوية والشبه صحراوية شديدة البرودة شتاء والساخنة صيفا، مع ما يستتبع ذلك من ضرورة توفير السكن الطيني الذي يعمل على تلطيف قساوة هذه المؤثرات المناخية، ويحمي ساكنة المنطقة من تأثيراتها السلبية المحتملة.

<sup>113</sup> - المولودي محمد، أثر البرامج التنموية على تحول السكن الواحي بزيز الأوسط والأسفل، ضمن: السكن القروي؛ التحولات وآفاق التنمية، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب الجديدة، ط01، 2011، ص. 120.

<sup>114</sup> - ينظر صورة جوية للقصر في نهاية هذا المحور.

<sup>115</sup> - بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة السيد نفاذي، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1998، ص. 173.



ومع بروز هذا النوع من السكن المبني بالمواد الصلبة الحديثة والإسمنت المسلح، خارج أسوار القصر الفيلاي على وجه الخصوص، تأثر القصر بعوادي الزمن والإهمال حين هجرت بعض العائلات دورها داخل أسوار القصر وتركتها عرضة للتآكل والانهيال، وأصبحت العديد منها مجرد أطلال تبتث شكواها فلا تكاد تجد من يجيب. بل إن المؤسسات الدينية (المساجد والأضرحة) لم تسلم بدورها من ذات الإهمال، إما بسبب هجران مرتاديه لها، لتغير في الثقافة الشعبية المرتبطة أساسا بزيارة الأولياء والاعتناء بأضرحتهم، أو لاستبدال عدد من القصور الفيلايية مساجدها القديمة بأخرى مبنية على النمط المعماري الحديث، فكان نصيب الأولى أن أهملت وتركت عرضة لعوادي الزمن والاندثار.

هذا "الانفجار" أثر على الشرائح والبنى والمؤسسات الاجتماعية التقليدية داخل القصر الفيلاي، إذ اختفت في أغلب القصور مؤسسة "جماعة" المكونة من ممثلي كل سكان القصر حسب انتمائهم العرقي ووضعيتهم الاجتماعية، والتي كانت تسهر على تدبير الشؤون العامة لسكانة القصر تحت رئاسة الشيخ، المنتخب لمدة محددة يمكن تجديدها، والذي يتولى تنفيذ القوانين والقرارات الصادرة عنها<sup>(116)</sup>، وعوضتها مؤسستا الجماعة المحلية والشيخة (الشيخ والمقدم) التابعتين لوزارة الداخلية، وغدت المحكمة في صيغتها الحديثة الفيصل بين المتنازعين، ليقترن دور الساكنة على الشهادة لصالح أحد المتنازعين ضد الآخر<sup>(117)</sup>، عوض أن يتدخلوا لحل تلك النزاعات، إلا فيما ندر. إذ التناثر في الدور والمنازل دون سور أو رابط معماري له من الدلالات الاجتماعية ما يحيل على الفرقة والنزوع نحو الفردانية والانطواء على الذات، ورعاية الشؤون الخاصة أكثر من الاهتمام بشؤون الساكنة في كليتها وتشعب علاقاتها وارتباطاتها المصلحية وشؤونها العامة.

لقد كانت الأعراف المحلية بالمنطقة تعمل "على تنظيم العلاقات العامة واليومية بين الفئات المتساكنة داخل القصور، وذلك من خلال توزيع نطاقات السكن الخاصة بكل سلالة أو فئة، ونظام بناء الأزقة من حيث مداخلها ومخارجها بدقة متناهية. كما منعت كلية كل ما من شأنه أن يؤدي إلى نزاع الأفراد كالتغوط أو التبول داخل القصر، أو وضع الحجر والأخشاب والأوتاد داخل الأزقة. ونظمت الأعمال الجماعية المفروضة ككنس السواقي وبناء أسوار وأبراج القصر"<sup>(118)</sup>، كما كانت مؤسسة "جماعة" تفرض على كل السكان بمختلف فئاتهم المشاركة في بناء التحصينات كالأبراج والأسوار والمؤسسات الدينية والإنتاجية العامة (...). وأقرت مجموعة من الإجراءات الجزرية لمحاربة السرقة والتعدي أو الإضرار بالجار وتحقيق الهدوء داخل القصر، مع ضرورة الحفاظ على حرمة المسجد والمقبرة (المدينة)<sup>(119)</sup>. فلما انحلت هذه البنى الاجتماعية - على الأقل من الناحية القانونية - فقدت تلك الأعراف بعضا من حُجيتها ولجأ السكان، في حال عدم قدرتهم على احتواء مشاكلهم الداخلية بالطرق الودية، إلى مؤسسات الدولة الأخرى (القيادة - المحكمة - الدرك ...) لتتدخل بآليات فض النزاعات التي

<sup>116</sup> - تاوشينخت لحسن، واحة تافيلالت من المدينة إلى القصور، مجلة واحات المغرب، ع01، أكتوبر 2014، ص. 11.

<sup>117</sup> - البوزيدي محمد، قصور واحات الجنوب الشرقي بين الماضي المشرق والحاضر المؤلم، مجلة واحات المغرب، ع01، أكتوبر 2014، ص. 25.

<sup>118</sup> - عبد اللوي علوي أحمد، مدغرة وادي زيز، إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، المحمدية، مطبعة فضالة، ج. 2، 1416هـ/ 1996م ج. 02، ص. 185.

<sup>119</sup> - نفسه، ص. 186.



يخولها لها قانون الدولة الحديثة، مع ما يستتبع كل ذلك من ضومر للحد الأدنى من الود والتعايش المطلوب توفرهما بين ساكنة القصر الواحد.

لم تؤثر ظاهرة "انفجار" القصر الفيلاي على مورفولوجية السكن بالمنطقة والبنى الاجتماعية للسكان فقط، بل تعدتها إلى التأثير على الجانب الطبيعي - البيئي في أبعاده المتعددة. ذلك أن أغلب الدور المبنية خارج أسوار القصر قد شيدت على حساب الأراضي الزراعية، وذلك بسبب اتساع السهل، وسيادة الملكية الخاصة، وتموقع جل القصور داخل المحيط الزراعي، إضافة إلى أن مياه الفيض لم يعد لها تهديد محتمل على السكن والسكان، بعد انطلاق تشغيل سد الحسن الداخل المشيد على وادي زيز سنة 1972، مما أدى إلى انتشار السكن على طول السواقي وبوسط الحقول.

يتجلى الضرر البيئي إذن في أن هذه الدور، بطابعها التقليدي والعصري، قد "نبتت" في وسط زراعي حساس يعاني في الأصل من فقر التربة وملوحتها وتوالي سنوات الجفاف واستنزاف الفرشة المائية الباطنية، فأضافت هذه البنائات مياهها العادمة، سواء تلك التي يتم تصريفها عبر الثقوب الجوفية، التي لا تراعي في الغالب الجوانب البيئية في تشييدها، أو تلك التي تصرف على السطح بواسطة "الميازيب"، بما تحمله من مواد كيميائية مضرّة بالتربة والمياه السطحية والجوفية. كما أن عدم توفر هذه القصور على مطارح للنفايات الصلبة جعل أغلب ساكنة هذه الدور تلجأ إلى رمي نفاياتها بشكل عشوائي في وسط الحقول والسواقي وعلى جنبات أشجار النخيل وأسوار القصر، مع ما يترتب على ذلك من أضرار جسيمة ويهدد التوازن الإيكولوجي في المنطقة.



الوثيقة 03: صورة جوية لانفجار قصر "مزكيدة" بشكل مستعرض في المجالات الزراعية خارج الأسوار.



نموذجان لانفجار القصور الفيلايية<sup>(120)</sup>:  
الوثيقة 02: صورة جوية لانفجار قصر "تابوعصامت" على طول المسالك المؤدية للقصر.

<sup>120</sup> - <https://www.google.co.ma/maps>.



## 2) القصر الفيلاي؛ رد الاعتبار بين الواقع والمأمول

إن التأثيرات السلبية السالفة الذكر وغيرها لظاهرة "انفجار القصر" الفيلاي، تُسائل كل الفاعلين والمتدخلين في شؤون منطقة تافيلالت بمختلف مشاريعهم وانتماءاتهم العلمية والمؤسسية، للبحث عن أنجع الطرق لرد الاعتبار للقصر الفيلاي كبنية عمرانية ومجتمعية تمثل التاريخ والحاضر ومستقبل المنطقة، في إطار سياسات وبرامج التقائية تحفظ عليها كيائها وتراعي خصوصياتها، مع الانفتاح على التجارب الوطنية والدولية الناجحة في هذا المجال.

فرغم أن الدولة المغربية قد أدركت منذ الاستقلال أن السكن القروي قد صار ينمو بشكل فوضوي، وخصصت العديد من البرامج لترميم بعض قصور الواحات ورد الاعتبار لها<sup>(121)</sup>، "إلا أن أغلب تلك التدخلات قد اتسمت بالبطء والانتقاء"<sup>(122)</sup> وعدم إشراك السكان القادرين على ضمان الصيانة الدائمة لهذه العمارة، (...) خاصة وأن النظرية الأحادية لمعمار القصر أبانت عن محدوديتها وفشلها"<sup>(123)</sup>، علما أن أعمال الترميم المختلفة لم تراعي خصوصيات القصور المستهدفة، حيث طمست القيم الشكلية والفنية لبعض المنشآت المعمارية كالمدخل الرئيس لبعض القصور، إضافة إلى استعمال مواد دخيلة عوض الاعتماد على المواد القريبة من الأصل وتغيير التصاميم والأشكال الهندسية الأصلية.

إن المحافظة ورد الاعتبار للقصر الفيلاي يقتضي تكامل جهود جميع الفاعلين الوطنيين والمحليين، من مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، ممثلا في الجمعيات التنموية الجادة والشخصيات الاعتبارية داخل مجتمع القصر في كل مراحل رد الاعتبار، انطلاقا من التخطيط والبرمجة ووصولا إلى التنفيذ وتقييم الاختلالات. وذلك بالعمل على إحياء وتقوية دور المؤسسات العرفية ذات التأثير الإيجابي في المحافظة على حرمة القصر وانتظام شؤون سكانه. ولعل أهمها مؤسسة "اجماعة" التي تضم مثلي كل مكونات القصر على اختلاف فخذاتهم ومستوياتهم السوسيو-اقتصادية، والقادرة على الإسهام المباشر في التخطيط وأجراء وتنفيذ مخططات وبرامج الإنقاذ، في إطار بعد تنموي محلي متعدد الأبعاد ومتنوع المجالات. إذ التنمية المحلية في بعدها الشمولي تتكامل فيها العناصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية<sup>(124)</sup>. وهي (التنمية المحلية) في المجال القروي مسلسل يهدف بالأساس إلى إحداث التحول البنوي والنمو الاقتصادي بشكل يؤدي إلى تأمين أفضل لمختلف الموارد، ويخلق فرص للشغل ويحسن من مستوى عيش الساكنة القروية<sup>(125)</sup>.

وحتى لا نبقي في العموميات على أهميتها، نقترح القيام بالخطوات والإجراءات التالية، والتي نعتقد أنها الكفيلة برد الاعتبار للقصر الفيلاي:

121 - لمزيد من التفصيل حول هذه البرامج والمخططات يراجع: تاوشخت لحسن، العمارة المغربية المبنية بالتراب وتحديات المحافظة والتأهيل، ضمن: Hespérís-Tamuda LII (3) (2017): 335-359.

122 - لم تستفد من أعمال الترميم على علاتها سوى خمسة قصور وهي: الفيضة، قصبة مولاي عبد الكريم، أبو عام، أخنوس وأولاد عبد الحليم.

123 - تاوشخت لحسن، العمارة المغربية المبنية بالتراب، م.س، ص. 353.

124 - السعيد رشيد، لحرش كريم، الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة، الرباط، طوب بريس، ط01، 2009، ص. 48.

125 - بو علي الخلافة، التراث المبنى بمنطقة تيزيمي: دراسة تصنيفية وصفية، بحث لنيل شهادة الماستر المتخصص في التراث والتنمية، كلية الآداب فاس سائيس، فاس، الموسم الجامعي: 2013-2014، ص. 167، نقلا عن: كيبيري علوي مولاي هاشم، التحولات السكنية بيزيز الأوسط:

انفجار القصور ومسلسل التمدين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب ظهر مهاز، فاس، السنة الجامعية: 2004-2005.



- ★ وضع خطة شاملة وبرنامج متكامل لإنقاذ القصور، وخاصة الآيلة منها للانهايار ذات الكثافة السكانية المرتفعة نسبيا، وتعبئة كل الموارد المالية والبشرية المتاحة بما يسهم في ضمان استقرار هذه الساكنة أو ما تبقى منها على الأقل.
- ★ توحيد جهود كل المؤسسات الفاعلة في مجال حماية التراث (وزارة الثقافة، الوكالة الوطنية للحد من السكن غير اللائق، وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والإسكان وسياسة المدينة، وكالة العمران، الجماعات والسلطات المحلية...)، وذلك بإحداث وكالة خاصة بتأهيل القصور والقصبات والمحافظة عليها، على غرار الوكالات الحضارية. مع تبسيط المساطر الإدارية المرتبطة بالتعمير وملاءمتها مع طبيعة السكن والسكان في هذه المناطق.
- ★ وضع مخطط فلاحي / مائي على المديين المتوسط والبعيد، يهدف إلى إحياء موات الأرض بتاڤيلالت، وحل مشاكل الملكيات الفلاحية، باعتبار ذلك المدخل الرئيس لإعادة لم شمل الساكنة داخل أسوار القصر الواحد، في ظل الإغراءات المتزايدة للمدينة كنقطة جذب للفئة الشابة على وجه التحديد.
- ★ يعتبر التوظيف السياحي للقصور والقصبات بتاڤيلالت أحد الاتجاهات التي تساعد على المحافظة عليها، على أساس عدم تشويه خصوصياتها المعمارية والفنية<sup>(126)</sup>، ومميزات ساكنتها الاجتماعية والثقافية، وذلك بتشجيع الأنشطة السياحية في أبعادها المتعددة (علمية، روحية، ثقافية، إيكولوجية...)، ودعم مختلف المبادرات التي تصب في ذات الاتجاه، مع توفير البنى التحتية الضرورية، وخاصة منها الطرق ذات المواصفات المناسبة، وما يوازي ذلك من تعريف وإشهار على المستويين الداخلي والخارجي.
- ★ العمل على تنويع مصادر دخل الساكنة وتكوين شبابها في مجالات الفلاحة والحرف والسياحة والتجارة على الخصوص، وتثمين منتوجاتهم بشكل تكاملي بعيد عن المنافسة الداخلية بين القصور، بما يسمح بضمان دخل مستقر، حتى في سنوات الجفاف التي تعاني منها المنطقة بشكل بنيوي.
- ★ إدراج مكون المحافظة على التراث المحلي بمختلف جوانبه في المنظومة التربوية المحلية (المواد الدراسية، الأندية التربوية...) ومخططات وبرامج عمل جمعيات المجتمع المدني، بما يغرس قيم الاعتزاز بالمووروث التاريخي وضرورة المحافظة عليه وتثمينه في نفوس الناشئة، التي باتت تعتقد أن السكن داخل أسوار القصر رديف للفقر والتهميش، بفعل الوضع الموروث وانفتاح أبناء المنطقة على عوالم جديدة من خلال استعمال تقنيات الاتصال الحديثة التي باتت متاحة بين أنامل أغلب الشباب في المنطقة.

#### الخلاصة

في ختام هذه الدراسة، يمكننا أن نخلص إلى القول بأن الغنى الحضاري والثقافي والطبيعي لواحات تاڤيلالت، وريثة مدينة "سجلماسة"، الميناء التجاري الأساس في طرق التجارة الصحراوية الدولية على مدى قرون من الزمن، ومحضن الأسرة العلوية الحاكمة، يؤهلها للعب دور كبير في السياحة بمختلف أنواعها (تاريخية، بيئية، دينية، ...)، كما يسمح لها بالانخراط في مسلسل التنمية القروية في البلاد. مما يتطلب رؤى متقاطعة تتهل من مختلف الحقول والمجالات، سعيا لإنقاذ الهوية الحضارية لمنطقة تاڤيلالت، وتعزيز استقرار الساكنة داخل أسوار هذا النوع

126 - تاوشيخت لحسن، العمارة المغربية المبنية بالتراب، م.س، ص. 354.



من السكن، والتي تعاني من التهميش من جهة، وتقاوم جاذبية المراكز الحضرية وما تقدمه من خدمات وظروف عيش أفضل من جهة ثانية. وهو أمر، على حد اعتقادنا، غير عزيز على مختلف مكونات المجتمع الفيلاي ومؤسسات الدولة ووطنيا ومحليا، إن توفرت الإرادة الجمعية الكامنة وراء تاريخ حافل من البطولات والأمجاد على مر تاريخ المنطقة من سجلماسة المدينة إلى تافيلالت القصور والواحة، وتضافرت كل جهود المخلصين والغيورين على حفظ الذاكرة الإنسانية عامة، وذاكرة المنطقة الناطقة على الخصوص.

#### بيبلوغرافيا الدراسة:

- (1) البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، باريس، 1965.
- (2) ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، المحمدية، مطبعة فضالة، 1976.
- (3) ابن خلدون عبد الرحمان، العبر، ج.07، بيروت، 1981.
- (4) ابن زيدان عبد الرحمان، المنزغ اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة إديال.
- (5) بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة السيد نفاذي، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1998.
- (6) البوزيدي أحمد، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17، مطلع القرن 18)؛ دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، منشورات آفاق متوسطة 1994.
- (7) البوزيدي محمد، قصور واحات الجنوب الشرقي بين الماضي المشرق والحاضر المؤلم، مجلة واحات المغرب، ع.01، أكتوبر 2014.
- (8) بوعلي الخلافة، التراث المبني بمنطقة تيزيمي: دراسة تصنيفية وصفية، بحث لنيل شهادة الماستر المتخصص في التراث والتنمية، كلية الآداب فاس سايس، فاس، الموسم الجامعي: 2013-2014.
- (9) تاوشخت لحسن، عمران سجلماسة من خلال المصادر التاريخية والخريطة الأثرية، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ؛ جامعة محمد الخامس، ج.2، 2001-2002.
- (10) تاوشخت لحسن، المنجزات العمرانية للسلطان المولى عبد الرحمان بتافيلالت، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني، دجنبر 1993، دار المناهل للطباعة والنشر، يناير 1996.
- (11) تاوشخت لحسن، العمارة المغربية المبنية بالتراب وتحديات المحافظة والتأهيل، ضمن: Hespéris- 335-359 (2017) (3) Tamuda LH.
- (12) تاوشخت لحسن، واحة تافيلالت من المدينة إلى القصور، مجلة واحات المغرب، ع.01، أكتوبر 2014.
- (13) تاوشخت لحسن، المنجزات العمرانية للسلطان المولى عبد الرحمان بتافيلالت، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، مركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني، دجنبر 1993، دار المناهل للطباعة والنشر، يناير 1996.





- (14) حافظي علوي حسن، سجل ماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1418هـ/ 1997م.
- (15) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج3.
- (16) دان روس، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، المواجهة المغربية للإمبريالية الفرنسية 1881-1912، ترجمة أحمد بوحسن، الرباط، منشورات زاوية للفن والثقافة، 2006.
- (17) دوفوكو شارل، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بلعربي، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- (18) السعيد رشيد، لحرش كريم، الحكامة الجيدة بالمغرب ومتطلبات التنمية البشرية المستدامة، الرباط، طوب بريس، ط1، 2009.
- (19) عبد اللوي علوي أحمد، مدغرة وادي زيز، إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، المحمدية، مطبعة فضالة، ج2، 1416هـ/ 1996م.
- (20) العلوي القاسمي هاشم، تافيلالت التاريخ والواقع، ج2، 2000.
- (21) كريخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة؛ الرباط، ج3.
- (22) كبيري علوي مولاي هاشم، التحولات السكنية بزيز الأوسط: انفجار القصور ومسلسل التمدين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب ظهر مهاز، فاس، السنة الجامعية: 2004-2005.
- (23) لمراني علوي محمد، المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، ندوة المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، جامعة محمد الخامس بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80.
- (24) المولودي محمد، أثر البرامج التنموية على تحول السكن الواحي بزيز الأوسط والأسفل، ضمن: السكن القروي؛ التحولات وآفاق التنمية، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب بالجديدة، ط1، 2011.
- (25) الوزان الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1983.
- 26) E.F. Gautier; le passer de l'Afrique du nord; Payot; Paris 1964.
- 27) F. Joly, Etude sur le relief de sud-est Marocain, Rabat, 1962.
- 28) Gautier, Le Sahara; Paris, 1904.
- 29) G. Toutain, F. Deve: hydrauliques agricole au Sahara, Rabat, 1979.
- 30) Mazzine Larbi; Le Tafilalet, contribution a l'histoire du Maroc au 17 et 18ème siècle, Rabat 1987.
- 31) TAOUCHIKHT L. Aspect monumental de Sijilmassa, in : L'architecture de terre en Méditerranée, publication de la faculté des lettres et des sciences humaines, série: colloques et séminaires n°:80, Rabat 1999 .





## القرابين البشرية عند القرطاجيين

تقديم الدكتور :- الامين على الامين عبد العاطي

عضو هيئة التدريس بجامعة الجفرة

تمهيد :-

تعددت الأبحاث عن القرابين البشرية عند القرطاجيين على وجه الخصوص وفي نظيراتها الفينيقية عموماً وسُميت هذه القرابين البشرية ملك عدم ( moikdm ) وهى تعنى "ملك الإله (1) " وبالأخص تلك التضحية الجماعية والتي إعتبرت عند كثير من الباحثين مثل جان مازيل بمثابة مجزة للأطفال بالمعنى الحقيقي ، وقد أثارت هذه الظاهرة على مر العصور سُخط الناس من أصحاب النفوس النبيلة والذين ليست لديهم معرفة حقيقة عن طُقوس الماضي الدينية بل نالت هذه الظاهرة قدراً كبيراً من الكره والإسمئزاز من أصحاب الحضارات المعاصرة لهم كالإغريق والرومان (2) وفى الواقع يجب علينا ، لدى بحث هذه المسألة والمتعلقة بالقرابين البشرية كنوع من الممارسات الدينية الفينيقية أولاً و البونيقية ثانياً أن ننظر إليها بمنظار ذلك الزمن الذي قُدمت فيه ، لكي نُدرك بأية قيم روحية كانت ترتبط بهذه القرابين ، وبالنتيجة فان هذه القيم الروحية ستكون في النهاية قيم قريبة جداً من قيمنا في هذا الزمن ، إذ أننا نجد في عصرنا هذا أن التضحية بالنفس هي أروع و أنبل التضحيات التي يمكن أن يُقدمها الإنسان لأجل هدف نبيل ، والأمر نفسه ينطبق على العُصور القديمة في قرطاجة وغيرها ، حيث على القائد الخاسر في معركة ما في قرطاجة كان يجب عليه عند عودته ودخوله المدينة أن يُبرهن على إخلاصه لوطنه وذلك بان يُلقي بنفسه في نار أحد المعابد وهي على الأرجح في معبد الإله بعل حامون والإلهه تانيت .



وكذلك الحال ذاته عندما تتعرض المدينة لأي نكبات كبيرة كالحصار مثلاً ، فان نساء المدينة المتحمسات في قرطاجة كن يلقين بأنفسهن من فوق أسطح المنازل العالية وأطفالهن في أيديهن وذلك لإثارة الشعور بالرهبة عند الأعداء وإثبات مشاعرهن الحماسية لوطنهن كما أورد ذلك كثير من الكتاب القدماء أمثال ديودور الصقلي وبلوتارخ وغيرهم ، بل إن هذه التضحية تُعتبر نوعاً من الورع والتقى الديني الذي كان منتشراً عند القرطاجيين حيث يُورد بلورتاخ ( 45 - 125 م ) في هذا الصدد " أن المؤمنين الأتقياء كانوا لا يترددون في تقديم أطفالهم على مذبح الإله ، أما الأغنياء ذو العقليّة الواقعية فقد كانوا يقدمون للإلهة صغار الرقيق أو يشترون أبناء الفقراء يستعوضون بهم عن أبنائهم " (3) ، ويبدو أن هذه الممارسة الدينية ذات وقع خاص عند كثير من المؤرخين الذين درسوا الديانة الفينيقية واليونانية ذلك راجع إلى ما أثارته من جدل كبير حولها ، حيث كانت هذه العادة تقتضي بأن يُضحى الأب بالابن البكر له وهو عُرف لدى الكنعانيين منذ عصر قديم ، حيث تم الكشف على عظام أطفال في حالة بالية مودعة في أساس المنازل ، فقد إحتفظ الفينيقيون بهذه العادة إلى عصور متأخرة ، ويدل أحد هذه النصوص على ممارسة هذه العادة الدينية عند الفينيقيين في أوقات الأزمات فقد ورد " وهي قد كانت مُستخدمة - أي هذه العادة - حينما يطرا خطر كبير مُفاجي ، إن زعماء المدينة أو المواطنين الأكثر غنى كانوا يضحون بأبنائهم وذلك من اجل أن يتجنبوا دمار الكل ، وذلك مثل الفدية التي كانت تُقدم للإلهة وبالخصوص لـ Vengeance ، وكانت هذه الأضاحي تُقدم بطريقة سرية " (4) . فقد روى فليون أنه كان من عاداتهم في حالات الأخطار العامة أن يُضحوا بأعز أبنائهم لابعاد الكوارث عن أنفسهم ، أما في الأحوال العادية فانه كان في الإمكان إحلال حيوان محل الضحية البشرية ، وبرروا ذلك بمثال رواه لهم علماء الأساطير ويتلخص في أن الإله كرونوس كان قد ضحى بابنة الوحيد والمولود من حورية من السكان الأصليين وتُدعى Anobert وكان هذا الابن يُدعى Yedoud حيثُ ضحى به عندما نزل الطاعون فاحرقه تشريفاً لأبيه اورانوس بعد أن زينه بثياب ملكية (5) وربما تكمن فكرة التضحية بالابن الأكبر من خلال الفكرة الشرقية القديمة التي تتضمن على أن الابن الأكبر يكون ضعيف البنية إذا ما قورن بما يليه ، حيث أن العجل الأول من البقرة يكون أقل قيمة إذا ما قورن بالعجل الثاني ، والفكرة ذاتها وحسب المنظور الشرقي تنطبق على الإنسان بذات الشيء ، وهذه الفكرة البابلية تندرج في إطار الواقعية المتعلقة بنسب الآلهة وهي سمة في الطفل البكر الذي يوصى - حسب اعتقادهم - انه لم يهي له نصيب في الحياة أبداً



من قبل الآلهة ، وبحسب رواية فيلون هذه فان هذا الطقس المُتمثل في تزيين الضحية بملابس ملكية ربما يُذكرنا بالشعيرة الأشورية والتي تقتضي أن يموت نائب الملك عوضاً عن الملك اسرحدون وذلك بحسب العلامات المشؤمة بعد تزيينه (6) . وربما يزداد الأمر وضوحاً إذا ما أوردنا النص القانوني الذي نشأ من التوراة حيث ذكر " أنت سوف تعطيني الابن الأكبر كابنك ، وأنت سوف تُقدمة بنفسك من اجل صغيرك وماشيتك السمينة ، والابن البكر سوف يمكث خلال سبعة أيام مع إمه ثم اليوم الثامن أنت سوف تُسلمه لي " وهذا القانون نشأ من القوانين التوراتية الأكثر قِدماً والتي تسمى اصطلاحاً بالمجموعة القانونية Alliance<sup>(7)</sup> ومن خلال هذه القوانين نلاحظ أنها ربما تكون سليله من مجتمع زراعي في طبيعته .

وقد وردت إشارات عديدة في التوراة تناولت الأضاحي البشرية (8) حيث ورد في سفر الملوك الثاني " كان جاز ابن عشرين سنة حيث مُلك ، ومُلك سنة ستة عشر سنة في أورشليم ولم يعمل المستقيم في عيني الرب أهة كداود ابيه بل سار في طريق ملوك إسرائيل حتى انه عَبَرَ ابنه في النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل " ، كما وَرَدَ في حزقيال " أعطيتهم أيضا فرائض غير صالحة و أحكام ليعيون بها ونجستهم بعطاياهم إذ أجازوا في النار كل فاتح رجم لأبيدهم وحتى يعلموا أنني أنا الرب " (9) وبالنظر إلى العبارة الأولى التي تُشير إلى ذكر أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل ، فان الاعتقاد السائد اليوم بان هذه الشعوب لايعنى بها الفينيقيين وانما شعوب أخرى دخلت في مواجهات مع العبرانيين ، واما بالنسبة إلى العبارة الثانية والتي تُشير إلى فاتح كل رحم وتعني هنا الابن البكر دون أدني شك .

ويبدو من خلال الكثير من الإشارات القديمة أن بلاد فينيقية كانت قد عرفت هذه الممارسة الدينية منذ فترة طويلة غير أنها كانت مرتبطة بالإله ملوك على ما يبدو ، فقد أشارت التوراة إلى أن الكنعانيين كانوا يُمارسون هذه العادة وذلك بعبور أبنائهم للنار في وادي حنون ، وقد دلت نتائج الإكتشافات الأثرية في منطقة كفر جرة الحديثة على صحة هذه النظرية حيث تم الكشف على صندوق يحتوي عظام أطفال تحت بلاطة عند أساس جزء من الأسوار ، ومن المُرجح أن يكون الغرض من هذا هو التضحية أثناء تأسيس السور (10) .



ويبدو إن هذه العادة كانت قد انتقلت مع المؤسسين الفينيقيين إبان فترة التوسع الفينيقي ، فمن الواضح انهم مارسوها منذ بداية تأسيسهم لتلك المستعمرات وتأتي على رأسها مدينة قرطاجة حيث روى جوستين Justin أن الأميرة ألسيا كانت قد ضحت بنفسها بان رمت نفسها في النار ذلك بعد أن طلب منها ملك الليبيين ( يوباس ) الزواج ، وفي حالة الرفض فانه سوف يُدمر مدينتها قرطاجة وذلك تضحية للإله ملوك<sup>(11)</sup> وربما يُرجح أن تكون هذه التضحية ما هي إلا نوع من الطقوس الدينية للإله ملقارات<sup>(12)</sup> و خصوصاً إذا علمنا أن زوج الأميرة ألسيا كان كاهناً لمعبد الإله ملقارات في مدينة صور ، وبالرغم مما رواه جوستين من أن هذه الأميرة إحتالت على ملك الليبيين و أقامت محرقة بالقرب من منزلها ثم رمت بنفسها فيها<sup>(13)</sup> ، كما أورد Philon دليلاً آخر على معرفة الفينيقيين لهذه الممارسة حيث قال " عند الأسلاف هذه قد كانت العادة أو العرف في حالات سوء الحظ الكبير كانوا يُضحون لانتهاء الكارثة بالأبناء الأسمى قدرأ بالمدينة ، ذلك من اجل التوسل أو التضرع للإله لعدم إبادة الكل وذلك بان يتنازلون عن الأكثر غلاءً من أبنائهم ، بل وكانوا يضحون بقدية إلى الشياطين والتي كانت تختص بمشيئة القصاص .. الخ " ، ويبدو أن هذه العادة كانت قد استمرت في الشرق حتى فترة متأخرة نسبياً ، حيث روى الكاتب نفسه أن مدينة صور عندما حاصرها الاسكندر المقدوني سنة 322 ق .م ، إقترح بعض مواطنيها اللجوء مرة ثانية إلى التضحية بالأطفال وذلك بان يختاروا من العائلات الأسمى في المدينة غير أن هذا الاقتراح قوبل بالرفض من مجلس المدينة ، وذلك أن هذه العادة كانت قد إنتهت منذ القرن السادس قبل الميلاد ، غير أنها بقت حيه في المستعمرات الفينيقية لعدة قرون تلت<sup>(14)</sup> . وقد وردت في القرآن الكريم قصة مُشابهة لهذه الممارسة وهي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث قال الله تعالى {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) }<sup>(15)</sup> . ومن هذه الآيات الكريمة يبدو أن مسالة الحرق هنا ما إلا نوعاً من العقاب ولا ينطبق إطلاقاً على مبدأ التضحية ، ومما يُؤيد مبدأ القصاص حرقاً في الحضارات القديمة هو ما ورد في النصوص البابلية القديمة حيث نصت في الكثير من أحكامها على هذا النوع من القصاص وقد وردت في إحدى هذه النصوص أن الحنث أو المُغتصب للعقد يقضي بان يحرق وريثة البكر في Hamru للإله حدد<sup>(16)</sup> ومن كل ما سبق ذكره يبدو أن هذه الممارسة الدينية كانت معروفة في الشرق قبل أن تنتقل مع التجار الفينيقيين إلى مُستعمراتهم في حوض البحر المتوسط .



## في قرطاجة :-

أن هذه الممارسة الدينية كانت قد أخذت طابعاً أكثر وضوحاً في مدينة قرطاجة وفي المدن البونيقية الأخرى وذلك إبتداءً من القرن السادس قبل الميلاد ، ومن اهم المصادر التي تناولتها هي ما أوردته لنا المصادر الكلاسيكية حيث تحدثت بعض الكتاب الكلاسيكيين عن هذه الممارسة الدينية ، فقد روى لنا ديودور الصقلي في أثناء حديثه عن حملة أجاثوكليس طاغية سيراكوزا على مدينة قرطاجة بمساعدة فيلاس الملك قوريني في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، يُشير الكاتب إلى أن القرطاجيين إعتبروا ما حلّ بهم هو نتيجة غضب الإله عليهم ويعود أسباب هذا الغضب إلي لجوء القرطاجيين - حسب رأيه - إلى الخِداع تَجَنُّباً لتقديم أطفالهم كقربانين للآلهة ، وذلك بان عمدوا على نقيض الفترات السابقة إلى شراء أطفال العبيد وتقديمهم بدلاً من أبنائهم الحقيقيين ، وقد كشف التحقيق الذي أُجرى هذا التلاعب فتقرر إختيار مائتي طفل ينتمون إلى أكبر الأوساط الإجتماعية منزلةً وتقديمهم كقربانين باسم الدولة ، وفي نفس الوقت قرر بعض المُتطوعين بمحض إرادتهم تقديم أنفسهم كقربانين إلى الإله فارتفع الإجمالي لبيبلغ ثلاثمائة شخص ، ويُقدم ديودور بعد ذلك وصفاً لتمثال الإله كرونوس - بعل حامون - المصنوع من البرنز والمُنصب في مدينة قرطاجة ، حيث يُشير إلى ذراعي التمثال اللتان كانتا ممدودتين في إتجاه مائل نحو الأرض فيما كانت راحتاه موجهتين إلى أعلى بطريقة تجعل القربان ( الطفل ) الموضوع على ذراعي التمثال يَتَدَخَّرُ ليسقط وسط النار المتأججة إمامه ، وأكتاف التمثال كانت تتعدى أعلى أسوار المدينة ، قد عملت إسطوانات لتحريك ذراعية بواسطة سلسلة صغيرة ، وقَبَل أن يُشرع في إجراء الطُقوس - حسب قوله - كانت تُحرك أذرع الإله بشكل جيد ، وذلك بواسطة سلاسل رفيعة كانت تحمل أصابعه حتى تصل إلى أكتافه ثم تنزل للخلف مرة ثانية وكان الرجال يسحبونها إلى أعلى من جديد ، ويعملون على أن تصعد إلى الأعلى من مرفقيه ويدها الاثنان مَفْتُوحَتان وهما قريبتين منه حتى تصل إلى مُقابل بطنه وهي تتحرك عدة مرات وبشكل مُتعاقب ، ويورد الكاتب أنه أثناء هذه الحركة الصغيرة والمُتقطعة وغير المُنتظمة كانت النار تزمهر أمام الإله (17) (18) . وقد ذَكَرَ الكاتب ( Flaubert ) في هذا الصدد " الأذرع من البرنز وقد كانت تتحرك بشكل سريع وهي لا تتوقف أبداً .. والضحايا موجودة على الحافة من الفتحة ، وقد كانوا يختفون داخلها مثل نُقطة من الماء على الصَفِيحة المُحمرة والدخان يتصاعد أبيض وبلون أحمر قرمزي وبشكل كبير ، الا أن شهية الإله لم تكن لتهدى أبداً ، حيث كان



يُريد المزيد ، وفي النهاية فإن هذه الضحايا لهذا الإله في تزايد مُستمر ، والتي كانت تتقوس على يديه المرْبُطتين بسلسلة غليظة في جزء العلوي من بدنه وهي التي كانت تُمسك هذه الا ذرع " (19) ، ويبدو أن المقصود في العبارة الأولى بالخفرة المُتوهجة عند أقدام التمثال ربما تُطابق التوفيت التي وردت في التوراة العبراني ( TaΦέθ ) حسبما وردت في الترجمة السبعينية وربما أنها ترتبط باللفظة الآرامية " Topha " والتي تعني " تضع على النار " والـ " Tephaya " والتي تعني " نار الموقد " ويبدو أنها مُشتقة من اسم منطقة بالقرب من القدس في منطقة وادي حنون ، والتي كانت تتم فيها هذه الممارسات الدينية والمُتمثلة في التضحيات البشرية للإله ملوك Malok (20) ويبدو أن ديودور الصقلي كان قد إستلهم خياله هذا من اسطورة Talos الكريتية وهي التي تتمثل فحواها في إنسان آلي كان مُكلف بحماية كريت ضد الهجرة ولمنع السكان من الخروج منها من غير موافقة الملك مينوس Minos ، وفي حالة قبضه على المُخالفين للقانون فإن هذا التمثال Talos كان يرميهم في النار وهي كناية عن سوء الحظ حسب رؤية أو ربما أنه إستلهم هذه الفكرة من خياله الأسطوري وهو نابع من الثور المشهور والمصنوع من البرنز والذي كان قد صنعه Perilaos لاجل Phalares Agrigente حيث كان لهذا الثور أجنحة وقد صنعته مدينة صور وذلك لحرق ضحاياها ، ويبدو أن هذا التمثال كان قد وجد في مدينة قرطاجنة سنة 146 ق . م حيث صور على قائمة من الادوات القرطاجية الدقيقة (21) . وهذا الأمر غير مُستبعد بالنسبة لكتابات ديودور الصقلي .

وكذلك فلقد أشار بلوتارخ (22) Plutarque إلى هذا الممارسة الدينية عند البونيقين ودكر أن القرطاجيين كانوا يُقدمون أطفالهم قرابين إلى الآلهة ويُضيف أن من لا أبناء لهم كان بإمكانهم شراء أطفال الفقراء كما تُشتري الخرفان أو الطيور وحيث يقول كما سبق وان ذكرنا " أن المؤمنين الأتقياء كانوا لا يترددون في تقديم أطفالهم على مذبح الإله " (23) ورغم هذه الإشارات من كلا المؤرخين إلا أنهما تعرضا لانتقادات كثيرة من قبل الباحثين المعاصرين وسوف نأتي لمناقشة هذه النقطة في نهاية هذا المبحث .

بالإضافة إلى أنه تم العثور على العديد من الوثائق المكتوبة والتي إحتوت على عبارات تُشير إلى هذا النوع من الطقوس الدينية التي وردت في هذا الصدد وما تبعها من تفسيرات مُتعددة لأشكال





الجذر Molek والذي إرتبط اسمه بهذا النوع من الممارسات الدينية وذلك باعتبار أنه يُشير إلى نوع مُحدد من القرابين ، وهو يتقابل على العديد من النقوش الفينيقية والتي تم الكشف عنها في فلسطين ، بل وحتى داخل جُزر البحر المتوسط ، وكذلك في مدينة قرطاجة ، وربما انه كان قد إشتق من الفعل Hik والذي يعني " الذهاب " والذي يعني في معناه العام " القران " ويبدو أنه كان قد اختص بهذا الغرض منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد اشتق منه الاسم الموصوف Mik والذي ظَهَرَ منذ القرن السابع قبل الميلاد على نصبين تذكاريين فينيقيين في جزيرة مالطا ، ومن هنا يتضح لنا بان هذا المصطلح قديم في أصله ، وقد وَرَدَ في النقوش البونيقية ثلاثة أشكال منها النهاية Moik بالإضافة إلى استخدامها بشكل مُنفرد والأشكال الثلاث هي : - Molkadam , Molkbaal , Molkomor ، حيث صاحبت هذه الأشكال الثلاث النقوش البونيقية والتي يتبين فيها إشارات للقرابين البشرية ، ومما هو جدير بالذكر أنه قد وردت آراء مُتعددة حول تفسير هذه الأشكال للفظة MLOK حيثُ أن التعبير الأول وهو Molkadam يعني حسب رأي المُفسرين "سَلَبَ أو أَحَدَ القُربان من إنسان عُنوةً أو أنه قُربان قُدِمَ بواسطة إنسان " ، وهذا التفسير الأخير هو الأفضل حيث يُلاقي قُبولاً عند الكثير من المُفسرين لهذه الكلمة ، كذلك فلقد وَرِدَت هذه اللفظة على الشكل التالي: -M / btm bsrn K'dm حيث أن لفظة " btm " تعني " فرحة " و"على نفقته " أي أن العبارة تعني في مُجملها " قُربان مُقدم بواسطة إنسان على نفقته وبسرور ". و أما الشكل الثاني للفظة وهو Molkbaal فلقد فُسرت على أنه " قُربان قُدِمَ للإله بعل بواسطة مواطن " وذلك بدل الرضيع الآدمي ، ويبدو من خلال التمحيص أن لفظة adam مثل baal وهي تُشير لهذه التضحية . أما لفظة Molkomer فسرّها الباحثون بأنها " الضحية من الحَمَلِ " وبالتالي فهذا يُدخل قُربان بديل عن القُربان الآدمي ، وهذا التفسير نابع من لفظة cmr الصامته و التي ربما تكون مُستمدة من كلمة mounon والتي تعني الحروف وهو يُلفظ على شكل immer أو immar في لغات سامية مُختلفة ، وقد إعتد أصحاب هذا التفسير على نُصب تذكاري تم إكتشافه في منطقة Ngaous في الجزائر يتضح فيه وحسب رأي المُفسرين الأضاحي البديلة صُور عليه الإله ساتورين وهو الوريث للإله بعل حامون ، وهو مُمسك بسكين باليد اليمنى وبكَبش باليد اليسرى ، وإستطاعوا أن يقرءوا على هذا النُصب العبارات التالية (الروح لأجل الروح والدم لأجل الدم والحياة لأجل الحياة ) و التي تُشير في جُملتها إلى القرابين البديلة والعبارة مكتوبة باللغة اللاتينية :-



Sangvina pro sangrina, vita pro vita , anima pro anima, ango pro agum<sup>(24)</sup>

وعموماً فإنني لا أريد الخوض في هذا الموضوع أكثر من ذلك ، حيث استقيت ما يتعلق منه بدراستي فقط ، أن هذه المعاني والتفسيرات لا تُشير وحسب رأي بشكل قاطع إلى هذا النوع من الممارسات الدينية عند البونيقيين . ولقد إعتد أصحاب هذا الرأي والمؤيدين لهذه الفكرة والتي تقضي بوجود هذه الممارسة الدينية عند البونيقيين على الشواهد الأثرية سواءً منها النقشية أو التصويرية والتي سوف نتناولها بدراسة وذلك في إطار الحديث عن هذه الممارسة في منطقة الشمال الإفريقي والغرض من ذلك محاولة إجراء مقارنات بينها وبين ما تم الكشف عنه حتى الآن في منطقة المدن الثلاث ، وأذ بثبوت وجود هذه الممارسة في قرطاجة فلا بد وأنها قد وجدت في هذه المنطقة وذلك باعتبار أن هذه المنطقة جزءاً لا يتجزأ من العالم البونريقي بأسره .

و أول تلك الشواهد النقشية هو ماتم الكشف عنه في منطقة Ngaous في الجزائر - سبق وان تحدثنا عنه - في أكتوبر سنة 1930 م . وهو مكرس للإله ساتورين وهو الوريث للإله البونريقي بعل حامون فلقد إستطاع الباحثون ترجمته على النحو التالي " الروح لأجل الروح والدم لأجل الدم والحياة لأجل الحياة " ، وبالنظر إلى فحوى هذا النقش فانه لا يُستبعد قطعاً وجود هذه الممارسة الدينية والخاصة بالتضحية بالأطفال التي يبدو أنها إستمرت لفترة متأخرة وبالتالي فأنها ممارسة دينية تغوص في أعماق التاريخ .

و فيما يتعلق بما تم الكشف عنه في قرطاجة من نصوص تكريسية فهي تخص في البداية الإله بعل حامون ثم إعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد باتت تخص الزوج الإلهي بعل حامون والإله تانيت ، اللذان تربعا على عرش المُجمع الإلهي القرطاجي منذ هذا القرن ، وتحتوي هذه النصوص الدينية على صيغ تشفيعية وإسترضائية للآلهة حيث يقرأ " إلا أنه كان قد سَمع صوته ، هو المكرس له " أو " أنت سوف تسمع صوته وأنت سوف تُباركه " (25) ، أو أنها تتبع النسق التالي " إلى السيدة ، إلى تانيت وجه بعل ، وإلى السيد بعل حامون ، هذا يكون التكريس " ثم يأتي إلى ذكر إسم صاحب التضحية وابن فلان ثم يطلب إسترضاء الآلهة ، وخلاصة القول فان هذه الصيغ الإهدائية تتبع نسقاً خاصة أثناء تقديمها فهي تبتدئ بأنها مقدمة من فلان بن فلان إلى الإله فلان ثم تبدأ بعد ذلك صيغ إسترضائية للإله المكرس له



هذا النُصب وقد استمرت هذه الصيغ في الظهور حتى العصر الروماني وإن كانت تختلف من حيث الآلهة المُكرس لها فمن تانيت أصبحت جونون ثم حَمَلت إسم كايليستيس Caelestis فيما بعد ومن بعل حامون إلى الإله ساتورين (26) .

ومما هو جدير بالملاحظة أن عبارات كثيرة وردت في النقوش البونيقية لا تزال إلى الآن موضع جدال كبير بين المختصين ومن أهمها :- " ملك آدم " فقد تضاربت الآراء حول مدلوله وإن كان هذا الجدل وقد إنحصر في رأيين هما :- أن هذه العبارة ربما كانت تعني قُربان رجل " أي إن " الرجل يُقدم كقربان " ، بينما الرأي الآخر يفسره بأنه " إنه قُربان قُدم من قِبَل رجل " ، بينما تُمثل هذه العبارة في بعض الأحيان جزءاً من عبارة أطول وهي " ملك آدم بشريم بتم " وهي بدورها محل جدال بين الباحثين وقد وجد مثال منها في قسنطينة في الجزائر (27) ومن هنا فالأمثلة على ذلك كثيرة لا أريد الخوض فيها وذلك نظراً لتشعبها ولذا أوردت أمثلة منها على سبيل المثال لا الحصر .

بالإضافة إلى أن أصحاب هذا الرأي القائل بأن البونيقيين كانوا يُمارسون هذه العادة يستندون في هذا على العديد من التمثيلات المرسومة على النُصب التذكارية النُذرية التي وجدت في العديد من المناطق البونيقية ، فلقد تم الكشف في توفيت سلامبو على إحدى أهم هذه النقوش و التي أُطلق عليها اسم لوحة الكاهن ، وذلك سنة 1921 م فهي تُصور رجل يحمل طفل رضيع بين ذراعية في إيماء تُشير إلى أنه سيُقدمه كقُربان ( أنظر الشكل رقم 1 ) وهذا الرجل والذي أُطلق عليه المُفسرون " الكاهن " كان يضع قلنسوة على رأسه ويرتدي جلباباً طويلاً ، ويعتقد محمد حسين فنظر أن هذا التفسير والذي يتعلق بشخصية الرجل يبدو مُبكراً جداً (28) .

فمن المعروف أن الكهنة كانت لهم صفات خاصة كما يصفهم الشاعر سيلبوس فقد أورد " بأنهم كانوا حليقي الرؤوس ويرتدون ثياباً بيضاء من الكتان ويمشون حُفاه الأقدام ويرتدون أثناء تقديم الذبائح ثياباً احتفالية يُزنها شريط عرض ... الخ " (29) وهذا الأمر لا ينطبق بشكل كامل على هذا التصوير من حيث أنه يضع على رأسه قلنسوة ولكنه لا يبدو بأنه يرتدي جلباب أبيض وعلى وجه العموم فإن هذا الشكل يُشابه ما تم العثور عليه في منطقة " أم العمدة " جنوب مدينة صور وهي تتمثل في لوحة تُدعى بلوحة " بعلياتون " والموجوده اليوم في كوبنهاجن وهي تُصور بعلياتون نفسه والذي يُرجح أن يكون رجل



دين ، ويتضح من خلالها أن ملامح وجهه واضحة جداً ويلبس رداء سابغاً وغطاء رأس قصير " قلنسوة " وتبدو يده اليمنى كما هو الحال بلوحة الكاهن مرفوعة وكأنها تُشير إلى تبرك ، بينما اليد اليسرى تحمل شيئاً ما (30) (أنظر الشكل رقم 2) ، وهذا التشابه الكبير بين كلا اللوحيتين ربما يعنى تأثيراً فينيقياً على الفن البونيقي ، وهذا الأمر ليس بالشيء المُستغرب على الإطلاق (31) . وكذلك فقد تم الكشف في مدينة قرطاجة على نصب تذكاري يُمثل طفل مُقمت يسقط على كتفه داخل شُعلة مُتوهجة ويُصاحب هذا المشهد صورة ظلّية لقاورة وقد أُرخ هذا النصب بنهاية القرن الثالث قبل الميلاد (32) .

ومما يزيد من قوة هذه الفرضية - حسب رأي المؤيدين - هو ما تم الكشف عنه من مئات الجرار التي تحتوي بقايا عظام مواليد صغار محروقة (33) أو أجنة بالمعنى الدقيق إلى جانب بقايا حيوانات محروقة وخاصة الخرفان والماعر والحمل وبعض عظام الطيور وذلك وفقاً لنتائج التحاليل المخبرية التي أُجريت عليها ، و الأمثلة على ذلك كثيرة داخل العاصمة البونيقية وخارجها ، ففي سلامبو Salammbo تم الكشف سنة 1921 م على حوالي ألف جرة تحتوي على هياكل عظيمة مُحترقة وهي تتعلق - ذلك بناء على النتائج المخبرية - بأطفال صغار جداً حُدثي الولادة مُختلطة بهياكل لحيوانات مُختلفة (34) ، وقد كانت هذه الجرار تُدفن داخل فناء التوفيت المُقدس ثم تُقام أعلى منها النُصب التذكارية النُذرية الخاصة بها ، و الأمثلة على ذلك كثيرة . وقد أثارَت هذه المرمذات جدلاً كبيراً بين الباحثين وخاصة فيما يتعلق بمهية هؤلاء الأطفال ، فقد رأى محمد حسين فنظر أن هؤلاء الأطفال ربما كانوا أطفالاً مجهضين أو أنهم ماتوا مباشرة ولم تُكتب لهم الحياة أو من كونهم قد ماتوا نتيجة لحادث عنيف وبالتالي فهؤلاء لا يُمثل موتهم أمراً طبيعياً وبالتالي فلا يُدفنون داخل مقبرة عادية ولكن يتم إرجاعهم حسب إعتقادهم إلى الإله وذلك طلباً والتماساً من قبلهم له إرجاع ذلك الطفل إليهم ، ومما لا شك فيه إن هذه العملية كانت تتبع طقوساً دينية معينة كانت تبء بحرقهم ، وبعد ذلك يتم جمع بقاياهم ووضعها داخل جرة وتُدفن في الأرض ويُقام عليها نُصب تذكاري تخليداً لهذا التكريس وكل ذلك يتم على نَفَقَةِ الوالدين ، وكان بمقدور الوالدين كذلك تقديم قُربان حيواني للإله وذلك بُغية الحُصول على طفل آخر سليم وقادر على الحياة وسط أملاكه وبكل ثقة ، ويتكرر الأمر ذاته عند المرض الذي قد يتعرض له الطفل والذي يُعرض حياة هذا الأخير للموت فقد كان بمقدور الوالدين كذلك الفرار إلى الإله لكي يلتمسوا منه بركه وسط الدعاء والصلاة وبتقديم الأضاحي له طمعاً في استبداله لهم ، وهذا الأمر يتضح بشكل واضح من خلال



النقش التذكاري بمنطقة Nagous بالجزائر<sup>(35)</sup> ، وقد أيدت الباحثة الفرنسية فيشو هذه الفرضية ودلت على ذلك بضعف عدد قبور الأطفال في مقابر مدينة قرطاجة ومن هنا إفتترضت الباحثة أن المتوفين من المواليد الجدد كانوا مقصين من مجتمع الأموات الكهول وذلك يتم دفنهم داخل المعابد بإعتبارهم نُذوراً أو هدايا مُقدمة للإله على أمل أن يشهدوا حياة أخرى يتم إعادة بعثهم مرة أخرى ، ولكن هذه الفرضية واجهت صعوبة كبيرة مردها إلى أن البعض منهم - أي الأطفال - تتراوح أعمارهم بين سنتين و أربع سنوات<sup>(36)</sup>

ومما هو جدير بالملاحظة أن بعض من هذه الضحايا كانت تُقدم إلى النار وهي عارية وقد ظهرت هذه العادة بصورة مؤكدة منذ القرن الثالث قبل الميلاد وتُعتبر مقبرة الطفل خير مثال على ذلك حيث يبدو من خلاله صورة لطفل عاري وهو يجثوا على ركبتيه ، وكذلك تم الكشف على أمثلة أخرى يتضح من احدها صورة لصبية عارية تماما<sup>(37)</sup> ، أما النتائج المخبرية فقد أظهرت العكس ، فقد دلت نتائجها و التي أُجريت على 130 عينة على العكس من ذلك تماماً وأيدت بالتالي ما توصل إليه Pallary سنة 1922 م .

بينما يرى بعض الباحثين من أمثال S . Miscati أن دفن الأطفال الصغار كان يتم في التوفيت إلى جانب " ضحايا القرابين " ويُشير الباحث في هذا السياق ودعماً لرأيه هذا إلى النسبة المرتفعة لوفيات الأطفال في تلك الفترة ويُعتبر أن إقامة هذه النُصب التذكارية كان فقط لتخليد ذكرى الأطفال المُقدمين كقرابين وهو ما يُفسر في منظوره دائماً سر الاختلال الملحوظ بين عدد الأنصاب وعدد المرممات التي تحتوى عظام الأطفال<sup>(38)</sup> .

ومما هو جدير بالذكر أن القرابين البديلة قد حلت محل القرابين الآدمية منذ فترة مُبكرة جداً عند الفينيقيين فقد تم الكشف في جزيرة مالطا على نقش يُشير إلى أن الحَمَل كان قد مر بنار عوضاً عن طفل وقد أُرخ هذا النقش بالقرن السابع قبل الميلاد<sup>(39)</sup> ، حيث يُقرأ على النقش لفظة " Molkomor " ملوك أوامر " وهي تعني " قُربان من كبش أو حَمَل " <sup>(40)</sup> ، ومما يزيد من قوة هذه الفرضية ما تم الكشف عنه داخل العاصمة البونيقية فقد تم الكشف على نُصب تذكاري مُكرس للإله ساتورين - بعل حامون - حيث يظهر عليه صورة شخص مُمسكاً بسكين باليد اليمنى وباليد اليسرى مُمسكاً بكبش كدليل على



التضحية<sup>(41)</sup> ويبدو أن التضحية بالكبش معروفة حتى لدى المسلمين إلى أيام هذه حيث وَرَدَ في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى إفتدى سيدنا إسماعيل عليه السلام بكبش سمين عندما أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام ذبحه إستجابة للنداء الإلهي فقد ورد في صورة الصافات قال تعالى :- " فلما بلغ معه السعى قال بابني إني أرى في المنام إني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفتأفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين وناديانه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجري المحسنين أن هذا لهو البلؤا المبين وفديناه بذبح عظيم " <sup>(42)</sup> ، ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن التضحية بالكبش كانت معروفة حتى في الأديان السماوية .

ويأتي الثور<sup>(43)</sup> في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بالنسبة للحيوانات التي قُدمت كقرابين على موائد الإله ، فقد صُور على العديد من النُصب التذكارية وهو جاث ومُزين بشرائط إيذانا ببداية مراسم التضحية على ما يبدو<sup>(44)</sup> حيث يظهر هذا بصورة واضحة مصوراً على العديد من النُصب التذكارية النُذرية فقد تم الكشف عن إحداها في مدينة قرطاجنة ويظهر عليها صورة لكاهن مُنهمك باحتفال طقسي على ما يبدو أمام المذبح وهو يُمسك برأس الضحية ثور أو كبش وهما الحيوانات اللذان كانا لهما الأفضلية في القرابين لدى القرطاجيين ، ومن خلال النصوص نعرف أن القرطاجيين كانوا يُقدمون تضحيات بالحيوانات وبالعطور وغيرها<sup>(45)</sup> ، ومن خلال النُصوص النقشية والمحفوطة اليوم بمتحف اللوفر في باريس لذي يحتوي على قطعة من نُصب تذكاري نُذري صُور عليه رجل قصير عاري وهو جاث على ثور ويتضح من خلالها أنها إشارة واضحة إلى التضحية به .

بالإضافة إلى ما تقدم فقد ضحى البونيقيون بالبقرة وإن كان أقل منزلة من سابقتها ، حيث يحتفظ متحف اللوفر بمثالين يتضح فيهما صورة لكاهن على ما يبدو أمام مذبح وقد وضعت بقرة على طاولة المذبح والمُزخرف بقرن ، بينما لا يتضح الجانب الآخر من الصورة وذلك بسبب اللهب المُتأجج بجانبه ، ويبدو أن هذا المشهد ذو طابع ديني يتعلق بتقديم الأضحية على الأُرجح<sup>(46)</sup> . ومن كل ما تقدم نلاحظ أن صورة السكاكين كانت مُتكررة على العديد من النُصب التذكارية النُذرية و التي كانت تُكرس للزوج الإلهي القرطاجي حيث يُشاهد على إحداها الإله تانيت وهي مُمسكة " بسكين للتضحية " ( أنظر الشكل رقم 3 ) وربما أن هذا الأمر يُعزز الإفتراض القائل بهذا المبدأ<sup>(47)</sup> . بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره



فقد قُدمت الطيور كقربابين للإله بعل حامون و الإلهه تانيت وان كان بعض الباحثين أمثال C.Picard يرون أن هذه القربابين كانت لا تُقدم إلى الأرياب بالمكان المقدس ولكن كانت تُقدم إلى ضحاياهم الآدميين (48)

وخلصة القول فإن هذه الممارسة الدينية يبدو أنها قد تداولت داخل العالم البونيقي بأسره وليس داخل العاصمة البونيقية فحسب ، وان كانت الأدلة الأثرية سواءً أكانت النقشية أم التصويرية منها لم يؤكدوا في بعض جوانبها في بعض المناطق ومن بينها إقليم المدن الثلاث وذلك فيما يختص بالجانب الآدمي منها ، حيث يقول محمد عيسى في هذا الصدد " أن مدينة صبراته كانت تقدم القربابين المحروقة ولكن على طريقة مُتطورة إذ لم تكن تحرق الأطفال كما هي العادة عند معظم الفينيقيين بل كانت تحرق الضحايا الحيوانية " (49) و التي كانت تُدعى ملخومر ( Molchomer ) وهي تعني الخروف الأضحية ، وهي ربما تدل على فكرة إستبدال الأضاحي البشرية بالأضاحي الحيوانية " ملك آدم " (50) ، ومن هنا يتضح أن الضحايا الآدمية لاتزال إحدى الجوانب المُبهمة التي لم يتم الكشف على أمثلة لها داخل هذا الإقليم حتى الآن على الأقل ، بينما فيما يتعلق بالقربابين الحيوانية فإن الإكتشافات الأثرية قد أمدتنا بأمثلة جيدة على وجودها داخل نطاق هذا الإقليم ، فقد تم الكشف في منطقة رأس المنفاخ بمدينة صبراته على أواني فخارية دُفنت في الأرض وكانت تحتوي على عظام لقربابين محروقة فقد كانت هذه القربابين موضوعة داخل جرتين صغيرتين تم ردمهما بشكل أفقي وعمودي ووضع حجر فوقهما على هيئة شاهد قبر وبالتالي فإن هذه الإكتشاف ألقى الضوء على إن عملية حرق القربابين و التي كانت تُمارس لدى البونيقيين في قرطاجه يبدو أنها قد مُرست كذلك داخل هذا الإقليم ، وقد أظهرت نتائج التحاليل المخبرية ، التي أُجريت على عينات من هذه البقايا المحروقة ، أنها تحتوي عظام ماعز (51) ويُرجح تاريخ هذه المخلفات التي تم العثور عليها داخل هذا التوفيت إلى القرن الثالث قبل الميلاد وحتى أوائل القرن الأول الميلادي (52) ، وهذا ربما يتطابق تماماً مع ما تم الكشف عنه داخل العاصمة البونيقية من حيث أن هذه النذور تُشبه ما تم الكشف عنه في مناطق مُتفرقة من الإمبراطورية القرطاجية وذلك لكونها مُكرسة لنفس اللآلهة وهو بعل حامون و تانيت ، بالإضافة إلى أن طريقة دَفيها لا تُخضع لأية قواعد واضحة من حيث أنها كانت تُدفن بشكل أفقي أو راسي أو حتى مائلة ، وكذلك فإنها يمكن أن تُدفن في الأرض أو توضع كما هو الحال في بعض الأحيان داخل مخابي صغيرة ، كما أن تغطية هذه الأواني يتشابه هو



الآخر مع نظيراتها في المناطق البونيقية الأخرى من حيث أنها تمثل قاسماً مشتركاً بين هذه النوعية من الفضاءات المقدسة ، فقد كانت هذه الجرار تثبت أغطيتها بواسطة طين صلصالي يميل لونه إلى الصفرة ، ومما يُعزز هذا الرأي أنه تم الكشف في منطقة فيكوس Vicus بالقرب من مدينة صبراته على نقش نذري مزدوج ( البونيقية . اللاتينية ) وقد أُرُخ بالقرن الأول وبداية القرن الثاني قبل الميلاد ويبدو أنه كان مُكرساً للإله بعل حامون ولإلهه تانيت ، وقد تم الكشف عن نقش آخر يحمل ذات المضمون من داخل توفيت المدينة والذي أُرُخ - أي التوفيت - من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي وقد وُعثر بداخله على حوالي خمسة آلاف قطعة من الهياكل العظمية المُحترقة لحيوانات مثل الماعز والأغنام وربما الغزلان وكذلك وجدت مرممات لحفظ عظام الموتى<sup>(53)</sup>. ومما يؤيد هذا الأمر ما تم الكشف عنه في مدينة لبدة الكبرى فقد تم الكشف عن أحد النُصب التذكارية المُقدمة إلى الإلهه تانيت ويظهر عليه إحدى رموز هذه الإلهه في أعلى النصب بينما في الأسفل تظهر صورة لكبش أو نعجة وهذا الأمر ربما يُشير إلى إحدى أنواع الأضاحي التي كانت تُقدم إلى الإلهه تانيت في هذه المنطقة إسوّة بغيرها من مناطق العالم البونيقية الأخرى ، وهو محفوظ اليوم في المتحف الأثري بمدينة لبدة الكبرى ( أنظر الشكل رقم 4 ) ومما هو جدير بالملاحظة أن هذا النُصب يُشبه نصباً آخر تم الكشف عنه في مدينة Sulcis في سردينيا ويعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد ومحفوظ اليوم في متحف Comunale وتظهر عليه الحِثيات ذاتها الموجودة على النُصب التذكاري الذي وجد في مدينة لبدة الكبرى من حيث وجود أحد رموز الإلهه تانيت في أعلى النُصب ووجود صورة الكبش أو النعجة أسفل منه<sup>(54)</sup>.

بالإضافة إلى كل ما سَلَفَ ذِكرُهُ فإن الطريقة المُتبعة في صياغة المُقدمات الإهدائية التي كانت تُكرس من قِبَلِ مواطن لبالله بعل حامون والإلهه تانيت مُتشابهة وذلك من كونها تتبع نسقاً معيناً - كما سبق وان ذكرنا - مُبتدئاً باسم الشخص المُكرس للقرّيان ثم باسم أبيه على النسق التالي " هذا التكريس من فلان ابن فلان للإله .." ثم تبتدى بعد ذلك عبارات الاسترضاء وطلب الرحمة من الإله المكرس له ، حيث وجدت أمثلة عديدة داخل إقليم المدن الثلاث تتبع الأسلوب ذاته التي وجدت عليه داخل العاصمة البونيقية و التي تتبع السياق ذاته ومن بينها نقش يحمل الرقم IRT 892 وقد تُرجم هذا النقش على





النحو التالي " أن أنسيدين فيفا ابن أبان القسيس كرس هذا النصب الصغير لعبادة الإله ..إله " (55) ، وقد إستمرت النقوش تتبع الأسلوب ذاته حتى أثناء العصر الروماني ولوقت متأخر نسبياً.

وختلصة القول فإن قله هذه الادله الأثرية والمكتشفة داخل إقليم المدن الثلاث ربما يكون ناتجاً عن قلة الإكتشافات الأثرية بها وان كانت اليوم تشهد تحسناً ملموساً ، وبالرغم من قلتها إلا أنها تُلقي الضوء وبشكل واضح نوعاً ما على أن هذه الممارسات الدينية البونيقية كانت موجود داخل هذا الإقليم ولعل الإكتشافات الأثرية و التي تُجرى في المنطقة الآن تُزيل بعضاً من هذا الغموض الذي يكتنف جميع مظاهر الحياة البونيقية بالإقليم بدون إستثناء .

وفي نهاية هذا المبحث نرى إنه لزاماً علينا ان نورد بعض الملاحظات التي وردت عند الكثير من الباحثين والمتعلقة بهذه الممارسة الدينية عند الفينيقيين أولاً ثم عند البونقيين ورتتيم أن صَحّ التعبير ثانياً وهي :-

- 1- لا توجد أية وثائق من الوثائق البونيقية المكتشفة إلى يومنا هذا تُشير وبشكل واضح إلى وجود القرابين الآدمية كنوع من التضحيات للآلهة.
- 2- أن الكثير من الكُتاب القدماء والذين كان لديهم دراية جيدة بالفينيقيين وبالعالم البونيفي أيضاً والمُتمثل في مدينة قرطاجة مثل هيرودوت والذي زار مدينة صور مع أواسط القرن الخامس قبل الميلاد وتعرّض بالحديث عن الديانة الفينيقية لم يُشير كغيره من الكُتاب الآخرين أمثال Tite - Live , polybe , Thucydide وغيرهم إلى وجود هذه الممارسة الدينية عند الفينيقيين ولا عند البونيقيين من بعدهم والخاصة بالتضحيات الآدمية . (56)

3- أما بخصوص المعلومات التي أوردها كل من ديودور الصقلي وبلوتارخ و التي تختص بهذا الموضوع فإنها ضعيفة وذلك مرده إلى أن هذين المؤرخين كانت لديهم النزعة لتتسيق التاريخ المُدون لديهم وذلك بالاعتماد على الخيال في أحيان كثيرة بالإضافة إلى النزعة العدائية لهما إتجاه قرطاجة والعالم البونيفي بأسره وذلك باعتباره العدو اللدود لهم وبناءً على ذلك ربما يكون قد بالغوا في وصف هذه الممارسة الدينية بالوحشية - إن وجدت أصلاً - وذلك بغرض إظهار البونيقيين بمظهر الوحشية والبربرية ، حيث تطرق بلوتارخ إلى هذه الممارسة مُركزاً على وضعية الأم التي يجب أن لا تُذرف



دعماً وأن لا تُصدر أية انة في الوقت الذي يُقدم فيه أبناء هن للحرق<sup>(57)</sup> وبالتالي فهي مُحاولَة من الكاتب لإظهار صفة الوحشية لدى البونيقيين ، ونُصيف إلى ذلك أنهما يُعتبران شاهدين غير مُباشرين وكتبا تاريخهما بأسلوب بلاغي خطابي مُصطنع ، ويبدو أن كاتب السير الذاتية كان قد إستقى المعلومات التي أوردتها حول أمهات الضحايا والآلات الموسيقية من المؤلف كليركوس أو من المؤلف اخر وذلك حسب رأي كل من الباحثين S.Ribichini , S. Moscati<sup>(58)</sup> ، ويضيف على فهمي خشيم في هذا الصدد بقوله " إن منهج ديودور الصقلي في التاريخ كان يميل إلى إلتقاط الجوانب الطريفة المثيرة ويغلفها برداء اسطوري غامض تختلط فيه الحقائق التاريخية بالخيال إختلاطاً سديداً فيصعب التميز بين الحق والباطل " (59).

4- أن النصوص التوراتية التي تناولت هذا الموضوع تذكر دائماً أطفال يعبرون النار وهي مُمارسة دينية حسب ما تُوردها تلك النُصوص كانت لدى الكنعانيين ، ولكن تبقى هذه النُصوص غامضة ولا تُشير بشكل صريح إلى أنهم كانوا يُقدمون الأطفال كقربان للآلهة ، وهذا الأمر كنوع من التطهير للأطفال حديثي الولادة ، حيث أن هذه المُمارسة الدينية والخاصة بالتطهير موجودة عند كثير من الديانات القديمة كالمسيحية مثلاً وإن إختلفت حيثياتها ، وربما مما يُثبت ذلك أن أغلب هذه الإشارات التوراتية تُشير إلى الأطفال دون غيرهم ومن هنا ربما يزيد من قوة هذه الفرضية .

5- ومن جانب آخر فإن التحليل المخبرية التي إجريت خلال العقد الأخير من هذا القرن أشارت إلى أن الهياكل العظمية الموجودة داخل الجرار ( الرمدات ) هي لأطفال صغيرين جداً أو مُجهزين أو لأطفال كانوا قد ماتوا وهم صغيرين جداً أي أنهم حديثي الولادة وتم حرقهم ووضعتهم داخل هذه الجرار ، ولكن هذا الأمر بهذه الحثيات لا يسمح بمعرفة ما إذا كان هؤلاء الأطفال كانوا قد إهرقوا خلال إحتقال ديني أو أنهم إهرقوا بعد موت طبيعي ، ومما يؤيد ذلك أن عَدَدَ المقابر الخاصة بالأطفال داخل مدينة الأموات بقرطاجة قليلة جداً ، بالرغم من إرتفاع عدد الوفيات من الأطفال بتلك الفترة ، ولذا يستخلص أصحاب هذا الرأي من أن التوفيت ما هو إلا عبارة عن جبانة للأطفال الموتى<sup>(60)</sup> .

ويبدو أنه يُفضل حالياً - حسب رأي أغلب الباحثين - الإحجام عن تقديم الفرضيات المُطلقة حول هذا الموضوع جُزافاً على أمل أن تُمكننا الإكتشافات الأثرية وما يعقبها من تحاليل مخبرية لها ،



من إعطاء نتائج دامغة حول هذه الممارسة الدينية لدى البونيقيين ، خصوصاً فيما يتعلق بالضحايا الآدمية المحروقة التي تم الكشف عنها في مواقع عديدة من العالم البونيقى ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بسبب الوفاة بشكل أكثر دقة ، وبالتالي يُمكننا بعد ذلك التوصل إلى إجابة قاطعة لهذه الإشكالية التي أرقّت المؤرخين خلال عقود عدة من القرنين الأخيرين .

### الهوامش:

- (1) - عبد الحفيظ فضيل الميار . الحضارة الفينيقية في ليبيا . الحضارة الفينيقية في ليبيا . منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية . طرابلس . ليبيا . 2001 م . ص 230 .
- (2) Abdelmagid Ennabli. Histoire Général de la Tunisie la civilisation Carthaginoise : La vie religieuse , artisitique et intellectuelle .L ' antique . Tome I . Tunis . 2002 . p104.
- (6) R. De Vaux. Les sacrifices de L " Ancien Testament. Paris. 1964. pp 54.- 55.
- (3) شارل أندري حوليان . تاريخ افريقيا الشمالية - ت : محمد مزالي و بشير بن سلامة - الدار القومية للنشر - الجزائر - ب ت . ص 121 .
- (4) J.G. Fevrier. Essai de reconstruction du sacrifice Molek. J.A . Paris . 1960. p 175.
- (5) ج، كونتو . الحضارة الفينيقية . ترجمة :- محمد عبد الهادي شعيرة . ومراجعة :- طه حسين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . مصر . 1997 م . ص ص 164 - 165 .
- (6) R. De Vaux. Les sacrifices de L " Ancien Testament. Paris. 1964. pp 54.- 55.
- (7) E. Lipinski. Les raciness Syra .Phéniciennes de la religion Carthaginoise . CEDAC . Carthage . Bulletin . 8 .Tunis . 1987 . p 35
- (8) ويبدو أن هذه العادة كانت معروفة لدى الكثير من الشعوب القديمة وان كانت تختلف في نقطتين وهما :- طبيعة وكيونة المضحى به وطريقة التضحية نفسها ، فقد كان السكيثيون يُضحون للإله اريس *اريس* وغيره من الإلهة الأخرى فيقدمون لهم كضحية رجلا من بين كل مائة رجل من الأعداء ممن يُمسكون بهم أحياء لكن ليس بالأسلوب نفسه الذي يُقدمون به الحيوانات بل بأسلوب مختلف ، فبعد أن يسكبوا النبيذ على رؤوس الرجال الذين سيضحون بهم ثم يذبونهم على إناء ويرفعونه على الكومة ويسكبون الدم على الخنجر الموضوع فوق تلك الكومة ويرفعون الدم إلى الأعلى ، أما إلى الأسفل من المعبد فانهم يفعلون ماياتي :- يقطعون الأكتاف للرجال المضحى بهم مع أيديهم وتذف في الهواء ، وبعد أن يذبوا الأضاحي الأخرى يُغادرون المكان وتبقى الأيادي هناك حيث تسقط كل منها مُنفصلة عن الجسد . راجع :- محمد المبروك الذويب . الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس . منشورات جامعة قاريونس . بنغازي . ليبيا . 2002 م . . ص 62 . ص 62 .
- (9) التوراة سفر الملوك الثاني 2-3-3 ، جزقيال 25-26-XX .
- (10) ج . كونتو . المرجع السابق . ص 166 .
- (11) Colette Picard. Sacrifices d' enfants á Carthage. Carthage et la Tunisie. Punique et Romaine. Tunisie . Des . 1982 . Janv . 1983 . pp 18 - 19 .
- (12) الإله لمقارات :- كانت عبادته من أهم العبادات الدينية سواء في بلاد فينيقية لام أو في باقي مُستعمراتها في حوض البحر المتوسط ، وقد ورد ذكره في التوراة مراراً ولربما يكون ذلك إشارة إلى " ملك قرت " ويظهر أن اسمه حُرّف إحتقاراً إلى كلمة " مولك " العبرية والتي تعني " العيب " وكانت قد ظهرت صورته على النقود الفينيقية كرجل يركب على حصان البحر ، وقد اقتبس الإغريق



هذه الصورة فصورا الإله Melicertes = ملقارات كرجل يركب الدلفين ، وانتشرت عبادته على شواطئ البحرين الايحي والايوني ، وكان - ولاعجب - يتساوى أحيانا مع الإله الإغريقي بوزيدون . حسني حداد وسليم مجاوص . بعل هداد . الطبعة 1 . دار أمواج . سورية . 1993 م . ص 141 .  
(13) لمزيد من المعلومات أنظر :-

M. Gras, P. Rouillard, J. Teixidor . Carthage Phénicienne . L' univers Phenicien - Edition revtee . Paris . PD . pp 256 et Suive

(14) E. Lipinski . Cedac . op . cit . pp 37 . 38

(15) القرآن الكريم . سورة الأنبياء . الآية . 68 - 69 .

(16) ولمزيد من المعلومات أنظر :-

Brigihe Menzel. Assyrische Tempele. I . II . Studia ( Poh I – 10 ) Vol I. Rome . 1981 ..pp 27 et Suive.

(17) Diodore de Sicile . XX. 14, 5.

(18) ويذكر بلني أنه قد جرت العادة على تقديم الأضاحي البشرية للإله هيركايوس . راجع :-

Pliny. XXXVI. L.C.L. 39.

(19) Abdelmagid Ennabli . - Ennabli , A . Histoire Générale de la Tunisie ( La civilisation Carthaginoise : La vie religieuse et intellectuelle ) . L' antique . Tome . I . Tunis . 2002 . p 105

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الوصف قد لاقى معارضة شديدة من بعض الباحثين من أمثال شارل سوماني واصفاً إياه بأنه مُتسرع وغير متروي . لمزيد من المعلومات حول هذه المعارضة راجع :-

Abdelmajid Ennabli . op. cit. p 108.

(20) E. Lipinski . Cedac . op. cit . p 36.

(21) M. H. Fanter. Les dieux et les morts . Carthage la cité Punique . Alif . Les Eitio Eitions la Meditreeanee. Cnrs Editions . Tunis . ND. p 75.

(22) ولد " بلوتارخ " حوالي سنة 46 ميلادية في مدينة " خايرونيا " بوسط بلاد الإغريق ، وقد نجح في كتابة بعض الأساطير القديمة مثل أسطورة " إيزيس واوزيريس " المصرية . ياروسلاف نشرتي . الديانة المصرية القديمة . ترجمة :- أحمد قدري ومراجعة :- محمود ماهرطه . مطابع المجلس الأعلى للأثار . القاهرة . مصر . 1987 م . هامش 55 . ص 263 .  
(23) شارل اندريه جوليان . المرجع السابق . ص 121.

(24) E . Lipinski . Cadac . op . cit . p 42 et Suive .

(25) M.H. Fanter . Carthage Le cité Punique. op . cit . p 77.

(26) M. Szyner .. Phéniciens et Punique . Leurs religions . Carthage . Paris . 1995.. p 116 .

(27) الشاذلي بوردينة ومحمد الطاهر . قرطاج البونية . مركز النشر الجامعي . تونس . 1999 م . ص ص 291 - 292 ..

(28) M.h. Fanter. La Bardo un Palais un Musee . .Alif . Tunis . PD . p 63.

(29) - يولى بروكوفيتش تشيركن . . الحضارة الفينيقية في إسبانيا . ترجمة :- يوشف ابي فاضل . بيروت . لبنان . 1988 م .

ص 116.

(30) محمد أبو المحاسن عصفور . المدن الفينيقية . . دار النهضة العربية . بيروت . لبنان . 1981م . ص 164.

(31) ولمزيد من المعلومات أنظر :-

A , P , Mauice & H, Cheheb& S, Moscati . Les Phéniciens . L' expansion Phénicienne . edition nrf Paris . PD . pp 151 et Suive

(32) Colette Picard . Sacrifices d' enfauts á Carthage. Carthage et la Tunisie Punique et Romaine .N69 . Tunisie. Decembre 1982 . Janvier . 1983 . P22.

(33) ويرى ن . ف . ذكورية انه يجب التفريق بين حرق الضحية المقدسة وعادة دفن الموتى بطريقة الحرق ، وذلك لكون رُفاة الأول

تُوضع في المعبد " التوفيت " وذلك باعتبارها ضحية مقدسة للإله أو الإلهة ويُوضع عليها نُصب تنكاري نذري يحمل في العادة بعد



اسم المضحى وتسلسله النسبي " فلان بن فلان " عبارة " سمع قوله وباركه " أما في الحالة الثانية فتدفن في المقابر وليست داخل المعبد . ن . ف . ذكرته . قرطاجة وإمبراطورية البحر . ترجمة :- عز الدين أحمد عزو . مراجعة وتحقيق :- عبد الله الحلو . دمشق . سورية . 1996 م . ص 150 .

(34) M.H. Fanter. Carthage La cité Punique . op . cit . p 74.

(35) Ibid . p 76.

(36) الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر . المرجع السابق . ص 293 . 294 .

(37) Colette Picard . Sacrifices d' enfant á Carthage. op. cit. p 22.

(38) الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر . المرجع السابق . ص 293 .

(39) Colette Picard Sacrifices d' enfants á Carthage. op. cit . p 18.

(40) M.H. Fanter . Ball Hammon . op. cit . p 90.

(41) E. Lipinski. Cadac . op . cit . pp 36 – 37.

(42) القرآن الكريم . صورة الصفات من الآية 102 وحتى الآية 107 .

(43) يبدو أن الثور كان قد لعب دوراً كبيراً في ديانة الإله بعل حامون فقد كان يُدعى أحياناً *Tourocephe* ومما يؤكد هذه الفرضية هي نتائج الاكتشافات الأثرية الكثيرة فقد تم الكشف في مدينة قرطاجة على إحدى هذه الدلائل حيث يُرى على زخرفة المدخل شخص يمتطى ثور ولسوء الحظ فإن هذا النصب يكون مفتقداً إلى جزء إذا يتضح فيه صورة لثور وهو يسير إلى اليسار في حالة هياج ، أما بالنسبة للشخص الذي يمتطية فلم يبق منه سوى الفخذ الأيسر وجزء من الحوض حتى الخصر . M.H. Fanter . Baal. Hammon . op . cit . p 90

(44) Colette Picard . Sacrifices d' enfants à Cartage. op. cit . p 23.

(45) M.H. Fanter. Steles inedites de Carthage. Semitica . XXI. Tunis . 1974 . pp 16 – 17.

(46) Colette Picard. Sacrifices d' enfants à Carthage. op. cit . p p 22-23.

(47) Leo Dubal et Monique Larrey L' énigme des stèles de la Carthage Africane . Paris – 1995 – P 18.

(48) Colette Picard . Sacrifices d' enfants à Carthge. op. cit . p 23.

(49) محمد علي عيسى . المرجع السابق . ص 25 .

(50) عبد الحفيظ فضيل الميار . الحضارة الفينيقية في ليبيا . المرجع السابق . ص 230.

(51) محمد علي عيسى . المرجع السابق . 24 . 25 .

(52) Taborelli. L. Larea sacra di Ras Almunfakh presso Sabrath. Le stèle Rom. 1992. pp 73-75.

(53) M. Longestay. Libya .La civilisation Phénicienne et Punique . Edite par Veronique Krings . New York . 1995 . op. cit. pp 842 – 843.

(54) S. Moscati. Les croyances et la vie réligious . Les Phéniciens. Milan . 1988 . p 120.

(55) A. F . Elmarer . The Reinterpretation of Latino Punic inscriptions Roman Tripolitania . L.S. Vol. 15. 1984 . pp 100 – 101.

(56) Abdemajid Ennabli . op. cit. p 108.

(57) الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر . المرجع السابق . ص 290.

(58) المرجع نفسه . ص 290

(59) على فهمي خشيم . نصوص ليبية . الطبعة 2 . دار مكتبة الفكر . بيروت . لبنان . 1975 م . ص 150 ..

(60) Abdemajid Ennabli. Op.cit . p 108.



الصور :



(الصورة رقم 2)



(الصورة رقم 1)

.Pisano,G(1997) – les bijoux – les Pheniciens – Paris –P433



Dubal , L & (الصورة رقم 4)

M . Larrey(1995)p.19



(الصورة رقم 3)

Pisano,G(1997) –P434



#### الإختصارات :-

- Cedac .Centre d' etude et de Documentation archeologique de la conservation de . Carthage
- L . C . L . The Loeb Classical Library
- LS . Libyan studies .

#### المصادر العربية :-

- القرآن الكريم . سورة . الصافات . الأنبياء .
- التوراة . سفر التكوين . سفر الملوك . حزقيال . سفر المزامير .

#### المصادر الأجنبية :-

- Didore de Sicille . XX
- Pliny . Natural History

#### المراجع العربية :-

- بوروينة ، الشاذلي ومحمد الطاهر . قرطاجة البونوية . مركز النشر الجامعي . تونس . 1999 م
- تسيركين ، يولي بركوفيتش . الحضارة الفينيقية في إسبانيا . ترجمة :- يوشف ابي فاضل . بيروت . لبنان . 1988 م .
- تشرني ، باروسوف . الديانة المصرية القديمة . ترجمة :- أحمد قذري ومراجعة :- محمود ماهرطه . مطابع المجلس الأعلى للأثار . القاهرة . مصر . 1987 م .
- خشيم ، على فهمي ، نصوص ليبية . الطبعة 2 . دار مكتبة الفكر . بيروت . لبنان . 1975م
- ذكرية ، ن . ف . قرطاجة وإمبراطورية البحر . ترجمة :- غز الديت أحمد عزو ومراجعة - الذويب ، محمد المبروك . الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس . منشورات جامعة قاريونس . بنغازي . ليبيا . 2002 م .
- عصفور ، محمد أبو المحاسن . المدن الفينيقية . دار النهضة العربية . بيروت . لبنان . 1981 م
- كوننتو ، ج . الحضارة الفينيقية . ترجمة :- محمد عبد الهادي شعيرة . ومراجعة :- طه حسين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . مصر . 1997 م .
- الميار ، عبد الحفيظ فضيل . الحضارة الفينيقية في ليبيا . منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية . طرابلس . ليبيا . 2001 م .



### المراجع الاجنبية :-

- . Dubal , L & M . Larrey .L' énigme des stéles de la Carthage Africane . Paris-  
.1995
- .Elmayer,A.F . Tripolitania and the Roman empire . Markaz Jihad Al-  
-Fanter . M.H. Les dieux et les morts . Carthage la cité Punique .Alif . Les Eitio-  
. Eitions la Meditreeanee . Cnrs Editions . Tunis . PD
- Gras, M&P.Rouillard & J.Textidor . Carthage Phénicenne . L' univers Phenicien -  
. Edition revtee . Paris . PD
- .J.G. Fevrier J-G- Essai de reconstruction du sacrifice Molek. J A . Paris . 1960 -  
Longerstay , M . Libya .La civilisation Phénicenne et Punique . Edite par-  
. Veronique Krings . New York . 1995
- . Moscati , S . Les croyances et la vie réligious . Les Phéniciens .Milan .1997 -  
Picard , G.CH - Sacrifices d ' enfants á Carthage . Carthage et la Tunisie )Punique et .  
.Romaine ) .N 69 . Tunisie. Decembre 1982 . Janvier1983
- .Pisano,G – les bijoux – les Pheniciens – Paris – 1997 –
- .Taborelli. L. Larea sacra di Ras Almunfakh presso Sabrath. Le stéle Rom 1992-

### الدوريات الاجنبية :-

- Ennabli , A .Histoire Générale de la Tunisie (La civilisation Carthaginoise : La vie -  
réligieuse et intellectuelle ) . L' antiquite . Tome .I .Tunis .2002
- .Fanter –M .H. Le Bardo ( Un Palais un muse ) .Alif . Tunis . PD -  
. Stéles inedites de Carthage . Demitica . XXI . Tunis . 1974 . -----
- .Baal Hammon . Reppal .VOL .V . Tunis . 1990 . -----
- . Stéles Epigraphes du Tophet de Sousse .Africa .Reppal . IX . -----  
. Tunis . 1995
- . Lipinski, E . Les raciness Syra .Phéniciennes de la réligion Carthaginoise-  
CEDAC . Carthage . Bulletin . 8 .Tunis . 1987
- Maurice,A .P &H .Cheheb & St . Moscati . Les Phéniciens . L' expansion -  
. Phénicenne .edition nrf . Paris . PD
- . Menzel. Brigihe- Assyrische Tempele. I . II . Studia ( Poh I – 10 ) Vol I. Rome.1981 -  
Sznycer,M . La réligion Punique . Carthage . Alif . Paris . 1995-





## النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط في عهد الحماديين

الأستاذة: جهيدة بوعزيز

جامعة قسنطينة 3 .

### المقدمة:

يعتبر النشاط الاقتصادي لأي مجتمع كان من القواعد الأساسية في وجوده واستمرار بقائه، وقد أثبتت هذه القاعدة بأن التفاعلات الزراعية والصناعية والتجارية فيها ترتبط بالنشاط الرعوي وتربية المواشي ارتباطا وثيقا، كما أن النشاط الاقتصادي كان ولا زال يرتبط بالزمان والمكان، فالإنتاج الاقتصادي رهين البيئة بكل تفاصيلها، والمغرب الأوسط الذي تعاقبت عليه الدول والحضارات المختلفة بداية من الفينيقيين لا بد أن يكون متوفرا على الشروط المادية الطبيعية لكل حضارة ومن بين تلك الشروط كون المنطقة صالحة للزراعة والاستقرار، والتي لا تميز منطقة عن أخرى، بل تخص معظم مناطق المغرب الأوسط باستثناء بعض الصحاري والغيافي التي تصعب فيها الحياة نوعا ما.

فقد عرف المغرب الأوسط أنواعا عديدة من الأراضي نتيجة لعوامل مختلفة، منها الظروف الطبيعية المتمثلة في تنوع التضاريس والمناخ الذي نتج عنه تنوع نمط المعيشة وبالتالي اختلاف في طبيعة ملكية الأرض، حيث تسود الملكيات الخاصة في المناطق المجاورة للمدن والفحوص وكذلك في المناطق الجبلية الرطبة حيث الكثافة السكانية المرتفعة أو بعض النواحي ذات التقاليد الفلاحية العريقة، بينما توسعت ملكيات الدولة وإقطاعات الحكام بالسهول الخصبة<sup>1</sup>، أما أراضي السهول الجافة والمناطق المتاخمة للصحراء فقد سادت بها الملكيات المشاعة حيث تعيش القبائل التي تعتمد على الرعي الموسمي والزراعة الواسعة<sup>2</sup>.

### أولا- الزراعة:

اهتم الحماديون بالزراعة اهتماما بليغا باعتبار أنها من أهم مصادر الرخاء الاقتصادي بالمغرب الأوسط، لدرجة استغلالهم حتى للأراضي الموات بعد إصلاحها، وهو ما قام به زييري ابن مناد مع أرض أشير الخالية؛ إذ

<sup>1</sup> يقول ابن خلدون أن حمادا ملك أراضي المسيلة وطينة والزاب وأشير وتاهرت ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة وما يفتح من أرض المغرب، أنظر ابن خلدون (عبد الرحمان): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مكتبة القاهرة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971، ج6، ص 210.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001، ص 14-17.



ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي أن: "موضع أشير كان خاليا ليس فيه أحد مع كثرة عيونه وسعة فضائه فحسى زيري بن مناد تلك الناحية وزرع الناس فيها"<sup>3</sup> وقد زار الإدريسي المنطقة بعد ذلك ووجد صلاحا في أشير وأهلها فقال "أشير زيري هو حصن حسن البقعة كثير المنافع"<sup>4</sup>.

وتشير المتون المصدرية المختلفة إلى وفرة وتنوع المحاصيل الزراعية نتيجة لشساعة أراضي المغرب الأوسط واشتمالها على مناخات وتضاريس متنوعة، غير أن المصادر تؤكد على أن زراعة القمح والشعير كانت وما زالت تشغل الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة بالمغرب الأوسط نظرا لكونهما المادة الغذائية الأساسية للسكان إضافة إلى تناسبها مع مناخ المنطقة فزراعتهم لا تحتاج إلى أمطار غزيرة ولا تتطلب السقي، كما أن هاتان المادتان تتميزان بإمكانية تخزينهما لفترة طويلة دون أن يلحقهما الفساد ويعطينا الرحالة الإدريسي مثالا على قلعة بني حماد في ذلك إذ يقول أن: "الحنطة في القلعة تبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير"<sup>5</sup> الأمر الذي أكدته الحفريات التي أُقيمت بالقلعة من قبل علماء الآثار والتي أسفرت على العثور على مطامير كثيرة محفورة في صحن دار قريبة من قصر السلام<sup>6</sup> وليس أدل على ذلك من قول الرحالة أن القلعة "بلد زرع وخصب وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت فأهلها أبد الدهر شباع وأحوالهم صالحة"<sup>7</sup>.

ومما يشير إلى وفرة الإنتاج الزراعي بالقلعة ما ذكره صاحب الاستبصار أيضا قائلا إنها "مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات"<sup>8</sup> وأكد ابن الخطيب من خلال ذكره لبساتينها المميزة بقوله: "واتخذ بها (حماد بالقلعة) القصور العالية والقصاب المنبوعة والمساجد الجامعة والبساتين الأنيقة"<sup>9</sup>.

أما فيما يخص وفرة المنتوجات الزراعية في مختلف مناطق المغرب الأوسط الأخرى فيذكر أبي الفدا الأيوبي أن "مدينة طنبة مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والأهل والزروع وأكثر زرعهم سقى وأكثر غلاتهم القطن"<sup>10</sup> وبالمثل فإن مدينة تيهرت خصبة واسعة البرية وكثيرة الزروع<sup>11</sup> وهو ما يشير إلى كثرة محاصيلها وشساعة الأراضي الصالحة للزراعة بها، ويدعم ذلك رواية الدرجيني لسفر الفقيه العالم أبي مرداس بن مهاصر السدراتي إلى تيهرت بقوله: "فكان إذا قدم تاهرت فحصد الناس زرعهم ولقط اللقاطون السنابل التي تبقى بعد اللقطين ورعي المواشي تعقبهم أبو مرداس فيلتقط ما يقوم بقوت عام"<sup>12</sup>، وهو ما يؤكد وفرة مذهلة للحبوب في تيهرت. كما عرفت

<sup>3</sup> ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، بيروت، 1967، ص 264.

<sup>4</sup> الشؤيف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، 1863، ص 85.

<sup>5</sup> نفسه، ص 91.

<sup>6</sup> رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص 130.

<sup>7</sup> الإدريسي، ص 91.

<sup>8</sup> صاحب الاستبصار، ص 167

<sup>9</sup> لسان الدين ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العيادي، محمد ابراهيم الكتاني، القسم الثالث، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 86.

<sup>10</sup> أبو الفدا الأيوبي: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830، ص 139.

<sup>11</sup> نفسه.

<sup>12</sup> أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تحقيق وطباعة: ابراهيم طلاي، ص 293.



باغاية هي الأخرى باتساع مزارعها<sup>13</sup> بالإضافة الى وفرة المنتوجات الزراعية في كل من مرسى الدجاج التي وصف الادريسي حنطتها بالمباركة، والمسيلة وطبنة وبجاية ودار ملول ونقاوس وشرشال التي كان بها من الحبوب ما يزيد عن الحاجة<sup>14</sup>.

هذا وقد كان الكتان يزرع عادة في الأراضي المنخفضة التي تظل مغمورة بالمياه مدة طويلة لذلك انتشرت زراعته مع القطن في المسيلة التي وصفها الإدريسي بأنها عامرة في بسبب من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج اليه<sup>15</sup> كما انتشر القطن أيضا طبنة ومستغانم<sup>16</sup>.

أما الأشجار المثمرة فقد توسع الحماديون في زراعتها فنجد الإدريسي يصف ميله بأنها: "حسنة كثيرة الأشجار ممكنة الثمار وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة"<sup>17</sup> أما باغاية فذكر البكري أنها ذات ثمار، وكذلك كانت تاهرت كثيرة الأشجار ووفرة الثمار خاصة السفرجل<sup>18</sup> أما المسيلة فنتج "الكروم والسفرجل الذي يرسل منه إلى القيروان لكثرتة"<sup>19</sup>

وذكر الادريسي أن قرية ريغة بها فواكه وبساتين وكذا مدينة تنس وشرشال كما أكد أن بجاية تشتهر بالتين و"كثير من سائر الفواكه بما يكفي لكثير من البلاد"<sup>20</sup> في حين أثنى على جوز مدينة سطيف قائلا: "هو بالغ الطيب حسن يباع بها رخيصة"<sup>21</sup>.

أما عن شجرة الزيتون فهي من الأشجار المثمرة الرفيعة القدر عند سكان المغرب الأوسط لذا أولاهها هؤلاء عناية فائقة لدرجة أن هناك مناطق عديدة من المغرب الأوسط تسمى بالزيتون نسبة لشجرتة المباركة وغنى المنطقة بزراعتها فقد ذكر البكري كثرة وجودها في بسكرة وطولقة<sup>22</sup> كما تغطي أشجار الزيتون مساحات كبيرة من جبال زاوية وتتواجد في قالمة وسكيكدة أما في تلمسان فيوجد في جبل مديونة وادي الزيتون لكثرة زراعته هناك.<sup>23</sup> وبالمثل اهتم سكان المغرب الأوسط بزراعة النخيل وخاصة أن التمور تعوض الفواكه عند قلتها كما أنها زاد المسافر والمقيم منذ الأزل، وتعد مدينة بسكرة من المناطق التي اشتهرت بإنتاج التمور ذات الجودة العالية، حيث

<sup>13</sup> أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص50.

<sup>14</sup> الادريسي: المصدر السابق، ص ص 114-119.

<sup>15</sup> الادريسي: المصدر السابق، ص86.

<sup>16</sup> البكري: المصدر السابق، ص 49.

<sup>17</sup> الادريسي: المصدر السابق، ص121.

<sup>18</sup> البكري: المصدر السابق، ص50.

<sup>19</sup> الادريسي: المصدر السابق، ص 108.

<sup>20</sup> الادريسي: المصدر السابق، ص104\_116.

<sup>21</sup> نفسه، ص125.

<sup>22</sup> البكري : المصدر السابق، ص52.

<sup>23</sup> جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 46\_47.



ذكر البكري أنها كانت "كثيرة النخيل فيها أجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يُضرب به المثل لفضله على غيره ويعرف باللياري أبيض أملس"<sup>24</sup>

أما بالنسبة للأعشاب الطبية فقد ورد في بعض المتون المصدرية إشارات حول استخدام بعض الأعشاب الطبيعية لغرض التطبيب في عهد الحماديين ومن ذلك ما أورده الإدريسي بخصوص بعض النباتات الطبية المفيدة في حالة لسع العقارب، إذ ذكر أن قلعة بني حماد تكثر فيها العقارب السوداء المميتة فكان أهل المنطقة يتحرزون منها ويتحصنون بشرب مقداراً من نبات الغوليون الحراني فينفعهم ذلك لمدة عام كامل حتى وإن تعرضوا لسع العقارب لأكثر من مرة، كما أن هذه النبتة تسكن الوجع الناتج عن اللسع بسرعة وقد كانت هذه النبتة متوفرة بكثرة في القلعة<sup>25</sup> كما توفرت بجاية على أعشاب استغلها المجتمع المغربي لأغراض طبية من ذلك شجر الحُضض والبرباريس والقونطوريون الكبير والقسطوطوس وغيرها من الحشائش المفيدة في مجال التطبيب<sup>26</sup>.

والواقع أن هذه الأمثلة التي ذكرناها من المنتوجات الزراعية هي أمثلة بسيطة جداً من أصل ما يزخر به المغرب الأوسط من خيارات كثيرة هذه الأخيرة التي لم تكن لتتوفر لولا المشروعات العظيمة التي قام بها الحماديون لتنظيم ري الأراضي الزراعية إضافة إلى المنابع الطبيعية التي ذكرت المصادر الجغرافية توفرها في بلاد المغرب الأوسط. قلعة بني حماد مثلاً تمون عبر ثلاث قنوات رئيسية، يتم من خلالها جر مياه ثلاثة مجاري مائية مختلفة هم وادي فرج ووادي الجفين وعين حمام الزرايف وقد التجأ المهندسون الحماديون إلى استغلال هذه المجاري من منابعها واتخذوا تقنية المتاعب للتحكم في كميات المياه وسرعتها، وهذه المتاعب هي عبارة عن بناءات ذات أشكال هندسية مختلفة دائرية، مربعة ومستطيلة وظيفتها هي كسر سرعة المياه في المنحدرات الشديدة<sup>27</sup>.

بالإضافة إلى منشآت التوزيع والتخزين التي تتوفر عليها القلعة كالأحواض الدائرية المركبة من حوضين متباينين في الحجم أحدهما للتصفية والآخر للتخزين والبحيرات الاصطناعية<sup>28</sup> هذه الأخيرة التي وصفها صاحب الاستبصار بقوله: "ولبني حماد بالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء منها قصر يسمى بدار البحر، وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق يدخله ماء كثير من ماء مجلوب على بعد"<sup>29</sup>.

<sup>24</sup> البكري: المصدر السابق، ص 52.

<sup>25</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 86.

<sup>26</sup> نفس المصدر، ص 90.

<sup>27</sup> بن خرباش عبد النور: المنشآت المائية، مقال قدم في إطار كتاب قلعة بني حماد قيس من التاريخ، وزارة الثقافة، تلمسان، 2011، ص ص

44\_45.

<sup>28</sup> نفس المرجع، ص 49.

<sup>29</sup> صاحب الاستبصار، ص 168.



هذا وقد اهتم الحماديون أيضا بالتقنيات الجمالية لاستغلال المياه في القلعة والمتمثلة في الشاذورات التي كشفت الحفريات عن وجودها بها وهي عبارة عن قنوات مكشوفة ومنحوتة في ألواح الرخام وتسمى أيضا بالسلسبيل في بلاد المشرق وتتمثل وظيفتها في جعل الماء في حالة لمعان لمتعة النظر<sup>30</sup>.

أما عن المناطق الأخرى من المغرب الأوسط فقد كان السكان يستغلون الموارد المائية بوسائل مختلفة خاصة إذا ما واجهوا مشكلة انخفاض مستوى انسياب المياه في النهر أو الوادي عن مستوى سطح الأرض وذلك ببناء القناطر حيث يذكر البكري وجود آثار قناطر قائمة بين شرشال وجزائر بني مزغنة كما أشار صاحب الاستبصار إلى استعمالها في أعمال الري<sup>31</sup>.

### ثانيا - الثروة الحيوانية:

تعد تربية الحيوانات من الأنشطة التي كانت تمارس جنبا إلى جنب مع مختلف الأعمال الزراعية في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي أما في البوادي فقد كانت النشاط الأساسي للسكان بل أن نمط معيشة أهل البادية قائم في أساسه على نشاط الرعي، فحياة الترحال التي يعيشونها وتقلهم من مكان إلى آخر هدفه السعي لتوفير الكلاً والماء لحيواناتهم. وقد ازدادت هاته الظاهرة أكثر فأكثر خاصة بعد مجيء الهلاليين الذين تسببوا في تقهقر الزراعة لفائدة تربية المواشي<sup>32</sup>.

هذا ومن خلال المصادر التي اطلعنا عليها وقفنا على وفرة الثروة الحيوانية وتوزعها في مختلف أنحاء المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي فقد ذكر الإدريسي أن لأهل مدينة المسيلة خيل وأغنام وأبقار ولحوم وأنها على نهر فيه ماء كثير مستنبت على وجه الأرض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة ولم يُر في بلاد الأرض المعمورة سمك على صفته وأهل المسيلة يفتخرون به ويكون مقدار هذا السمك من شبر إلى ما دونه وربما اصطيده منه الشيء الكثير فاحتمل إلى قلعة بني حماد هذه الأخيرة التي وصف لحوماها بالكثيرة وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب<sup>33</sup>.

كما تحدث الإدريسي عن وجود المواشي في كل من شرشال، تلمسان، مرسى الدجاج وقرية داست التي كانت "مواشيها عامة" وذكر أن مدينة الجزائر بها بادية كبيرة وأكثر أموالهم المواشي كما تحدث عن ألبان مازونة ولحومها السمينة، مما يدل على وجود تربية الحيوانات بها، وقد وصف قسنطينة بقوله والعسل فيها كثير وكذلك السمن "أما يجبل ففيها الألبان والسمن والعسل والزرع والحوث الكثير العدد المتناهي الطيب والقدرة<sup>34</sup>.

<sup>30</sup> خرياش عبد النور: المرجع السابق، ص 65.

<sup>31</sup> جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 61.

<sup>32</sup> الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12 م، ج2، ترجمة حمادي الساطي، دار الغرب الإسلامي، ص 244.

<sup>33</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 86-91.

<sup>34</sup> نفسه، ص 126\_128.



### ثالثا- الثروة الخشبية والمعدنية:

تزرع بلاد المغرب الأوسط بثروة خشبية ومعدنية معتبرة توفر الى جانب المنتجات النباتية والحيوانية مادة أولية يستخدمها السكان في بعض الحرف اليدوية لتوفير بعض المتطلبات في حياتهم البسيطة. وقد اهتم الحماديون بغرس أشجار الغابات حتى يتسنى لهم الحصول على الأخشاب اللازمة لبناء أسطولهم البحري ومراكبهم التجارية، ومن أشهر مناطق الخشب في العصر الحمادي بجاية التي وصفها الرحالة بأنها دار صناعة الأساطيل لأن الخشب فيه أوديتها وجبالها كثير<sup>35</sup>. كما كانت الغابات موجودة في بونة حيث شجر الصنوبر الذي يستخرجون منه الزيت والقطران، إضافة إلى وجود غابات بجبال الرحمن قرب مدينة القل حيث توجد أشجار خشبها قابل للخرط وبالأخص بمكان يسمى مرسى الخراطين.<sup>36</sup>

هذا وإضافة إلى ما توفره الغابات من مادة خشبية تستغل في بعض المصنوعات كالموائد والأبواب والكراسي والمهارس والصحون والكؤوس الخشبية وفي تسقيف المنازل كما استغلت الغابات أيضا في استخراج الفحم وتوفير الأعشاب التي تدخل في تركيب بعض الأدوية<sup>37</sup>.

أما فيما يخص الثروة المعدنية فإن المصادر المؤرخة للفترة تذكر الحديد، الفوسفات، النحاس، الرصاص، الزنك، اللازورد حيث يذكر البكري أن ببلاد كتامة حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد<sup>38</sup>، أما مجانية فقد اشتهرت بمناجم الحديد والفضة وأحجار الطواحين<sup>39</sup> وبالمثل يذكر القزويني أن بها الزنك والرصاص والكحل وبجنوبها جبل تقطع منه أحجار الطواحين<sup>40</sup>.

وقد كشفت الحفريات التي أقيمت بقلعة بني حماد عن أنواع كثيرة من الحلي التي تكشف صناعة المجوهرات ووفرته في القلعة منها الأقراط المختلفة الأنواع والخواتم والأساور وهي حاليا موزعة على المتاحف الوطنية كمتحف سيرتا وسطيف وغيرهم<sup>41</sup> ويذكر الإدريسي أن إقليم بجاية يوفر الزيت والقطران وأنها تحتوي على معدن الحديد ويؤكد هذا ما جاء في دائرة المعارف من أن من صادراتها "الحديد المستخرج من معادنها والأدوات اللطيفة"<sup>42</sup>.

### رابعا\_ التجارة في العهد الحمادي:

تعتبر أرياف المغرب الأوسط الممول الرئيسي للحركة التجارية سواء الداخلية أو الخارجية نتيجة لما تنتجه من محاصيل زراعية ومنتجات حيوانية ومن السلع التي كان يتاجر بها الحماديون الحبوب ، الفواكه،

<sup>35</sup> نفسه، ص 116.

<sup>36</sup> رشيد بوروية: المرجع السابق، ص 134.

<sup>37</sup> جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 116\_117.

<sup>38</sup> البكري: المصدر السابق، ص 33.

<sup>39</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 116.

<sup>40</sup> أبو عبد الله بن زكريا القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1960، ص 260.

<sup>41</sup> بوضبع نسيم: صناعة الحلي الحمادية، مقال قدم في إطار كتاب قلعة بني حماد قيس من التاريخ، وزارة الثقافة، تلمسان، 2011، ص 106.

<sup>42</sup> بطرس البستاني: دائرة المعارف، مادة بجاية، ص 198.



المواشي، اللحوم وغيرها وتمدنا كتب الجغرافيا بمعلومات قيمة حول أنواع المنتوجات التي حققت بعض المناطق فائضا في إنتاجها وبالتالي يمكن المتاجرة بها ومن ذلك وصف الإدريسي للقلعة بأن بها " من الفواكه المأكولة والنعم المنتجة ما يلحقه الإنسان بالثمن اليسير" ومدينة المسيلة التي بها من الحبوب ما يزيد عن حاجة أهلها<sup>43</sup> وقد كان التجار والمسافرون يتوافدون على القلعة من المشرق والمغرب وكان يصنع بها سروج الخيل والأكسية الغليظة ذات النسيج الجميل المطرزة بالذهب والمنسوبة إليها كما كانت تصنع الأقمشة الصوفية الناعمة والبراقه كالحرير<sup>44</sup> كما يذكر لنا البكري أن قلعة بني حماد تمصرت عند خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل افريقية وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب<sup>45</sup>.

ويصف الإدريسي سطيف بقوله: " وهو كثير المياه والشجر المثمر بضروب من الفواكه ومنه يحمل الجوز لكثرتها بها إلى سائر الأقطار" كما كانت بجاية تنتج من الحنطة والشعير والتين والفواكه ما يكفي لكثير من البلاد وكانت قسنطينة ذات أسواق وتجارة وكان إنتاج العسل والسمن بها وفير يتاجر به إلى سائر البلاد<sup>46</sup>.

أما بسكرة فكان يوجه من تمرها الجيد إلى حاضرتي تونس وبجاية، كما اشتهرت تلمسان برخص أسعارها وريح تجارتها وكانت تحمل منها ثياب الصوف وألجم الخيل والسروج إلى سائر بلاد المغرب الإسلامي وأما قمح تنس فكان يوجه منه إلى الأندلس، ولم تكن الأسواق تقام في المدن فقط وإنما وجدت أيضا في بعض القرى فقد كان لقرية ريغة مثلا " سوق صالحة تقصد في يوم معلوم كل جمعة" وكانت بمازونة سوق في يوم معلوم يجتمع فيه الناس ويحملون معهم الفواكه والألبان<sup>47</sup>

وعن المسالك التجارية للمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، كان المغرب الأوسط يحتوي على شبكة من الطرق التجارية فكانت هناك ثلاث طرق رئيسية تخرج من قلعة بني حماد بالإضافة إلى الطريق الذي يؤدي إلى بجاية اثنتان تتجهان نحو القيروان والثالثة نحو تنس<sup>48</sup> وكانت أخرى تنطلق من القيروان إلى سببية ثم مسكيانة إلى باغاية ثم تأخذ عدة اتجاهات في المغرب الأوسط وهناك طرق أخرى تربط المغرب الأوسط بالمغرب الأقصى كالطريق الذي يربط تاهرت بفاس مروراً بتلمسان وأخرى بالسودان ومن ذلك الطريق الذي يمتد من برقة شرقا إلى طرابلس وقابس ومنها إلى توزر إلى بسكرة ثم طنبنة ثم المسيلة إلى تيهرت إلى سجلماسة وصولا إلى بلاد السودان وكذا هناك طريق يربط بين تيهرت والأندلس عبر مرسى الدجاج<sup>49</sup>. أما عن المسالك التجارية البحرية فكانت الموانئ عديدة منها مرسى جزائر بني مزغنة، وهران، تنس، بجاية، جيجل، مرسى الدجاج وغيرها.

<sup>43</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 91.

<sup>44</sup> الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ص 100.

<sup>45</sup> البكري: المصدر السابق، ص 49.

<sup>46</sup> الإدريسي: المصدر السابق، ص 116-126-126.

<sup>47</sup> نفسه، ص 128-129.

<sup>48</sup> رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 142.

<sup>49</sup> جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 202-210.



### الخاتمة:

إن موضوع النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الأوسط في عهد الحماديين من المواضيع الحيوية التي تستحق البحث والدراسة خاصة وأن المتون المصدرية وبالذات الجغرافية منها مليئة بالإشارات القيمة والمعلومات الهامة التي نقلها لنا الرحالة العرب، لدرجة أن المرء يبقى مندهشا إزاء المناطق التي تذكرها هاته المصادر على أنها كانت يوما منبعاً للمياه العذبة وموطناً للأسماك النادرة غير أن هذه المنابع جفت وأسماكها اختفت.

من جهة أخرى، رأينا أن منطقة المغرب الأوسط عرفت ازدهارا مذهلا في ظل الدولة الحمادية، إذ شجع، نجاح الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية ووفرتها بفضل الظروف الطبيعية والاستقرار السياسي في البداية، على قيام حركة التبادل التجاري واهتمت في العديد من الأسواق الأندلس وبلاد الروم ومختلف







مدينة طوس خلال العصرين الغزنوي والسلجوقي  
(دراسة حضارية وسياسية)

د. علي محمد سعد أحميدة

أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم / المرج

جامعة بنغازي

2019



## الملخص باللغة العربية:

### (مدينة طوس خلال العصر الغزنوي والسلجوقي)

#### دراسة سياسية وحضارية

مدينة طوس هي إحدى مدن ربع نيسابور الذي يعد أول أرباع خراسان الشهيرة وقد كان لها دور كبير على المستويين السياسي والحضاري منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى العصر السلجوقي في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والعلمية وقد فاقت شهرتها باقي مدن الإقليم باحتضانها لرفات الخليفة العباسي هارون الرشيد ولانتساب الوزير السلجوقي القدير نظام الملك الطوسي لها فضلاً عن تميزها بالعديد من العلماء والفقهاء والأدباء الذين طبقت شهرتهم الأفاق.

## الملخص باللغة الإنجليزية:

### Extract

#### ( Tus City Through Ghaznavid and Seljuk eras A political and cultural study )

The city of Tus is one of the cities of the quarter of Nisapur, which is the first quarters of the famous Khorasan has been a major role at the political and cultural levels since the Arab-Islamic conquest till the Seljuk era in the economic, social and scientific fields. Its fame surpassed the rest of the cities of the region by embracing the remains of the Abbasid Caliph Harun al-Rashid and The membership of Seljuk Minister Kadeer Nedam Al MolekTuibi to it .

As well as distinguished by many scholars, jurists and writers whose fame were over all prospects.



### تمهيد:

مما لا شك ان الدراسة الحضارية والسياسية لأي مدينة من مدن المشرق الإسلامي يعد من الموضوعات ذات الأهمية في التاريخ الاسلامي ومدينة طوس إحدى مدن ربع نيسابور والذي يعد أول أرباع خراسان الشهيرة، وقد لعبت هذه المدينة دوراً حضارياً وسياسياً كبيراً في محيطها منذ فتح خراسان وقد احتضن ثراها قبر الخليفة هارون الرشيد كما انها مسقط رأس الوزير السلجوقي القدير نظام الملك الطوسي واشتهرت بالعديد من العلماء والأدباء والفقهاء ونتاجاتهم ومصنفاتهم العلمية ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي يستهدف إبراز هذا الدور الحضاري والسياسي لمدينة طوس ومدى مساهماتها الجمة في حقل الحضارة العربية الاسلامية، قد اتبعت في دراستي المنهج السردى التحليلي من حيث وصف وسرد الأحداث وتحليلها من خلال ما عثرت عليه من مصادر ومراجع.

### طوس الاسم والموقع والحدود:

طوس بضم الطاء المهملة وفي آخرها السين المهملة أيضاً<sup>(1)</sup> كورة في الربع الأول من أرباع خراسان عند البلاذري<sup>(2)</sup> وقد عدها اليعقوبي<sup>(3)</sup> من كور نيسابور<sup>(4)</sup> وما والاها، كما ضمها الاصطخري<sup>(5)</sup> إلى نيسابور أيضاً في حين جعلها المقدسي<sup>(6)</sup> إحدى خزائنها، وقال عنها السمعاني<sup>(7)</sup> بأنها بلدة بخراسان تقع على مسافة خمسة فراسخ<sup>(8)</sup> من مدينة المثقب الشهيرة وبينها وبين مدينة نيسابور نحو مرحلتين مما يلي بحر الديلم<sup>(9)</sup> وهي تشتمل على مدينتين إحداهما الطابران والأخرى نوقان ولها ما يزيد عن ألف قرية كما يقول ابن الأثير<sup>(10)</sup> وفي المئة السادسة ذكر السمعاني<sup>(11)</sup> بأنها بلدتين وعدها القزويني<sup>(12)</sup> في المئة السابعة محلّتين يقال لأحدهما طابران والأخرى نوقان، إلا أن ياقوت الحموي اعتبرها بلدتين<sup>(13)</sup> ومساحتها ميل في مثله<sup>(14)</sup> بالقرب من المدينة المشهورة (شميلان) كما يوجد بها آثار أبنية إسلامية جليلية بينها وبين نيسابور يوجد قصر هائل عظيم محكم البنيان يقال أنه من بناء بعض التبابعة<sup>(15)</sup> ويقع في طوس قبر الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) وأيضاً قبر الإمام علي بن موسى الرضا<sup>(16)</sup>.

### الفتح الإسلامي لمدينة طوس:

بعد إتمام الفتح الإسلامي للعراق في معركة نهاوند (21هـ/641م) وهزيمة كسرى يزجرد الثالث وفراره مهزوماً إلى خراسان حيث مكث في مدينة مرو<sup>(17)</sup> أمر الخليفة عمر بن

(1) السمعاني: الأنساب، ج4، ص80.

(2) فتوح البلدان، ص615.

(3) كتاب البلدان، ص277.

(4) نيسابور: بفتح النون وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفتح السين المهملة وبعد الألف باء منقوطة بواحدة وفي آخرها الراء وهي أحسن مدينة وأجمعها للخيرات بخراسان وقيل نيسابور لأن سابور مر بها فلما نظر إليها قال: هذه تصلح أن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبتها ثم كبس ثم بقيت فقيل لها: نيسابور، السمعاني: المصدر السابق، ج5، ص550.

(5) المسالك والممالك، ص146.

(6) أحسن التقاسيم، ص300، 319.

(7) الأنساب، ج4، ص80.

(8) الفرسخ حوالي ثلاثة أميال، محمد عمارة: قاموس المصطلحات، ص239.

(9) ابن خردادبة: مسالك الممالك، ص277، السمعاني: الأنساب، ج4، ص335، هامش1.

(10) اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص288.

(11) الأنساب، ج4، ص80.

(12) آثار البلاد وأخبار العباد، ص411.

(13) معجم البلدان، ج4، ص49، ابن عبد الحق: مرصد الاطلاع، ج2، ص987.

(14) معجم البلدان، ج4، ص49.

(15) المصدر نفسه، ج3، ص560.

(16) الاصطخري: المصدر السابق، ج3، ص147، 146، ابن حوقل: صورة الأرض، 434، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص430، 431.

(17) ابن أعمم الكوفي: كتاب الفتوح، ج2، ص75، البلاذري: فتوح البلدان، ص، محمد نصير بك: أبطال الفتح الإسلامي، ص26.



الخطاب (13-23هـ/633-643م) القائد الأحنف بن قيس التميمي بالتوجه فوراً إلى خراسان فدخلها عام 22هـ/642م من ناحية الطبسين وهما حصنان يقال لأحدهما طبس والآخر كرمين فيهما نخل وهما باب إقليم خراسان فأصاب بهما غنائم وصالح أهل الطبسين الخليفة عمر بن الخطاب على ستين ألفاً وقيل خمس وسبعون ألفاً وكتب لهم كتاباً<sup>(1)</sup> ثم فتح الأحنف بن قيس مدينة هراة عنوة مستخلفاً عليها صحار بن فلان العبدي ثم سار نحو مدينة مرو الشاهجان<sup>(2)</sup> حيث كان يزجرده الثالث مختبئاً بها فلما اقترب الأحنف منها هرب يزجرده نحو مرو الروذ<sup>(3)</sup> فنزلها وبقي الأحنف بمرو الشاهجان<sup>(4)</sup> وكتب يزجرده كتاباً إلى خاقان ملك الترك وكذلك إلى ملك الصغد وأيضاً إلى ملك الصين يستمدهم للتصدي للمسلمين ومواجهتهم<sup>(5)</sup>.

خرج الأحنف من مرو الشاهجان متوجهاً إلى مرو الروذ واستخلف عليها حاتم بن نعمان الباهلي<sup>(6)</sup> وفي هذه الأثناء قدمت على الأحنف امدادات عسكرية من أهل الكوفة صحبة أربعة أمراء فلما بلغ مسيره إلى يزجرده خرج إلى بلخ حيث التقى بقوات يزجرده وتمكن من هزيمته وهرب يزجرده ومن بقي معه من فلول جيشه عابراً نهر جيحون واستوثق ملك خراسان على يد الأحنف<sup>(7)</sup>، وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين مدن نيسابور وطخارستان ممن كان تابعاً لمملكة كسرى وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فنزلها مستخلفاً ربعي بن عامر على طخارستان وتمكن مطرف بن عبد الله من فتح نيسابور وقام الحارث بن حسان من فتح سرخس<sup>(8)</sup> وكتب الأحنف إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بما أفاء إليه من فتح خراسان كلها فقال عمر: "وددت لو أني لم أكن بعثت إليها جنداً ولو ددت أن بيننا وبين خراسان بحراً من نار" وأمر الأحنف بعدم تجاوز النهر<sup>(9)</sup>.

بعد استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب تولى زمام الخلافة عثمان بن عفان (23-35هـ/643-655م) فعين عبد الله بن عامر بن كريز والياً على البصرة في سنة ثمان وعشرين وقيل سنة تسع وعشرين للهجرة فتوجه الأخير من فوره إلى خراسان مستخلفاً على البصرة زياد بن أبي سفيان وتمكن من إعادة فتح نيسابور صلحاً عام 31هـ/651م وفتح في ذات السنة مدينة طوس صلحاً على ستمائة ألف درهم وتولى أمرها القائد أمير بن أحمر اليشكري وأبيورد ونسا حتى بلغ سرخس وصالح فيها<sup>(10)</sup> أهل مرو كما بعث على مقدمته الأحنف بن قيس فأقر صلح الطبسين التي فتحت في عهد عمر بن الخطاب وفتح قوهستان عنوة<sup>(11)</sup> ووجه عبد الله بن حازم السلمي إلى سرخس ففتحها وتمكن حاتم بن نعمان من مصالحة لك مرو على ألقى ومائتي ألف أوقية وعلى أن يوسعوا للمسلمين في منازلهم<sup>(12)</sup> وفي نفس هذا العام 31هـ/651م قتل بمرو آخر أكاسرة الفرس يزجرده الثالث<sup>(13)</sup>.

(1) البلاذري: المصدر السابق، ص 447.

(2) مرو الشاهجان: أشهر مدن خراسان وتسمى مرو العظمى وبينها وبين نيسابور 70 فرسخاً ومرو تعني الحجارة البيض والشاهجان معناها روح السلطان، ياقوت: المصدر السابق، ج 5، ص 113.

(3) مرو الروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينها خمسة أيام وهي على نهر عظيم من أشهر مدن خراسان، القزويني: آثار البلاد، ص 456.

(4) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 4، ص 167، ابن كثير: البداية والنهاية، ج 7، ص 120.

(5) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج 1، ص 164، المسعودي، مروج الذهب، ج 5، ص 1، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج 1، ص 141.

(6) الطبري: المصدر السابق، ج 4، ص 167، محمد إبراهيم الجيوشي: الأحنف بن قيس، ص 11.

(7) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 120.

(8) ابن كثير: المصدر السابق، ج 7، ص 121، اصلاح عبد الحميد ريجان: هرات من الفتح الإسلامي، ص 51، 50.

(9) الطبري: المصدر السابق، ج 4، ص 167.

(10) الطبري: المصدر السابق، ج 4، ص 300، اصلاح عبد الحميد: المرجع السابق، ص 53، 52.

(11) البلاذري: المصدر السابق، ص 421.

(12) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 67.

(13) شاهين مكاريوس: تاريخ إيران، ص 102، 103.



وظل الأحنف بن قيس يواصل فتوحاته لباقي مدن وقرى خراسان ويجبي أموالها ويحمل الخمس للخليفة عثمان بن عفان حتى استشهد الأخير سنة 35هـ/655م<sup>(1)</sup> وكلف الخليفة علي بن أبي طالب حين آلت إليه الخلافة جعده بن هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي أمر خراسان وظلت تؤدي الجزية<sup>(2)</sup>.

#### طوس في العصرين الأموي والعباسي:

وبعد تولي الخليفة معاوية بن أبي سفيان زمام الخلافة قام بضم خراسان إلى ولاية البصرة مستعملاً عليها عبد الله بن عامر بن كريز<sup>(3)</sup> ولكن لم يتم بسط السيادة الإسلامية على كامل خراسان وما وراء النهر إلا في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) وعلى يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي الذي استكمل فتح خراسان وما وراء النهر ودعا سكانها إلى اعتناق الإسلام وترك عبادة الأصنام فأجابوه وأدى غير المسلمين من سكانها الجزية<sup>(4)</sup> وكانت معاملة العرب وحسن الأخوة الإسلامية دافعاً قوياً للخراسانيين للسعي للصلاة في المساجد التي أنشئت والاقبال على الاستماع للقرآن الكريم<sup>(5)</sup> كل ذلك أدى إلى انتشار الإسلام في كامل ربوع خراسان ومنها مدينة طوس<sup>(6)</sup>.

وشكلت خراسان البيئة المناسبة التي أدت إلى نجاح الدعوة العباسية مما أسهم في سقوط دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية سنة 132هـ/750م حيث نمت الدعوة العباسية وترعرعت في خراسان حتى أن أكبر دعاة العباسيين كان أبي مسلم الخراساني الذي سيطر على إقليم خراسان وطرد منه ولاة بني أمية وسار على رأس جيش كبير من الموالي الفرس برفقة أبي العباس السفاح إلى الكوفة حيث أعلن قيام الدولة العباسية (132هـ/750م) واعترف الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م) بفضل أهل المشرق في إقامة الدولة العباسية وعبر عن ذلك بقوله "أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا، وأوصى ولي عهده المهدي بهم قائلاً: "أوصيك بأهل خراسان خيراً فإنهم أنصارك وشيعتك بذلوا أموالهم في دولتك ودماءهم دونك" وأوصاه بالإحسان إليهم والتجاوز عن مسيئهم وأن يكافأهم على ما كان منهم<sup>(7)</sup>.

#### طوس في ظل الدويلات المستقلة:

بعد أن استقر المأمون في الخلافة سنة 198هـ/813م أسند لطاهر بن الحسين ولاية الجزيرة وولاية شرطة بغداد ثم أسند إليه ولاية خراسان سنة 205هـ/820م مكافأة له لانجازه لجانبه في صراعه مع أخيه الأمين فوطد طاهر بن الحسين نفوذه في خراسان واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته وعلى ذلك استطاع تأسيس أول إمارة شبه مستقلة في المشرق الإسلامي (205-254هـ/820-867م)<sup>(8)</sup> وتوارث أبنائه قيادة للدولة بعد وفاته عام 207هـ/822م وحرصوا على تحسين علاقتهم بالخلفاء العباسيين ووقفوا إلى جانبهم في القضاء على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضدهم لذلك حرص العباسيون على دعمهم وتأييدهم حتى سقطت دولتهم على يد يعقوب بن الليث الصفار الذي استنجد به الناس للقضاء على الاضطرابات والفضى التي شملت خراسان فسار يعقوب بجيشه إلى نيسابور سنة 254هـ/867م وقبض على (محمد بن طاهر) آخر حكام الدولة الطاهرية وبذلك زالت الدولة الطاهرية لتقوم على أنقاضها الدولة الصفارية (254-290هـ/867-904م) التي أسسها يعقوب بن الليث الصفار ودخل في حرب مع الدولة العباسية أدت إلى هزيمته في معركة دير العاقول وتوفي عام

(1) الواقدي: فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، ص138، ابن أعثم: المصدر السابق، ج2، ص107، محمود شاکر: أفغانستان، ص42.

(2) يعقوبي: البلدان، ص127.

(3) المصدر نفسه، ص127.

(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون، ص51، 52.

(5) المرجع نفسه، ص51، 52.

(6) محمد سعد السيد: الحياة الفكرية في إقليم خراسان، ص16.

(7) عصام الدين الفقي: الدول المستقلة في الشرق الإسلامي، ص27.

(8) المرجع نفسه، ص32، انظر ياسر المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، ص24، 32.



265هـ/878م ولكن يحسب له أنه استطاع أن يكفل الأمن والاستقرار لدولته ويجبي منها الأموال الكثيرة حتى عمرت خزائنه، وحل محله أخوه عمرو بن الليث والذي أقرته الخلافة العباسية على فارس وخراسان وسجستان وكرمان والسند وأظهر الطاعة للخلافة ورتب موارد الدولة وعمل على زيادتها وحاول ضم بلاد ما وراء النهر ودخل في صراع مع حكامها السامانيين مما أدى لهزيمته في إحدى المعارك عام 288هـ/900م على يد الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني ووقوعه أسيراً<sup>(1)</sup>. وكان لهذه الواقعة نتائج هامة في تطورات الأحداث السياسية في المشرق الإسلامي إذ كانت بداية النهاية للدولة الصفارية ويسرت للسامانيين مد نفوذهم على ممتلكات الصفاريين في خراسان وغيرها، والدولة السامانية كانت معاصرة للدولة الصفارية حيث أنها تأسست في بلاد ما وراء النهر (261-389هـ/874-999م) وتمكنت بعد هزيمة الصفاريين من ضم خراسان على يد إسماعيل بن أحمد وأقره الخليفة المعتضد على خراسان وما وراء النهر والسند وجرجان واتخذ من بخارى حاضرة لدولته وتوفي سنة 295هـ/907م وتوارث أولاده الحكم من بعده حتى زالت الدولة على أيدي الدولة الغزنوية الناشئة (352-555هـ/962-1160م) التي اتسعت على حساب الدولة السامانية وقضت عليها سنة 390هـ/999م<sup>(2)</sup> باستيلاء السلطان محمود الغزنوي على خراسان وأقره الخليفة العباسي القادر بالله على ما في يديه من ممتلكات وخلع عليه لقب يمين الدولة وأمين الملة<sup>(3)</sup>، ولما توفي السلطان محمود الغزنوي سنة 421هـ/1030م ولي ابنه الصغير محمد الذي دخل في صراع مع أخيه مسعود والذي حسم الصراع لصالحه، ولكن ظهور السلاجقة على المسرح السياسي تسبب في ضعف الدولة الغزنوية وظلوا يشكلون مصدر خطر على ممتلكاتهم في خراسان وهددوا المدن الخراسانية وحسنت معركة دندانقان التي وقعت سنة 431هـ/1039م الصراع لصالح السلاجقة وهزيمة الغزنويين ليتم إعلان قيام الدولة السلجوقية في نيسابور بقيادة السلطان طغرلبيك واعترف الخليفة العباسي به وإقراره على ما تحت يديه من البلاد<sup>(4)</sup> وبذلك دخلت خراسان ومنها مدينة طوس تحت سيطرة الدولة السلجوقية (447-590هـ/1055-1193م).

#### الحياة الاقتصادية في طوس:

ازدهرت الحياة الاقتصادية في خراسان ومنها مدينة طوس خلال فترة الدويلات المستقلة وخصوصاً في عهد الدولتين الغزنوية والسلجوقية في جميع مجالاتها الزراعية والصناعية والتجارية والثروة المعدنية ولم يكن هذا الازدهار نتاج العهد الغزنوي والسلجوقي بل كان امتداداً للعصور السابقة وإن كان لتشجيع ودعم الحكام والأفراد أثره الفعال في هذا التقدم الاقتصادي في خراسان عامة وطوس خاصة.

#### أولاً النشاط الزراعي:

تعد الزراعة من الدعامات الأساسية التي يعتمد عليها النشاط السكاني في كل مدن وقرى خراسان ومنها مدينة طوس ومدنها ورساتيقها<sup>(5)</sup> وقراها وذلك لخصوبة تربتها ووفرة مياهها كما أن الزراعة مثلت المادة الخام الرئيسية التي يقوم عليها الإنتاج الصناعي والذي أدى إلى انتعاشها ورواج حركة التجارة مما كان له أثره الواضح في ازدهارها اقتصادياً واستطاعت تصدير الفائض منها إلى البلاد المجاورة، كانت الزراعة في خراسان عامة في العصرين الغزنوي والسلجوقي لها أهميتها القصوى اقتصادياً لأن السلطتين الغزنوية والسلجوقية كانتا

(1) المرجع نفسه، ص36، ياسر المشهداني: المرجع السابق، ص32، 42.

(2) المرجع نفسه، ص37، 46، انظر ياسر المشهداني: المرجع السابق، ص49، 54.

(3) بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية ومظاهر الحياة، ص121، 141.

(4) عصام الدين الفقي: المرجع السابق، ص109، 142، انظر محمد عبد المنعم الجمل: الدول المستقلة، ص295، 297.

(5) الرستاق: كلمة فارسية ومعربها الرزدق وجمعه الرزداقات وتعني القرية أو محلة العسكر، محمد عمارة: المرجع السابق، ص248.



تدركان العلاقة القوية بين حال الزراعة وبين الوارد لخزينة الدولة<sup>(1)</sup> واشتهرت طوس بإنتاج كميات كبيرة من القطن<sup>(2)</sup> وانتشرت المزارع في الرساتيق والمدن ومنها مدينة طوس وكان إنتاج اقليم خراسان من الحبوب والخضروات والفواكه كثيراً وكانت تكتفي ذاتياً وتصدر الفائض من إنتاجها إلى جيرانها المحيطين بها<sup>(3)</sup> وحرص حكام الاقليم في عهده المختلفة على تنمية وازدهار الثروة الزراعية في الاقليم حيث أشار اليعقوبي<sup>(4)</sup> إلى أن خراج نيسابور والذي يضم مدينة طوس في عهد الطاهريين كان يبلغ أربعة آلاف درهم سنوياً.

لقد أصبح الاهتمام بالزراعة من السياسات الرشيدة التي اتبعتها الغزنويون والسلاجقة ونالت على وجه الخصوص اهتمام الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي لذا كانت له اصلاحات جمة في هذا المضمار فأصلح من أحوال الفلاحين بأن قام بتعديل تقويم النيروز<sup>(5)</sup> بحيث جعله متفقاً مع موسم نضج الغلات الزراعية ويعرف هذا التقويم بالتقويم الجلالى نسبة إلى السلطان السلجوقي جلال الدين ملكشاه (465-485هـ/1072-1093م) فأصبح هذا الموعد محدداً لجباية الأموال عن ضريبة الأرض الزراعية مناسباً للفلاحين في موعد الحصاد<sup>(6)</sup>.

وأهتم الحكام بحفر الترغ والقنوات وإقامة السدود والقناطير واشتهرت طوس إلى جانب العديد من مدن خراسان بقنواتها التي تجري تحت الأرض وكان بها كثير من مجاري الماء المغطاة بعضها من خارج المدينة ويستخدم ري البساتين والبعض الآخر في إمداد الدور بالمياه<sup>(7)</sup> وقد اشتهرت مدينة طوس بزراعة الحبوب<sup>(8)</sup> ولهذه عرفت بإنتاج الحنطة والتي كانت تزرع حيث المناطق التي تتوفر فيها المياه<sup>(9)</sup> ويقول المقدسي<sup>(10)</sup> أن مدن وقرى نيسابور ومنها بطبيعة الحال طوس من أكثر بلاد خراسان إنتاجاً للحبوب من القمح والشعير والأرز، ويصف ابن حوقل<sup>(11)</sup> طوس بأنها مدينة الحبوب بأنواعها، في حين يصف نيسابور بمدينة الفواكه اللذيذة وبساتينها الكثيرة وتشتهر أرباعها ورساتيقها بكثرة الكروم والأعاب الجيدة والريباس<sup>(12)</sup> والمشمش والزيتون والسفرجل والأجاص والرمان<sup>(13)</sup> واشتهرت نيسابور وطوس بإنتاج الجيد من التين وكان من الفواكه المحبوبة والذي كان يساعد في عملية الهضم، وزرع بكثرة في رساتيقها وذكر ابن حوقل<sup>(14)</sup> أنه كان يحمل إلى الأفاق للأكل ويتحف به الملوك والسادة وكان الرطل منه يباع في مصر وبلاد المغرب بدينار.

### ثانياً: الرعي والثروة الحيوانية :

شكلت الثروة الحيوانية مصدر دخل آخر من اقتصاد طوس خاصة وخراسان عامة وكانت تدر على الإقليم منتجاتها من الألبان التي تعد مادة غذائية لا يمكن الاستغناء عنها إضافة إلى ما توفره من كميات كبيرة من اللحوم لإطعام السكان كما أن إنتاجها من الأصواف والجلود

(1) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص49، إيمان زكي: الأحوال الاقتصادية، ص91.

(2) إيمان زكي: المرجع السابق، ص126، اصلاح عبد الحميد: المرجع السابق، ص254.

(3) إيمان زكي: المرجع نفسه، ص126، اصلاح عبد الحميد: المرجع السابق، ص254.

(4) كتاب البلدان، ص78.

(5) النيروز: أو النيروز كلمة فارسية مركبة من مقطعين (نو) وتعني الجديد و (روز) وتعني يوم وبهذا يكون معناها اليوم الجديد أي بداية السنة عند الفرس والذي اتخذ عيداً لهم، البيروني: الآثار الباقية، ص329.

(6) نظام الملك الطوسي: سياسة نامه، ص165.

(7) محمد جمال الدين سرور: الحضارة الإسلامية في الشرق، ص201، آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج2، ص31.

(8) القزويني: المصدر السابق، ص279.

(9) إيمان زكي: المرجع السابق، ص39.

(10) أحسن التقاسيم، ص314.

(11) صورة الأرض، ص327.

(12) الريباس: بقلة كأضلاع السلق لها خشونة ذات عيدان غضة حمراء إلى الخضرة ولها ورق كثير عريض مدور وطعم حلو بحموضة وهو بارد يابس وهو مقو للمعدة قاطعاً للعثش والقيء والاسهال، أن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية، ص147، هو نبات ينفع للحصبة والجذري والطاعون وعصارتة تحد النظر كحلاً الفيروز أبدي: القاموس المحيط، ص706.

(13) ابن حوقل: المصدر السابق، ص368، الأصطخري: المصدر السابق، ص151.

(14) صورة الأرض، ص448.



والفرو والوبر واستعمالاتها في كثير من الصناعات المختلفة مما أهل خراسان لتصبح مركزاً هاماً للصناعات في بلدان الخلافة الشرقية<sup>(1)</sup> وكان توافر المراعي في خراسان ومنها مدينة طوس أحد مظاهر النشاط الاقتصادي حيث وجدت الأراضي الغنية بالعشب والحشائش التي ترعى عليها المواشي والدواب على منحدرات الجبال<sup>(2)</sup> كما كانت الأبقار كثيرة في طوس ونيسابور وكان يعتمد عليها كثيراً في الأعمال الزراعية، كما توجد بعض الحيوانات البرية في الصحارى القريبة من طوس ونيسابور وفي أوديتها التي توجد خارج أسورها<sup>(3)</sup>

**ثالثاً: الثروة المعدنية:**

تعد خراسان مصدراً رئيسياً لمعظم المعادن التي ساعدت على قيام الصناعات وانتشرت في جبالها ووديانها عدة مناجم واهتم سلاطين الدولة الغزنوية والسلجوقية باستغلال هذه المعادن، وقد حباي الله تعالى إقليم خراسان ومنه مدينة طوس بالكثير من المعادن كالحديد والفضة والنحاس والرصاص والذهب والبلور والماس والأحجار الكريمة<sup>(4)</sup> وكان يستخرج من جبال النوقان معدن الذهب والفضة والنحاس والحديد وبالقرب من طوس يوجد الفيروزج<sup>(5)</sup> وحجر يقال له الخماهن<sup>(6)</sup> والدهنج<sup>(7)</sup> وكانت هذه المعادن تجلب إلى أسواق النوقان ليتم بيعها<sup>(8)</sup> ولم يأل سلاطين الدولتين الغزنوية والسلجوقية جهداً في سبيل العمل على استغلال هذه الثروات المعدنية للعمل على تقدم الصناعة وتطورها<sup>(9)</sup>.

#### رابعاً: الصناعات:

كان إقليم خراسان عندما فتحه العرب مركزاً لكثير من المؤسسات الصناعية فحافظوا عليها وساعدوا على نموها وتطورها وبالتالي يرجع سبب ازدهارها إلى تشجيع العرب لها ولتوافر الثروات المعدنية الطبيعية والمعدنية والنباتية والحيوانية ولذلك خصصت الأسواق المتخصصة والمتنوعة لكثير من المواد التي تحتاجها التجارة<sup>(10)</sup>.

واهتم السلاطين الغزنويون والسلجوقية بالعمل على تقدم الصناعات وذلك بالاعتماد على المواد الخام المعدنية التي توافرت في خراسان ومنها مدينة طوس<sup>(11)</sup> ويرجع ازدهار الصناعة في مدينة طوس خاصة وخراسان عامة إلى توافر الثروات الطبيعية من المعادن ومهارة الصناع ووفرة رؤوس الأموال التي ساهمت في إقامة هذه المصانع بالإضافة إلى وجود السوق الكبيرة التي كانت تستهلك هذه الصناعات الكثيرة في أرجاء العالم الإسلامي سواء من الصناعات المعدنية أو القطنية والصوفية والحريرية وغيرها من الصناعات الأخرى<sup>(12)</sup> ومن أشهر هذه الصناعات في مدينة طوس صناعة القدر والبرام الفائقة التي تتحت من الفيروزج الموجود في جبالها وغيرها من الآلات والظروف حتى قال بعضهم قد آلان الله لأهل طوس الحجر كما آلان لداود عليه السلام الحديد<sup>(13)</sup>، كما اشتهرت كباقي مدن خراسان بصناعة

(1) محمد حسن العمادي، خراسان في العصر الغزنوي، ص 131، قحطان الحديثي: دراسات في التنظيمات الاقتصادية، ص 15،

(2) البيروني: المصدر السابق، ص 45، إيمان زكي: المرجع السابق، ص 132.

(3) القزويني: المصدر السابق، ص 334.

(4) محمد العمادي: المرجع السابق، ص 132.

(5) الفيروزج: حجر نحاسي يتكون من أبخرة النحاس الصاعدة من معدنه، التيفاشي: أزهار الأفكار، ص 142.

(6) الخماهن: بضم الخاء هو أحد المعادن من ألوانه الأسود الحديدي والأحمر الدموي وأجوده الأسود شديد السواد الضارب إلى الحمرة الحديدية، ابن الأكفاني: نخب الخائز، ص 89، 90.

(7) الدهنج: يفتح الدال المشددة وسكون الهاء وفتح النون، أحد معادن النحاس وهو حجر رخو شديد الخضرة يشبه الزمرد وأنواعه الكرمانني والهندي ويقال أنه مسكن للسموم، محمد عمارة: المرجع السابق، ص 188.

(8) لسرتنج: المرجع السابق، ص 430.

(9) محمد العمادي: المرجع السابق، ص 132، قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص 183.

(10) قحطان الحديثي: أسواق المدن الخراسانية، ص 117، 118.

(11) قحطان الحديثي: أرباع خراسان، ص 138.

(12) محمد العمادي: المرجع السابق، ص 132.

(13) القزويني: المصدر السابق، ص 411.





المنسوجات وكانت مجمع الصناعات التي تشتهر بالثياب الحفية<sup>(1)</sup> والعمائم الشهبانية الحفية والراختج<sup>(2)</sup> والتاخنج<sup>(3)</sup> والمقانع وبين الثوبين والملاحم بالقز والمصمت<sup>(4)</sup> والعتابي<sup>(5)</sup> والسعيدي<sup>(6)</sup> والطرائفي والمشطي والحلل وثياب الشعر والغزل والسقلاطونيات<sup>(7)</sup> والسابري<sup>(8)</sup><sup>(9)</sup>، ونظراً لوفرة القطن في مدينة طوس ازدهرت فيها الصناعات القطنية حيث كان النساجون فيها ينسجون القطن يدوياً فينتج الثياب والديباج والكرابيس<sup>(10)</sup> والمبارم<sup>(11)</sup> والحواصل الفاخرة<sup>(12)</sup><sup>(13)</sup> ونظراً لوفرة قصب السكر والسهمس مما ساعد على قيام صناعة الحلوى وصناعة الزيت<sup>(14)</sup> ونظراً لأنه يوجد في طوس السبج والذي يسمى (الشبة) فتتخذ منه المرايا والأواني والقدر والمجامر كما تصنع من الزجاج والأقداح والكيزان<sup>(15)</sup> واشتهرت بصناعة الحصر والتكك الحسنة والأبراد الجيدة والبرام الفائقة<sup>(16)</sup> كما قامت في طوس الصناعات الخشبية نظراً لكثرة الغابات التي أفاض الجغرافيون العرب وغيرهم في ذكرها<sup>(17)</sup> فازدهرت في طوس صناعة أثاث البيوت المزخرفة والمنقوشة وأيضاً صناعة الرماح من الخشب والحديد نظراً لوفرة أشجار العرعر والبلوط والصنوبر بها<sup>(18)</sup> والتي قامت على أخشابها صناعة النشاب والقسي والصناديق والتحف الخشبية<sup>(19)</sup> والأحجار النفيسة من موارد الثروة الطبيعية التي اشتهرت بها خراسان لذلك اهتمت السلطات الغزنوية والسلجوقية باستغلالها حيث اشتهرت نيسابور بالفيروزج الأزرق في حين اشتهرت طوس بالفيروزج الإيلاقي بجودته<sup>(20)</sup> وقامت عليها صناعة الحلوى، وعندما ظهرت صناعة الورق في الصين انتشرت منها إلى البلدان المجاورة ومنها سمرقند وغيرها من مدن ما وراء النهر وخراسان وما حولها ومنها طوس التي أصبحت إحدى مراكز صناعة الكاغد<sup>(21)</sup><sup>(22)</sup> وكانت نيسابور والمدن التابعة لها ومنها طوس زاخرة بتربية دودة القز التي قامت عليها صناعة الملابس والمنسوجات الحريرية مثل العتبي

- (1) الثياب الحفية: الحفية أي الرقيقة التي يتقن صنعها لعلها مشتقة من الحفاء وهي رقة القدم نسبة للرقعة، الثعالبي: لطاف المعارف، ص 191.
- (2) الراختج: ضرب من الحرير يصنع في نيسابور، الوشاء: الموشى، ص 129.
- (3) التاخنج: هو ضرب من الحرير أو الكتان يصنع في نيسابور، الثعالبي: المصدر السابق، ص 192.
- (4) المصمت: الثوب الذي لا يخالط لونه، أي الذي جميعه حرير لا يخالطه قطن ولا غيره وهو نسيج رقيق، ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 3043.
- (5) العتابي: ثياب حريرية نسبة إلى عتاب بن أسيد أحد أحياء بغداد وتنسب إلى أمير أموي بهذا الاسم، محمد عمارة: المرجع السابق، ص 86.
- (6) السعيدي: عباءة واسعة الأكمام مفتوحة من الأمام مزينة بخطوط عريضة تصنع من الصوف ويرتديها الرجال وربما منسوبة لرجل عراقي يعرف بهذا الاسم، رجب إبراهيم: المعجم العرب، ص 235.
- (7) السقلاطونيات: ثياب من الحرير موشاة بالذهب، الثعالبي: ثمار القلوب، ص 197.
- (8) السابري: نسيج رقيق ناعم والأصل فيه نيسابور وعرب فقيل السابري الثعالبي: المصدر السابق، ص 198.
- (9) المقدسي: المصدر السابق، ص 324، الثعالبي: لطائف المعارف، ص 195.
- (10) الكرابيس: ثياب من القطن الأبيض وهي غليظة، رجب إبراهيم: المصدر السابق، ص 391.
- (11) المبارم: هي المغازل التي يبرم بها نوع من الثياب وقيل هو ثوب من الصوف، الثعالبي: المصدر السابق، ص 190.
- (12) الحواصل الفاخرة: الحلوى والسنية التي يتدفأ بها أهل الترف والنعيم وهي تؤخذ من طائر ويعمل من جلده الخفاف الناعمة والغراء الأبيض، الثعالبي: المصدر السابق، ص 200.
- (13) الثعالبي: المصدر السابق، ص 200.
- (14) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 342، الأصبخري: المصدر السابق، ص 146، ايمان زكي: المرجع السابق، ص 97.
- (15) الأصبخري: المصدر السابق، ص 258، 334، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 363، المقدسي: المصدر السابق، ص 326، الثعالبي: المصدر السابق، ص 198، الثعالبي: ثمار القلوب، ص 540، 541، البيروني: الجماهر، ص 199.
- (16) المقدسي: المصدر السابق، ص 324، 325.
- (17) الكرديزي: زين الأخبار، ص 21، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5، ص 464.
- (18) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 503.
- (19) ابن خلكان: المصدر السابق، ج 5، ص 476.
- (20) المقدسي: المصدر السابق، ص 324، 325.
- (21) الكاغد: لفظ فارسي معناه القرطاس، أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص 36، فارس الخوري: كنز لغات، ص 287.
- (22) الكرديزي: المصدر السابق، ص 20.



والسقلاطوني التي كانت تضاهي ديباج بغداد وأصفهان<sup>(1)</sup> وأيضاً اشتهرت طوس بالصناعات الفخارية فكانت بها أهم مراكز صناعة الفخار ذي الزخارف والنقوش<sup>(2)</sup>.

#### خامساً: النشاط التجاري:

كان لموقع خراسان الإستراتيجي بين الأقاليم الإسلامية في المشرق الإسلامي وموقع طوس ضمن ربع نيسابور الأثر القوي في الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي في المنطقة ولما كانت خراسان تقع على أهم طرق القوافل التجارية ومحطاتها خصوصاً طريق الحرير العظيم والتي تربط بغداد وعاصمة الخلافة العباسية بالمراكز الرئيسية للاستهلاك في الشرق الأدنى ووسط روسيا وما يليها فقد استفادت خراسان تجارة العبور هذه وازدهرت مدنها ورسايتها وقراها وأريافها ومنها مدينة طوس ومحيطها بالبضائع والسلع التي كانت ترد إليها من جميع أقاليم العالم آنذاك حتى أصبح إقليم خراسان مستودعاً وسوقاً عامرة للتجارة بمختلف أنواعها وأصنافها<sup>(3)</sup>، وهكذا ازدهرت التجارة ازدهاراً عظيماً بفعل توافر موارد الثروة الزراعية والحيوانية والمعدنية وتقدم حركة الصناعة واتساع رقعة الأراضي الزراعية مما كان له أثره الواضح على نشاط الحركة التجارية بين خراسان وأقاليم المشرق الإسلامي مع بلاد العراق ومصر والمغرب كل هذا إضافة إلى تشجيع سلاطين الدويلات التي حكمت خراسان خصوصاً الغزنويين والسلاجقة وولاتهم للتجار وتسهيل إجراءات إقاماتهم واعتبارهم المستهلك الأساسي للسلع والبضائع الخراسانية<sup>(4)</sup>.

وعملوا على توفير الظروف الأمنية للتجار وأمنوا لهم الطرق التجارية بوضع الخفراء والحراسة اللازمة حتى أن المشتبه فيهم كانوا يمنعون من السفر ناهيك عن اهتمامهم وعنايتهم بشق وتمهيد الطرق بين المدن الواقعة على طريق التجارة<sup>(5)</sup> وقد أنشأت الدولة الغزنوية العديد من المشاريع التي سهلت مرور التجارة الخارجية فقد شقت القنوات وأقامت الترع وبنيت الجسور والقناطر وحفرت آبار المياه<sup>(6)</sup> وكانت تساعد تجار العبور في نقل بضائعهم والضرب على أيدي قطاع الطرق واللصوص بالاهتمام بالنظام الأمني والقضائي<sup>(7)</sup> وألغت الدولة الضرائب والمكوس<sup>(8)</sup> ورسوم الطرق والجسور وكافة الرسوم الأخرى في خراسان وشمل ذلك مدينة طوس مما سهل حرية التنقل وسهولة انسياب البضائع وعمليات التبادل التجاري من وإلى خراسان<sup>(9)</sup> بالإضافة إلى إقامة المنارات التي يهتدي بها التجار ليلاً أثناء سيرهم عبر الطرق التجارية<sup>(10)</sup> وكان من سمات التجارة في خراسان تلك الأسواق المحلية المتناثرة في جميع أنحاء الإقليم وكانت منها أسواق طوس حيث قامت كل طائفة من التجار في قسم معين منها وكانت توزع كل احتياجات الناس اليومية من المواد الغذائية الضرورية لهم، وقد ارتبطت هذه الأسواق ارتباطاً وثيقاً بالرسايات والقرى المحيطة لما كانت تقدمه من خدمات لهذه المدن من حيث توفير السلع والبضائع ويحتوي كل رستاق على سوق مركزي ليس ضرورياً أن يكون كبيراً وكان لكل رستاق أوزانه ومقاييسه الخاصة به<sup>(11)</sup> وبالرغم من اختلاف وجهات النظر حول فكرة المعيشة في كل من المدينة أو الرستاق إلا أن هناك تكاملاً وتربطاً وثيقاً بين المدينة والرستاق في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام بحيث لا تستغني الواحدة عن الأخرى لأغراض

(1) المقدسي: المصدر السابق، ص 323، 324.

(2) قحطان الحديثي: دراسات في التنظيمات الاقتصادية، ص132، محمد العمادي: المرجع السابق، ص 138.

(3) محمد العمادي: المرجع السابق، ص138، 139، ابرين فرانك: طريق الحرير العظيم، ص211.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص259، 356.

(5) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص110.

(6) ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص253، 255، يعقوبي: البلدان، ص 352.

(7) ابن الجوزي: المنتظم، 72/9.

(8) المكوس: يقصد بها الرسوم الجمركية المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية وعلى السلع الصناعية وكانت مورداً هاماً من موارد الدولة ولهذا كثرت أماكن جبايتها وتحصيل رسومها، ادم منز: المرجع السابق، ج1، ص 169.

(9) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج9، ص 122، احمد علي عبد الجليل: الحياة الاقتصادية والاجتماعية لاقليم بلخ، ص126.

(10) الراوندي: راحة الصدور، ص207، ايمان زكي: المرجع السابق، ص 186.

(11) Bosworth: the Ehznavids p.151.



الازدهار والرفاهية<sup>(1)</sup> وكانت البضائع تباع في أسواق مخصصة لكل بضاعة سوقها الخاص بها يقصدها بعض الناس.

لم يقصر التجار صغيرهم وكبيرهم في توسيع مدى معاملاتهم التجارية ومعرفة كيفية تنظيم أمورهم المالية فيما بينهم دون الحاجة إلى تدخل السلطات الحاكمة فتعاملوا بالبيع نقداً أو مؤجلاً و عرفوا الحوالة و عرفوا السفاتج<sup>(2)</sup> وهي ما نسميها اليوم بالكمبيالات والصكوك التي تعرفها باسم الشيكات بل أن لفظ check الإفرنجي محرف عن لفظ(صك) العربي، كما عرفوا أيضاً خطابات الضمان والحسابات المفتوحة وغيرها من صور التعامل المالي وأن لم يعرفوا البنوك أي المصارف<sup>(3)</sup> وكان الدينار الذهبي والدرهم الفضي هو أساس المعاملات المالي في كل أنحاء خراسان بما فيها مدينة طوس طوال عهودها المختلفة<sup>(4)</sup> والواقع ليست لدينا معلومات مفصلة عن مساحة الأسواق من حيث الطول والعرض لأن معرفة أبعادها ولو بشكل نسبي سيساعدنا على فهم خطط وحجم المدينة وحركة التجارة فيها، ولكن يبدو أن أسواق خراسان وبما فيها طوس في عمومها تمتد بصورة طولية أو عرضية<sup>(5)</sup> ولكن لا تكاد تخلو مدينة من مدن خراسان ومنها طوس من أسواق الفاكهة والخضراوات والتوابل على اختلاف أنواعها<sup>(6)</sup> إلى جانب أسواق الحيوانات والمواشي المختلفة ومنتجاتها من الألبان واللحوم والطيور والأسماك<sup>(7)</sup> وهناك بضائع وسلع تتم صناعتها داخل الأسواق كالمصنوعات الذهبية وصناعة الحلبي والمجوهرات وصناعة الأواني والخزف والصناعات الخشبية من أدوات منزلية وزخرفة وأعمال النقش والتحف والهدايا وكذلك الصناعات الجلدية كالسراجه والأحزمة والأحذية والحقائب وبعض المصنوعات النسيجية والحياكة وغيرها<sup>(8)</sup> لتلبية حاجة الاستهلاك اليومي للمستهلكين والزبائن، وتعتبر الطابران إحدى أكبر مدائن طوس والتي وصفها المقدسي<sup>(9)</sup> بقوله "عليها حصن وشبهها بيثرب" و بها سوق حار ومشايخ كبار وفوائد وتجار والجامع يقع في الأسواق وهي رخيصة الأسعار واسعة الحطب حسنة التجار، أما النوقان وهي ثاني مدن طوس فهي دون الطابران وقد التفت الأسواق بجامعها وأهلها حذاق في نحت البرام ونظارها وهم قوم جيد، وكانت المعادن تجلب إلى الأسواق نوقان للبيع وأسواقها عامرة وجامعها حسن البناء بديع التزييق<sup>(10)</sup> وكان المحتسب وديوانه في السوق ليكون له الإشراف عليه<sup>(11)</sup>.

#### صادراتها و وارداتها:

لأشك أن قوة الدولة من الناحية الاقتصادية وضعفها ترتبط بحجم نشاطها التجاري استيراداً أو تصدير<sup>(12)</sup> كانت ترتفع من طوس البرام الفائقة والحصن والتكك الحسنة والأبراد الجيدة<sup>(13)</sup> وهي ككل مدن خراسان تشتهر بإنتاج وتصدير الملابس بأنواعها والعمائم الطوال<sup>(14)</sup>

- (1) محمد العمادي: المرجع السابق، ص 141.
- (2) السفاتج: مفردتها السفنجة بضم السين وسكون الفاء وفتح التاء والجيم بمعنى المحكم وهو البوليصه أو الحوالة وذلك كأن يكتب المستعرض للمقرض كتاباً يدفعه إلى نائبه ببلد آخر ليعطيه ما أقرضه على سبيل القرض لا على سبيل الوديعة، محمد عمارة: المرجع السابق، ص 162، للمزيد انظر: الجرجاني: كتاب التعريفات، ص 86.
- (3) آدم متر: المرجع السابق، ص 311، 312.
- (4) علي محمد سعد: المرجع السابق، ص 145.
- (5) الحديثي: أسواق المدن الخرسانية، ص 113.
- (6) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص 320، الأصطخري: المصدر السابق، ص 282، المقدسي: المصدر السابق، ص 324، 325، مجهول: حدود العالم، ص 102، الحديثي: المرجع السابق، ص 117.
- (7) الأصطخري: المصدر السابق، ص 280، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 376.
- (8) قحطان الحديثي: المصدر السابق، ص 118.
- (9) أحسن التقاسيم، ص 319.
- (10) كي لسترنج: بلدان الخلافة، ص 430.
- (11) قحطان الحديثي: المرجع السابق، ص 119.
- (12) إيمان زكي: المرجع السابق، ص 192.
- (13) كي لسترنج: المرجع السابق، ص 471.
- (14) القزويني: المصدر السابق، ص 398.



والثياب الفاخرة من القطن والأبريسم والحرير وكانت ثياب الحرير تصنع من الكمخاة<sup>(1)</sup> وتنقل إلى سائر البلاد الإسلامية ويقول ابن حوقل<sup>(2)</sup> أنها تصدر إلى بلاد المسلمين وبعض بلدان المشرق وذلك لكثرة وجودته ولا يثار الملوك والرؤساء لكسوته لأنه لا يخرج من أي بلد مثله. أما وارداتها فمثلها كمثل بقية مدن خراسان تستورد من العراق التمور<sup>(3)</sup> ومن فارس العطور<sup>(4)</sup> ومن خوارزم الطيوب والعطور<sup>(5)</sup> ومن الهند التوابل وأنياب الفيل والأحجار الكريمة والعاج والخيزران والعود والقرنفل والصندل والفلفل الأسود<sup>(6)</sup> ومن سيلان اللؤلؤ<sup>(7)</sup> ومن جاوة العود والجاوي والكافور والقرنفل<sup>(8)</sup> ومن جرجان خشب الخلنج<sup>(9)</sup> الذي يصنع منه النشاب والأطباق<sup>(10)</sup> ومن بخارى البسط والمصليات والثياب الرخوة والفرش الفندقية التي كانت تفرش في حجرات الضيوف<sup>(11)</sup> ومن الصين تستورد الأبنوس والخيزران والعاج<sup>(12)</sup> ومن بلخ السمسم واللوز والجوز والزبيب والصابون<sup>(13)</sup>.

### الحياة الاجتماعية في مدينة طوس:

نظراً لأن الحديث عن الحياة الاجتماعية في طوس بكافة مظاهرها وتفصيلها لا تختلف كثيراً عن باقي مدن خراسان وسيطول شرحها ويقتضي أن نفرّد له مساحة أكبر فسيقصر حديثنا فقط عن عناصر السكان التي تشكلت في طوس خاصة وخراسان عامة من عناصر سكانية مختلفة تفاعلت معاً عبر تاريخها وكونت أجيال جديدة هي خلاصة هذا التفاعل ومن هذه العناصر نذكر:

1- الأتراك: شكلت قبائل الترك عنصراً هاماً من عناصر السكان في خراسان ومنها مدينة طوس وهم قبائل رعوية يرعون قطعانهم من الأغنام والماشية على سفوح الجبال وموطنهم الأصلي هو منطقة تركمانستان وسط آسيا وقد انتشرت العقيدة الإسلامية بينهم حين بسطت الدولة السامانية نفوذها في أواسط آسيا في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين ويرجع سبب دخولهم في الإسلام إلى حسن معاملة المسلمون لهؤلاء الرحل في مناطقهم النائية وخاصة في العمليات التجارية<sup>(14)</sup> ونظراً لأن الصراع والقتال بين قبائلهم مستمراً وقع معظم أمرائهم عبيداً عن حكام الدولة السامانية ومنهم البتكين وسبكتكين والأخير كان من الغلمان الذين بيعوا لنصر الحاجي في نسف ثم اشتراه البتكين كبير حجاب الأمير عبد الملك بن نوح الساماني<sup>(15)</sup>، ولقد أخذ الإسلام ينتشر بين صفوف الأتراك<sup>(16)</sup> بعد أن تخلى السامانيون عن سياسيتهم القائمة على بناء الأسوار في وادي سيحون للحيلولة بينهم وبين اعتداءات الكفار من البدو الأتراك<sup>(17)</sup> وكان لهذا التطور أثره على حسن علاقة أتراك التركستان بالإسلام حيث عبر

(1) الكمخاة: نوع من القماش يلبس شتاءً، إيمان زكي: المرجع السابق، ص152.

(2) صورة الأرض: ص452.

(3) كي لسترنج: المرجع السابق، ص472.

(4) بدر الدين الصيني: العلاقات بين العرب والصين، ص123.

(5) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص173، بدر الدين الصيني: المرجع السابق، ص123.

(6) إيمان زكي: المرجع السابق، ص194.

(7) عصام الدين الفقي: المرجع السابق، ص296.

(8) القزويني: المصدر السابق، ص29.

(9) خشب الخلنج: خشب أبيض مائل إلى الحمرة كانت تصنع منه أخشاب المنازل، إيمان زكي: المرجع السابق، ص162، وهو شجر بين صفرة حمرة يجلب من أطراف الهند والصين ورقه كالطرفاء وزهره أحمر وأصفر وأبيض معرب خلنك ومعناه متنوع الألوان، السيد أدي شير: المرجع السابق، ص56، علي محمد سعد: المرجع السابق، ص119، هامش 9.

(10) القزويني: المصدر السابق، ص349.

(11) المقدسي: المصدر السابق، ص324، ابن حوقل: المصدر السابق، ص490، لسترنج: المرجع السابق، ص514، محمد العمادي:

المرجع السابق، ص148، 149.

(12) القزويني: المصدر السابق، ص250.

(13) الأصبخري: المصدر السابق، ص281.

(14) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا، ص37، 38.

(15) نظام الملك الطوسي: المصدر السابق، ص144، 145.

(16) بارتولد: المرجع السابق، ص57.

(17) فاميري: المرجع السابق، ص24، بدر عبد الرحمن: المرجع السابق، ص228.



الكثير من سكان ما وراء النهر في جماعات متتابعة إلى مناطق المراعي وإلى المناطق الصحراوية حيث أنشأوا مدناً صغيرة على شكل مستعمرات سكانية استقروا بها وبدؤوا منها نشاطهم الاقتصادي وصاحب ذلك نشاط في الدعوة إلى الإسلام بواسطة المتصوفة والمدارس التي أنشأها السامانيون لهذه الغاية<sup>(1)</sup> مما كان له أثره في تعرف الأتراك على الإسلام والدخول فيه<sup>(2)</sup> ونظراً لما تميزت به عقيدة الإسلام من بساطة تناسب طبيعتهم البدوية البسيطة فضلاً عما اتسم به الإسلام من سمو روحي وتفوق مادي وحضري أدركوا أثرهما في سلوك مواطنيهم الذين سبقت هجرتهم مما شجع للهجرة إليهم والإقامة بين ظهرانيهم في المدن التي استقروا فيها كمدينة طوس<sup>(3)</sup>.

وليس أدل على ذلك من أنه في سنة 349هـ/960م اعتنق الإسلام نحو مائتي ألف أسرة تركية<sup>(4)</sup> وليس أدل على ذلك من أنه في سنة 349هـ/960م اعتنق الإسلام نحو مائتي ألف أسرة تركية<sup>(5)</sup> وعندما تأسست الدولة الغزنوية وتوسعت ودخلت في حوزتها خراسان ومنها بطبيعة الحال مدينة طوس ازداد النفوذ التركي في الدولة خصوصاً في عهد السلطان مسعود الغزنوي(422-432هـ/1030-1040م) وكان لزاماً على السلاطين الغزنويين أن يقضوا حاجات غلمانهم الأتراك الذين كانوا يشكلون قوام جيشهم فأعدوا هؤلاء أعداداً جيداً حتى اكتسبوا قوة جسدية وخشونة في الطبع وحماساً وقدرة على قيادة الجيوش ومنهم من ترقى إلى مراتب القادة ودافع عن سلامة وأمن الدولة من الأعداء<sup>(6)</sup> وفي بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ظهرت قوة السلاجقة واعتنقوا الإسلام ولاشك أن الكثير ممن اصطفوهم إلى مدينة طوس وباقي المدن الخراسانية وكانوا من بني جنسهم ويؤثرنهم على العناصر الأخرى<sup>(7)</sup> وظل السلاجقة يشكلون خطراً على الدولة الغزنوية في خراسان وهددوا مدنها ولم يستطع والي خراسان درء خطرهم وهزموا الجيش الغزنوي بقيادة سباشي تكين سنة 429هـ/1037م بقيادة طغرلبيك والذي كان معسكراً في طوس ثم دارت الدائرة على الغزنويين في معركة داندانقان الفاصلة سنة 431هـ/1040م وليهرب السلطان مسعود الغزنوي من ساحة المعركة بعد هزيمة جيشه وغنم السلاجقة غنائم كثيرة واستولوا على كامل خراسان وأعلنوا قيام دولتهم في نيسابور وأصبحوا يشكلون عنصراً سكانياً من عناصر الإقليم ومدينة طوس على وجه الخصوص<sup>(8)</sup>.

2- **الفرس:** الفرس يمثلون غالبية سكان طوس وهم أهل البلاد الأصليين وهم أهل حضارة عريقة فقد ورثوا مدينة قديمة وطبعوا عليها ولهم قدرة كبيرة على تنظيم الحكم وكيفية زيادة الأموال واهتموا بالعلم والعلماء<sup>(9)</sup> وظلوا محتفظين بجذورهم وأصولهم الفارسية القديمة فلم يختلطوا بالعناصر الجنسية المختلفة الموجودة في خراسان<sup>(10)</sup> وسعوا عبر محاولات متكررة للاستيلاء على السلطة وتكوين دولة مستقلة وكانت أول هذه الدول المستقلة الدولة الطاهرية تلتها الدولة السامانية التي قامت على أنقاض الدولة الصفارية سنة 279هـ/892م<sup>(11)</sup> ورغم أنهم لم يحققوا انتصاراً على المسرح السياسي إلا أنهم حققوا تفوقاً في المجالين العقلي والإداري وقد حرص سلاطين الدولتين الغزنوية والسلجوقية على إرضائهم وإشراكهم في تسيير أمور الحكم فأسندوا

(1) بارتولد: المرجع السابق، ص 69.

(2) المرجع نفسه: ص 70، محمد سرور: المرجع السابق، ص 120.

(3) محمد حلمي محمد: الخلافة والدولة في العصر العباسي، ص 86.

(4) محمد حلمي: المرجع نفسه، ص 89، 90، توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 243، 245.

(5) Barthold: for studies on the history of central Asia vol ,I, pp.98-100.

(6) Lamboton , A.K.S.: land lord and Peasant in Persia a study of land tenure and land revenue administration p.p 56-58.

(7) محمد محمود ادريس: العراق والمشرق الإسلامي، ص 350.

(8) عصام الدين الفقي: المرجع السابق، ص 141، 142.

(9) البعقوبي: البلدان، ص 276، يحيى الوزنة: مدينة مرو والسلاجقة، ص 186.

(10) يحيى الوزنة: المرجع السابق، ص 186.

(11) رضا زادة شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص 23.



إليهم بعض المناصب السياسية كما كانوا يختارون من بينهم بعض الرؤساء ويأتي في مقدمتهم الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي<sup>(1)</sup> (2) وقد تميز الفرس بالأمانة والعفة والنزاهة والفتاحة والصير على الخدمة<sup>(3)</sup> والنجدة وحسن السياسة والمقدرة العسكرية والمالية والإدارية والعلمية<sup>(4)</sup> وساهم العلماء من أصل فارسي بدور رئيسي في ازدهار الفكر الإسلامي نذكر منهم ابن سنا والفارابي وجابر بن حيان وأصبحت مدن خراسان وما وراء النهر ومنها مدينة طوس مراكز حضارية كبيرة<sup>(5)</sup> وقد انقسم الفرس إلى فئتين عند الفتح الإسلامي الفارسي وخراسان الفئة الأولى احتفظت بدينها<sup>(6)</sup> وعاداتها وتقاليدها ولغتها<sup>(7)</sup> (8) مع تعهدهم بدفع الجزية وقد أقاموا في بعض القلاع المنتشرة في خراسان وحول بيوتات النار<sup>(9)</sup> أما الفئة الثانية فهم الذين اعتنقوا الإسلام وتأثروا بالحضارة العربية وأجادوا اللغة العربية حتى أصبحت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لغة مكاتبات السلاطين والدواوين وعمامة الناس<sup>(10)</sup> بل إنهم اشتروا مع المسلمين وانخرطوا معهم في الجيش الذي واصل فتوحاته في المشرق الإسلامي وكان أول من سالم المسلمين الدهاقين<sup>(11)</sup> أو ملاك الأرض<sup>(12)</sup> ومن أسلم من الفرس وتعلم العربية كان معظمهم من سكان المدن ومنها مدينة طوس وتضم هذه الشريحة أهل العوائل القديمة الذين ظلوا محتفظين بوضع اجتماعي مرموق ومن ذلك أنهم تقلدوا مهام الدواوين وتوارثوها<sup>(13)</sup> أما سكان الأرياف والجبال فقد دخل معظمهم في الإسلام إلا أنهم كانوا أقل تأثراً باللغة العربية<sup>(14)</sup> ويسمى الفرس بقريش العجم<sup>(15)</sup> أي أن شرفهم في العجم كشراف قريش في العرب.

3- **العرب:** هم العنصر الأساسي الذي قامت على أكتافه الدولة العربية الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ في المدينة وبعد انتشار الإسلام في جزيرة العرب حمل القادة المسلمون لواء الإسلام إلى البلاد المجاورة ففتحوا العراق والشام والمغرب العربي وبلاد فارس وخراسان وما وراء النهر والهند والسند وكان انتشارهم فيها تبعاً للضرورات السياسية والعسكرية ثم تتابعت هجرة القبائل العربية إلى خراسان بأعداد كبيرة<sup>(16)</sup> وبدأ الاستقرار الكامل في خراسان ومنها مدن مرو ونيسابور وبلخ وهراة وطوس في عهد القائد أمير بن أحمر اليشكري<sup>(17)</sup> وكانت أكثر القبائل العربية انتشاراً في خراسان قبيلة تميم (من شمال شبه الجزيرة العربية) وقبيلة بكر بن ربيعة وقبيلة الأزد (من جنوب شبه الجزيرة العربية) وقبائل قيس وخزاعة وقريش والأوس والخزرج<sup>(18)</sup>، ومما ساعد على انتشار القبائل العربية في خراسان أن أغلب القادة الذين تولوا

(1) نظام الملك الطوسي: أشهر الوزراء الفرس بعد الإسلام واستطاع خلال فترة وزارته للسلطان ألب ارسلان ثم السلطان ملكشاه أن يسير شؤون ونظام حكم دقيق بحنكة ودراية وقام بإنشاء المساجد والمدارس النظامية في طوس وهرات ونيسابور، الحسيني: اخبار الدولة السلجوقية، ص 12، عباس اقبال: تاريخ ايران، ص 260.

(2) ابن الجوزي: المنتظم، ج 10، ص 78.

(3) الجاحظ: مناقب الترك، ص 19.

(4) القرمانى: أخبار الدول وأثار الأول، ص 145.

(5) عصام الدين الفقي: المرجع السابق، ص 273.

(6) الزرادشتية: نسبة إلى زرادشت بن يورشب بن سبتراب أفريدون ويعتقد الفرس القدماء أنه نبي عظيم وحكيم انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ص 162، 163، علي محمد سعد: المرجع السابق، ص 191، هامش 3.

(7) اللغة الفهلوية: هي اللغة الفارسية القديمة التي كانت مستعملة في عهد الدولة الساسانية الفارسية (224-652م) زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ص 208، علي سعد محمد: المرجع السابق، ص 191، هامش 4.

(8) الأصبخري: المصدر السابق، ص 83، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 253.

(9) ابن حوقل: المصدر نفسه، محمد الخضري بك: تاريخ الأمم الإسلامية، ص 2926.

(10) الأصبخري: المصدر السابق، ص 84، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 254.

(11) الدهاقين: جمع دهقان وهو لفظ فارسي معرب معناه (صاحب القرية أو مالك الأرض) ويطلق على رئيس القرية وعلى التجار وعلى من لهم أموال وعقارات، محمد التونجي: المرجع السابق، ص 285.

(12) البلاذري: المصدر السابق، ص 439، الخضري بك: المرجع السابق، ص 9.

(13) ابن حوقل: المصدر السابق، ص 257.

(14) حسن منبنة: تاريخ الدولة البويهية، ص 277، 278.

(15) ابن البلخي: فارس نامه، ص 13.

(16) اليعقوبي: البلدان، ص 278، يحيى بن حمزة الوزنة: المرجع السابق، ص 187.

(17) البلاذري: المصدر السابق، ص 400، قدامة: الخراج وصنعة الكتابة، ص 404.

(18) اليعقوبي: المصدر السابق، ص 279.



إمارة خراسان وما وراء النهر طوال العصرين الراشدي والأموي كانوا عرباً وذلك حتى قيام الدولة الطاهرية في خراسان عندما أصبح الحكم بيد الفرس بمفردهم<sup>(1)</sup>، ولاشك أن دور العرب بخراسان كان حيويًا فقد قاموا بدور بارز في نشر الإسلام واللغة العربية كما يرجع إليهم الفضل في تمصير المدن ومنها مدينة طوس وكثرة عدد المسلمين بها وكان ذلك نتيجة طبيعية لاختلاطهم بالفرس وانصهارهم معهم<sup>(2)</sup> وأسسوا المساجد وقام العلماء والفقهاء والوعاظ يعلمون السكان قواعد الإسلام ويعلمونهم اللغة العربية وبجهودهم انتشر الإسلام بسرعة في ربوع المشرق الإسلامي ومنه خراسان ومدنها ورسايتها وأريافها وقراها بل درسوا علوم الدين واللغة حتى برز منهم العلماء في الدين واللغة والعلم والأدب والطب<sup>(3)</sup> لقد استوطن العرب خراسان منذ الفتح الإسلامي لها وأصبحوا عنصرًا مؤثرًا وفاعلاً فيها وقد قدموا إلى طوس فرادى وجماعات فبعضهم وفد في ركاب الجيوش الإسلامية غداة الفتح وبعضها وفد مع الجيوش التي أرسلها الخلفاء الأمويون والعباسيون فيما بعد وآخرون كانوا من أصحاب الدعوات الذين وجدوا في خراسان وعدداً من مدنها تربة صالحة لنشر أفكارهم ومبادئهم بعيد عن عيون الدولة وبتطش السلطة المركزية<sup>(4)</sup> وخلال العصر السلجوقي لم يحظ العرب بأي مناصب رفيعة<sup>(5)</sup> ومع ذلك ساهموا في نشر مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في ذلك العصر فقد قامت بيوتات عربية في خراسان كان لها أثر كبير في نشر المعارف والعلوم الإسلامية وبرعوا في علوم وفنون كثيرة ومن هذه البيوتات بيت العلامة السمعاني (ت: 562هـ / 1166م) أحد بيوت قبيلة بني تميم<sup>(6)</sup>.

4- **الديلم:** يذكر الجغرافيون أن الديلم جنس متميز عن غيره من الأجناس بصفات وعادات وأخلاق خاصة مما أعطاهم شخصية مستقلة ومن هذه الصفات خشونة الطبع والجلد والعجلة وعدم المبالاة<sup>(7)</sup> ولسانهم مختلف عن الفارسية والعربية والتركية<sup>(8)</sup> وكانوا يقطنون بلاد الديلم الواقعة في الجنوب الغربي من بحر قزوين في جبال تسمى جبال الديلم<sup>(9)</sup> <sup>(10)</sup> كما يتركز الديلم في الجزء الشمالي الغربي من خراسان<sup>(11)</sup> وهؤلاء الديلم استقروا في خراسان من قبل مجيء السلاجقة للإقليم وكانوا يهاجرون من بلادهم في جماعات متخذة لها قائداً يتبعونه وكان هذا القائد ينتقل من خدمة ملك إلى آخر حسب مصالح اجتماعية ثم أصبحوا من مجرد جنود إلى جزء من سكان هذا الإقليم لهم مناطق وتجمعات خاصة بهم<sup>(12)</sup> وعندما دخل السلاجقة خراسان كان الديلم يسيطرون على أجزاء عديدة منها إلا أن الصراع الذي شب بينهم ساعد السلاجقة على القضاء عليهم هناك<sup>(13)</sup> ولكنهم ظلوا شوكة في حلق السلاجقة يتحينون الفرص للإجهاد عليهم وعملوا على الإطاحة بمرمزهم وأقدر رجالاتهم القائمة على أكتافهم الدولة السلجوقية<sup>(14)</sup> فقاموا باغتيال الوزير نظام الملك الطوسي على يد شاب ديلمي سنة 485هـ / 1093م وهو أحد عناصر الفرقة الإسماعيلية الشيعية الباطنية التي انضم إليها أكثر الديلمة<sup>(15)</sup> هذا بالإضافة إلى

(1) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص75.

(2) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج1، ص119، يحيى الوزنة: المرجع السابق، ص188.

(3) عصام الدين الفقي: المرجع السابق، ص273.

(4) مرتضى راوندي: تاريخ اجتماعي إيران، ج2، ص51.

(5) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص398.

(6) السمعاني: المصدر السابق، ج1، ص11.

(7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص320، الأصبخري: المصدر السابق، ص122، حسن منبنة: المرجع السابق، ص84.

(8) ابن حوقل: المصدر السابق، ص320.

(9) جبال الديلم: هي جبال منبنة شمال خراسان يتحصن بها أهلها وبها أمم عظيمة من الديلم وهي كثيرة الأشجار غزيرة المطر غاية

الخصب ويلحق بها قرى، ابن الوردي: عجائب البلدان، ص66.

(10) المصدر نفسه، ص66.

(11) المقدسي: المصدر السابق، ص168، محمد العمادي: المرجع السابق، ص109.

(12) مسكويه: تجارب الأمم، ص275، الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين، ص5، 10.

(13) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، ص161.

(14) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص165، 200.

(15) المصدر نفسه، ج2، ص165، 200.



اعتناقهم للإسلام على المذهب الشيعي<sup>(1)</sup> ولقد أدت سيطرة البويهيين على عاصمة الخلافة العباسية إلى دخول الديلم إلى هذه البلاد بأعداد كبيرة<sup>(2)</sup>.

## 5- عناصر وطوائف أخرى:

### أ- أهل الذمة:

وقد تمتعوا بكثير من ضروب التسامح الديني في البلاد الإسلامية عامة وخراسان خاصة فأقاموا شعائرهم الدينية في أن ودعة وشاركوا المسلمين في تقلد وظائف الدولة وفي ممارسة المهن الحرة كالتجارة والصناعة وهم يتكونون من النصارى واليهود:

### 1- النصارى:

يقول بارتولد أن النصارى الذين عاشوا في ظل العرب والمسلمين في بلاد المشرق الإسلامي لم يصبهم قط ما أصاب المسلمين في إسبانيا من الظلم والعدوان فقويت الروابط بين المسلمين وأهل الذمة لمشاركتهم جميعاً في مجالات الحياة العلمية والأدبية ضمن أهل الذمة من كان تاجراً وصيرفياً وطبيباً ومهندساً وبزازاً لم ينفصلوا عن بعضهم البعض إلا في ممارسة الطقوس الدينية ومناطق السكن<sup>(3)</sup> ولم يتم التدخل في خصوماتهم فكان لهم محاكمهم الخاصة التي تفصل بينهم<sup>(4)</sup> وكان للنصارى في مرو مركز مطارنة وكانت لهم فيها كنسية وأديرة للرهبان<sup>(5)</sup> ولهم طائفتان هما اليعاقبة ورئيسهم البطريق والناطقة ورئيسهم لجاثليق<sup>(6)</sup> وكان المذهب النسطوري هو الأكثر انتشاراً بين نصارى خراسان منذ العصر الساماني<sup>(7)</sup> وتمتعوا بحرية انتخاب رؤسائهم وحق القضاء بين رعاياهم وكان لهم زي خاص بهم وكان يلبسون البرانس ثم لبسوا بعد ذلك القلانيس الطويلة<sup>(8)</sup> وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة وفي ممارسة المهن الحرة كالتجارة والصناعة وشاركوا في الميادين والمجالات العلمية والأدبية<sup>(9)</sup> وكان النصارى مثلهم مثل باقي أهل الذمة في خراسان يؤدون الجزية المقررة عليهم<sup>(10)</sup>.

### 2- اليهود:

تمتع اليهود بكثير من ضروب التسامح الديني وكثر عددهم في خراسان وكان لهم رئيس عام هو رأس الجالوت وكان هذا المنصب وراثياً وتمتعوا بحرية انتخاب رؤسائهم وكان الخليفة العباسي يقر هذا الانتخاب وذلك بمنحه ختم الرئاسة على أبناء ملته وكان هذا المنصب من الأهمية بمكان بحيث يسري نفوذه على جميع طوائف اليهود المنتشرين بالدولة الإسلامية<sup>(11)</sup> وترك لهم سلاطين الغزنويون والسلاجقة حق القضاء بين رعاياهم دون التدخل منهم وامتنع اليهود جميع المهن والأعمال التي تدر عليهم الأرباح الوفيرة فاشتغلوا بأعمال الصيرفة والتجارة وكان لهم نشاط ملموس في الحياة الاقتصادية في خراسان ومنها مدينة طوس<sup>(12)</sup> كما اشتغلوا بصناعة الذهب واستبدال العملة وكان لليهود لبسهم الخاص الذي يتميزون به عن المسلمين فكانوا يرتدون البراطل الطويلة<sup>(13)</sup> وقد أدى اليهود الجزية وقد بلغ مقدارها في العصر

(1) ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 4، ص 83، المقدسي: المصدر السابق، ص 168، علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص 279.

(2) الأصبخري: المصدر السابق، ص 204، ابن حوقل: المصدر السابق، ص 267.

(3) محمد العمادي: المرجع السابق، ص 186.

(4) شوقي ضيف: عصر الدول والامارات، ص 504.

(5) ابن منظور: لسان العرب، مج 1، ص 260، الأصبخري: المصدر السابق، ص 180، الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 173.

(6) المقدسي: المصدر السابق، ص 274، 275.

(7) آدم منتر: المرجع السابق، ج 1، ص 84.

(8) بارتولد: المرجع السابق، ص 60، إبراهيم العدوي: النظم الإسلامية، ص 389.

(9) ارثر كريستن: إيران في عهد الساسانية، ص 132.

(10) آدم منتر: المصدر السابق، ص 58.

(11) بنيامين التطيلي: مرحلة بنيامين، ص 136، 137.

(12) عطية القوصي: الحضارة الإسلامية، ص 97.

(13) ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ص 201.





السلجوقي دينار من الذهب عن كل فرد بلغ الخامسة عشر من عمره<sup>(1)</sup> وكان السلطان يأخذ نصف الجزية والنصف الآخر يأخذه رؤساء اليهود لتصرف مرتباتهم منه<sup>(2)</sup>.

### 3- المجوس:

وهم سكان خراسان الأصليون الذين بقوا على دينهم الممثل في الديانة الزرادشتية وهي عقيدة الفرس القديمة<sup>(3)</sup> وقد عاش المجوس جو من التسامح والحرية الدينية في ممارسة شعائرهم الدينية وكان للمجوس رئيس يمثلهم مثل غيرهم من الطوائف يتم انتخابه من بينهم ممن له الشرف والسيادة<sup>(4)</sup> كما كان لهم حق القضاء فيما بينهم فكان لهم قاض خاص بهم يعرف بالموبذ<sup>(5)</sup> ومارسوا أيضاً كافة الأعمال والحرف التي تدر عليهم الربح الوفير فاشتغلوا بالزراعة والصناعة كما بلغوا درجة عالية بفضل نبوغهم<sup>(6)</sup> وكان لهم زيهم الخاص الذي يميزهم عن غيرهم من الطوائف<sup>(7)</sup> وظلت بيوت النار المجوسية قائمة إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وهو القرن الذي شهد اعتراف الدولة الإسلامية بهم كأهل ذمة إلى جانب اليهود والنصارى<sup>(8)</sup>.

### الحياة العلمية في طوس:

لاشك أن خراسان بعد الإسلام كانت محط أنظار العلماء المسلمين لتلقي العلوم والآداب وقد اكتسبت هذه الأهمية بعد دخول نخبة كبيرة من الصحابة والعلماء المسلمين مع جحافل الفتح الإسلامي لهذه البلاد حتى استقروا فيها وتناسلوا وتكاثروا وأثروا في مجتمعها فنتلمذ على أيديهم أبناء خراسان وتعلموا منهم شتى أنواع العلوم والمعارف الإسلامية حتى أصبحوا من أشهر العلماء في العصور الإسلامية التالية فلذا يمكننا القول أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا النواة الأولى لانتشار الثقافة<sup>(9)</sup> والعلوم الإسلامية الدينية فيها والذنيوية في تلك المناطق من العالم الإسلامي ومنها مدينة طوس باعتبارها إحدى مدن نيسابور عاصمة خراسان والتي نافست بغداد عاصمة الخلافة وجذبت إليها العلماء والأدباء من كل الأصقاع ليكونوا في خدمة أمرائها وسلاطينها<sup>(10)</sup>.

### أهم المؤسسات العلمية في طوس:

لقد نشطت المؤسسات والمراكز العلمية والثقافية في خراسان عامة وطوس خاصة في مختلف أنواع العلم والمعرفة واشتملت تلك المراكز على المساجد والكتاتيب والمدارس وبيوت العلماء والمكتبات وغيرها والتي قامت بدور هام في تنشيط الحركة العلمية<sup>(11)</sup>.

### 1- الكتاتيب:

تعد الكتاتيب أو الكتاب مدرسة المسلمين الأولى وأهم مراكز تعليم الصغار في خراسان ومنها طوس وهي المرحلة التي تهيئهم لمرحلة الدراسة في المساجد<sup>(12)</sup>، وقد لخص الغزالي<sup>(13)</sup> ما يدرسه الصغار في مرحلة الكتاب بقوله "أنه على الصبي أن يتعلم القرآن وأحاديث الأخيار

(1) آدم متز: المرجع السابق، ج1، ص84.

(2) بنيامين: المرجع السابق، ص154.

(3) آرثر كريستن: المرجع السابق، ص197.

(4) آدم متز: المرجع السابق، ج1، ص58.

(5) آرثر كريستن: المرجع السابق، ص197.

(6) حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج3، ص426.

(7) المرجع نفسه، ج3، ص452، 453.

(8) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص201، محمد جمال سرور: المرجع السابق، ص179، آدم متز: المرجع السابق، ج1،

ص46، بدر عبد الرحمن: المرجع السابق، ص236.

(9) محمد العمادي: المرجع السابق، ص248.

(10) المرجع نفسه، ص249.

(11) براون: تاريخ الأدب الفارسي، ج3، ص170، صلاح سليم: المرجع السابق، ص234.

(12) الشيزري: نهاية الرتبة، ص103، احمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ص78.

(13) احياء علوم الدين، ج3، ص78.



وحكايات الأبرار وأحوالهم ليغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر القرآن والرسول ﷺ وأهله".

وفي الغالب ما يكون الكتاب بجوار المسجد أو في زاوية منه ويشرف عليه إمام المسجد ويصرف عليها مما يصرف على المسجد<sup>(1)</sup> ولم يقتصر دور الكتاب على تعليم القرآن والحديث وعلوم الدينية فقط بل امتد إلى علوم ومعارف أخرى مع التركيز على النواحي الأخلاقية والسلوكية<sup>(2)</sup> وكان معلم الكتاب يسمى المعلم أو المؤدب<sup>(3)</sup> إلا أن المؤدب أكبر مكانة من المعلم فهو متبحر في عدة مجالات من العلم يوثق بعلمه ودينه وقدرته<sup>(4)</sup>. وكان أكثرهم لا يتقاضون أجراً على تعليمهم<sup>(5)</sup>. وتلقى طلبة طوس مثلهم مثل باقي خراسان تعليمهم التمهيدي بهذه الكتابات.

## 2- المساجد:

تعتبر المساجد في مدينة طوس خلال العهود الإسلامية المختلفة ومنها عهد الدويلات المستقلة من أكبر وأهم المراكز والمؤسسات العلمية فهي فضلاً عن كونها أماكن للعبادة فقد قامت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية والوعي الديني حيث ضمت حلقات لتدريس مختلف العلوم الدينية من القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه والتفسير وعلوم اللغة ومن هنا يمكن اعتبارها كانت أشبه بالجامعات يدرس فيها مختلف التخصصات وكان يتولى التدريس فيها علماء اشتهروا بإتقانهم هذه العلوم<sup>(6)</sup> غير أنه لما استجدت كثير من العلوم في الدولة الإسلامية لم يعد التدريس في المساجد مقتصرًا على العلوم الدينية بل تعداها إلى دراسة العلوم العقلية والفلسفية<sup>(7)</sup> وسأتي على ذكر أهم العلماء والفقهاء بمدينة طوس فيما بعد.

## 3- المدارس:

مع التطور العلمي الذي حدث في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي الميلاديين في كل من المشرق والمغرب الإسلاميين سعى الفقهاء والعلماء لإيجاد مدارس تعليمية في إقليم خراسان في فترة حكم الأمراء والسلطين له وتاريخ بناء المدارس النظامية<sup>(8)</sup>. وهي مدارس قديمة كانت تخضع لنظام الأستاذ الواحد أو أكثر ومعظمها كانت تشيد بمجهود الأمراء والوزراء ورجال العلم وكان الطالب الذي ينتسب إليها لا يخضع لأية اختبارات شخصية قبل دخوله فيها ومن هذه المدارس بطوس الذي مدرسة الطابران التي بناها الإمام أبو حاتم<sup>(9)</sup>. أحمد بن محمد بن حاتم الفقيه الحاتمي المزكي من أهل الطابران قسبة طوس وكان فقيهاً فاضلاً مناظراً المتوفى سنة 396هـ / 1005م<sup>(10)</sup>.

والمدارس الثانية المدارس النظامية التي تعهد الوزير نظام الملك الطوسي: ببناؤها في كل مدن خراسان ومنها طوس وأيضاً في العراق وهذه المدارس كانت أكثر نظاماً في اختيار الأساتذة والمعلمين في تحديد أسلوب التدريس والدراسة وفي انتساب الطلاب إليها لأنهم كانوا يخضعون لاختبارات قبل دخولهم فيها وبالإضافة إلى حداثة مكتباتها العلمية التي كانت تخلق

(1) رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي، ص 216.

(2) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص 260.

(3) انظر السمعاني: المصدر السابق، ج 5، ص 403.

(4) انظر الغزالي: المصدر السابق، ج 1، ص 48، 55.

(5) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 2، ص 81.

(6) عصام الدين الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي، ص 182.

(7) حسين أمين: المدرسة المستنصرية، مج 24، ص 7، 12.

(8) المدرسة النظامية: عرفت بذلك نسبة للوزير نظام الملك الطوسي الذي بنى هذه المدرسة في العراق وخراسان وقد خصصت النظاميات لتعليم الفقه والحديث وعلوم الدين خاصة على المذهب الشافعي (مذهب السلاجقة) كما عنيت بتدريس علوم اللغة والرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم وكان يلحق بالمدرسة مكتبة وحمامات وغرف إقامة للطلبة المغتربين ومطبخ وأحياناً سوق وقد اوقفت الأوقاف عليها وخصص راتب ثابت لمن يقوم بالتدريس فيها وكذلك لطلبة العلم خاصة الفقراء منهم، ابن كثير: المصدر السابق، ج 12، ص 54، 123، يحيى الوزننة: المرجع السابق، ص 139، 138.

(9) انظر السمعاني: المصدر السابق، ج 2، ص 147، ابن الأثير: اللباب، ج 1، ص 325.

(10) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، مج 1، ص 265.



للطلاب أجواء مناسبة في كتابة البحوث والدراسة الجيدة، وكانت الدراسة فيها مقسمة إلى ثلاث حصص واحدة للعلوم والآداب والثانية للإملاء والحديث والأخيرة للتذكر والوعظ<sup>(1)</sup>. وكانت المدرسة تتكون من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات متعامدة على شكل قاعات ذات قباب كما كانت تشتمل على أماكن مخصصة للدراسة فضلاً عن أماكن مخصصة لإقامة المدرسين والطلبة<sup>(2)</sup>، وقد بلغت هذه المدارس درجة عظيمة من التنظيم والدقة فكانت أول نوع من المؤسسات العلمية بمعناها الصحيح حيث هيأت لمدرسيها وطلابها كل سبل الحياة من مأكل ومشرب ومسكن وراتب شهري ثابت<sup>(3)</sup> وحظيت مدينة طوس كغيرها من مدن خراسان باهتمام الوزير نظام الملك الطوسي كونها مسقط رأسه حيث بنى فيها مدرسية نظامية قيل أنها بنيت قبل نظامية بغداد وأن صحت هذه الرواية فلا غرابة فيها أن طوس مسقط رأس الوزير نظام الملك ومقر دراسته الأولى في طفولته وصباه ثم أنها المدينة التي أقطعها السلطان ملكشاه له تقديراً لجلائل أعماله وخدماته لدولته فأصبحت بذلك في ممتلكاته فضلاً عن أنها أحب المدن إلى نفسه<sup>(4)</sup>. ولم تزل طوس حتى اليوم تحتفظ بمكانتها العلمية ومكتبتها النادرة التي تحتوى على أندر المخطوطات القديمة<sup>(5)</sup>.

#### أبرز علماء طوس:

كما أشرنا شهد إقليم خراسان خلال العصور الإسلامية نهضة علمية كبيرة نتيجة تشجيع السلاطين والوزراء للعلم والعلماء إلى جانب الرحلات العلمية من وإلى الإقليم وما كانت تموج به المدن الرئيسية بالمذاهب والفرق الدينية وخلف هؤلاء العلماء كثيراً من الآثار والمصنفات العلمية والأدبية<sup>(6)</sup>. يشير السبكي<sup>(7)</sup> إلا أن الكثير من علماء وفقهاء طوس ينتمون لقبيلة الأزدي اليمانية، وينتسب إلى طوس من أئمة العلم والفقهاء ما لا يحصى وحسبك بالإمام المعروف أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي المشهور توفى سنة خمس وخمسمائة للهجرة وسمعت أنه ينتسب إلى قرية غزاة من قرى طوس<sup>(8)</sup>. وأخيه أبي الفتح وأما الغزالي فهو الإمام المشهور صاحب التصانيف التي ملأت الأرض طولاً وعرضاً قرأ عليه أبي المعالي الجويني ودرس بالمدرسة النظامية ومات بالطابران سنة 505هـ/1114م<sup>(9)</sup>. ومنها تميم بن محمد أبو عبد الرحمن الطوسي صاحب المسند الحافظ وكان محدث ثقة كثير الحديث والرحلة والتصنيف<sup>(10)</sup>. ومن علماء مدن وقرى طوس خرج جماعة من المحدثين والزهاد منهم أبو الحسن النعمان بن محمد بن أحمد بن الحسين بن النعمان الطوسي التروغذبي وكان ممن كتب الحديث بخراسان والعراق توفى بقرية تروغذ بطوس سنة 350هـ/961م<sup>(11)</sup>.

وينتسب إلى قرية الراذكاني وهي بليدة بأعالي طوس الوزير أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك سمعت بعضهم يقول أنه من نواحيها وقد خرج منها جماعة من الأئمة والعلماء قديماً وحديثاً ومن العلماء المتقدمين منها أبو محمد عبد الله بن هاشم الطوسي الراذكاني وكان من الرواة ومن الثقات المتقين سمعت منه ثلاثين حديثاً في آخر سنة تسع وعشرين ومات بعد سنة ثلاثين وخمسمائة بطابران بطوس<sup>(12)</sup>. وهناك الحسين بن الحسن

(1) محمد العمادي: المرجع السابق، ص 257.

(2) زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية، ص 50، أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص 206.

(3) إدوارد بروي: تاريخ حضارات العالم، ص 339.

(4) خواندمير: دستور الوزراء، ص 254، عبد الهادي محبوب: نظام الملك، ص 390.

(5) عبد الهادي رضا: الوزارة ونظام الملك، ص 362.

(6) محمد محمود ادريس: المرجع السابق، ص 250.

(7) طبقات الشافعية الكبرى، ج 4، ص 196، القرشي: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ج 3، ص 523، 524.

(8) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 4، ص 49، الحديثي: أرباع خراسان، ص 202.

(9) ياقوت: المصدر السابق، ج 4، ص 49، الحديثي: المرجع السابق، ص 202.

(10) ياقوت: المصدر نفسه، ج 4، ص 50.

(11) السمعاني: المصدر السابق، ج 1، ص 462، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 1، ص 214.

(12) السمعاني: المصدر السابق، ج 3، ص 22، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 2، ص 5.



بن أيوب الأديب أبو عبد الله الطوسي<sup>(1)</sup>. والعلم رشيق بن عبد الله الرومي أبو نصر سكن الطابران من قرى طوس يقول الحاكم النيسابوري كان شيخاً يشبه المشايخ إلا الموالي لفصاحته وثروته وإحسانه إلى أهل العلم وكان مسكنه الطابران من طوس قدم نيسابور غير مرة غير أنني لم أكتب عنه بنيسابور وسمع الحديث بهراة من أحمد بن نجدة القرشي والحسين بن إدريس الأنصاري مات بالطابران في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة<sup>(2)</sup>.

**الخاتمة:**

- وبعد هذا العرض السياسي والحضاري لمدينة طوس توصلت إلى العديد من النتائج منها:
- ألمح البحث إلى موقع مدينة طوس المهم وأهمية ما تزخر به من موارد اقتصادية متنوعة زراعياً وصناعياً وتجارياً.
  - أشار البحث إلى الفتح الإسلامي للمدينة وأبرز محطاتها السياسية والتاريخية خلال العصور الإسلامية المختلفة وخصوصاً العصرين الغزنوي والسلجوقي.
  - أبرز البحث أهم علمائها وفقهائها ودورهم في إثراء الحياة الفكرية والعلمية.
  - أشار البحث إلى التركيبة السكانية للمدينة ودورهم المتناغم والمتجانس في الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.
  - يوصي البحث بقراءة عميقة ودراسة مستفيضة للمظاهر الحضارية لبلاد المشرق الإسلامي والتي لم تنل نصيبها الكافي من البحث والدراسة كغيرها من البلدان.

(1) الحاكم النيسابوري: تاريخ نيسابور، ص232.  
(2) المصدر نفسه، ص252.



### قائمة المصادر والمراجع:

#### أولاً: المصادر العربية المطبوعة:

- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت: 630هـ/1232م).
- الكامل في التاريخ، صححه وراجعته: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، (بيروت، 1980م).
- الأصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت: 341هـ/952م)
- مسالك الممالك- تحقيق: محمد جابر عبد العال- مراجعة: محمد شفيق غربال، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1961م، طبعة بريل، (ليدن، 1927).
- ابن أعمم الكوفي: أبي محمد أحمد بن أعمم (ت: 314هـ/926م)
- كتاب الفتوح، دار الندوة الجديدة، (بيروت، د.ت).
- ابن الأكفاني: محمد بن إبراهيم أسعد الأنصاري (ت: 749هـ/1348م)
- نخب الذخائر في أحوال الجواهر، تعليق: الأب انستاس ماري الكرمل، المطبعة العصرية، (القاهرة، 1939م).
- البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي (ت: 463هـ/1070م)
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1992م).
- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: 279هـ/892م)
- فتوح البلدان- تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992م، دار ابن خلدون، (الإسكندرية، د.ت).
- البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت: 440هـ/1047م)
- الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، (بغداد، 1993م).
- الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب، ب(بيروت، 1984م).
- ابن البيطار: الشيخ الفاضل ضياء الدين أبي محمد عبد الله المالقي (ت: 464هـ/1248م)
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، طبقة بولاق، (القاهرة، 1974).
- الثعالبي: أبي منصور عبد المالك بن محمد (ت: 429هـ/1037م)
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، (القاهرة، 1965م).
- لطائف المعارف، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الطلائع، (القاهرة، 1992م).
- ابن تغري بردي: جمال الدين ابن المحاسن يوسف الأتابكي (ت: 874هـ/1470م)
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، دار الكتب المصري، (القاهرة، 1963م).
- التيفاشي: احمد بن يوسف (ت: 651هـ/1303م)
- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار- تحقيق: احمد يوسف حسن، محمود خفاجي، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، 1977م).
- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت: 550هـ/869م).
- التبصر في التجارة- تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، د.م، (دمشق، 1932م).
- رسائل الجاحظ في مناقب الترك- تحقيق: عبد السلام هارون، د.م، (القاهرة، 1964م).
- الجرجاني: الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني (ت: 826هـ/1422م)



- كتاب التعريفات، دار الفكر، (بيروت، 1425-1426هـ/2005م).
- ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: 597هـ/1200م).
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1992م).
- الحاكم النيسابوري: الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت: 405هـ/1014م)
- تاريخ نيسابور (طبقة شيوخ الحاكم) جمع وتحقيق ودراسة: أبي معاوية مازن بن عبد الرحمن البحصيلي البيروتي، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، 1427هـ).
- الحسيني: صدر الدين أبي الحسن (ت: 575هـ/1179م)
- أخبار الدولة السلجوقية - تصحيح: محمد اقبال، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1984م).
- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت: 367هـ/979م)
- صورة الأرض المعروف أيضاً بكتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، مطبعة بريل، (ليدن، 1928م).
- ابن خردادبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: 310هـ/912م).
- المسالك والممالك، مطبعة بريل، (ليدن، 1889م).
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: 808هـ/1405م)
- المقدمة- تحقيق: دوريش الجويدي، المكتبة العصرية، (بيروت، 2006م).
- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت: 681هـ/1282م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار، (بيروت، 1977م).
- ابن رسته: شهاب الدين احمد بن عمر (ت: 295هـ/937م).
- الأعلام النفيسة، مطبعة بريل، (ليدن، 1892م).
- السبكي: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي (ت: 771هـ/1369م)
- طبقات الشافعية الكبرى- تحقيق: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلوة، (القاهرة، د.ت).
- السمعاتي: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: 562هـ/1166م)
- الأنساب- تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2010م).
- الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد، (ت 548هـ/1366م).
- الملل والنحل، دار ابن حزم، (بيروت، 1426هـ/2005م).
- الشهرستاني: المؤيد في الدين هبة الله بن موسى (ت: 470هـ/1770م).
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة - تحقيق: محمد كامل حسني، دار الكتاب المصري، (القاهرة، 1949م).
- الشيرازي: عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشافعي (ت: 589هـ/1193م).
- الرتبة في طلب الحسبة - تحقيق: السيد الباز العريني، دار الثقافة، (بيروت، 1981م).
- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م).
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 2009م، المطبعة الحسينية، (القاهرة، 1326هـ).
- ابن عبد الحق: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت: 739هـ/1338م).
- مرصد الاطلاع في ذكر الأمكنة والبقاع، تحقيقي وتعليق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت، 1953م).
- ابن العماد: أبي الفلاح عبد الحي احمد بن العماد الحنبلي الدمشقي (ت: 1089هـ/1678م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).



- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي(ت: 505هـ/ 1111م)
- إحياء علوم الدين، مطبعة الأنوار المحمدية، (القاهرة، د.ت).
- أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد شاهنشاه (ت: 732هـ/ 1231م)
- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المثنى، (القاهرة، د.ت)، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).
- ابن الفقيه: أبي بكر أحمد بن محمد ابن إسحاق الهمداني (ت: 365هـ/ 977م).
- كتاب البلدان- تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 2009م).
- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: 817هـ/ 1414م).
- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث، (بيروت، 1978م).
- قدامة: أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (ت: 337هـ/ 948م).
- الخراج وصناعة الكتابة ملحق بكتاب المسالم والممالك لابن خردادبة، مطبعة بريل، (ليدن، 1889م).
- القرشي: محي الدين محمد عبد القادر بن محمد (ت: 775هـ/ 1373م).
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية - تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، د.م، (القاهرة، د.ت).
- القرمانلي: أبو العباس احمد بن يوسف (ت: 1019هـ/ 1610م).
- أخبار الدول وآثار الأول، د.م، (بغداد، 1982م).
- القزويني: زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري (ت: 682هـ/ 1283م).
- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، 1998م).
- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت: 774هـ/ 1372م).
- البداية والنهاية - تحقيق: احمد عبد الوهاب فتوح، دار الحديث، (القاهرة، 1418هـ/ 1998م).
- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/ 957م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التوفيقية، (القاهرة، د.ت).
- مسكويه: أبو علي احمد بن محمد (ت: 421هـ/ 1030م).
- كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم- تحقيق: أبو القاسم أمامي، د.م، (طهران، 2012م).
- المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله البشاري (ت: 381هـ/ 991م).
- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، (ليدن، 1906م).
- مؤلف مجهول: (كان حياً سنة 372هـ/ 982م)
- حدود العالم من المشرق إلى المغرب- تحقيق وترجمة يوسف الهادي، الدار الثقافية، (القاهرة، 1423هـ/ 2002م).
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 630هـ/ 1224م).
- لسان العرب، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).
- الواقدني: أبو عبد الله محمد بن عمر (ت: 207هـ/ 822م).
- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مطبعة المحروسة، (القاهرة، 1309هـ).
- ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت: 749هـ/ 1348م).
- تاريخ ابن الوردي أو تنمة المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1417هـ/ 1996م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (القاهرة، 1938م).
- ابن الوردي: سراج الدين أبي حفص عمر (ت: 861هـ/ 1457م).
- عجائب البلدان من خلال مخطوطة خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق وتعليق وتقديم: انور محمد زناني، مطبعة عين شمس، (القاهرة، 2007م).
- الوشاء: أبو الطيب محمد بن إسحاق (ت: 325هـ/ 872م).



- الموسوي، دار صادر، (بيروت، 1998م).
- **اليافعي:** عفيف الدين عبد الله بن أسعد (ت: 768هـ / 1276م)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان- تحقيق: عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1405هـ / 1984م).
- **ياقوت:** شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت: 626هـ / 1228م).
- معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، د.ت).
- **اليعقوبي:** احمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح البغدادي (ت: 284هـ / 897م).
- البلدان، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1422هـ / 2002م).
- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د.ت).
- ثانياً المصادر الفارسية:**
- **ابن البلخي:** أبو زيد احمد بن سهل (ت: 322هـ / 934م).
- فارس نامه - ترجمة وتحقيق: يوسف هادي، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، 1999م).
- **خواندمير:** غياث الدين بن همام الحسيني (ت: 942هـ / 1761م).
- دستور الوزراء - ترجمة وتعليق: حربي أمين سليمان - تقديم: فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1980م).
- **ذبيح الله صفا:** تاريخ أدبيات در ايران، تهران، 1342هـ. ش، 1993م.
- **الراوندي:** محمد علي بن سليمان (ت: 599هـ / 1091م).
- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية - ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، دار العلم، (القاهرة، 1960م).
- **رضا زادة شفق:** تاريخ الأدب الفارسي - ترجمة: محمد موسى هنداي، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1947م).
- **الكرديزي:** أبي سعيد عبد الحي بن الضحاك ن محمود (ت: 440هـ / 1048م).
- زين الأخبار - ترجمة: عفاف السيد زيدان، دار الطباعة المحمدية، (القاهرة، 1982م).
- **عباس اقبال:** تاريخ ايران بعد الإسلام- ترجمة: محمد علاء الدين منصور - راجعة: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر، (القاهرة، 1990م).
- **مرتضى راوندي:** تاريخ اجتماعي ايران، طهران، 1373هـ ش.
- **نظام عقيلي:** سيف الدين حاجي
- آثار الوزراء- تصحيح وتعليق: مير جلال الدين حسيني أرموي، (طهران، 1958م).
- **نظام الملك:** الوزير أبو علي الحسن بن إسحاق الطوسي (ت: 458هـ / 1092م).
- سياسة نامه - ترجمة: السيد محمد العزاوي، (القاهرة، 1975م).

#### ثالثاً: المراجع العربية الحديثة والمعربة:

- **أبو صالح الأنفي:** الفن الإسلامي أصوله الفلسفية ومدارسه، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).
- **إبراهيم العدوي:** النظم الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1972م).
- **احمد أمين:** ظهر الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة، 1964م).
- **احمد شلبي:** التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1978م).
- **احمد الأهواني:** التربية في الإسلام، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).
- **احمد كمال الدين حلمي:** السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، (بيروت، 1975م).
- **آدم متز:** الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - ترجمة: محمد عبد الهادي ابوريدة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 2008م).





- دوارد بروي: تاريخ حضارات العالم في العصور الوسطى- ترجمة: يوسف أسعد داغر، دم، (القاهرة، 1986م).
- ادي شير: كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب للبيستاني، القاهرة، 1988-2987م، دار المعارف، (القاهرة، 1979م).
- آرثر كريستن: ايران في عهد الساسانية – ترجمة: يحيى الخشاب، دم، القاهرة، 1957م، دار النهضة العربية، (بيروت، د.ت).
- أرمنيوس فاميري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر- ترجمة: يحيى الخشاب، مكتبة نهضة الشرق، (جامعة القاهرة، 1987م).
- اصلاح عبد الحميد ریحان: هرات من الفتح الإسلامي إلى القرن الثاني الهجري.
- ايرين فرانك وديفيد برانستون: طريق الحرير العظيم – ترجمة احمد محمود، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، 1997م).
- ايمان محمد زكي: الأحوال الاقتصادية في عصر السلاجقة، دار الآفاق العربية، (القاهرة، 2014م).
- بارتولد، فاسيلي فلاديميروش: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان – مراجعة: إبراهيم صبري، المكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1958م).
- بدر الدين حي الصيني: العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1950م).
- بدر عبد الرحمن محمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع الهجري حتى ظهور السلاجقة، دار العلم العربي، (القاهرة، 2010م).
- بروان، إدوارد جرانفيل: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي- ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1954).
- بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين – ترجمة: عزرا حداد، المطبعة الشرقية، (بغداد، 1945م).
- ترتون، ا، س: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبيشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1994م).
- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1991م).
- حسين مؤنس: أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، (القاهرة، 1987م).
- عالم الإسلام، دم، (القاهرة، 1973).
- حسين مجيب المصري: أثر الفرس في حضارة الإسلام، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة، 1957م).
- – الصلات بين العرب والفرس والترك (دراسة تاريخية أدبية)، دم، (القاهرة، 1969م).
- حسين منيمنة: تاريخ الدول البويهية، دار الجامعة، (بيروت، 1987م).
- رجب عبد الجواد إبراهيم: المعجم العربي لأسماء الملابس، دار الآفاق العربية، (القاهرة، 2002م).
- رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي، (دم، 1418هـ/ 1997م).
- زامباور: معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي- ترجمة حسن احمد محمود/ زكي محمد حسن/ دم، (بيروت، د.ت).
- زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العهد الإسلامي، دار الكتب، (القاهرة، 1946م).
- زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي – راجعه: مارون عيسى الخوري، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1980م).
- شاهين مكاربوس: تاريخ ايران، دار الآفاق العربية، (القاهرة، 1424هـ، 2002م).
- شوقي ضيف: عصر الدول والامارات، دار المعارف، (القاهرة، 1996م).



- صلاح سليم طابع أحمد: مدينة هراة (دراسة سياسية وحضارية) دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، (الإسكندرية، 2007م).
- عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار الفكر، (بيروت، 1995م).
- عبد الفتاح مقلد غنيمية: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، دار الأمين، (القاهرة، 1416هـ/ 1996م).
- عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1969م).
- عبد الهادي محبوبية: نظام الملك كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة، 1990م).
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، (القاهرة، 2001م).
- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1420هـ/ 1999م).
- عطية القوصي: الحضارة الإسلامية، دار الثقافة الدينية، (القاهرة، 1985م).
- علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1992م).
- فارس أفندي الخوري: كنز لغات (قاموس تركي فارسي وترجمة عربي) مطبعة المعارف، (بيروت، 1976م).
- قحطان عبد الستار الحديثي: أرباع خراسان الشهيرة، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، مطبعة دار الحكمة، (البصرة، 1990م).
- كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية- نقله إلى العربية، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، دار الثقافة الدينية، (القاهرة، د.ت).
- محمد إبراهيم الجيوشي: الأحنف بن قيس سيد بني تميم وحليم العرب، منشورات جامعة الأزهر، (القاهرة، د.ت).
- محمد التونجي: المعجم الذهبي (فارسي-عربي) دار العلم للملايين، (بيروت، 1980م).
- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1965م).
- محمد حسن العمادي: خراسان في العصر الغزنوي- تقديم: نعمان جبران، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية ودار الكندي للنشر والتوزيع، أربد، (الأردن، 1997م).
- محمد حلمي محمد أحمد: الخلافة والدولة في العصر العباسي، مكتبة الشباب، (القاهرة، 1975م).
- محمد الخضري بك: تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) المكتبة التجارية، (القاهرة، 1976م).
- محمد عبد المنعم الجمل: الدول الإسلامية المستقلة (التاريخ والحضارة)، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية، 2004م).
- محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (القاهرة، 1430هـ/ 2009م).
- محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامي في العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، (القاهرة، 1985م).
- محمد نصير بك: أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك، مطبعة خلف، (القاهرة، د.ت).
- محمود شاكر: أفغانستان، المكتب الإسلامي، (دم، 1405هـ/ 1985م).
- ياسر عبد الجواد المشهداني: تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، دار الفكر ناشرون وموزعون، (عمان، الأردن، 2010م).
- يحيى بن حمزة الوزنة: مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2007م).



رابعاً الدوريات:

- حسين أمين: المدرسة المستنصرية- مقال منشور بمجلة المعهد العلمي العراقي، مج14، (بغداد، 1974م).
- قحطان عبد الستار الحديثي: أسواق المدن الخرسانية – مجلة المؤرخ العربي الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد 30، السنة الثانية عشر، (بغداد، 1407هـ/1986م).
- دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان، مجلة الخليج العربي الصادرة عن مركز الخليج العربي بجامعة البصرة، العددان الأول والثالث، (البصرة، عام 1987م).
- خامساً الرسائل العلمية:
  - احمد علي عبد الجليل : الحياة الاقتصادية والاجتماعية لإقليم بلخ في العصر السلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة المنصورة، (عام 2016م).
  - عبد الهادي رضا: الوزارة ونظام الملك الوزير السلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام (1959م).
  - علي محمد سعد الحاسي: أسواق خراسان في العصرين الغزنوي والسلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، عام (2017م).
  - محمد سعد السيد عزب: الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق، عام (2006م).

سادساً: المراجع الأجنبية:

- **Bartold** : four studies on the history of central Asia ( leiden,1962).
- **Bosworth**: the Ghaznavids , their empire in Afghanistan and eastern Iran (Edinburgh, 1963).
- **Lamboton. A. K. S**: land lord and peasant in Persia a study of land tenure and land revenue administration (oxford,1953).



أثر الثورات الناتجة عن التحولات الاقتصادية المختلفة  
في ضعف وانهيار الدول بمصر الإسلامية  
(41-358هـ / 661-968م).

**Titre français :**

Révolutions résultant de diverses transformations économiques  
Et son impact sur la faiblesse et l'effondrement des États islamiques d'Égypte  
(41-358h / 661-968 m).

**English title:**

Revolutions resulting from the various economic transformation  
And its impact on the weakness and collapse of states in Islamic Egypt  
(41-358 h / 661-968 m).

اعداد دكتورة / شيماء أحمد السيد علي صالح.

دكتوراه كلية الآداب - جامعة المنصورة .

**Emil:** shaimaasayed43@gmail.com

Egyptianconservators2013@gmail.com

Shaimaa.mahgoub@arch.svu.edu.eg

**كلمات مفتاحية :** التحولات الاقتصادية - التغير الطبقي - التمردات الشعبية - علاقة الثروة بالحكم -  
القوة الاقتصادية - الانقلابات السياسية - انهيار موازين القوى - انهيار الدول - مفاهيم الثورة.



**ملخص باللغة العربية :** يتناول موضوع البحث تتابع ضعف وانهيار الدول بمصر الإسلامية منذ عهد الخلافة الأموية ، وحتى قيام الخلافة الفاطمية من زاوية اقتصادية وفق مفاهيم الثورة المختلفة ، وبيان تأثير الثورات الناتجة عن التحولات الاقتصادية المختلفة في ضعف وانهيار الدول علي المدى القريب أو البعيد ، فمن جانب كانت كثرة الثورات والتمردات تساهم في ضعف وإرهاق الدولة ، وعلي صعيد آخر فإن استمرار الضعف والأزمات الاقتصادية، ينتج عنها نوع آخر من الثورات ، إذ تتحول مطالب فئات الشعب المختلفة إلي القضاء علي النظام بأكمله بعد إدراكهم أنه لم يعد بإمكانهم تحقيق متطلباتهم في ظل النظام القائم ، ويتحقق ذلك بمساعدة نظم ودول أخرى ، أو دعوتهم للوصول إلي الحكم.

### Résumé en français:

**Mots-clés :** Transformations économiques - Couche changeante - Rébellion populaire - Relation entre richesse et gouvernance - Pouvoir économique - Grève politique - Effondrement de l'équilibre des pouvoirs - Effondrement de l'État - Concepts de révolution.

Le sujet de l'étude traite de la faiblesse et de l'effondrement des États de l'Égypte islamique depuis la demande arabe jusqu'au califat fatimide sous un angle économique selon les différents concepts de révolution. L'effet de la révolution sur les différentes transformations économiques se traduit par la faiblesse et l'effondrement des pays à court ou à long terme. Faiblesse et épuisement d'autre part, la faiblesse persistante et les crises économiques, qui ont entraîné un autre type de révolutions, à la demande des différents groupes de personnes d'éliminer le système tout entier après s'être rendu compte qu'ils ne pouvaient plus satisfaire leurs besoins avec le système existant, avec l'aide de régimes et d'autres pays, ou les invitant à prendre le pouvoir, prouvant ainsi le véritable rapport entre richesse et gouvernance.

### English summary

key words : Economic Transformations - Change the layer - Popular Rebellion - Relationship of Wealth and Governance - Economic Power - Political Coup - Collapse of the Balance of Power - State Collapse - Concepts of Revolution.



### Abstract:

The concept of the revolution, which means getting out of the current situation and changing it for the better, has characterized the Arab world in recent years, so I try through this research and title (revolutions resulting from various economic transformations and their impact on the weakness and collapse of states in Islamic Egypt( 41-358 H / 661- 968m) Monitoring the weakness and collapse of countries in Islamic Egypt since the Umayyad state until the establishment of the Fatimid Caliphate economically according to the concepts of revolution The impact of these revolutions resulting from the various economic changes in the weakness and collapse of countries in the near and long term And the ability to get rid of them, and will not be limited to research on the revolutions of the peoples because of the economic policy of the rulers. It also deals with the revolutions resulting from sudden changes caused by natural factors and the effects of these revolutions on the strength of the state, revolution leads to transformations, and transformations lead to revolutions, and the research includes several axes:

- Defining the term revolution and clarifying the relationship between wealth and governance.
- The meaning of the economic transformation and its causes and splits resulting from it.
- The impact of revolutions and economic shifts in the weakness and collapse of states, starting with the means used by the revolutionaries to achieve their demands, as well as the policy of States in dealing with revolutions, and finally the impact of these revolutions in the weakness and collapse of States.

It has become clear through the research that revolutions in the various concepts such as the coup, rebellion and uprising, which resulted from the various economic transformations and the transition in the economic situation from one case to another, whether it affects the public class and poor standard of living, or the composition of wealth and the emergence of capitalist classes at the expense of class The poor in Egyptian society, On the one hand, the frequent revolutions and rebellions contribute to the weakness and exhaustion of the state, especially in the way of dealing with them. On the other hand, the continued weakness and economic crises result in another type of revolutions, where the demands of different groups of people turn to the elimination of the entire state system after realizing that they can not To achieve their demands under the existing system, and this is achieved with the help of regimes and other countries, or invite them to reach power, and prove that the economic power has a role in the establishment and stability of any state, and economic weakness has a great role in the weakness or collapse of states, Between governance and wealth or power And economic.



## مقدمة :

إن مفهوم الثورة ، والخروج عن الأوضاع الراهنة ومحاولات تغييرها إلي الأفضل صارت تميز عالمنا العربي في العقد الأخير ، ولذا أحاول من خلال هذا البحث رصد تتابع ضعف وانهيار الدول بمصر الإسلامية منذ عهد الخلافة الأموية وحتى قيام الخلافة الفاطمية من زاوية اقتصادية وفق مفاهيم الثورة المختلفة، وبيان تأثير الثورات الناتجة عن التحولات الاقتصادية المختلفة في ضعف وانهيار الدول علي المدى القريب أو البعيد ، والقدرة علي التنكيل بها والتمكين منها ، ولا أقصد هنا بالثورات تلك التي يقوم بها الشعوب بسبب السياسة المالية للدولة والحكام فقط ، وإنما أيضاً يشمل البحث الثورات الناتجة عن التحولات الخطيرة والمفاجئة التي تحدث بفعل عوامل طبيعية ، وما ينتج عن هذه الثورات من تأثير في قوة الدولة ، فالتحول قد يُحدث ثورة ، والثورة قد تُحدث تحول ، ومن ثم يدور البحث حول عدة محاور علي النحو التالي :

- التعريف بمصطلح الثورة وتوضيح العلاقة بين الثروة والحكم.
- المقصود بالتحول الاقتصادي وأسبابه وما نتج عنه من ثورات .
- أثر الثورات والتحولات الاقتصادية في ضعف وانهيار الدول.
- الوسائل التي اتبعتها الثورات لتحقيق مطالبهم .
- سياسة الدول في التعامل مع الثورات.
- تأثير هذه الثورات في ضعف وانهيار الدول.

## أولاً : مفهوم الثورة ، والعلاقة بين الحكم والثروة:

تُعرف الثورة لغةً، بأنها تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويشق لفظ الثورة من ثار الشيء ( ثوراناً، ثوراً ، ثورة ) ، أي هاج وانتشر ، والثائر تعني الغضبان<sup>(1)</sup>. واصطلاحاً ، استُخدم لفظ الثورة لوصف ثورات شعبية من أنواع عدة ، والتي تهدف إلي تغيير نظام الحكم بالدولة واستبدالها بنظام جديد، وتعتبر أقرب كلمة إلي مفهوم الثورة هي الخروج ، حيث استخدمها المؤرخون العرب القدماء إلي جانب الفتنة تعبيراً عن الثورة<sup>(2)</sup> . كما استخدمها أيضاً المؤرخون في العصر الحديث ، والهدف منه هو طلب الحق ، أو دفع ظلم ، ويوجد عامل مشترك للخروج بالمعني المستخدم في التاريخ الإسلامي والعصر الحديث ، وهو الخروج لطلب الحق أو دفع ظلم ( خروج إلي ليس خروج علي ) ، ينتج عن حالة من التذمر و الشكوي وحالة عالم الرضي في الحيز الخاص ، ونقلها إلي حيز العام ، وكذلك الخروج علي القوانين السارية والقوانين الشرعية طلباً لحق أو دفع ظلم<sup>(3)</sup>.

(1) المعجم الوسيط : معجم اللغة العربية ، اللجنة العربية وإحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 2004م، ص102.

(2) عزمي بشارة : في الثورة والقابلية للثورة ، المركز العربي ، الدوحة، 2011، ص7 ، 22 .

(3) عزمي بشارة : في الثورة والقابلية للثورة، صص8-9.



وهناك تمييز بين الثورة ، والإصلاح ، والانقلاب، وهي ظواهر متداخلة قد تقوم إحداها علي الأخرى ، فقد يؤدي تمرد شعبي إلي انقلاب في داخل النظام ، وقد يؤدي التمرد إلي إصلاح في داخل النظام والعكس<sup>(4)</sup>، ونستنتج مما سبق أن الثورة تعني كل حركة سريعة انفعالية تتضمن النهوض، و الإصلاح ، والتغيير ، والانقلاب ، وهذا الخروج يظهر في صور متعددة ، منها التمرد ، أو العصيان ، أو الوثبة ، أو الانتفاضة.

**وتعتبر القوة الاقتصادية والثروة** أحد العوامل الهامة والمباشرة لقيام واستمرار أي دولة ، حيث تستطيع الدولة من خلال قوتها الاقتصادية الحفاظ علي كيانها وقوتها العسكرية، وتشير حنة أرندت Hannah Arendt إلي أن هناك علاقة وثيقة بين الثروة والحكم في أي قطر من الأقطار ، حيث ترتبط أشكال الحكم المختلفة بتوزيع الثروة ، والسلطة السياسية قد تتبع ببساطة السلطة الاقتصادية ، فقد اكتشف أرسطو ما يسمي الآن بالواقع الاقتصادي ، أي قلب الحكومة من قبل الأغنياء لتأسيس حكومة أوليغاركية من قلة من المستغلين ، أو قلب الحكومة من قبل الفقراء لإقامة ديمقراطية ، ومن المعروف قديماً أن الطغاة كانوا يصلون إلي السلطة من بسطاء الناس أو الفقراء، وقد أشارت أيضاً إلي ما ذكره هارينغتون Harington عن العلاقة بين الثروة والحكم بقوله " إن السلطان هو الملكية "، وكذلك قول روهان Rohan " بأن الملوك يقودون الناس ، والمصلحة تقود الملوك"<sup>(5)</sup>.

### ثانياً : المقصود بالتحول الاقتصادي ، وأسبابه ، والثورات الناتجة عنه.

إن مصطلح التحولات الاقتصادية الذي أعنيه في موضوع بحثي ، ذلك التغيير في حياة الشعوب الاقتصادية والانتقال من حال إلي حال وهو ما يوازي مصطلح التغيير الطبقي ، سواء التحول الذي يصيب طبقة العامة من سوء وتدني مستوى معيشة الشعب ، أو انتشار الغلاء ، واختفاء المحاصيل، أو تكوين ثروات وظهور طبقات رأسمالية علي حساب الطبقات الفقيرة ، أو ذلك الخطر الاقتصادي الذي قد يهدد ثروة ومكانة الطبقتين البرجوازية والأرستقراطية ، وتحدث هذه التحولات في حياة الشعوب تأثيراً بالتحولات أو الأزمات الاقتصادية التي تتعرض لها للدولة ، مما ينتج علي إثر هذه التحولات ثورات داخل الدولة في صور وأشكال عديدة مثل الخروج والتمرد أو العصيان ، وعلي إثر هذه الثورات وفي ظل استمرار الأزمات تتبع ثورات أخرى ضد النظام نفسه والدولة بأكملها ، حيث يدرك الشعب المصري أنه لم يعد بإمكانه تحقيق متطلباته في ظل هذا النظام القائم ، وقد خرجت هذه التمردات الكامنة بداخلهم في صورة مساعدات ودعوات لدول أخرى للقيام علي حساب دولتهم ، وفيما يلي عرض لأسباب هذه التحولات ، وما نتج عنها من ثورات:

(4) عزمي بشارة : في الثورة والقبليّة للثورة، صص23-24.

(5) حنة أرندت : في الثورة ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008م، صص28-29.





كان أحد أسباب التحولات الاقتصادية ، السياسة الاقتصادية التي يتبعها الولاة والحكام ، والمتمثلة في فرض الضرائب بصورة مجحفة، فأشار ابن خلدون في مقدمته إلي أن الدولة تتجه إلي الزيادة في الجباية بسبب زياد نفقات الدولة ، وما تحتاج إليه الحامية من العطاء ، والسلطان من النفقة، فتكسد الأسواق ، فيدرك الدولة الضعف ، وتضمحل (6)، وكان تحقيق هذه السياسة يتمثل في إعطاء الولاة السلطة المطلقة في فرض الضرائب ، واستخدام العنف في القضاء علي الثورات كما حدث خلال عهد الدولة الأموية (38-132هـ/658-749م) (7)، الذين أعطوا الولاة سلطان الخليفة نفسه ، وكانوا يضاعفون في فرض الضرائب (8)، وفي أحيان أخرى كانوا يمنعون العطاء عن الجند (9)، فنتج عن ذلك كثرة الأزمات والثورات ، نتيجة تأثر معيشة الشعب (10)، ومن هذه الثورات التي قامت لأسباب اقتصادية خلال عهد الدولة الأموية ثورة الأقباط عام 107هـ/724م (11) ، وقامت ثورة أخرى للجند عام 127هـ/745م (12). وكذلك في عهد الخلافة العباسية(132-266هـ/749-879م) بدأت بوادر الاضطراب في الأحوال المالية منذ عهد الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي (136-158هـ/754-775م)، حينما أمر بأن يحمل الولاة إلي العاصمة قدراً معلوماً من الخراج ، واعتبارهم مسئولين شخصياً عن الجباية ، أو طالب بضمان خراج مصر ، فانطلقت أيدي الولاة دون رقيب تفرض علي الناس ما طاب لهم من الجبايات (14) ، وظهر نظام جديد لجباية الضرائب ، هو نظام قبالات الضرائب ويشبه نظام الالتزام كما في العهد الروماني (15)، كذلك ظهرت الإقطاعية التركية الذي أهملوا أمر الدولة ، واهتموا بمضاعفة الخراج بكل وسيلة ممكنة لتحصيل أكبر قدر من المال (16).

(6) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الله محمد الدراويش ، دار العرب ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2004م، ج 1 ، ص 470.  
(7) ألغى العرب بعد الفتح الامتيازات الظالمة والمجحفة التي كان يفرضها البيزنطيون ، وغابت الحماية فترة من الزمن لتظهر من جديد في أواسط العصر الأموي بصورة الإلجاء. انظر : عبد العزيز الدوري : نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ، دار الاجتهاد ، بيروت ، العدد 1 ، 1988م (243-267) ، ص 247.

(8) الكندي : الولاة والقضاة ، تحقيق رهن كست ، مطبعة الأبا اليسوعيين ، بيروت ، 1908م ، صص 73-74 ؛ حسن أحمد محمود : الكندي وكتابه الولاة والقضاة ، الدار المصرية . دت، صص 89-90.

(9) الكندي : الولاة والقضاة، ص 85.

(10) حسن أحمد محمود : الكندي وكتابه الولاة والقضاة، صص 89-90

(11) تعتبر ثورة 107هـ/724م أول انتفاضة للقبض بمصر ، قامت في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-743م) في ولاية الحر بن يوسف (105-108هـ/723-725م) بسبب زيادة الخراج من قبل صاحب الخراج عبيد الله بن الحباب. انظر : الكندي : الولاة والقضاة، صص 73-74.

(12) قامت ثورة 127هـ/745م عن طريق الجند بسبب منع الوالي حسان بن عتاهية الفروض الجديدة التي كان قد منحها لهم واليها السابق حفص بن الوليد (124-127هـ/742-745م). انظر : الكندي : الولاة والقضاة، صص 85 ، 90.

(13) أبو جعفر المنصور : أبو جعفر المنصور بن العباس بن هاشم القرشي ، الخليفة العباسي الثاني للدولة العباسية والمؤسس الحقيقي لها ، ومؤسس مدينة بغداد ، بويح له بالخلافة في ذي الحجة عام 136هـ/754 بعد وفاة أخيه عبد الله السفاح ، كان فحل بني العباس هيبه وشجاعة ، ورأياً وحزماً ، ودهاءً وجبروتاً ، وكان جامعاً للمال ، حريصاً ، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم ، ومرضى أثناء ذهابه للحج عام 158هـ/775م ، وتوفي . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2001م.

(14) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية ( العصر الطولوني ) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت، ص 50.

(15) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1994م، ص 61 .

(16) الفلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1914م، ج 3 ، ص 449 ؛ عطية القوصي : تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتي الفتح العثماني (20-922هـ/641-1517م) ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1997م، ص 75 ؛ حسن أحمد محمود ، حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني )، ص 50.



ونتيجة هذه السياسة القائمة علي فرض الضرائب المجحفة والتي أرهقت الشعب المصري مسلمين وأقباط<sup>(17)</sup> ، وكذلك ظهور طبقات رأسمالية سيطرت علي موارد الرزق متجاهلة كثرة الناس التي أضر بها الفقر، واستبد بها الحرمان، فسخطوا علي هذا التوازن الاقتصادي المختل<sup>(18)</sup> ، وبدأت تظهر المشاكل الاقتصادية، وغرقت الدولة العباسية في بحر من الثورات<sup>(19)</sup> ، ومن هذه الثورات التي قامت بسبب زيادة فرض الضرائب، ثورات عام 167هـ/783م<sup>(20)</sup> ، وعام 177هـ/793م<sup>(21)</sup> ، وعام 186هـ/802م<sup>(22)</sup> ، وعام 190هـ/806م<sup>(23)</sup> ، وقامت ثورة بواسطة العرب عام 219هـ/834م بسبب محاولة الخليفة المعتصم بالله<sup>(24)</sup> (218-227هـ/833-842م) إسقاطهم من الديوان<sup>(25)</sup>. كما اندلعت ثورات الجند بسبب منع العطاء عنهم أو محاولات تأخيرها منها عام 173هـ/789م<sup>(26)</sup> ، وكذلك قام الجند بثورتين أخرتين خلال فترة عودة مصر لتبعية الخلافة العباسية (292-321هـ/905-933م) عامي 310هـ/922م<sup>(27)</sup> ، و321هـ/933م<sup>(28)</sup> .

أما السبب الثاني للتحويلات الاقتصادية التي تدفع بالدولة من الثراء إلي الفقر، هو البذخ والترف التي تعيشها الدولة في فترة ما بالرغم من قوتها الاقتصادية ، وينتج عن هذا البذخ قلة الأموال وضعف موارد

(17) سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية، ص55 .

(18) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني )، ص17.

(19) الكندي : الولاة والقضاة ، صص108-109 ؛

(20) قامت ثورة سنة 167هـ/783م علي موسى بن مصعب الخعمي ، الذي تشدد في استخراج الخراج ، وزاد علي كل فدان ضعف ما كان عليه أولاً ، وارتشي في الأحكام ، فكرهه الجند وشغبوا عليه ، وثارت قيس والبيمانية بالحوف الشرقي وتحالفوا عليه فيما بينهم . انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص125-128.

(21) قامت ثورة 177هـ/793م في عهد الخلية هارون الرشيد(170-193هـ/786-809م) في ولاية اسحاق بن سليمان (177-

178هـ/793-794م) ، بسبب زيادة الوالي الخراج علي الزارعين زيادة أجحفت بهم. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص136.

(22) قامت ثورة عام 186هـ/802م في ولاية الليث بن الفضل ، عندما أراد أن يزيد الخراج ، فبعث مساحاً يمسحون الأراضي الزراعية ، وأمرهم أن ينتقصوا الفصبة أصابع ، فظلم الناس إليه ولم يسمع شكوتهم ، فثار أهل الحوف وقتلوه وهزموه. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص140-141 .

(23) وفي ولاية الحسين بن جميل (190-192هـ/806-808م) تشدد الوالي في الخراج ، فخرج عليه أهل الحوف الشرقي ، وامتنعوا من أداء الخراج ، وبلغوا مبلغاً عظيماً من النهب والسلب والقتل. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص143-146.

(24) المعتصم بالله : أبو اسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد ، ثامن خلفاء العباسيين ، مولده عام 179هـ/813م ، ووفاته بمدينة سامراء في ربيع الأول 227هـ/ فبراير 842م ، تولى الخلافة بعد أخيه المأمون ، وكان من أهم أعماله القضاء علي بعض الفتن والثورات الداخلية وفتح عمورية . انظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار ، الطبعة الأولى ، 2004م ، صص243-245.

(25) في عام 219هـ/834م أرسل المعتصم (179-227هـ/795-842م) إلي كيدر بن عبدالله والي مصر يأمره بإسقاط من في الديوان من العرب ، وقطع العطاء عنهم ، فخرج يحي بن الوزير الجروي في جمع من لحم وجذام 219هـ/834م، انتهى بموقعة هائلة بين الجروي والمظفر ابن كيدر في بحيرة نبتيس (المنزلة الآن) ، هزم فيها الجروي وأسر . انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص193-194.

(26) قامت ثورة عام 173هـ/789م في عهد محمد بن زهير الأزدي ، حيث تشدد عمر بن غيلان صاحب خراج مصر علي الناس ، وأخر أعطيات الجند ، فحاصروه في داره ، وثاروا عليه. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص134.

(27) قامت ثورة سنة 310هـ/922م بواسطة الجند علي هلال بن بدر(309-311هـ/923-921م) والي مصر في أرزاقهم ، وانتهى الأمر فيها بتنصيب تكين واليا علي مصر 311هـ/923م استرضاءً للجند. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص279-280 ؛ ابن تغري بردي

: النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، 1963م ، ج3 ، صص201 ، 210.

(28) في عام 321هـ/933م ثار الجند علي محمد بن علي المانراني ، وكان قائماً بأمر مصر كله في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله ، ووقعت فتنة عظيمة وحروب انتهت بتولية محمد بن طغج الإخشيد ولابته الثانية 323هـ/935م الذي أسس الدولة الاخشيدية، فهدأت اضطرابات مصر الاقتصادية. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص281-286 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج3 ، صص242-251 ؛ حسين نصار : الثورات الشعبية في مصر الإسلامية ، الهيئة العامة لقصور ثقافة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2002م ، صص56-57.



الدولة ، فتكثر الثورات والنزاعات والخارجين عن الدولة ، خاصة من خواصها وأعاونها بسبب قلة العطاء لهم ، فتفقد ولائهم ومبايعتهم ، والخروج عن طاعتهم<sup>(29)</sup> .

وبالرغم من أن الدولة الطولونية (266-292هـ/ 879-933م) اتبعت نظاماً اقتصادياً عالجت فيه كل مساوئ السلطات السابقة، بجعل ديوان الخراج خاضعاً لها خضوعاً مطلقاً ، وقضت علي الفساد في الديوان ، وفرض رقابة علي الولاة حتي لم يعد في استطاعتهم فرض ما طاب لهم من الضرائب، وألغت جميع الضرائب المجحفة القديمة، ولذلك انتظمت أحوالها الاقتصادية ، وانعدمت الثورات فترة<sup>(30)</sup> ، إلا أن الأمر تغير بعد عهد خمارويه<sup>(31)</sup> (270-282هـ/ 884-895م) ، فحدثت أزمة اقتصادية أدخلت البلاد مع مرور الوقت في تمرد وعصيان ، نتجت هذه الأزمة بسبب إسراف وبذخ خمارويه ، الذي أنفق كل موارد الدولة في كسب ود الخلافة، وتجهيز ابنته قطر الندي (ت287هـ/ 900م) الذي أفلس الدولة وذلك قبل موته بمدة قليلة<sup>(32)</sup> ، فسخط عليه الجيش ، وتقاعد عن مبايعته جماعة من كبار القواد<sup>(33)</sup> .

وقد تكررت هذه المأساة في كل بيعة لأمر من بعده، حيث امتنع كبار القواد عقب وفاته عن مبايعة ابنه جيش بن خمارويه<sup>(34)</sup> (282-283هـ/ 895-896م) ، إلا أن أبا العساكر تल्पف بهم حتي تمت البيعة له والتي لم تستمر سوي ستة أشهر واثنى عشر يوماً بعد خلعه من الحكم<sup>(35)</sup> ، وبالرغم من مبايعة هارون بن خمارويه<sup>(36)</sup> (283-292هـ/ 896-904م) طواعية من قبل الشعب عقب وفاة أخيه ، إلا أن الجند امتنعوا عن بيعته عام 283هـ/ 896م<sup>(37)</sup> ، وبذلك كان لهذه الأزمة الاقتصادية تأثير علي ولاء الجند ، إذ لم يدرك خلفاء أحمد ابن طولون (254-270هـ/ 868-884م) ما أدركه هو منذ تأسيسه للدولة ، وهو أن ولاء الجند وبيعتهم يكون قدر ما يظفرون به من المنح والعطاءات ، ومن ثم دخلت الدولة في

(29) ابن خلدون : المقدمة ، ج1، صص473-474.

(30) حسن أحمد محمود : العصر الطولوني ، صص51-52.

(31) جيش بن خمارويه : أبو العساكر جيش بن خمارويه الملقب بالأفضل ، تولى مصر و الشام بعد مقتل أبيه خمارويه عام 282هـ/ 895م وهو صبياً يبلغ عمره أربعة عشر عاماً ، ولم يستطع تحمل المسؤولية ، وعكف علي اللهو والشرب حتي قام الخليفة بخلعه وتوفي في العاشر من جمادي الآخرة عام 283هـ/ 896م بعد أن استمرت ولايته ستة أشهر واثنى عشر يوماً. انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3، ص88-89 ؛ نعيمة سالم عاشور المصراي ، الدولة الطولونية في مصر والشام (254-292هـ/ 867-904م) ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة قاربونس ، 2010، صص60-63

(32) حيث نقل جهاز الأميرة قطر الندي (ت 287هـ/ 900م) من مصر إلي بغداد في ستة أشهر ، فكان جملة ما ذكر من جهازها مائة هاون ذهب ، وألف سروال حرير وفي تكة كل سروال جوهرة بحجم بيضة حمامة. انظر : ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفي ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1984م. ج1 ، ق1 ، ص171. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص88.

(33) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص88 .

(34) حيث نقل جهاز الأميرة قطر الندي (ت 287هـ/ 900م) من مصر إلي بغداد في ستة أشهر ، فكان جملة ما ذكر من جهازها مائة هاون ذهب ، وألف سروال حرير وفي تكة كل سروال جوهرة بحجم بيضة حمامة. انظر : ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفي ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1984م. ج1 ، ق1 ، ص171. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص88.

(35) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص88 .

(36) هارون بن خمارويه : أبو موسى هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون رابع حكام الدولة الطولونية، تولى الحكم عام 283هـ بعد خلع أخيه جيش بن خمارويه ، ولم يكن أحسن حالاً من أخيه ، واضطرب الجيش المصري في عهده، فسيطر القادة علي مقاليد الأمور ، وكان وفاته ليلة الأحد من صفر عام 292هـ/ 904م بعد حكم استمر ثمان سنين وثمانية أشهر وأياماً. انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، صص98-99.

(37) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج3، ص99



تمرد وعصيان بمرور الوقت من قبل القوات المسلحة ، بسبب قلة المال وعدم الانتظام في منح العطاء<sup>(38)</sup>

أما السبب الثالث للتحويلات أو الأزمات الاقتصادية ، فيحدث عندما تفلت زمام الحكومة نتيجة عوامل طبيعية ، باشتداد الغلاء وانتشار الوباء ، وتعزيز وجود القمح ، واختفاء بعض المحاصيل ، وذلك بسبب ارتفاع أو نقص فيضان النيل والذي كان أحد أسبابه هو عدم الاهتمام بالأرض ، وتطهير الترع وصيانة الجسور<sup>(39)</sup>، مما يدفع بالناس إلى الثورات ، ونهب الضياع ، والإغارة على المزارع ، ففي عهد الدولة الإخشيدية (323-358هـ/935-968م) ازدهرت الحياة الاقتصادية ، وتحسنت أحوال الشعب<sup>(40)</sup> ، إلا أنه في فترات معينة اشتد الغلاء خلال عهد الإخشيديين ، واختفي القمح في فترات بسبب فيضان النيل ، وحدث ذلك سنة 338هـ/949م ، ونتج عن هذه الأزمة ثورة الرعية ، ومنعهم الأمير من صلاة العتمة<sup>(41)</sup> في الجامع العتيق ( جامع عمرو بن العاص )<sup>(42)</sup> ، وكذلك في عام 341 هـ /952م حدثت أزمة اقتصادية ، ارتفعت فيها الأسعار في شهر رمضان بسبب قصر ( مد ) النيل وأتلفت الغلال ، وفي عام 343هـ/954م حدثت أزمة اقتصادية كبيرة عظم فيها الغلاء حتي بيع القمح كل وبيتين<sup>(43)</sup> ونصف بدينار ، ثم اختفي ، ونتج عن ذلك ثورة الرعية الذين كسروا منبر الجامع بمصر<sup>(44)</sup> .

كما حدثت أزمة اقتصادية كبيرة سنة 352هـ/963م في عهد الأمير علي بن الإخشيد<sup>(45)</sup> ( 349-355هـ/960-966م ) ارتفع فيها الغلاء ، وانتشر القحط بسبب ارتفاع منسوب فيضان النيل ، وقد أدى ذلك إلي اختفاء القمح ، واضطراب الأحوال وكثرة الفتن ، ونهب الضياع ، وهاج الناس بسبب الأسعار ، فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط يوم جمعة وازدحموا عند المحراب ، فمات رجل وامرأة في الزحام ولم تُصل الجمعة يومئذ ، واستمر هذا الوباء تسع سنوات متتالية<sup>(46)</sup>.

(38) حسن أحمد محمود : العصر الطولوني ، صص139-140.

(39) كان للنظام الإقطاعي دوراً كبيراً في هذه الأحداث ، فمنذ أن قسمت البلاد إلى إقطاعات للأمرء والجنود أصبحوا لا هم لهم إلا جباية الأموال دون الاهتمام بالأرض ، وتطهير الترع وصيانة الجسور . انظر : القلقشندي : صبح الأعشي : ج 3 ، ص449 ؛ مرفت عثمان حسن علي : الأزمات الاقتصادية وتأثيرها على النواحي المادية والحضارية بمصر في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري في ضوء الآثار الإسلامية " دراسة أثرية حضارية " ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، 2005م ، صص195-196.

(40) كان الخراج في عهد بني إخشيد يدفع علي أقساط موزعة علي السنة ، وكانت جباية خراج الأرض الزراعية تتماشى مع حال المزارع وأوقات الغرس والحصاد. انظر :سيده كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، مطبعة جامعة فواد الأول ، القاهرة ، 1950م، صص342-343.

(41) العتمة :الثالث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق .انظر :المعجم الوسيط ، ص583.

(42) المقرئزي : إغائة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق كرم حلمي فرحات ، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007م ، ص86.

(43) الوئبة :هو مكيال مصري بالدرجة الأولى ، كان يعادل 10 أمان أو 168 ، 12 كغم قمح . انظر : فالتر هنتيس : المكيال والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى ، ترجمة كامل العسيلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، 1955م ، ص80 . ويقال مكيال حجم قدره أربعة وعشرون مُداً. انظر :محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، الطبعة الأولى، 1990م ، ص156.

(44) المقرئزي : إغائة الأمة ، ص86.

(45) علي بن طغج : أبو الحسن علي بن محمد بن طغج الإخشيد ، ثالث حكام الدولة الإخشيدية ، تولى الحكم بعد وفاة أخيه أبو القاسم أنوجور ، وكان كافور الإخشيدى واصباً عليه، والذي تمكن من السيطرة على حكم البلاد حتي بعد بلوغه ، واستمر الحال علي ذلك حتي وفاته عام 355هـ/966م. انظر : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج3 ، ص326-327.

(46) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج3 ، صص87-88.



### ثالثاً : دور الثورات في ضعف وانهيار الدول بمصر الإسلامية :

يتضح مما سبق أنه كان للتحويلات والأزمات الاقتصادية المختلفة تأثير مباشر في اندلاع الثورات ، والتي تتلخص أسبابها في زيادة فرض الضرائب علي الشعب المصري، أو محاولات لمنع العطاء ، أو تأخيرها ، وإسقاط العرب من الديوان ، أو اشتداد الغلاء ، وانتشار الوباء ، واختفاء القمح .

وكانت مطالب هذه الثورات تدور جميعها حول تحقيق مستوي معيشي مناسب ، والحصول علي حقوقهم وأعطياتهم ، وكانت لهم وسائلهم الثورية المختلفة في تحقيق مطالبهم ، منها ما هو سلمي مثل الامتناع عن الخراج ، حيث امتنع أهل الحوف عن أداء الخراج عام 190 هـ /806م<sup>(47)</sup> ، ومنها أيضاً المطالبة بعزل الولاة المتشددون في الخراج، وفي أحيان يقومون بتعيين والي آخر من اختيارهم تحت ضغط وكرهية، ومخالفة أوامر الخليفة أحياناً، والمطالبة بعزله كما حدث في ثورة عام 127 هـ/745م ، حيث طالب الجند بخلع الخليفة مروان بن محمد<sup>(48)</sup> (127-132هـ /745-750م) ، وعزل والي حسان بن عتاهية<sup>(49)</sup>. كما خالف الثوار أمر الخليفة بولاية حنظلة بن صفوان(ت130هـ/748م)<sup>(50)</sup> عليهم بدلاً من حفص، وأظهروا خلعه<sup>(51)</sup> . أما الوسائل الغير سلمية ، فقد تمثلت في قطع الطرق ، والسلب والنهب كما حدث في عام 190هـ /806م<sup>(52)</sup>، أو القيام بحصار دور الولاة وأهلهم وإخراجهم منها ، وحرقتها أحياناً كما حدث في ثورتي عام 173هـ /789م ، وعام 321هـ/933م<sup>(53)</sup> .

أما عن سياسية الولاة والحكام في التعامل مع هذه الثورات ، فكان بعضها قائماً علي استخدام العنف والقوة والقتل في القضاء علي الثورات ، كما حدث في ثورة عام 107 هـ/725م التي لم يستطيع والي إخمادها إلا بعد سفك كثير من الدماء<sup>(54)</sup> ، واستُخدمت سياسة الغدر والخيانة أحياناً في القضاء

<sup>(47)</sup>الكندي : الولاة والقضاة ، ص141.

<sup>(48)</sup> أبو عبد الملك مروان الثاني بن محمد(127-132هـ /745-750م) ، عرف أيضاً بمروان الحمار أو مروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه جعد بن درهم ، هو آخر خلفاء بني أمية في دمشق ، كان شجاعاً وداهية ، لا يفتر عن محاربة الخوارج ، في بداية ظهوره السياسي، ولاء الخليفة هشام بن عبد الملك نيابة أذربيجان وأرمينيا والجزيرة الفراتية عام 114هـ/732م ، ففتح بلاد كثيرة وحصوناً متعددة، ثم قدم دمشق وخلص إبراهيم بن الوليد، واستمر في الحكم حتى مقتله عام 132هـ/750م . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج6 ، ص74-75.

<sup>(49)</sup> انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، ص85.

<sup>(50)</sup> حنظلة بن صفوان الكلبي: هو حنظلة بن صفوان بن علقمة بن شرحبيل بن زهير الكلبي ، من كبار الولاة الأمويون في مصر والمغرب في عهد هشام بن عبد الملك وقائد كبير من كبار قادة الدولة الأموية في حرب الخوارج تولي امارة مصر عام 103 هـ / 721م إلى 105هـ /723م وكانت ولايته الثانية منذ عام 119هـ /737م إلى عام 124هـ /742م ، ثم ولاء هشام بن عبد الملك أفريقية والمغرب ، ليحفظها من الانفصال وينفذ الأمويين من ثورات البربر ، وكانت وفاته بدمشق حوالي عام 130هـ/748م.انظر : ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج. س كولان ، ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1983م ، ج1 ، ص58 .

<sup>(51)</sup> انظر : الكندي : الولاة والقضاة ص87.

<sup>(52)</sup> حيث قطع الثوار الطريق بأبلة ومدين ، وأغاروا علي بعض قري الشام ، وبلغوا مبلغاً عظيماً من النهب والسلب والقتل .انظر: الكندي : الولاة والقضاة ، صص143-144.

<sup>(53)</sup> في عام 173هـ /789م ثار جماعة من الجند علي والي عمر بن غيلان صاحب خراج مصر، فأخرجوه وصلبوه ، حتي دفع إليهم أعطياتهم .انظر: الكندي :الولاة والقضاة ، ص134. في عام 321هـ/933م ثار الجند علي محمد بن علي الماذرائي وأحرقوا دوره ودور أهله .انظر: الكندي : الولاة والقضاة ، ص281.

<sup>(54)</sup> انظر : الكندي : الولاة والقضاة، ص74.



علي الثوار ، منها أنه في عام 128 / 746م دخل حوثرة بن سهيل الباهلي<sup>(55)</sup> (ت 132 هـ / 750م) أميراً علي مصر بعد أن أعطي الثوار الأمان ، ثم أمر الفرسان بالقبض علي رؤساء الفتنة ، وضرب أعناقهم ، وكذلك قضي الوالي مالك بن دلهم الكلبي علي أهل الحوف عام 192 هـ / 808م ، بعد أرسل يطلب إليهم القدوم إلي الفسطاط ليتوسط بينهم وبين الوالي الجديد في الخراج ويوصيه بهم ، فجاءه رؤسائهم، وكان قد أعد لهم القيود، وقضي عليهم<sup>(56)</sup>، وفي بعض الأوقات حاولوا استرضاء الثوار مضطرين إلي ذلك كما حدث في عام 310 هـ / 922م ، إذ تم تنصيب تكين والياً علي مصر رغم كراهية ولايته استرضاءً للجند ، ومخافة أن ينتهز الفاطميون في المغرب الفرصة ويستولوا علي مصر<sup>(57)</sup> .

وكان للوسائل التي اتبعتها الثوار في تحقيق مطالبهم من جهة، وسياسة الدولة في التعامل مع الثورات من جهة أخرى دوراً في التأثير السلبي علي الحياة الاجتماعية والأمن في البلاد ، بحيث انتشرت الفتن ، واضطرب الأمن في الدولة الذي قد يستمر لفترات . كما فشا الفساد وقُطع الطريق ، وتدهورت أحوال البلاد حتي عجز الولاة في بعض الأحيان إصلاح أمورها<sup>(58)</sup>.

كذلك أثرت الثورات التي تبعت سنوات الغلاء والقحط في زيادة الاضطراب ، وكثرة الفتن ، ونهب الضياع، وتمادي الغلاء<sup>(59)</sup> ، وقد وصل أمر هذه الثورات في بعض الأحيان إلي اشتعال الحروب الأهلية التي أدت إلي كثرة القتل وسفك كثير من الدماء سواء من الثوار، أو من الولاة<sup>(60)</sup>. كما تسلت الخلافات والحروب إلي الجيش<sup>(61)</sup> ، وكذلك ترتب علي بعض الثورات إبعاد الثوار من الجند وتغريبهم خارج وطنهم إلي المغرب والمشرق<sup>(62)</sup> ، واتضح أيضاً أن لهذه الثورات تأثير مباشر في الحياة السياسية داخل الدولة، وذلك بعزل والي وتعيين آخر، أو قتل والي وتعيين بدلاً منه، والتمرد علي الخليفة نفسه وعصيان أوامره التي لا تتفق مع مطالب الثوار كما ذكر سابقاً .

أما الأثر بعيد المدى والأقوي أثراً ، يتمثل فيما نتج عن هذه الثورات من ضعف الدول وانهارها مع مرور الوقت، إذ ظهر نوع آخر من التمردات والانقلابات وحركات الاستقلال مترتبة علي هذه الثورات والأزمات ، وما نتج عنها من زيادة ضعف الدولة ، واضطرابها وفقدان شعوبها الأمل في تحسين أحوالها ، فمن جانب أدركت طبقات المجتمع المختلفة من شعب وجند أنه في ظل هذا الضعف الذي ساد الدولة

<sup>(55)</sup> حوثرة بن سهل : هو حوثرة ابن سهيل بن كعب بن عامر بن باهلة الباهلي أبو المثنى القنسريني، من أهل قنسرين ، عين أميراً علي مصر عهد مروان بن محمد، وكان ضمن جيشه في فتوحاته في دمشق ، وعرف عنه سوء السيرة ، وسفكه الدماء، توفي عام 132 هـ / 750م علي يد أبي العباس السفاح . انظر : ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، دت ، ج 6 ، ص 2988.

<sup>(56)</sup> انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، ص 90 ، 146.

<sup>(57)</sup> انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، ص 280.

<sup>(58)</sup> الكندي : الولاة والقضاة ، ص 279.

<sup>(59)</sup> المقرئزي : إغاثة الأمة، ص 87.

<sup>(60)</sup> الكندي : الولاة والقضاة ، ص 74 ، 90 ، 125 - 126.

<sup>(61)</sup> المقرئزي : إغاثة الأمة، ص 88.

<sup>(62)</sup> حيث أرسل الخليفة هارون الرشيد سنة 173 هـ / 789م إبراهيم بن صالح لإخراج الفرق التي اشتركت في الفتنة من الجند في مصر. انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، ص 134.



، لم يعد بإمكانهم تحقيق متطلباتهم في ظل هذا النظام ، وبالتالي أصبحت بداخلهم ثورات وتمردات ضد النظام والدولة بأكملها ، وقد خرجت هذه التمردات الكامنة بداخلهم في صورة مساعدات ودعوات لدول أخرى لإسقاط النظام الحاكم.

**وعلي سعيد آخر** استغلت الدول الأخرى المجاورة، التي تقوم بدعوات مضادة ضد الدولة القائمة أو النظام القائم في استغلال هذا الضعف في التمكن من الاستيلاء عليها ، إما بهدف الإصلاح الاقتصادي ، أو طمعاً في السلطة ، وتمثلت هذه الثورات أو الانقلابات، في الانقلاب العباسي علي الأمويين بهدف الإصلاح الاقتصادي، واستقلال الدولتين الطولونية والإخشيدية عن الخلافة العباسية ، ثم قيام الخلافة الفاطمية ، وكان السبب وراء نجاحهم هو مساعدة بعض الفئات الأرستقراطية ، أو البرجوازية التي تحاول كل منهما الحفاظ علي ثروتها وكيانها في ظل هذه الأزمات ، أو فئة العامة التي تمردت بحثاً عن حياة أفضل كما سيتضح :

**كان لظهور الدعوة العباسية<sup>(63)</sup> مظهر اقتصادي وثورة اقتصادية هدفها الإصلاح الاقتصادي ، لأن السياسة الاقتصادية الأموية أدت إلي كساد الحياة الاقتصادية في أواخر عصرها خاصة في إقليم الفيوم ، من فساد المحاصيل ، وتكدسها في الأسواق ، وانقطاع سبل المواصلات ، وإصابة المحصول الزراعي بالضعف نتيجة للهجرة من الريف إلي المدينة ، وتسببت هذه الأزمات الاقتصادية في ثورات الناس، ومحاولاتهم للتغيير وتحسين مستوي معيشتهم بمناصرة العباسيين ضد الأمويين<sup>(64)</sup> ، حيث أن قوة الدولة الأموية التي اعتمد عليها معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م ) في حكمه كانت متمثلة في وفرة المال والجند<sup>(65)</sup>.**

كما كانت الثورة العباسية أيضاً ثورة البرجوازية الإسلامية من غير العرب ، ذلك أنه في أواخر العصر الأموي ظهر طبقة غير عربية استطاعوا جمع ثروات طائلة ، وكانوا يرغبون في أن يكون لهم نفوذ في ميدان السياسة ، يطابق نفوذهم في ميدان الاقتصاد ، وكذلك الحفاظ علي مكانتهم الاقتصادية في ظل هذه الأزمات، فلقبت الثورة العباسية أعظم تأييد من قبل أفراد هذه الطبقة، وبذلك كان العامل الاقتصادي له دور مهم في نجاح الانقلاب السياسي للعباسيين علي الأمويين ، وبقيام الدولة العباسية استقرت الأوضاع الاقتصادية فترة<sup>(66)</sup> .

<sup>(63)</sup> كان ظهور العباسيين ثورة إسلامية كبيرة لها مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، سياسية لأن انتشار الإسلام في عهد الدولة الأموية أدى إلي ظهور طبقات جديدة من المسلمين لم يحصلوا علي حقوقهم المشروعة فسخطوا علي الأمويين وأيدوا الدعوة العباسيين ، وكانوا وراء نجاح الانقلاب السياسي. انظر : حسن أحمد محمود : الكندي وكتابه الولاة والقضاة ، صص106.

<sup>(64)</sup> حسن أحمد محمود : الكندي وكتابه الولاة والقضاة ، صص106-107.

<sup>(65)</sup> وكان يعتمد معظم اقتصاد الدولة ووفرة المال علي الخراج الذي يفرض علي الأرض الزراعية. انظر: الفلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج3 ، ص452 ؛ الفضل شلق : الخراج والإقطاع والدولة : دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ، دار الاجتهاد ، بيروت ، العدد 1 ، 1988م ( 115-138 ) ، ص125. وكان الخراج في عصر الولاة يفرض علي الأرض سواء أسلم صاحبها أو كانت ملكاً للمسلمين . انظر : سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية، ص55.

<sup>(66)</sup> حسن أحمد محمود : الكندي وكتابه الولاة والقضاة ، ص 101.



كما توافرت نفس الظروف والعوامل التي ساهمت في انقلاب العباسيين علي الأمويين وبصورة أكبر أثناء استقلال الطولونيين عن الخلافة العباسية، حيث أن منذ عهد المأمون تطور النظام الاقتصادي إلي إقطاعية لها سلطانها ونفوذها الكبير ، ومنذ هذا الوقت ظلت الثورات ظاهرة تميز الحكم العباسي في مصر<sup>(67)</sup>، وشغلت الخلافة العباسية بمشاكل اقتصادية واجتماعية عميقة الجذور ، فُدر لها أن تشغل حركتها وتشل حركة التفكير من وراء الفتن والثورات .

وكان قيام الدولة الطولونية وقدرتها علي تحقيق هدفها بالاستقلال عن الخلافة العباسية استغلالاً لما غرقت به الدولة العباسية من مشاكل اقتصادية وانشغالها بالقضاء علي الثورات التي قامت علي إثرها، إذ كانت هذه الأزمات وما ترتب عليها من فتن وثورات وقع وزرها علي العباسيين قبل سواهم ، لأن بتعصبهم للموالي وإغداق الأموال عليهم ظهرت طبقة رأسمالية تحكمت في الحياة الاقتصادية، علي حساب الطبقات الكادحة ، فظهرت حركات التدمير والثورة علي النظام القائم في صور وأشكال متعددة ، وبذلك ساعد ضعف الخلافة العباسية وانشغالهم بالقضاء علي الثورات المختلفة في تحقيق مشروعات الطولونيين ، ومساعدتهم في استقلالهم عن الخلافة العباسية بمصر وتوطيد سلطانهم<sup>(68)</sup>.

والحقيقة أنه بقيام دولة بني طولون اتبعوا سياسة اقتصادية ناجحة ، فازدهرت أحوالهم الاقتصادية فترة طويلة ، وكان عهد خمارويه يمثل قمة الرخاء والثروة، ولكن انعكس الأمر بسبب سياسته الاقتصادية المسرفة في أواخر عهده التي أدخلت البلاد في أزمة اقتصادية<sup>(69)</sup> ، وقد ترتب علي ضعف اقتصاد الدولة قلة العناية بالجيش وتسليحه ، وعدم استطاعتهم مواجهة الأزمات بسبب ضعف قوتهم العسكرية ، والأثر الأخطر الناتج عن ضعف الاقتصاد هو التمرد والعصيان من قبل القوات المسلحة، بسبب قلة المال ، وعدم الانتظام في منح العطاء ، فتهاوي ملكهم وانتكست البلاد ، وارتدت إلي طاعة الخليفة العباسي عام 292هـ/905م<sup>(70)</sup> ، لذا كان ضعف الخلافة وانشغالها بالفتن والثورات سبباً في قيام الدولة الطولونية ، فُدر لصحتها<sup>(71)</sup> أن تكون سبباً في القضاء عليها في الوقت الذي تدهور فيه اقتصادها ، وانتشر بها القحط والغلاء المفرط والإفلاس<sup>(72)</sup> .

(67) الكندي : الولاة والقضاة، صص108-109.

(68) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني) ، صص51-52.

(69) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، صص88 ، 99 ، 136 ؛ حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني) ، صص139-140.

(70) ؛ حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني) ، صص139-140.

(71) تمكنت الدولة العباسية من اجتياز حالة الفوضى السياسية والعسكرية التي عاشتها فترة 247-256هـ/861-869م وأثبتت أنها لا تزال تنطوي علي حيوية وقوة كاملة منذ عهد المعتمد علي الله 256هـ/869م حيث ساد عهده الهدوء والاستقرار . انظر : مني لطف زياب : خلافة المقتدر بالله 295-320هـ) ، دراسة في النواحي السياسية والإدارية ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2003 م ، ص4.

(72) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967م ، ج10 ، صص118-119 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، صص140-139 ؛ حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية (العصر الطولوني) ، صص128





كما كان استقلال الدولة الإخشيدية عن الخلافة العباسية بمصر من أجل تحقيق الإصلاح الاقتصادي ، والقضاء علي الفوضى الاقتصادية التي خلقها عمال الخراج ، والفتن الداخلية العنيفة التي استمرت بعد عودتها لتبعية الخلافة العباسية 292هـ / 905م ، فبالرغم من تلك الصحوه التي عاشتها الخلافة، إلا أنه سرعان ما انشغلت بالحروب والفتن الناتجة عن الثورات الاقتصادية، واستمرت الاضطرابات بها حتي تولي مصر محمد بن طغج الإخشيدي<sup>(73)</sup> ( 323-334هـ/935-946م) الذي أسس الدولة الإخشيدية ، فهدأت اضطرابات مصر الاقتصادية وازدهرت أمورها<sup>(74)</sup>.

وكذلك كان قيام الخلافة الفاطمية بمصر(358-567هـ/968-1171م) نتيجة الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها الدولة الإخشيدية ، وانتشار الفتن والثورات واستمرارها، مما دفع أعيان البلاد الذين تمردوا علي هذه الأزمات إلي دعوة الفاطميين إلي مصر ، حيث تعرضت الدولة الإخشيدية لفتنات من الوباء والقحط وغلاء الأسعار، كان آخرها وأعظمها وباء عام 352هـ/963م الذي استمر تسع سنوات متتالية ، فاضطربت البلاد وكثرت الفتن، وُهببت الضياع ، وثار الناس بسبب الأسعار<sup>(75)</sup> ، وتمادي هذا الوباء خلال عهد كافور( 355-357هـ/966-968م ) وحدثت حروب كثيرة بين الجند قتل فيها خلق كثير، واختلف الجيش ، فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبدالله بن طغج وهو يومئذ بالرملة<sup>(76)</sup>، وكاتب الكثير من أعيان المصريين المعز لدين الله الفاطمي ببلاد المغرب<sup>(77)</sup> (342-364هـ/953-975م)، حتي دخل جوهر الصقلي(ت381هـ/991م)<sup>(78)</sup> مصر وقامت الخلافة الفاطمية في مصر 358هـ / 968م بدون قتال<sup>(79)</sup>، والتي استقلت فيه مصر استقلالاً تاماً عن الخلافة السنية ببغداد<sup>(80)</sup> .

<sup>(73)</sup> محمد بن طغج الإخشيدي : أبو بكر محمد بن طغج بن جف ، الملقب بالإخشيدي، مؤسس الدولة الإخشيدية بمصر والشام، تركي الأصل، مستعرب من أبناء المماليك، ولد ونشأ ببغداد، وأظهر كفاءته ، فتدرج في الأعمال إلى أن ولي إمرة الديار المصرية واستقر بها سنة 323 هـ / 935م بعد حروب وفتن ، وتوفي بدمشق ودفن في بيت المقدس. وكانت عدة جيوشه أربعمائة ألف، وموكبه بضاهي موكب الخلافة . انظر : الزركلي : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002م ، ج 6 ، ص 143-174.

<sup>(74)</sup> انظر : الكندي : الولاة والقضاة ، صص 281-286 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 3 ، صص 242-251 ؛ حسين نصار : الثورات الشعبية في مصر الإسلامية ، صص 56-57.

<sup>(75)</sup> المقرئزي : إغاثة الأمة ، صص 87-88.

<sup>(76)</sup> الرملة : مدينة عظيم بفسطين وكانت رباطاً للمسلمين . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977م ، ج 3 ، ص 69.

<sup>(77)</sup> المعز لدين الله الفاطمي : رابع الخلفاء الفاطميين في إفريقية وأول الخلفاء الفاطميين في مصر ، أرسل قائد جيشه جوهر الصقلي للاستيلاء على مصر من العباسيين ، فدخلها وأسس مدينة القاهرة بالقرب من الفسطاط. انظر : محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دت ، صص 64-66 .

<sup>(78)</sup> جوهر الصقلي: أبى الحسين جوهر بن عبد الله، ويعرف أيضاً باسم جوهر الرومي ، قائد الحاكم المعز لدين الله، وهو أهم وأشهر قادة العصر الفاطمي ، فهو مؤسس مدينة القاهرة عام 358هـ / 969م ، و بني الجامع الأزهر ، وهو من أقام سلطان الفاطميين في الشرق ، حيث فتح بلاد المغرب ومصر وفسطين والشام والحجاز، كان مولده بجزيرة بصقلية عام 316هـ/928م / 911م ، وتوفي في القاهرة عام 381هـ/992م . انظر : محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر، صص 65-66 ؛ للمزيد علي ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963م.

<sup>(79)</sup> المقرئزي : إغاثة الأمة ، صص 88 ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ج 1 ، ق 1 ، ص 184 .

<sup>(80)</sup> ويمكن القول أنه كان لضعف الخلافة العباسية دور كبير في نشأة الدويلات المستقلة بمصر ، كما كان له دور في نشأة واستمرار الدولة الفاطمية 270 سنة ، وما كاد له أن يستمر لولا ضعف الخلفاء العباسيين ، واتخذت طابعاً خاصاً واستقلالاً روحي وسياسي عن الخلافة العباسية حيث أن الفاطميين قد سيطروا علي المغرب (296-365هـ/909-975م) ، ومصر (358-567هـ / 969-1171م) ، واليمن . انظر : محمود شاكر : موسوعة التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية ، ج 6 ، المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة، 2000 ، صص 22-23 ؛ ياسر طالب



ويتضح من خلال العرض السابق أنه كان للعامل الاقتصادي دوراً كبيراً في قيام واستمرار الدول، والحفاظ علي كيانها وقوتها العسكرية ، حيث أن قوة الدولة الأموية التي اعتمد عليها معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م ) في حكمه كانت متمثلة في وفرة المال والجند، وكما اتضح أيضاً اعتمد ظهور العباسيين وقيام دولتهم عام 132هـ /749م علي دعوتهم بتحقيق الإصلاح الاقتصادي التي فقدته الدولة الأموية أواخر عهدها.

وكانت الخطوات الأولى لقيام كلاً من الدولتين الطولونية والإخشيديية بعد الاضطراب المالي الذي أصاب الخلافة العباسية في مصر هو القيام علي النهوض بالاقتصاد ، وبناء جيشاً قوياً ، ليكون عدتهم في إتمام الاستقلال والدفاع عنه. كما كان السبب المباشر الذي ساعد علي قيام الخلافة الفاطمية في مصر عام 358هـ /968م، هو إنقاذ البلاد من الأزمة الاقتصادية الحقيقية التي تعرضت لها مصر خلال عهد الإخشيديين بسبب فيضان النيل ، لذا عملت الدولة الفاطمية علي تحقيق نهضة اقتصادية في مصر ، فتمتعت برخاء اقتصادي ، ونشاط تجاري قوي، بالرغم مما أصابها من ضعف في عهدها الثاني.

الخزاعلة : موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين (123-362هـ/740-973م) ، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2008م ، صص183-184.



• خاتمة بأهم نتائج البحث :

رصد البحث الثورات الناتجة عن التحولات الاقتصادية المختلفة ، وتبين أنه كان للثورات بمفاهيمها المختلفة من التمردات والاحتجاجات والانقلابات ، والناتجة عن التحولات الاقتصادية المختلفة أو ما يعرف بالتغير الطبقي ، والانتقال بالوضع الاقتصادي من حال إلي حال ، سواء ذلك التحول الذي يؤثر علي طبقة العامة من تدني وسوء مستوى المعيشة ، أو تكوين الثروة وظهور الطبقات الرأسمالية علي حساب الطبقات الفقيرة دوراً في إحداث تغييرات جذرية في المجتمع المصري ، فمن جانب كانت كثرة الثورات والتمردات تساهم في ضعف وإرهاق الدولة خاصة في طريقة التعامل معها ، وعلي صعيد آخر فإن استمرار الضعف والأزمات الاقتصادية، ينتج عنها نوع آخر من الثورات ، إذ تتحول مطالب فئات الشعب المختلفة إلي القضاء علي النظام بأكمله بعد إدراكهم أنه لم يعد بإمكانهم تحقيق متطلباتهم في ظل النظام القائم ، ويتحقق ذلك بمساعدة نظم ودول أخرى ، أو دعوتهم للوصول إلي الحكم ، ويثبت من خلال ذلك أن القوة الاقتصادية لها دور في قيام واستقرار أي دولة بل وفرض سيطرتها واتساع نطاقها ، وفي المقابل فإن للضعف الاقتصادي دور جلل في ضعف أو انهيار الدول ، مما يثبت العلاقة الفعلية بين الحكم والثروة أو العلاقة بين السلطة والقوة الاقتصادية .



## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر العربية :

- ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت931هـ/1525م).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، 1984 .
- ابن تغري بردي : جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت874هـ/1469م).
- النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، 1963م.
- ابن خلدون : ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م).
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الله محمد الدراويش ، دار العرب ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2004م.
- ابن خلكان : أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ/1282م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق يوسف علي طويل ، ومريم قاسم طويل ، در الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م.
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/134م).
- سير أعلام النبلاء ، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 2001م.
- الزركلي :خير الدين بن محمود بن محمد بن علي(1396هـ/1976م) .
- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ، 2002م.
- السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ/1505م).
- تاريخ الخلفاء ، تحقيق حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار ، الطبعة الأولى ، 2004 م.
- الطبري : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م) .
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967م.
- ابن العديم : عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت: 660هـ/1262م)
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، د.ت .
- ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت نحو 695هـ /1296م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج. س كولان ، ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1983 م.
- القلقشندي : أبي العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ/1418م).



- صباح الأعشي في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1914م.
- الكندي : أبو عمر بن يوسف الكندي المصري (ت350هـ/961م) .
- الولاة والقضاة ، تحقيق رفن كست ، مطبعة الآبا اليسوعيين ، بيروت ، 1908م.
- المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية ، اللجنة العربية وإحياء التراث ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، 2004م.
- المقرئزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئزي (ت845هـ/1441م).
- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق كرم حلمي فرحات ، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007م
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت 622هـ/1225م) .
- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977م.

#### ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

- حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية ( العصر الطولوني ) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.
- — : الكندي وكتابه الولاة والقضاة ، الدار المصرية . د.ت.
- حسين نصار : الثورات الشعبية في مصر الإسلامية ، الهيئة العامة لقصور لثقافة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2002م.
- محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .
- حنة أرندت : في الثورة ، ترجمة عطا عبد الوهاب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008م.
- سيدة إسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، سعيد عبدالفتاح عاشور : موسوعة تاريخ مصر عبر العصور ، تاريخ مصر الإسلامية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1993م.
- سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1950م.
- —: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1994م .
- عزمي بشارة : في الثورة والقابلية للثورة ، المركز العربي ، الدوحة ، 2011م .



- عطية القوسي : تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتي الفتح العثماني (20-922هـ/641-1517م ) ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1997م .
- علي ابراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1963م .
- فالتر هنتيس : المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسيلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، 1955م .
- محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1990م
- محمود شاكر : موسوعة التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية ، المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة ، 2000م .

#### ثالثاً : الرسائل العلمية :

- مرفت عثمان حسن علي : الأزمات الاقتصادية وتأثيرها علي النواحي المادية والحضارية بمصر في العصرين الأيوبي والمملوكي البحري في ضوء الآثار الإسلامية " دراسة أثرية حضارية " ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآثار ، 2005م .
- مني لطفي زياب : خلافة المقتدر بالله ( 295-320هـ ) ، دراسة في النواحي السياسية والإدارية ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2003 م .
- نعيمة سالم عاشور المصراي ، الدولة الطولونية في مصر والشام (254-292هـ/867-904م) ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة قاربونس ، 2010 .
- ياسر طالب الخزاعلة : موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين (123-362هـ/740-973م) ، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2008م .

#### رابعاً : الدوريات والأبحاث :

- عبد العزيز الدوري : نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ، دار الاجتهاد ، بيروت ، العدد 1 ، 1988م . الصفحات 243-267 .
- الفضل شلق : الخراج والإقطاع والدولة : دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ، دار الاجتهاد ، بيروت ، العدد 1 ، 1988م ، الصفحات 115-138 .



## تبلور الفكر التحرري في إفريقيا وآسيا وبداية تراجع الاستعمار التقليدي الأوروبي خلال القرن العشرين - كينيا والهند نموذجا

د/ كركب عبد الحق

جامعة تيارت - الجزائر

### ■ الملخص باللغة العربية:

عرفت القارة الأوروبية بين القرنين 17م و19م تحولات عميقة في الفكر والسياسة والاقتصاد جنت ثمارها الشعوب الأوروبية، في حين انعكست سلبا على شعوب إفريقيا آسيا من خلال ظاهرة الاستعمار، وما إن تمكن الاستعمار الأوروبي من السيطرة على شعوب قارتي إفريقيا وآسيا وتكريس سياسته الاستعمارية، حتى كان لهذه الشعوب رد فعل تمثل في المقاومة والرفض لهذه السياسة بإتباع أسلوب الكفاح المسلح، أو النضال السياسي، أو الجمع بينهما،

فالكفاح التحرري ظاهرة سياسية وعسكرية، وهي كل الأشكال التي يأخذها نضال الشعوب المستعمرة، بمعنى رد الفعل الوطني الذي قامت به الشعوب وجعل حركة التحرر تتكيف مع طبيعة المستعمر فأخذت بعضها مميزات خاصة، فمنها ما اتسم بالعنف والشراسة والتضحيات الكبيرة والزمن الطويل، ومنها ما اتسم بالسلمية أو العنف الإيجابي، ضد الوجود الاستعماري فهي وسيلة حركات التحرير الوطني من أجل الاستقلال و استعادة السيادة وتحرير أراضيها و تحقيق تقرير مصيرها. وقد ظهرت فكرة التحرر وتبلورت عند مجتمعات العالم الثالث منذ مطلع القرن العشرين، بفضل عوامل داخلية وخارجية، تأثرت بها وتفاوتت من بلد لآخر أدت إلى تزايد حدة الوعي الوطني والقومي وانتشاره بشكل واسع في أوساط شعوب المستعمرات، فإن تصاعد الموجة التحررية وتناميها وتوسعها ساهمت فيه الحرب العالمية الثانية وكانت دافعا لها نحو الأمام، والتي أفرزت وضعا ومناخا دوليين، كان لهما تأثير على الشعوب المستعمرة.

ومن أقطاب حركات التحرر في إفريقيا وآسيا الذين ناضلوا من أجل تحرير شعوبهم ودافعوا عن قداسة أوطانهم وكانوا بحق أبرز العناصر الممثلة للنخبة في العالم الثالث ورمزا للحركات الوطنية كثر وقالوا إن الحرية لا يمكن أن تمنح أبدا لأي بلد مستعمر على طبق من فضة بل لا بد للحصول



عليها من صراعات مريرة وممتينة، وهذا ما تحقق لها وتمكنت في نهاية المطاف من بلوغ ما قامت من أجله، وأكثر من ذلك فإنها أفرزت واقعا آخر له وزن في العلاقات الدولية الجديدة. وقد أدرجت في دراستي نموذجين حول حركات التحرر الأولى دولة كينيا في إفريقيا، والثانية دولة الهند في آسيا وكلاهما ضد السيطرة البريطانية، فكانت الأولى عن طريق الثورة المسلحة حيث رد الشعب الكيني بعدة مقاومات وثورات قادها زعماء وطنيون أبرزهم 'جومو كينياتا' من خلال منظمة "الما ماو" واضطرت في الأخير بريطانيا للتفاوض والاعتراف باستقلال كينيا عام 1963، أما في الهند فحققت الانتصار على الامبريالية البريطانية بواسطة سياسة اللاعنفا أي بالضغط المعنوي بالطرق السلمية ونالت استقلالها عام 1947.

إذن، كانت ردود فعل شعوب المستعمرات في القارتين ضد الاستعمار واحدة، تمثلت في الكفاح المسلح والنضال المستمر ورفض الوجود الاستعماري والعمل على رحيله من بلدانها وتحقيق في الأخير الاستقلال الوطني الشامل.

#### ■ الكلمات المفتاحية باللغة العربية:

تبلور الفكر التحرري ؛ رد الفعل الوطني ؛ القومية الإفريقية ؛ مناهضة الاستعمار وتصفيته ؛ تراجع الاستعمار الأوروبي التقليدي؛ كينيا والهند





## توطئة:

منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض إفريقيا وآسيا بادرت شعوبها إلى رد العدوان من خلال مقاومات أخذت أشكالاً مختلفة تمثلت في الكفاح المسلح والنضال المستمر بالإضافة إلى النشاط السياسي والدبلوماسي للتعريف بقضاياها العادلة في إطار كفاح تحرري ضد الوجود الاستعماري وممارساته المختلفة مما أسهم في تراجع وتصفية الاستعمار التقليدي وتحقيق الاستقلال الوطني.

وما إن تمكن الاستعمار الأوروبي من السيطرة على شعوب قارتي إفريقيا وآسيا وتكريس سياسته الاستعمارية، حتى كان لهذه الشعوب رد فعل تمثل في المقاومة والرفض لهذه السياسة بإتباع أسلوب الكفاح المسلح، أو النضال السياسي، أو الجمع بينهما، كما تأثرت شعوبها بعوامل مختلفة فتعزز لها الاتجاه الاستقلالي ومنه إلى استعادة حقوق شعوبها في الحياة والحرية والاستقلال، فكيف تم ذلك؟ وماهي الظروف والعوامل التي ساعدت على ظهور وتصاعد موجة التحرر والمد التحرري الإفريقي والآسيوي؟ وفيما تمثلت نتائج الكفاح التحرري؟.

كل هذه الإستفهامات سأميط الستار عنها والإجابة عنها، بعدما أستعرض بالشرح الوافر من خلال هذه الدراسة كلما تقدمنا في الموضوع.  
**أولاً: الكفاح الوطني لدى شعوب المستعمرات والتطورات الدولية:**

منذ بداية الغزو الاستعماري الأوروبي وقفت الشعوب الأفريقية بكل طاقاتها ضد الغزاة، لكن هذه الوقفة اتسمت في بدايتها بالطابع القبلي غير المنظم وكان قادتها رؤساء القبائل والزعماء المحليون وأهدافها محددة تمثلت في الدفاع عن أرض القبيلة ومصالحها، وغالبا ما كانت هذه المقاومة على شكل هبات لمقاومة حالة من حالات الاضطهاد والاستغلال، ولم يكن بمقدورها مواصلة المقاومة لفترة طويلة بسبب الشراسة والوحشية التي قوبلت بها من قبل الدولة الاستعمارية الذي كبدت المستعمرين خسائر ملحوظة في الأرواح والمعدات.

حدث تطور في المقاومة الأفريقية نتيجة لنمو الوعي الثقافي والسياسي لدى شعوبها، وهناك العديد من العوامل التي أسهمت في نمو هذا الوعي وتطوره يعود إلى حركات وطنية منظمة وفعالة. (1)  
كانت الأوضاع التي وجد مختلف الوطنيين الإفريقيين أنفسهم فيها خلال سنوات ما بين الحربين في جوهرها متماثلة، و هي الحرمان من الحريات السياسية و الاجتماعية، واستغلال الموارد البشرية والمادية لمصلحة الحكام الأجانب، وعدم وجود المرافق والخدمات التي يمكن أن تسهم في النهوض بالمجتمعات المستعمرة سياسيا و اجتماعيا.



وفي الاتجاه لهذه الأوضاع التي خلقها المستعمرون كانت هناك تطلعات الوطنيين إلى استرداد سيادتهم و استقلالهم المفقودين، وإلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعاتهم حتى يكون للممارسة الحريات المدنية معنى صحيح.

وقد أسفر المؤتمر الدولي الذي عقد تحت رعاية الكومينترن في بروكسل في سنة 1927 عن تشكيل رابطة مناهضة الاستعمار من أجل الاستقلال الوطني ( المعرفة برابطة مناهضة الامبريالية). و قد حضر المؤتمر حوالي 180 مندوبا من أوروبا الغربية و أمريكا الشمالية و الوسطى و الجنوبية و منطقة الكاريبي، و من آسيا و إفريقيا و قد جمع المؤتمر بين الشيوعيين و بين المجموعات الاشتراكية اليسارية مثل حزب العمال المستقل و المثقفين الراديكاليين الاشتراكيين و ممثلين عن الحركات الوطنية في الأراضي الخاضعة للاستعمار.(2)

كان ممثلو إفريقيا يضمنون مصالي الحاج و الحاج علي عبد القادر ( المغرب) و محمد حافظ بيك رمضان و إبراهيم يوسف (مصر) والأمين سنغور ( إفريقيا الغربية الفرنسية) وجومو كينيانا (كينيا). و في مقابل جميع هذه القوى التي كانت تعمل من أجل النهوض بالوضع الاجتماعي و السياسي للجماعات الخاضعة للاستعمار، انتشرت الأفكار السياسية العنصرية غير التحررية شديدة الرجعية و اشدت تأثيرها، و أصبحت لها مؤسسات في ظل النظم الفاشية و النازية في أوروبا و في ظل نظم البطش الاستبدادية في المستعمرات وبالذات الايطالية منها. و بصفة عامة، ظل الرأسماليون من رجال الصناعة و التجارة في أوروبا ينظرون إلى المستعمرات باعتبارها أملاكا خاصة يجب الاحتفاظ بها بأي ثمن. (3) وبقدر ما عانى الأفارقة من مرارة الاستعمار بقدر ما كانت انتفاضتهم عنيفة و قوية و قد أدركوا في أثناء معركتهم مع الاستعمار أن سلاح التفردة هو أقوى سلاح يطبقهم عدوهم عليهم، و أن الوحدة أقوى صخرة تتحطم عليها قوة المستعمر و أطماعه و قد توالى انتفاضات الشعوب الإفريقية و استمرت حركات التحرر الإفريقي حتى تحررت الشعوب الإفريقية كلها تقريبا و كان تحقيق حلم الوحدة الذي راود الشعوب و الحكومات الإفريقية زمنا طويلا. (4)

وشهدت الفترة ما بين الحربين ظهور الحركات الوطنية بهدف التوعية والتعبئة ضد الهيمنة والإذلال الأجنبي، وذلك بعد فشل المحاولات الأخيرة لمجابهة العدو بالانتفاضات المسلحة كما حدث في الجزائر طيلة الثلثين الأخيرين من القرن التاسع عشر (1830- 1914) ومقاومة سعد زغلول 1919 بمصر، والمهدي في السودان ويوسف العظمة في سوريا ورشيد علي الكيلاني في العراق وعبد الكريم الخطابي في الريف المغربي. (5)



## ثانياً: مظاهر الكفاح الوطني والسياسة الإفريقية والآسيوية

في معظم الحالات تقريبا قاد الحركات الوطنية في العهد الاستعماري الصفوة الجديدة المتعلمة تعليماً غربياً والتي كانت لها أحسن استعداداً لفهم الثقافة والسياسة الأوروبية و بالتالي تصدت بطريقة فعالة على الأنظمة الاستعمارية بذات أسلوبها. وقد تعاونوا أحياناً تعاوناً إيجابياً مع أعضاء الصفوة "التقليدية" بالرغم مما كان يحدث من احتكاكات في علاقتهم. و قد ظهرت ملامح مثل هذا التعاون في ساحل الذهب و في جنوب نيجيريا، و المغرب، و بين الجيكويو في كينيا- وهذا ما سنكتشفه لاحقاً في عنوان نماذج حركات التحرر في إفريقيا. (6)

و كانت الأحزاب السياسية و منظمات الشباب تستخدم كقنوات للتعبير عن تطلعات و مطالب الوطنيين الإفريقيين و عن مظالم محددة. و كانت للأحزاب السياسية فائدة في الأماكن القليلة التي وجدت فيها سلطة تشريعية على النمط الاستعماري.

و قد أدى إدخال التعديلات الدستورية، رغم أنها أقل أهمية، في نيجيريا و ساحل الذهب الواقعتين في إفريقيا الغربية البريطانية، إلى تمهيد الطريق لظهور الأحزاب السياسية و لقيامها بنشاط فعال. فقبل هذه التغييرات الدستورية كان من السهل إحباط ما يقوم به المجلس الوطني لإفريقيا الغربية البريطانية من محاولات. أما بعد ذلك فقد استطاع الحزب الوطني الديمقراطي في نيجيريا، مثلاً، أن يكون له تأثير أكثر انتظاماً على كل من السلطات الاستعمارية و السكان المحليين على حد سواء. كذلك قامت الأحزاب السياسية بدور هام في السنغال حيث كان المجلس العام الذي أصبح، بعد سنة 1930، المجلس الاستعماري هو المجال لذلك.

و قد قامت منظمات الشباب الاثنية و جمعيات الخريجين و غيرها بدور عظيم في جميع المستعمرات بصرف النظر عن أوضاعها الدستورية، فقد كانت تعد قوى سياسية و اجتماعية لا يمكن التغاضي عنها لاسيما في المناطق التي لم يكن النشاط السياسي ممكناً فيها بسبب الطبيعة القمعية للحكم الاستعماري. و قد ضمت منظمات الشباب، مؤتمر ساحل الذهب الذي أنشئ في سنة 1929، و حركة شباب لاغوس (نيجيريا فيما بعد)، و رابطة هاري توكو في كينيا. و كانت بعض الحركات الإقليمية الطابع بينما كان بعضها ممتداً عبر الإقليم. (7)

و قد ضمت "نجمة شمال إفريقيا" بزعامة مصالي الحاج، و المؤتمر القومي لإفريقيا الغربية البريطانية، و مؤتمر جنوب إفريقيا و "اتحاد طلاب غرب إفريقيا" و الذي كان يضم أعضاء من مختلف أجزاء إفريقيا الغربية البريطانية.

و قد تنوعت الأسلحة التي استخدمت خلال فترة ما بين الحربين في مهاجمة النظام الاستعماري. فقد قلت إلى أدنى حد التمردات و الانتفاضات التي كثرت في الفترة السابقة. و بدلاً من ذلك بدأ الوطنيون



في استخدام الصحف و الكتب والنشرات و العرائض و هجرات الاحتجاج و الإضراب و المقاطعة و صناديق الاقتراع و المواعظ وفي المساجد كدرع فكري سياسي ضد التواجد الاستعماري. و قد أصبحت الصحف بشكل خاص جهازا حيويا لنشر آراء هذه التنظيمات السياسية والاجتماعية. و كانت النخبة التي كان عددها يتزايد ببطء هي الجمهور و هي السوق التي تدعم عددا متزايدا من الصحف و الدوريات خلال هذه الفترة.

و قد وفرت الصحف الوسيلة للنشر عن النشاط الوطني و المناهض للاستعمار عبر الحدود. و لذلك كانت تشكل مصدرا مستمرا لقلق المسؤولين الإداريين الاستعماريين.

و قد جعل انتشار المذيع فيما بعد التدابير القهرية التي اتبعتها الحكام الاستعماريون لإبعاد مستعمراتهم عن التأثيرات الخارجية أكثر صعوبة و أقل فعالية. (8)

في الختام نشير إلى أن الحرب الإيطالية الإثيوبية التي بدأت في سنة 1935، والاحتلال الإيطالي الذي أعقبها لإثيوبيا، باعتبارها حدثا دوليا رئيسيا زاد من شعور التباعد بين الشعوب الخاضعة للاستعمار، و المتعلمين منهم بالذات، و بين النظم الاستعمارية. و قد أصبحت النبرة التي استخدمتها الفاشية و النازية بشكل عام، الطبيعة العنصرية للاستعمار الأوربي في إفريقيا و قد أصيب أولئك الذين علقوا الآمال على عصبة الأمم بخيبة أمل مؤسفة و تقسر الرغبة في الحفاظ على الكرامة المهذورة للإفريقي، وكان لعودة الأفكار القومية الإفريقية مثل الزنوجة إلى الظهور في ذلك الوقت. و هكذا كان للمنظمات الدولية القدر نفسه من الأهمية في الدفاع عن استقلال إثيوبيا، تلك الدولة التي كانت رمزا لأمل الإفريقي المتعلم في إمكان الحصول على الاستقلال.

و كانت الصحف و الدوريات، سواء المحلية منها أو الأجنبية تسخر، بالطبع، كأداة لنشر الأحاسيس الوطنية المناهضة للاستعمار و لأوروبا. و من أجل الحد من هذا التطور اتخذت تدابير إدارية وتشريعية عديدة ضد وسائل الإعلام الكبرى بما فيها الخدمات الإذاعية التي كانت تنتشر ببطء و قد بدلت جهود من أجل منع توزيع الكتابات و الصحف و الدوريات بل و أجهزة الراديو أو الحد منها حتى لو كان مصدرها بلاد المسؤولين الاستعماريين أنفسهم. وفي كل الحالات تقريبا أخضعت الصحافة المحلية لسيطرة دقيقة عن طريق الرقابة والقوانين الخاصة بالتحريض على الفتنة. وقد اتخذت جميع هذه التدابير بقصد تسهيل مهمة الإدارات الاستعمارية. (9)

في فترة ما بين الحربين، كانت هناك علاقة جدلية بين الاستعمار و النزعة الوطنية الإفريقية و لم تحرز الحركة الوطنية الإفريقية المعادية للاستعمار نجاحات كبيرة في تلك الفترة و لكنها أثارت القلق بين المسؤولين الاستعماريين و تدل على ذلك جميع تدابير القمع التي اتخذت في تلك الفترة. و إن فعلهم تجاه التحديات التي أثارها أمامهم هذا الكفاح تعنى أنهم كانوا يرغبون في عزل إفريقيا عن التيارات العامة



للتطور في العالم و لا يتصف هذا الأمر بعدم الواقعية و التناقض الذاتي فحسب، بل إن هذه المحاولة كانت بمثابة العامل الحافز الذي عجل بالكفاح الوطني الإفريقي و بمعادة الاستعمار ليتخذ أشكالا أعمق و أوسع نطاقا سرعان ما أدت، مقرونة بآثار الحرب العالمية الثانية، إلى التحرك نحو الإطاحة بالنظام الاستعماري. (10)

واجه المستعمرون تحديات جديدة لم يكونوا على استعداد لمواجهةها بعد الحرب العالمية الثانية فقد اشترك أبناء المستعمرات في القتال و اتصلوا بالعالم الخارجي و ارتفعت روحهم المعنوية و زال عنهم مركب النقص لأنهم ما كانوا في درجة أقل من زملائهم البيض في دروب القتال و مواجهة الصعاب و أثناء الحرب في أوت سنة 1941 أصدر روزفلت و تشرشل ميثاق الأطلنطي الذي نص في إحدى بنوده على حق الشعوب في اختيار نوع الحكم الذي يرونه و في شرق إفريقيا حدثت تطورات بدأت قبل الحرب و استمرت أثناءه منها الهجرة المستمرة للعمل في المدن مما زاد في فرص التجمع و المناقشة و قامت النقابات العمالية و الجمعيات الخيرية و الأندية و تشبع معظمهم بالتعاليم المسيحية و الإسلامية كل هذه العوامل فتحت أعينهم أكثر فأكثر لما يمارسه المستوطنون الأوروبيون من تمييز عنصري.

و تضافرت كل هذه الخيوط و تكونت منها كتلة القومية الإفريقية على مبدأ إفريقيا للإفريقيين و بينما كان النزاع قبل الحرب بين مطامع المستوطنين البيض و إصرارهم على الحكم الذاتي لهم و بين السياسية البريطانية التي كانت تهدف للوصاية و الحماية للإفريقيين تبدل الموقف و أصبحت القومية الإفريقية وجها لوجه أمام الاستعمار الذي أصبح حاميا للأقليات الأوروبية و الآسيوية. (11)

رأينا كيف بسطت الدول الأوروبية سلطاتها على مساحات واسعة من غرب القارة الإفريقية مبتدئة بالسواحل و الجزر القريبة منها ثم توغلت في الداخل.

وقد لقيت الدول الاستعمارية منذ أن وطأت أقدامها أرض القارة الإفريقية، مقاومة عنيفة من الوطنيين دفاعا عن حريتهم و عن حقوقهم في استغلال ثرواتهم و الاستفادة منها، بالإضافة لحقهم الطبيعي في العيش الآمن الحر في بلادهم.

لكن تغلبت أسلحة الدول الأوروبية الحديثة على أسلحة الأفارقة البدائية، و استطاع المستعمرون أن يخضعوا كل مقاومة وطنية و قفت في وجه تحقيق أطماعهم الاستعمارية، ومع ذلك فقد ساعدت عوامل متعددة على نمو الوعي القومي بين الأفارقة فهبوا من جديد يطالبون بحقوقهم الطبيعية في بلادهم، - كما سيأتي معنا في العنوان الموالي- . هذه المرحلة تبلورت فيها القومية الإفريقية و أصبحت عاملا رئيسيا في تطور الأحداث التي أدت إلى نهايتها إلى الحرية والاستقلال. (12)

ويلاحظ بالنسبة للبلدان العربية الآسيوية أنها وبسبب خيبة الأمل في دولة الخلافة العثمانية التي قسمتها بريطانيا وفرنسا، وبسبب السياسات الاستعمارية التي عملت على تمزيق وحدة هذه البلدان



العربية رأت نفسها مضطرة إلى اعتناق المذهب الأوروبي الحديث القائم على فكرة القومية أي استقلال وسيادة كل دولة على حدة. ولهذا لجأ العرب إلى تحقيق هذا الهدف من خلال الحركات الوطنية والثورية ضد الوجود الاستعماري والتي حدثت تقريبا في جميع أنحاء الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه. ومن أمثلة ذلك ثورتا 1919 و 1952 في مصر وثورة 1924 في السودان إضافة لثورات سوريا ولبنان والعراق وفلسطين ودول الخليج (ومها عدن) والجنوب العربي. (13)

### **ثالثا: العوامل التي ساعدت على نمو وتصاعد المد التحرري وتحرير المستعمرات في إفريقيا وآسيا**

بدأت فكرة التحرر تظهر لدى مجتمعات العالم الثالث خلال القرن العشرين في كل من إفريقيا وآسيا العربية بفضل عدة عوامل داخلية وخارجية اختلفت تأثيراتها وتفاوتت من دولة إلى أخرى بحسب موقعها الجغرافي ووضعها الاجتماعي والاقتصادي ورصيدها التاريخي (14)، وإن مفهوم الحركة التحررية بمفهومها الشامل نعني به رد الفعل النضالي الوطني من شعوب المستعمرات ضد السيطرة الأجنبية الأوروبية بطريقة مباشرة أو بواسطة أنظمة عميلة مرتبطة بالاستعمار، ظهرت هذه الحركة في إفريقيا وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية، وهو عمل إرادي وحق إنساني طبيعي أصبحت تكفله المواثيق والقوانين الدولية-كما سيأتي معنا لاحقا- يهدف إلى استعادة السيادة بجميع مضامينها ومظاهرها، ومن أهم عوامل اليقظة السياسية والتحرر الوطني نذكر:

1. الوجود الاستعماري وأثره السيئ وممارساته المختلفة: أي السياسة الاستعمارية تجاه شعوب المستعمرات ومعاناة الأفارقة والآسيويين نتيجة السياسة الاستغلالية للشركات والحكومات الاستعمارية. (15)

2. البعثات التبشيرية: بالرغم من السلبيات الكثيرة التي رافقت نشاط هذه البعثات، واقتصار أهدافها على تعليم الأفارقة تعليما يكفي لأن يجعل منهم خدما للدول الاستعمارية وكتبة في البيوت التجارية الاستغلالية، إلا أنها مع ذلك أسهمت بدون قصد في بث الوعي الثقافي بين الأفارقة حيث تعلمت فئة منهم اللغات الأوروبية المختلفة أمثال الانكليزية والفرنسية والبرتغالية وغيرها، وعن طريق هذه اللغات اطلعوا على الفكر الإنساني والحضارة الأوروبية، واستطاع عدد من خريجي المدارس التبشيرية إكمال دراستهم في الجامعات الأوروبية فتعرفوا على أفكار الحرية والعدالة والمساواة ومبادئ الثورة الفرنسية والفكر التقدمي الحر الذي ظهر في أوروبا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وما تضمنه من دعوة إلى الديمقراطية وحق تقرير المصير وحقوقي الإنسان، وعندما عادوا إلى أوطانهم أصبحوا عماد الحركة الوطنية فيها. (16) على شاكلة بيريري في تنزانيا ونكروما في غانا وجومو كينياتا في كينيا-كما سيقدم معنا في اخر الدراسة- وغيرهم فقد ساهموا في تنوير شعوبهم ووعيهم وترعّمهم للحركات التحررية. (17)



3. انتشار الحركات القومية: في أوروبا و انتقال هذه الأفكار للقارة الإفريقية نتيجة الاحتكاك بين الأوربيين و الأفارقة.
4. المؤتمرات الدولية: التي عقدت بعد الحروب الأوروبية (الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية) خاصة تلك التي عقدها زعماء إفريقيا، و آسيا و بحثوا فيها المصالح و الأهداف المشتركة التي تربط بين الشعوب و دول القارتين. (18)
5. ضعف الدول الاستعمارية و انكسارها: حيث تدهور وضع الدول الاستعمارية الأوروبية و خاصة الدول التقليدية فرنسا وبريطانيا واهتزاز مكانتها بعد الحرب العالمية الثانية، بفعل دمار الحرب الثانية من جهة، وانتقالها من الهيمنة والزعامة إلى عالم التبعية والخضوع(و.م أ) على مختلف الأصعدة، حيث انهار اقتصاد أوروبا، وتراجع وزنها السياسي والعسكري والاقتصادي. (19)
6. ظهور منظمة الأمم المتحدة 1945: المدعّمة حسب ميثاقها وأهدافها لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وحرّيتها وسيادتها، وإدانة وتجريم الاستعمار مهما كان شكله ودوافعه.
7. مبادئ ولسن: بتاريخ يناير 1918 المتضمن لمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها وكذلك مواقفه المعارضة للاستعمار والمناهضة لحب التسلط وتسلمه لعرائض ومذكرات عديدة جاءت من قبل الأحزاب العاملة في سبيل تحرير الشعوب كحزب تونس الفتاة وحزب الأمير خالد، وتشجيعه للحركة القومية العربية بالشام على الوقوف ضد النوايا الاستعمارية التي كانت للانجليز والفرنسيين في المنطقة. (20)
8. تنكر الدول الاستعمارية للتضحيات والوعود الكاذبة والغامضة: التي أعطتها للشعوب المستعمرات، بالاستجابة لمطالبها عند نهاية الحرب، نظير إقحامها فيها (شارك 134000 جندي جزائري في الحرب العالمية الثانية إلى جانب فرنسا بقوة وإغراء بالحرية مستقبلا، وفي نهاية المطاف خيبة أمل الجزائريين والعرب، حيث أصبحت تلك الوعود مجرد أحلام وأوهام).
9. تأثير الحرب العالمية الأولى والثانية: بمشاركة شباب المستعمرات في الحرب كمجندين ومحاربين أكسبتهم خبرة ومراسا في استعمال السلاح ووضع الخطط العسكرية، واحتكاكهم مع المجندين من الشعوب الأخرى التي تعاني من الاضطهاد الاستعماري من جهة، أو كعمال في المصانع والمعامل واضطلاعهم على الواقع الأوروبي وعلى حقيقة الحرب التي خاضها بدون هواده من يدعون حمايتهم لمبادئ الإنسانية من جهة ثانية، وإدراكهم أنهم يقاتلون في سبيل المصالح الاستعمارية وليس المصالح الوطنية. (21)
10. انتشار المد الاستقلالي: المساهم في انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية وتأثير مبادئ الثورة الفرنسية (الأخوة- العدالة - المساواة) في انتشار الفكر القومي في أوروبا والعالم.



11. تعاضم قوة المعسكر الشرقي الشيوعي ومساندته لحركات التحرر: كان لانعكاس الأفكار الشيوعية تأثيره ولو بشكل محدود خاصة بعد نجاح الثورة الروسية (البلشفية) عام 1917 إلى ظهور "مبدأ جدانوف" السوفياتي سمح هذا بقوة موازية وداعمة للحركات التحررية ضد القوى الامبريالية الرأسمالية وذلك من باب "عدو العدو صديق" وطمعا كذلك في النفوذ فيها أيضا.

12. وصول بعض المفكرين من الإفريقيين لمستوى ثقافي كبير: فتح عيونهم إلى حقيقة الأوضاع في بلادهم من أمثال مصالي الحاج (الجزائر) ونكروما (غانا)، وجورج بادمون (جزر الانتيل) أزيكيوي (نيجيريا) نيريري (تنزانيا) وجومو كينياتا (كينيا)، وغيرهم الكثير، فهؤلاء عقدوا مؤتمرات بين الحريين العالميتين وناهضوا الاستعمار ودعموا لمبدأ تقرير المصير، واتقوا على تشكيل أحزاب للشروع في الكفاح التحرري، وساهموا في تنوير شعوبهم ووعيهم، وترجمهم للحركات التحررية. (22)

13. الغزو الياباني وتوسعه في شرق وجنوب شرق آسيا: لا ينبغي أن نتكلم عن تحرير آسيا دون أن ننكر دورا مهما لليابان فقد اكتسح الغزو الياباني جنوب شرق آسيا في أثناء الحرب العالمية الثانية اكتساحا كبيرا حطم نهائيا قداسة القوة الاستعمارية الغربية، وكان له تأثير صاعق على أسطورة سيادة الرجل الأبيض الذي رآه كل الآسيويين مهزوما مدحورا على أيدي آسيويين مثلهم، ومن هنا بدأ التحرر وبعده الحافز على العمل للقضاء على الاستعمار الأوروبي. (23)

14. تنامي وظهور روح التضامن الإفريقي الآسيوي: والتي ظهرت في مؤتمر باندونغ، انعقد هذا المؤتمر في باندونغ بأندونيسيا (24) ما بين 18 و 24 أبريل سنة 1955، و ذلك لبحث الأهداف المشتركة بين الدول التي حضرته و التي بلغ عددها 29 دولة افريقية و آسيوية(25)، أما الدول الغربية فقد استبعدت كليا عنه وإن كانت قد مثلت بمندوبين غير رسميين. و قد شدد المؤتمر بنوع خاص على التضامن و على ضرورة الاتحاد بين آسيا الجديدة و إفريقيا الجديدة و على التخلص من الاستعمار مهما كانت أنواعه و أشكاله، وهذا ما عبر عنه الرئيس الاندونيسي سوكارنو، بقوله: "كيف لنا أن ندعي أن الاستعمار لفظ أنفاسه طالما أن أقطارا واسعة في آسيا و إفريقيا لم يتم تحريرها بعد و لم تتل استقلالها". و قد شجب أعضاء المؤتمر بالإجماع الاستعمار و السياسات الداعية إلى التفرقة و التمييز العنصري(26). ففي باندونغ تبلورت آسيا الفتية وإفريقيا الناهضة وأظهرتا للعالم ملامحهما المتميزة ملامحهما الحضارية الإنسانية العريقة. (27)

بذلك كان مؤتمر باندونغ حدثا من أعظم حوادث ما بعد الحرب، و لحظة حاسمة لأكثر من نصف سكان البشرية ففيه استطاع تسعة و عشرون من البلدان الحديثة العهد بالحرية أو لم تتحرر بعد الوصايا الأجنبية أن تسمع صوتها لأول مرة و تلقى نداء مؤتمرا للتعاون الدولي و تطالب بأسعار المواد الأولية التي





تعتبر المجهز الأساسي لها، بينما الدول الصناعية تجني أرباحها و كل هذه المبادئ جرى توضيحها و إبرازها بشكل أقوى في المؤتمرات اللاحقة و التي عرفت بمؤتمرات عدم الانحياز. (28)

تلك هي العوامل التي دفعت بالحركات الوطنية إلى مناهضة الاستعمار والمطالبة بالاستقلال ورفض الإيديولوجية الاستعمارية التي كانت ترى في ظاهرة الاحتلال حقا من حقوق الدول الأوروبية يقره لها تقدمها العلمي وتطورها الاقتصادي وتفوقها العسكري وتبرره الغايات التي كان يرمي إليها. (29)

و قد ترتب على هذه العوامل كلها أن قامت الثورات في مختلف الدول المستعمرة في القارة و هبت شعوبها تناضل في سبيل الحرية و الاستقلال.

وفي عام 1959 وصل عدد الدول الإفريقية المستقلة عشر دول منها عدد من دول شمال إفريقيا وغربها و هذه الدول المستقلة هي : مصر، أثيوبيا، وجنوب إفريقيا التي استقلت عن بريطانيا، لكن تسلمت زمام الحكم فيها أغلبية عنصرية من المستوطنين البيض، وكان عام إفريقيا بحق فقد تحررت الدول الإفريقية الآتية:

تشاد، و النيجر، و مالي، و موريتانيا، و الكمرون، و نيجيريا، و توغو، و داهومي (البنين)، و ساحل العاج (كوديفوار)، و السنغال، و الكونغو (زائير)، و الكونغو (برازافيل)، و الغابون، و الصومال (صوماليا) و إفريقيا الوسطى، و لقد فقدت فرنسا الإستعمارية سمعتها القديمة أمام عجزها في قهر الثورة الجزائرية، وبذلك زالت بصفة نهائية تلك الرهبة التي كانت الشعوب الإفريقية تشعر بها، وأصبح طريق الحرية مفتوحا أمامها. وهكذا قامت تطالب باستقلالها التام، مستغلة مشاكل فرنسا في الجزائر للحصول على حريتها. وقد اضطرت فرنسا أن تسلم باستقلالها بالجملة. وكانت فرنسا تظن وتتصور، أن التخلص من مشاكل مستعمراتها الأخرى في إفريقيا يتيح لها الفرصة والقوة، لكي تطعن ثورة الجزائر وتقضي عليها وعلى خطرها. ولكن ثورة الجزائر كانت ((مسمار جحا)) في جسمها الهرم. وجاءت الفائدة مزدوجة، فتحررت إفريقيا كلها من جبروت الاستعمار الفرنسي، والبريطاني، والبلجيكي، وتحررت الجزائر بعدها، وكانت خير رائد لقافلة التحرر الإفريقية. (30)

أصبحت الثورة الجزائرية عاملا أساسيا لوحدة الشعوب الإفريقية، لقد حملت المشعل، مشعل مناوأة الاستعمار بالوسيلة نفسها التي اتبعتها عدو إفريقيا كافة. حيث عبرت الثورة الجزائرية عن ضمير كل الأفارقة، الذين ذاقوا من ويلات الظلم والاستغلال عقودا طويلة، ووجدوا في أسلوبها الثوري التعبير الحقيقي عن آمالهم التي راودتهم طوال التواجد الاستعماري. (31)

فقد تحملت الثورة الجزائرية شرف هذه الرسالة التاريخية الكبرى رسالة تحرير القارة الإفريقية وتحطيم النظام الاستعماري العالمي ويكون بذلك شهداء الحرية في الجزائر هم الشهداء حرية إفريقيا وحرية الإنسانية جمعاء. (32)



و لم تلبث القوى الاستعمارية القائمة على أرض القارة أن أجبرت على التسليم للقوى الوطنية، على أن الدول الإفريقية التي حصلت على استقلالها وجدت نفسها أمام مشكلات متعددة مترسبة من عصر الاستعمار الطويل و أساليبه. (33)

#### رابعاً: رد الفعل النضالي الوطني للشعوب المستعمرة في إفريقيا وآسيا

عبر أحداث التاريخ والعلاقات الإنسانية هناك جدلية بين الاحتلال والتحرر (34) بحيث لا يمكن أن يكون هناك احتلال بدون مقاومة ولا هذه بدون احتلال، نعم قد يتخذ الاحتلال أشكالاً مختلفة ولكنه يظل احتلالاً وسيطرة على الآخر، فيؤدي ذلك إلى التحدي وردود الفعل وهو ما نسميه المقاومة، والمقاومة قد تكون عنيفة عنف الاحتلال وقد تكون ضعيفة كالتحدي النفسي أو الموقف السلبي، ولكنها تظل مقاومة كامنة ومكتومة، في انتظار لحظة الانفجار وفرصة الضرب بقوة وعنفة، وعندئذ ترفع المقاومة شعار التحرر من عبودية المحتل الغاشم. إن هذه الجدلية بين الاحتلال والتحرر هي التي تسمى في أدبياتنا الإسلامية بالتدافع، ودفاع الناس بعضهم بعضاً، وتداول الأيام بين الناس. (35)

إن شراسة الاستعمار التي عرفتها شعوب قارة آسيا هي نفس الشراسة التي عرفتها شعوب إفريقيا، ولهذا كانت ردود فعل شعوب المستعمرات في القارتين ضد الاستعمار واحدة، تمثلت في الكفاح المسلح والنضال المستمر بالإضافة إلى النشاط السياسي والدبلوماسي الذي خاضته هذه الشعوب للتعريف بقضاياها العادلة على مستوى القارة الآسيوية والإفريقية. (36)

أصبحت النزعة القومية، والوطنية منذ أوائل القرن العشرين دافعا قويا لحركات التحرير الوطني وانبعثت الثقافات المحلية التي اشتدت يقظتها الوطنية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فكانت هذه النزعة وراء إحياء لغات هذه الشعوب وتجديدها وعودتها للاهتمام بتراثها القديم الأدبي والفكري والفني والحضاري عموماً ووراء الاهتمام بمعرفة تاريخها وانتماءاتها الأصلية. (37)

إن مشروعية كفاح شعوب المستعمرات قد امتدت في الحقيقة إلى منطقة الشرق الأوسط وغيرها من المناطق التي تشهد كفاح تحريري، وإن إقرار منظمة الأمم المتحدة بمشروعية الكفاح الوطني والقومي من أجل التحرر هو اعتراف من المنظمة بأن النضال ضد الاستعمار والترقوة العنصرية هو نضال مشروع من وجهة نظر ميثاق الأمم المتحدة والتصريحات والقرارات الصادرة عن المنظمة الدولية. (38)

كانت القارة الإفريقية محل أحقر وأبخر المساومات في تاريخ العلاقات الدولية، وبلغت ذروتها في مؤتمر برلين الذي نظمه تقسيمها وتركها لأرخص وأبشع الأطماع ولأنها عاشت مرارة الفقر والجهل والتأخر التي أقحمتها فيها الاستعمار الذي غرس فيها بذور الانقسام، إن لم يخلقها لبسط سيطرته عاشت جراحاً عميقة وأليمة تسبب فيها نظام طال أمده وللحديث عن هذه القارة أن نتذكر بأنها تألمت ألماً شديداً



ورهبيا لمدة طويلة جيدا من استلاب جوهرها الحي من جراء أكثر الممارسات خزيا، والمجازر الجماعية والعبودية والنخاسة، وقد عانت هيمنة واستغلال استعمارين بالغي القسوة. (39)

إن القارة الأفريقية كلها تثور وتثور بالحركات الوطنية، وإذا كان لأفريقيا قاسم مشترك فإنما هو الرغبة الكامنة أو البادية فعلا لدى غالبية الأفارقة تخلص أنفسهم من القهر إن أيام تحكم البيض المطلق وسيطرتهم التي لا ترحم أصبحت معدودة في كل الأحوال في القطاع الأكبر من القارة الإفريقية.

قال 'تريجي لي' أمين سابق للأمم المتحدة: «... إن عهد الرجل الأبيض في آسيا قد انتهى ولم يعد له سوى إفريقيا، وهذه إفريقيا تقيق من سباتها وتطالب بحريتها حتى تلحق بركب الحضارة التي يعمل الاستعمار على تعطيل سيره...». (40)

يقول 'كواما نكروما' في مقاله نشأة حزبي وبرنامج عملي «... أشير إلى أن هناك طريقتين لتحقيق الإنعتاق: تكون الأولى عن طريق الثورة المسلحة وتكون الثانية بالطرق الدستورية والشرعية... أذكر كمثال الانتصار الذي تحقق بالهند على الإمبريالية البريطانية بواسطة الضغط المعنوي لذا فنحن ننادي بالطريقة الثانية. إن الحرية لا يمكن أن تمنح أبدا لأي بلد مستعمر على طبق من فضة بل لا بد للحصول عليها من صراعات مريرة وممتينة...».

إذن شهدت أفريقيا عقب الحرب العالمية الثانية بروز حركة التحرر الوطني بشكل متسارع أرغم الدول الاستعمارية على إعادة النظر في تواجدها في القارة، كما اتسمت هذه الفترة بظهور التنظيمات الحزبية والنقابية الشعبية الأفريقية التي حملت على عاتقها قيادة حركة التحرر في القارة، وكان من أبرز نشاطات تلك التنظيمات الشعبية الدعوة إلى عقد العديد من المؤتمرات بين سنتي 1958 - 1961 هدفت إلى تحرير القارة وشعوبها من الهيمنة الغربية، والتي كانت بمثابة إرهابات لقيام منظمة الوحدة الأفريقية على المستوى الشعبي. (41)



### خامسا: جدول يبين المد التحرري في إفريقيا وآسيا

من نتائج الحركة التحررية نجد استقلال دول كثيرة: (42)

(1955-1945) ← عدد الدول الفائزة باستقلالها 7 دول

(1962-1955) ← عدد الدول الفائزة باستقلالها 28 دولة

(1975-1962) ← عدد الدول الفائزة باستقلالها 18 دولة

مناطق النفوذ الاستعماري	المستعمرات المتحررة وتاريخها
المستعمرات البريطانية في إفريقيا	مصر 1952، السودان 1956، غانا 1957، سيراليون_ تانجانيقا 1961، أوغندا 1962، كينيا 1963، جزيرة موريس 1968، السيشل 1976، زامبيا 1964، زمبابوي 1965 و 1980، الصومال 1960، غامبيا 1965، ليزوتو 1966، ملاوي 1964، نيجيريا 1960، بوتسوانا 1966، جنوب إفريقيا 1910 و 1994.
المستعمرات البريطانية في آسيا	بورما 1948، سيلان 1956، الهند والباكستان 1947 الملايو 1957، سنغافورة 1957، الاردن 1946 العراق 1958، سلطنة عمان 1951، الكويت 1961، اليمن 1967، البحرين 1971، قطر 1971، الامارات العربية المتحدة 1971
المستعمرات الفرنسية في إفريقيا	غينيا 1958، الكونغو برازافيل 1960، مالي_ مدغشقر _ التشاد _ البنين _ النيجر _ بوركينافاسو ساحل العاج _ الطوغو _ الكامرون _ إفريقيا الوسطى _ السنغال _ الغابون _ أوغندا _ موريتانيا 1960 تونس و المغرب 1956 الجزائر 1962، جزر القمر 1975، جيبوتي 1977.
المستعمرات الفرنسية في آسيا	اللاوس وكمبوديا والفيتنام 1954 سوريا ولبنان والأردن 1946.
المستعمرات البرتغالية في إفريقيا	غينيا بيساو 1974، الرأس الأخضر_ أنغولا - ساوتومي وبرانسيب (هي دولة جزرية في خليج غينيا على الساحل الغربي الاستوائي من منطقة وسط أفريقيا) 1975 _ موزنيق 1975.
المستعمرات البلجيكية في إفريقيا	الكونغو الديمقراطية 1960 _ بورندي _ رواندا 1962. (كانت هذه المستعمرات تحت النفوذ الألماني سمؤتمر برلين الثاني - 1884/1885 ولكن بعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة ألمانيا، تنازلت هذه الأخيرة عن الأراضي إلى بلجيكا).
المستعمرات الإيطالية في إفريقيا	ليبيا 1947 عن إيطاليا، و 1951 عن الوصاية البريطانية الفرنسية.
المستعمرات الإسبانية في إفريقيا	غينيا الاستوائية 1968.
المستعمرات الهولندية في آسيا	إندونيسيا 1949.



### سادسا: زعماء حركات التحرر في إفريقيا وآسيا

من أقطاب حركات التحرر في إفريقيا وآسيا الذين ناضلوا من أجل تحرير شعوبهم ودافعوا عن قداسة أوطانهم وكانوا بحق أبرز العناصر الممثلة للنخبة في العالم الثالث ورمزا للحركات الوطنية نذكر أبرزهم:

- حمدان بن عثمان خوجة- مصالي الحاج- عبد الحميد ابن باديس- وفرحات عباس- الأمير خالد- العربي بن مهدي عبد الحفيظ بوصوف وآخرون... (الجزائر)
- علال الفاسي - عبد الكريم الخطابي(المغرب)
- عبد العزيز الثعالبي - الحبيب بورقيبة (تونس)
- عمر المختار (ليبيا)
- أحمد عرابي- سعد زغلول- جمال عبد الناصر(مصر)
- محمد أحمد المدي (السودان)
- رشيد علي الكيلاني(العراق)
- يوسف العظمى(سوريا)
- جواهر لال نهرو - غاندي(الهند)
- محمد علي جناح (باكستان)
- أحمد سوكارنو (أندونيسيا)
- نيلسن مانديلا- غوفان مبيكي(جنوب افريقيا)
- كوامي نكروما (غانا)
- جومو كينيايتا (كينيا)
- أحمد سيكوتوري ( غينيا) (43)
- ليوبولد سيدار سينور (السنغال)
- نامدي ايزكوي (نيجيريا)
- باتريس لومومبا(الكونغو)
- موديبو كيتا (مالي) (44)
- توماس سنكارا (بوركينافاسو)
- جوزيف ديزيريه ما بوتو (أنجولا)
- غابرييل ليزيت(التشاد)
- روبرت موجباي(زمبابوي) (45)



## سابعاً: نماذج من حركات التحرر في إفريقيا وآسيا

### 1. قارة إفريقيا: دولة كينيا ضد الاستعمار البريطاني

تعتبر كينيا مثلاً على الاستعمار في أشجع صورته، لقد أجبرت الإدارة البريطانية الشعب الكيني على ترك أراضيه ثم حشرته حشراً في مناطق محجوزة لا يكفي إنتاجها لدأود من عليها، فضلاً عن نظام ضريبة الرؤوس وهو أحد نظم الضرائب، والهدف من ذلك هو توفير أكبر عدد من الأيدي العاملة الرخيصة لخدمة المزارعين المستعمرين الدخلاء، بالإضافة جانب السخرة التي يفرضها القانون على الأهالي فتحتم عليهم العمل مدة شهرين دون أجر، وقد اضطر الكينيون الذين لم يستطيعوا دفع ضريبة الرؤوس إلى ترك مزارعهم فترة من الزمن وعرض أنفسهم على المزارعين المستعمرين بأجور أقل من سد الكفاف. (46)

بدأ البريطانيون بالاستيطان في كينيا، واستولى المستوطنون على الأراضي الخصبة، وحدثت اصطدامات بين السكان الأصليين من قبائل الماساي (Masai) و الكيكويو (Kikuyu)، وقد استخدمت بريطانيا وسائل العنف لإخماد معارضة أهل البلاد، وعملت على ترحيلهم من أراضيهم الخصبة وتركها للبيض. وهذا ما حدث عامي 1904 و 1911 حينما أجبرت هذه القبائل على ذلك، وإقصاء الأفارقة عن أراضيهم وعزلهم في منطقة خصصت لهم سميت « المعازل الوطنية»، وقد اعتبرت الحكومة البريطانية جميع أراضي كينيا ملكاً للتاج البريطاني، وأصبح للحاكم العام الحق في التصرف بها. وزاد الضغط البريطاني على أهل البلاد خلال الحرب العالمية الأولى وأجبروا على العمل التعسفي الإجباري، فانتشرت المجاعة والأمراض وخراب الأراضي الزراعية.

ونتيجة التطورات التي شهدتها كينيا خلال الحرب العالمية الأولى نمت الحركة الوطنية وظهرت المنظمات السياسية التي تربط نشوؤها بالأرض وأحوال الفلاحين، كما ارتبطت هذه المنظمات بقبائل الكيكويو، وذلك لسببين هما: (47)

- إن قبائل الكيكويو تعد أكبر مجموعة قبلية في كينيا، حيث بلغ تعدادها في عام 1958 بأكثر من مليون ونصف مليون نسمة من مجموع سكان كينيا البالغ 5.9 مليون نسمة.
- انتشرت الثقافة والتعليم بين قبائل الكيكويو أكثر من غيرها بسبب نشاط الجمعيات والروابط المختلفة في هذا المجال، ومنها جمعية مدارس الكيكويو المستقلة، وجمعية الكيكويو للتربية والتعليم، إضافة إلى ما قامت به المؤسسات التبشيرية والكنائس من إنشاء المدارس وتهيئة مستلزماتها.

ظهرت أول منظمة سياسية في كينيا حين كون هنري ثوكو في يونيو 1921 « جمعية شرق أفريقيا » أو « جمعية شباب الكيكويو » (48) وعضويتها مفتوحة أمام جميع أفراد الكيكويو، وسعت إلى الحفاظ على حقوق الأفارقة في أراضيهم، وقد أثار نشاطها السلطات الاستعمارية التي سارعت إلى



إغلاقها في مارس 1922 ومصادرة ممتلكاتها، ونفي رئيسها ثوكو من أراضي الكيكويو، وقد خرجت مظاهرات احتجاجية على ذلك وحدثت مصادمات بين المتظاهرين ورجال الشرطة التي قامت بإطلاق النار، وفرضت الحكومة حالة الطوارئ، وأرسلت بريطانيا لجنة للتحقيق في أسباب الاضطراب، فشكل الأفارقة جمعية الكيكويو المركزية في نفس العام لعرض وجهة النظر الأفريقية والدفاع عن حقوق الأفارقة في الأرض ومقاومة المستوطنين البيض والتفرقة العنصرية. وقد حصلت هذه الجمعية على تأييد واسع خشيت منه السلطة الاستعمارية فهدد حاكم كينيا البريطاني الأهالي الذين يساندون الجمعية بالعقاب، وعندما وجد أن هذا التهديد لم يؤد غرضه دعا في عام 1930 إلى اجتماع لرؤساء القبائل والزعماء المحليين وحذرهم من التعاون مع هذه الجمعية، وفي الوقت نفسه أصدر قرارا بمنع نشاطات الجمعية وتحريم أناشيدها الوطنية ورقصات التراثية واعتقال زعمائها، وقد ألغيت هذه الجمعية في أوائل الحرب العالمية الثانية بحجة اتصالها بالإيطاليين أعداء الحلفاء. (49)

وفي عام 1940 تشكل المجلس المتحدة (United Council)، الذي ضم رابطة الكيكويو المركزية، وبعض المنظمات الأخرى في كينيا مثل « رابطة أعضاء الأوكامبا »، و« رابطة تلال تينا »، وكان هدف هذه المنظمة الجديدة توحيد نضال الوطنيين في كينيا ضد الاستعمار.

وبعد أن تنبعت السلطات البريطانية لأهداف هذه المنظمة، بادرت بالقضاء على نشاطها، واعتقلت 23 من أعضائها، وفرضت حظرا على نشاط « رابطة الكيكويو المركزية »، وهي أكثر المنظمات شعبية في كينيا، وأرسلت الآلاف من أعضائها إلى معسكرات السخرة، وذلك بحجة أن لها نشاطا هداما، وأن لها اتصالات بالزعيم النازي «أدولف هتلر». (50)

شارك الكينيون بأعباء الحرب الثانية وجندوا للقتال في صفوف الحلفاء في أفريقيا وآسيا، كما أسهموا في المجهود الحربي للحلفاء على طريق زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي عندما استغلت بريطانيا ظروف هذه الحرب للاستفادة من الأيدي العاملة الكثيرة والرخيصة، وقد تأثر الكينيون بظروف الحرب وانتشار الأفكار الديمقراطية للمطالبة بحقوقهم السياسية، خاصة وأن الحرب أوجدت فئة من الأجراء الزراعيين والعمال الصناعيين الأمر الذي أحدث تغييرا عميقا في بنية المجتمع، وكذلك ظهور نخبة مثقفة ساخطة على السيطرة الاستعمارية، فشكل في عام 1944 « اتحاد كينيا الأفريقي وهو بمثابة جبهة وطنية متحدة ضمت الأفارقة من مختلف القبائل والمناطق والفئات والانحدر الطبقي والاجتماعي يجمعهم هدف واحد هو الحصول على الاستقلال، وبرز من زعمائه جومو كينياتا (Jomo Kenyatta) (51) الذي أصبح رئيسا للإتحاد عام 1947، وقد امتد نشاط الاتحاد ليشمل مختلف مناطق كينيا، وحدد منهاجه بالسعي إلى:

(52)



• تطبيق الحكم الذاتي بما يضمن للأفارقة إدارة شؤونهم، وتوسيع المجلسين التنفيذي والتشريعي ومشاركة الكينيين في هذين المجلسين بصورة فعالة.

• الإصلاح الاقتصادي بإيقاف تملك البيض للأراضي، والاهتمام بتطوير وسائل الزراعة، والري، وتحسين أوضاع الأجزاء من العمال والفلاحين، والمساواة في الأجور بين البيض والأفارقة.

• الإصلاح الاجتماعي وبخاصة في مجالي الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي، مع التأكيد على توسيع التعليم ونشره في مناطق كينيا المختلفة.

حصل الاتحاد على التأييد الشعبي الواسع بحيث بلغ عدد أعضائه في عام 1950 أكثر من مائة ألف عضواً وامتدت فروعه وشعبه إلى مختلف مناطق كينيا، وازدادت أعمال المقاومة والكفاح المسلح ضد الاستعمار والاستيطان، فأثار البريطانيون لأول مرة كلمة ماو ماو (Mau Mau) كدليل على العنف والكفاح المسلح، وبدأت الصحافة البريطانية وأعضاء مجلس العموم يرددون هذه الكلمة التي أصبحت تدخل الرعب في نفوس المستوطنين، فما هي الماو ماو؟ (53)

يرى أحد علماء النفس أن الماو ماو هو تصريح أو مخرج لتوتر سيكولوجي عاطفي تنج عن الاضطراب والفشل الذي ساد حياة الأفريقيين وما شهدوه من عدم المساواة والظلم والتسلط الأجنبي، فهي اشتعال مفاجئ عن الغيظ والسخط الذي تراكم بشدة وكثافة في نفوس الكيكويو وعموم شعب كينيا نتيجة الضغط والاستغلال وخيبة الأمل واليأس الذي تعرض له من قبل شعب يدعي أنه ذو حضارة أرقى، لعل ذلك دفع إلى قيام تنظيم سري تزعمه كنياتا لمقاومة احتكار السلطة والمال والأرض والسياسة العنصرية من قبل الأوروبيين، فهي حركة شعب مظلوم امتهنت كل تقاليد ومؤسساته وضائق الدنيا في وجهه، وقد حولت بريطانيا إصاق التهم ضد الماو ماو بهدف إضعافها وعزلها بحجة قيامها بأعمال إرهابية وحشية بعيدة عن التمدن والرقى والحياة الديمقراطية السليمة، في وقت استخدمت في بريطانيا كل الوسائل القسرية (54) والاستفزازية، بما فيها مصادرة أراضي الأهالي بالقسر وتشريد المزارعين الذين اضطروا إلى الهجرة للمدن القريبة فلم يجدوا العمل وعاشوا حياة التشرد والخوف والكراهية، وسدت بوجههم سبل الحياة التي اسودت في عيونهم فلجأوا إلى الانتفاضة لمقاومة كل أوروبي.

أسرعت الحكومة في سبتمبر 1952 إلى إصدار التشريعات لتقييد الحريات العامة، واعتقال كل شخص يشتبه به، فتم اعتقال جومو كينياتا وعشرين من قادة اتحاد كينيا الأفريقي 21 أكتوبر 1952 والحكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة، فأصدرت اللجنة المركزية للاتحاد بيانا في 28 أكتوبر طالبت فيه:

▪ الإفراج عن المعتقلين، وإطلاق الحريات الديمقراطية والسماح باستمرار نشاط اتحاد كينيا الأفريقي، وحرية إقامة الأحزاب والجمعيات والنقابات العمالية، وحرية الصحافة.





- إلغاء التمييز العنصري والتفرقة العنصرية، وإشراك أهالي البلاد في إدارة المؤسسات الحكومية، وفي القوات المسلحة، والمساواة أمام القانون.
- الإصلاح الاجتماعي عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الصحية، والتوسع في إنشاء المدارس وإصلاح التعليم .

لم تؤد الإجراءات القمعية إلى القضاء على المقاومة الوطنية، فقد عينت الحكومة الجنرال جورج ارسكين قائدا عاما للقوات البريطانية، وأعلنت حالة الطوارئ(55) لكنها اضطرت في النهاية إلى إجراء بعض الإصلاحات الدستورية عام 1954 لزيادة تمثيل الأفارقة في المجلس التشريعي، وسمحت في عام 1960 بإجازة الأحزاب السياسية فأسس « الاتحاد الأفريقي الوطني الكيني » وترأسه جيشورو، وتضمن منهاجه نفس الأهداف التي تضمنها ميثاق اتحاد كينيا الأفريقي المنحل، وعاد كينيا تا إلى رئاسته بعد خروجه من السجن، كما أسس تنظيم آخر بتشجيع من بريطانيا هو « الاتحاد الأفريقي الديمقراطي » برئاسة رونالد نجالا، ودعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر في لندن في يناير 1960 حضره ممثلون عن الأفارقة والمستوطنون والهنود وتقرر فيه منح كينيا الاستقلال بعد فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات، وقد أجريت انتخابات فاز فيها جومو كينيا تا، وأعلن استقلال كينيا في 12/12/1963م ، وأعلن بعد ذلك قيام النظام الجمهوري فيها(56)، وتبعها حركات التحرير الأفريقية حتى تحررت كل أفريقيا وخروج المستعمر الغربي مدحورا.(57)

## 2. قارة آسيا: دولة الهند ضد الاستعمار البريطاني

كانت خطة الصراع التي رسمها غاندي خطة سلمية تماما، تقوم على « عدم العنف » وهو الوصف الذي عرفت به وتتلخص في رفض التعاون مع الحكومة في إدارتها واستغلالها للهند بأي صورة من الصور وكانت الخطة تقضي بأن تبدأ المقاطعة ببعض الصور البسيطة مثل رفض الألقاب المعطاة من الحكومة الأجنبية والمناصب الرسمية، ومقاطعة المحاكم سواء من المحامين أو المتقاضين، والمدارس والكليات الحكومية. ثم تمتد المقاطعة بعد ذلك إلى الخدمة العسكرية، ودفع الضرائب. وكان للحركة جانب جنائي وإيجابي، أول بنوده اقتناء المغازل اليدوية واستعمالها في غزل الأقمشة، وتكزين هيئات تحكيم أهلية تحل محل المحاكم في الفصل في المنازعات. وكان ثمة في البرنامج بندان هامان: الأول هو التآخي والوحدة بين الهندوس والمسلمين، والثاني هو رفع الحاجز الذي يفصل المنبوذين ويقضي بعدم لمسهم أو مشاركتهم الطعام.

إن حركة عدم التعاون هذه حركة سلمية تماما، ولكنها ليست كما يتصورها البعض مجرد عدم مقاومة. إنها نوع صارم عنيف من المقاومة، ولكنها مقاومة بغير عنف. إنها ثورة سلمية، وحرب هي أكثر



أنواع الحروب تحضرا، وسلاح قادر على إلحاق الضرر ببنيان الدولة إلى أقصى الحدود. إنها أسلوب فريد في تحريك الجماهير إلى العمل. (58)

ولكن أعلم أن اللاعنف أفضل من العنف، وأن العفو أدل على الرجولة من القصاص العفو العفو حلبة الجندي، ولكن عدم القصاص لا يكون عفوا إلا حيث تكون القدرة على القصاص، ولا معنى له إذا بدر من عاجز... ولا أعتقد أن الهند عاجزة فإنه لا يقدر مائة ألف انجليزي على إخافة ثلاثمائة مليون من الناس. ثم أنه ليست القوة في الأسباب المادية، بل هي في الإرادة التي لا تقهر. وما كان اللاعنف خضوعا وانقيادا للمسيء بل أن اللاعنف يضاف إرادة المعاني بجماع قوة النفس، هكذا يقدر رجل واحد على إعجاز مملكة بأسرها حتى يكون علة سقوطها. (59)

إذن، مع ظهور شخصية المهاتما غاندي والذي دعا إلى اللاعنف عن طريق المقاومة الفعالة البعيدة عن كل عنف. (60)

#### الخاتمة:

لقد عرفت الشعوب المستعمرة في إفريقيا وAsia حركة ونشاط منذ مطلع القرن العشرين للمطالبة بإصلاح أوضاعها السياسية والاقتصادية والثقافية المتدهورة بفعل الهيمنة الاستعمارية، والتي كانت نقمة عليها في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية وأفقدتها العزة والسيادة والكرامة والثروة والمعرفة، مما دفعها إلى إنهاء وجوده والتخلص من القيود والسياسة الاستعمارية وممارساته، ورد الفعل النضالي الوطني ضده في إفريقيا وAsia وفي المناطق التي كانت خاضعة للاستعمار الأوروبي التقليدي المباشر، وقد اعتمدت في نضالها أسلوب الكفاح المسلح حيناً، أو الكفاح السياسي حيناً آخر، أو الجمع بينهما (مثل الجزائر) وقد أوجدت الحرب العالمية الثانية (1939-1945) بنتائجها المختلفة وضعا دوليا مناسباً، تصاعدت فيه الحركات التحررية في القارتين، بتضامن وإصرار وشمولية، مما مثل ضغطاً على الاستعمار التقليدي، وإن تفاعل الظروف والمعطيات المحلية والدولية عجل بانتشار الموجة التحررية، وهو ما أضفى عليها طابعاً وملحاً متميزاً، مريكاً للقوى الاستعمارية العتيدة مثل فرنسا وبريطانيا وعجل بتصفيتها، حيث تمكنت حركات التحرر من بلوغ ما قامت به من أجله وهو تحقيق الهدف الأسمى ألا وهو حصولها على الاستقلال الوطني الشامل والتام، وإنهاء الظاهرة الاستعمارية كظاهرة عدوانية وغير إنسانية.



## الهوامش:

1. حميدي (جعفر عباس)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، ص 122.
2. القوزي (محمد علي)، "في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر"، الطبعة الأولى 1426هـ/2006م، منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان، ص ص(95-98).
3. نفسه، ص ص(95-98).
4. عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم (عبد الله)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1997، ص 422.
5. القوزي (محمد علي)، المرجع السابق، ص ص(95-98).
6. محمد العربي ولد خليفة، ملاحم قرن وأصداء ألفية، مؤسسة ثالة والمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2001، ص 44.
7. القوزي (محمد علي)، المرجع السابق، ص ص(95-98).
8. نفسه، ص ص(95-98).
9. نفسه، ص ص(95-98).
10. نفسه، ص ص(95-98).
11. موسي (فيصل محمد)، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص ص(243-242).
12. نفسه، ص ص(224-223).
13. سليمان)، "ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي"، مجلة دراسات إفريقية، العدد الثاني، شعبان 1406هـ/أفريل 1986، مجلة بحوث نصف سنوية، المركز الإسلامي الإفريقي الخرطوم، ص ص(55-81).
14. زوزو (عبد الحميد)، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا، دار للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، ص 13.
15. إن التواجد الامبريالي بإفريقيا كان له أثره السيئ على واقع القارة السمراء، وأن ما تميز به من هيمنة خانقة واستغلال فاحش قد يجعلنا نجزم أنه تسبب في إفقار الأهالي الأفارقة والأسويين ، كما أنه أحدث انقلابا داخل المجتمع الإفريقي على وجه الخصوص، بما أقدم عليه من سن لقوانين استثنائية وتطبيق لسياسة الأرض المحروقة لمواجهة كل أشكال المعارضة بم فيها الانتفاضات الإفريقية تارة وفرق تسد تارة أخرى قصد استمالة القبائل وتحويلهم إلى أداة تخدم مصالحها وتقف حائلا دون تطور الحركة الوطنية وتوحيدها، أنظر: بكاي (منصف)، أضواء على تاريخ إفريقيا، الطبعة الأولى 2009، دار السبيل للنشر والتوزيع، ص ص(19-20).
16. حميدي (جعفر عباس)، المرجع السابق، ص ص(123-122).



17. بن قويدر (نور الدين)، "المد التحري وتراجع الاستعمار في قارة إفريقيا"، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الخامس، السنة الثالثة، نوفمبر 2016 مجلة دورية محكمة يصدرها مخبر دراسات إفريقية، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، ص ص(56-80).
18. عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم (عبد الله)، المرجع السابق، ص ص(95-96).
19. قببسي (بشري)، مخول (موسى)، الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين-أوروبا واسيا، الطبعة الأولى 1997، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ص ص (233-234).
20. زوزو (عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 15.
21. نفسه، ص ص(14-15).
22. نور الدين (قويدر)، المد التحري وتراجع الاستعمار في قارة إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد الخامس، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، ص ص(56-80).
23. حمدان (جمال)، إستراتيجية الاستعمار والتحرر، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، دار الشروق، ص 222.
24. إن مؤتمر بانذونغ بأندونيسيا كان بمثابة الأرضية التي وضعتها الدول الأفروآسيوية لطرح قضايا العالم الثالث ومنها القضية الجزائرية في المحافل الدولية، والذي انطلقت منه لتحقيق الخطوة الثانية وهي منابر الأمم المتحدة، أنظر: صغير (مريم)، البعد الإفريقي للقضية الجزائرية (1955-1962)، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، دار السبيل للنشر والتوزيع الجزائر، ص 195.
25. كما دعيت لحضور المؤتمر أربع دول أعضاء ومراقبين وهي: الجزائر، تونس، المغرب، وقبرص، حضرت جبهة التحرير الوطني وممثل الجزائر كل من: أحمد يزيد وحسين ايت أحمد حيث أصدر المؤتمر قرار ينص على حق الشعب الجزائري والمغربي والتونسي في تقرير المصير والاستقلال، أنظر: بن قدور (مليكَة)، البعد الإفريقي للثورة الجزائرية (1954-1962)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف ولد النبيرة كريم، جامعة جيلالي ليايس، ص 325.
26. قببسي (بشري)، مخول (موسى)، المرجع السابق، ص 273.
27. عبد العزيز (إسحاق)، نهضة إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1391هـ/1971م، ص 142.
28. قببسي (بشري)، مخول (موسى)، المرجع السابق، ص ص(274-275).
29. نفسه، ص 23.
30. بوعزيز (يحيى)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة خاصة منقحة ومزودة 2009، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، ص ص(481-486).
31. خليف (عبد القادر)، الثورة الجزائرية وبعدها الإفريقي، الملتقى المغاربي حول الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، يومي 11 و12 جوان 2003، جامعة جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ص(117-133).
32. بن قدور (مليكَة)، المرجع السابق، ص 400.
33. عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم (عبد الله)، المرجع السابق، ص ص(95-96).
34. ففي القاموس السياسي واللغوي أن الاحتلال هو فرض هيمنة بالقوة العسكرية على قوم عجزوا عن صده بكل أشكال المقاومة. أما المقاومة فهي كل فعل يتصدى للاحتلال ويعمل على إنهاكه وتكسير شوكتة. وهذه العملية النضالية هي التي نسميها "تحررا". فالذين يقاومون الاحتلال إنما يريدون التحرر منه لكي يتمتعوا بحريتهم ويحافظوا على ذاتيتهم



وخصائص حضارتهم، وهي التي أصبح يطلق عليها في العصر الحديث "الهوية الوطنية"، أنظر: البعد التحرري للثورة الجزائرية محليا ودوليا، أعمال الملتقى الدولي عن: إشكالية التحرر والتحديات الدولية الراهنة، المنعقد بفندق الأوراسي، الجزائر، أيام 6-7-8/20/2005، منشورات وزارة المجاهدين 2005، جمع وتنسيق المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص ص (27-38).

35. نفسه.
36. مرزاق (مختار)، حركة عدم الانحياز في العلاقات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 85.
37. عبد الملك (جمال)، السياسة والإستراتيجية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، الطبعة الأولى، بيروت 1988، منشورات دار الجبل، ص 54.
38. حاطوم (نور الدين)، قضايا عصرنا منذ 1945، الطبعة الأولى 1972، دار الفكر المعاصر للنشر، ص 22.
39. من خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في ندوة 53 للجمعيات غير الحكومية - أوت 2000 (جريدة المساء).
40. صبري (أبو المجد)، ثورة أفريقيا، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1380هـ/1960م، ص 41.
41. كرفاع (المختار الطاهر)، فكرة الوحدة الإفريقية وتطورها التاريخي، مجلة الجامعة، العدد الخامس عشر، المجد الثالث 2013، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الزاوية، ص ص (135-156).
42. حسن سيد (سليمان)، "ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي"، مجلة دراسات إفريقية، العدد الثاني، شعبان 1406هـ/أفريل 1986، مجلة بحوث نصف سنوية، المركز الإسلامي الإفريقي الخرطوم، ص ص (55-81)، ينظر أيضا: رأفت غنيمي (الشيخ)، التاريخ المعاصر للأمة الإسلامية، الطبعة الأولى 1412هـ/1992م، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 47 وما يليها، وكذلك: حمدان (جمال)، المرجع السابق، ص ص (212-232).
43. زوزو (عبد الحميد)، المرجع السابق، ص ص (22-23).
44. عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم (عبد الله)، "تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر"، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص 103.
45. موقع من شبكة الواب: [www.qiraatafrican.com](http://www.qiraatafrican.com) / أنظر كذلك: مروة (كريم)، قادة تاريخيون كبار في ثورات القرن العشرين، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى 2012، الدار العربية للعلوم ناشرون.
46. بذلك قد حقق المستعمرون أرباحا خيالية باستغلال الأفريقيين، ليس في كينيا فحسب بل في كل أفريقيا، فضلا عن ذلك فقد حرم الأفريقي من أبسط حقوقه الاجتماعية وهو التعليم، لقد بلغت نفقات التعليم للطفل الأوروبي أكثر من مائة جنيه بينما لم تزد على جنيهين اثنين بالنسبة للقلة القليلة من الأطفال الأفريقيين الذين سمح لهم بتلقي العلم فيها، أنظر: السيد (محمود)، أفريقيا والأطماع الغربية، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2009، ص 143.
47. حميدي (جعفر عباس)، المرجع السابق، ص ص (134-135).
48. وقد أنشأت هذه الرابطة فروعاً محلية في أنحاء البلاد، ووجهت حملاتها ضد نزع ملكية الأرض، وأخذت تطالب بإعادة الأراضي التي أصحابها من الوطنيين الإفريقيين. وفي عام 1922 تصدت السلطات البريطانية لقمع الثورة التي قادها « هاري توكو »، وزجت به في السجن في نيروبي، كما أمرت بإطلاق الرصاص على المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بإطلاق سراحه، فقتل الكثيرون وجرح أكثر من مائة من الوطنيين وبعد ذلك أعادت الرابطة تنظيم صفوفها تحت اسم « رابطة الكيكويو المركزية »، وأصبحت أهدافها تتمثل في وقف عمليات نزع ملكية الأرض، ومنح الحقوق السياسية للإفريقيين، وتمثيلهم في المجلس التشريعي، وفي الأجهزة الإدارية المحلية، وتحقيق المساواة في معاملة العمال والمستخدمين



- الإفريقيين، **أنظر:** حلمي محروس (إسماعيل)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، ص 360.
49. حميدي (جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 135.
50. حلمي محروس (إسماعيل)، المرجع السابق، ص 360.
51. لمكانته القيادية نحو استقلال كينيا يجدر بنا أن نلم بتاريخ حياته في إيجاز، كان **جومو كنياتا** (الرمح الملتهب) سكرتيراً عاماً لجمعية الكيكويو المركزية، فقد أصبح يتيماً بوقت قليل بعد ولادته في أواخر القرن الماضي ونشأ وترعرع بين ميسرى الكنيسة الاسكتلندية وفي ذلك فرصة لنيله درجة من التعليم لم تتح لغيره، وبموهبه وشخصيته نال هذا المنصب القيادي في منظمة قبيلة الكيكويو السالفة الذكر وتاقت نفسه لمواصلة تعليمه فاتجه للخارج في سنة 1929 ولم يرجع إلا في سنة 1946 بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وفي هذه الأثناء درس الانثروبولوجي في مدرسة العلوم الاقتصادية والسياسية بلندن. ومنها ذهب لجامعة موسكو حيث كتب كتاباً عن عادات الكيكويو وأثناء إقامته بانجلترا كان عضو في مجموعة الإفريقيين المثقفين الذين نادوا بحركة الرابطة الإفريقية، واتصلت الجماعة بالأحزاب الاشتراكية التقدمية وجمعية الفاديان الثقافية، وعند رجوعه وقيام حركة الإفريقيين في كينيا نحو التحرير أصبح رئيساً لحزب اتحاد كينيا الأفريقي (Kau) ورئيس جمعية المدارس الخاصة وعميداً لكلية تدريب المعلمين لتلك المدارس. وبذلك أصبح أمل الأمة الكينية بأسرها لنيل استقلالها لأنه محارب جبار لإثبات الذاتية الإفريقية وتحطيم التمييز العنصري مع احتفاظه بعادات وتقاليد قبيلته مما جعل لشخصيته جاذبية للجماهير والمتعلمين على السواء. ولاشك في أن شخصية جومو كنياتا هي التي كانت طاغية على المسرح السياسي في الخمسينات من هذا القرن في كينيا بالرغم من أنه قضى = معظم حياته في السجن، **أنظر:** موسى (فيصل محمد)، المرجع السابق، ص ص (246-247).
52. حميدي (جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 136.
53. نفسه.
54. لقد كان من الأمور العادية التي تحدث كل يوم أن يزل البريطانيون بالقرى عقاباً جماعياً فتدعها مدافعهم أو تمطرها طائراتهم بالقنابل من الجو وكأنهم في سباق للصيد، وليس أمام شعب عزل مسالم لا يهتم إلا بالحصول على قوت يومه. وكان البريطانيون يهاجمون المدن والمزارع ويجمعون الإفريقيين ثم يسوقونهم كالماشية إلى المعتقلات والسجون، وإذا تمكن بعضهم من الفرار إلى المناطق المجاورة أغاروا بدباباتهم وعساكرهم على هذه المناطق وأنزلوا بجميع أهلها الدمار والخراب وصادروا ما بها من حبوب وطعام وإذا ما تمكن أحدهم من الهرب إلى الجبال أو الغابات قامت قاذفات القنابل بالتفتيش عليهم وضربهم، ولقد سجلت البلاغات العسكرية أسبوعياً بعد أسبوع رهيبه من القتل المتعمد والمذابح ومن ذلك أن القوات البريطانية أظهرت شجاعتها وبسالتها في إحدى غاراتها على قرية مسالمة فقتلت مائة شخص، وقد وصف البلاغ الحربي هذا النصر الفريد الذي سجله البريطانيون بأسلحتهم الأوتوماتيكية ضد الإفريقيين الذين لا يمتلكون سلاحاً في العبارة التالية. الأسبوع الماضي كان من أنجح الأسابيع منذ بداية الطوارئ، قتل البريطانيون 102 أفريقياً، أي في 18 أكتوبر 1953م. وفي نوفمبر 1953 قام البريطانيون بعملية إبادة ضد الشعب الكيني حيث بلغ عدد القتلى من الإفريقيين 305 و 49 من الجرحى والأسرى مما يؤكد أن المقصود من العمليات العسكرية الإبادة. ففي الربع الأخير من عام 1953م صدرت الأوامر إلى القوات البريطانية في المناطق المحرمة على الإفريقيين، باعتقال أي شخص تراه من الإفريقيين أو قتله إذا حاول الهرب، **أنظر:** السيد (محمود)، أفريقيا والأطماع الغربية، المرجع السابق، ص 146.



55. منذ عام 1955 وحتى استقلال البلاد حاول البريطانيون حمل الكينيين تارة بالسياسة وتارة باستخدام الشدة بقبول مطالب المستعمرين المستوطنين والذين هم في الحقيقة الأمر أصل البلاء وهم الذين أضعفوا من تقدم البلاد لجشعهم والسيطرة على الحكم، وحرمان الأفريقيين من مزاوله حقهم المشروع. ولقد اضطر البريطانيون إلى الإفراج عن الزعيم الكيني جومو كينياتا وهم يأملون في إتباع سياسة معتدلة ولكنه أصر على عودة الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الأفريقيين إلا أن البريطانيين لم يستجيبوا لمطالب الزعيم الكيني حتى أرغمتهم حرب التحرير الكينية، التي مكنت الشعب الكيني من الوصول إلى حريته وحكم بلاده بنفسه، **أنظر: السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 146.**
56. هريدي(فرغلي علي تسن)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الكشوف-الاستعمار-الاستقلال،** الطبعة الأولى 2008، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ص 293.
57. السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 148.
58. زوزو(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 47.
59. نفسه، ص 49.
60. قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، المرجع السابق، ص 239.



## تطور التعليم في ليبيا خلال فترة الستينيات

د/ أكرم عثمان عبد الرازق عمر  
قسم التاريخ- كلية الآداب – جامعة طبرق

عندما استقلت ليبيا في 24 ديسمبر عام 1951م بدأت الحكومة الليبية بالاهتمام بأمور التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على أسس العصر الحديث وكان التعليم المتطور يشكل الاهتمام الأول للدولة الحديثة من أجل تحصيل وتبادل المعارف والعلوم نظراً لور العلم في بناء الأمم، وقد شهد التعليم تطوراً ملحوظاً بعد عام 1961م في ليبيا بسبب تحسن الأوضاع الاقتصادية بعد بداية إنتاج صناعة البترول ونموها، حيث خطت ليبيا خطوات واسعة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية والعلمية.

ومن هنا تكمن أهمية الموضوع في دراسة تطور التعليم في ليبيا خلال فترة الستينيات من عهد المملكة الليبية . وأهم ما أنجز خلال تلك الفترة من أجل تقدم وتطوير التعليم المتوسط والعالي وأبرز ما حققته الحكومة الليبية في هذا المجال في تلك الفترة .

ويهدف البحث إلى الإجابة على عدة تساؤلات منها : -

ما هي المراحل التي مر بها تطور التعليم في ليبيا ؟ وكيف كان وضع التعليم والمؤسسات التعليمية في ليبيا قبل الاستقلال ؟ وما هي أبرز المجهودات التي بذلتها الحكومة الليبية من أجل التعليم الحديث بعد إعلان الاستقلال عام 1951م ؟ وما هي أبرز نتائج تلك المجهودات وتأثيراتها على التعليم وتقدمه في البلاد ؟ وهل كان لتقدم التعليم وتطوره أي نتائج على واقع حياة الليبيين في عام 1969م ؟

ولتوضيح موضوع البحث سوف يتم تناوله من خلال المحاور الآتية :-

أولاً: تطور التعليم في برقة.

1-التعليم في ليبيا بعد إعلان الاستقلال عام 1951م.

ثانياً: تأسيس الجامعة الليبية والجامعة الإسلامية.

1- تأسيس الجامعة الليبية في مدينة بنغازي.

2- تأسيس الجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء.

ثالثاً : تطور التعليم في طرابلس.

رابعاً: التعليم في فزان:





## أولاً : التعليم في ليبيا بعد إعلان الاستقلال عام 1951م

في العهد العثماني الأول (1551-1711م) كان التعليم في ليبيا مقتصرًا على تعليم القرآن الكريم واللغة العربية في المساجد والزوايا أو ما يعرف بـ(الكتّاب)، ولم يكن هناك زوايا خاصة بتعليم علوم اللغة العربية والفقهية للفتيات<sup>(1)</sup>.

أما في العهد العثماني الثاني (1835-1911م) فقد تم بناء عدد من المدارس الحديثة وتحديدًا خلال عام 1895م مثل: (المدرسة الرشوية)، والتي كانت تدرس مواد الحساب والتاريخ والجغرافيا إلى جانب القرآن الكريم واللغة العربية، بالإضافة إلى مدرسة (دار المعلمين) لتدريب معلمي القرى لمدة سنتين<sup>(2)</sup>، ناهيك عن مدرسة للفنون والصنائع التي تعد من أهم المدارس خلال تلك الفترة، وقد تم إنشاؤها عام 1898م<sup>(3)</sup>.

كما ظهر التعليم الأوروبي؛ إذ تم إنشاء عدة مدارس مثل: مدارس البعثات التبشيرية المسيحية الأوروبية والمدارس الإيطالية. كذلك تم تأسيس مدرسة أهلية خاصة بالبنات عام 1904م<sup>(4)</sup>.

وفيما يخص فترة الوجود الإيطالي (1911-1943م)، فقد شهدت البلاد ظهور المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية، حيث استمر التعليم العربي والأوروبي مع إجبارية تعليم اللغة الإيطالية، وقد استمرت المدارس الإيطالية حتى في عهد الإدارة البريطانية (1943-1948م) بالرغم من ظهور مدارس تابعة للإدارة البريطانية، ومع ذلك فقد استقاد العرب الليبيين كثيرًا من حملة محو الأمية التي قامت بها الإدارة البريطانية منذ عام 1945م، حيث استمرت دوراتها خلال السنوات الدراسية أعوام: (1946-1947-1948م)<sup>(5)</sup>.

وفي عامي 1943-1944م بلغت ميزانية التعليم التي اشرفت عليها حكومة الإدارة البريطانية (24398) جنيه استرليني. ثم رفعت حكومة الإدارة البريطانية قيمة ميزانية التعليم خلال عامي 1950-1951م فبلغت (25264) جنيه استرليني. وهو ما دفع بعجلة التعليم إلى الأمام خلال حكم الإدارة التي اهتمت أيضاً بالتعليم الديني؛ فقامت بإنشاء 26 مدرسة قرآنية بدعم مالي خاص من حكومة الإدارة، فقد تم تدريس الفقه وعلم اللغة والحديث ضمن تلك المدارس، كما اهتمت حكومة الإدارة بالمعاهد الدينية مثل: المعهد الاسمري بزلتن الذي يعتبر من أهم المعامل العلمية الإسلامية في ليبيا، فانتشرت الدراسات الفقهية والحديث إلى جانب النحو الأدب وغيرها من العلوم التشريعية<sup>(6)</sup>.

كما قامت حكومة الإدارة البريطانية بفتح العديد من المدارس بالدواخل الليبية لتعليم أبناء البدو، وكانت مدة الدراسة بها 6 سنوات. فضلًا عن تأسيس مدارس عليا مدة الدراسة بها 5 سنوات، ناهيك عن ظهور المدارس الفنية: كمدرسة الزراعة التي كانت تحتوى على نفس المناهج التي تم تطبيقها في المدارس العامة<sup>(7)</sup>.



وفي أكتوبر عام 1945م تم افتتاح المدرسة الثانوية بمدينة طرابلس؛ حيث بلغ عدد طلابها 84 طالباً، إذ شهد هذا العدد زيادة خلال شهر أكتوبر عام 1947م وصلت إلى 170 طالباً، كما تم افتتاح عدد من الفصول الدراسية الثانوية في باقي الولايات.

وفي عام 1948م كانت المناهج المواد التي تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية؛ تتركز على أصول مادة اللغة العربية والدين والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والعلوم والرسم والصحة والكتابة، بالإضافة إلى تدريس اللغة الإنجليزية واللغة الإيطالية التي جعلت اختياريه، فضلاً عن التربية البدنية<sup>(8)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك لم ترتفع نسبة المتعلمين كثيراً في عهد حكومة الإدارة البريطانية، إذ بلغت نسبة المتعلمين لكل ألف شخص السكان حوالي 16 في طرابلس، وفي فزان 13 وفي برقة 19<sup>(9)</sup>.

وبعد إعلان استقلال ليبيا في 24 ديسمبر عام 1951م؛ صدر قانون التعليم الإلزامي للذكور والإناث على السواء، وفي ظل هذا القانون تزايدت فرصة المرأة الليبية في التعليم والمشاركة في تنمية بلادها بجانب الرجل<sup>(10)</sup>.

إذ أكدت المادة 30 من الدستور؛ بضرورة إلزامية التعليم للبنات والبنين، ومجانية خلال فترة سنوات الدراسة، كما أصبح التعليم يتبع حكومات الولايات بعد الاستقلال، حيث أقرت المادة 177 من الدستور تأسيس إدارة المحلية في كل إقليم، وهو مما أدى إلى الاستقلال بالعملية التعليمية، فتكونت الإدارة المركزية للتعليم والتي نظمت كافة الاختصاصات التعليمية من مناهج وأدوات ومعدات تعيين للمعلمين<sup>(11)</sup>.

وخلال تلك الفترة حدث تزايد الإقبال على التعليم، فأدى ذلك إلى تطور التركيبة الاجتماعية والمفاهيم العامة للمجتمع الليبي، ودفع التحاق الطلاب المدارس إلى الهجرة الإيجابية من البادية والقرى إلى المدن، حيث ظهرت وتكونت طبقة متحضرة من سكان الريف والقرى اسوة بسكان المدن، إضافة إلى اندماج الثقافات والعادات بين أبناء المدن والمناطق الليبية<sup>(12)</sup>.

ولم تدخر الحكومة الليبية وسعاً بترقية التعليم وبذل الأموال من أجل النهوض به في كل مدن البلاد لاسيما بعد زيادة عدد الطلاب والإقبال على التعليم في كل المحافظات ومن أجل ذلك أنشأت المدارس والجامعات واهتمت بتأمين الضمان الاجتماعي<sup>(13)</sup>.

وقامت الدولة الليبية بتخصيص مبلغ قدر بحوالي 22 مليون جنيه ليبي من أجل تنمية قطاع التعليم، وقد جعل قطاع التعليم في مرتبة متقدمة بين قطاعات التنمية المختلفة في البلاد، إلى جانب التنمية الاقتصادية والصحة لاسيما بعد أن أصبح الإقبال على التعليم بشكل كبير ومستمر بين الذكور والإناث، حيث كانت نسبة المقيدين بجميع مراحل التعليم عامي 1950-1951م حوالي 3% من مجموع عدد السكان المقدر بحوالي واحد مليون وثمانية وثمانين ألف نسمة حسب تعداد عام 1954م، ثم ارتفعت



هذه النسبة إلى 13% من مجموع عدد السكان عام 1964-1965م والمقدر بحوالي واحد مليون وخمسمائة وخمسة وتسعين ألف نسمة<sup>(14)</sup>.

وبذلك استمر ارتفاع عدد التلاميذ والطلاب في جميع مراحل التعليم العام والفني والمهني من 32741 عامي 1950م-1951م إلى 165702 عامي 1962م-1963م، وإلى 194198 عامي 1964م-1965م. كما زاد عدد تلاميذ وطلاب التعليم الديني بصورة ملحوظة من 712 تلميذ عامي 1961-1962م إلى 1127 تلميذ عامي 1965-1966م.

وقد اتخذت الحكومة الليبية على عاتقها مهمة تنمية قطاع التعليم من أجل تحقيق التطور في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وظهر الاهتمام بتطوير التعليم من خلال الزيادة المستمرة في ميزانية التعليم بالنسبة للميزانية المادية للدولة وخاصة في الفترة من عام 1963م إلى عام 1968م، فبعد أن كانت نسبة ميزانية التعليم لا تتجاوز 9.6% عامي 1952-1953م. في عامي 1963-1964م ارتفعت نسبة ميزانية تعليم لتصل إلى 20%، ثم ارتفعت إلى 23% عامي 1966-1967م.

أما نسبة الأمية بين السكان الذين تزيد سنهم عن عشر سنوات، فقد نقصت حسب الإحصاء الرسمي عام 1954م من 81% إلى حوالي 77%، وهي في هبوط مستمر حيث انخفضت نسبة الأمية بين الذكور من 72% إلى 59% وبين النساء من 95% إلى 90% وقد أسهم في تطور التعليم وانخفاض نسبة الأمية بين السكان ظهور المدارس والمؤسسات التعليمية وزيادة عددها في البلاد<sup>(15)</sup>، حيث كان عدد النساء المتعلمات في عام 1954م ما يقرب من 1000 فقط في المستوى الابتدائي إلى ما يقرب من 2% من العدد الكلي للنساء في ليبيا إلا أن هذه النسبة ارتفعت إلى 18.6% عام 1964م وبلغت نسبة الأمية بين النساء 87%، وبدأت في الانخفاض تدريجياً طوال فترة الستينيات حتى عام 1969م حيث بلغت النسبة 34.4%<sup>(16)</sup>.

## ثانياً : تأسيس الجامعة الليبية والجامعة الإسلامية:

### 1- تأسيس الجامعة الليبية في مدينة بنغازي:-

صدر مرسوم ملكي يعلن ظهور الجامعة الليبية بمدينة بنغازي إلى حيز الوجود في 15 ديسمبر عام 1955م، وأصبح قصر المنار مقراً لها؛ وكانت برئاسة السيد محمود البشتي ووزير المعارف عبدالسلام بسيكري أبرز النخب المثقفة الليبية، وكان التوجه المصري هو من أهم العوامل التي حققت نجاح مشروع الجامعة الليبية، حيث كانت الخطوة الأولى هي إنشاء كلية الآداب والتربية، وذلك عن طريق الاستعانة بالخبرات التعليمية المصرية من أمثال: محمد فريد أبوحديد الذي تم الاستعانة به في وضع اللبنة الأولى في تأسيس الجامعة الليبية من أجل سد العجز في كليات الجامعة؛ والاستغناء عن الكفاءات الأجنبية<sup>(17)</sup>.



زاد التقارب المصري الليبي من خلال عقد عدة اتفاقيات في عدة مجالات وأهمها المجال الثقافي، فتم عقد اتفاقية في عام 1951م واتفاقية في عام 1954م وهي التي كفلت لليبيا كافة الدعم الثقافي في مجال التعلم، وما يتبعه من تجهيزات وتزويد البلاد بالمستشارين المصريين، لتسيير أمور الإدارة التعليمية، كما اعترفت الوزارات المصرية بالشهادات الثانوية المتحصل عليها من ليبيا وضمت الطلاب الليبيين للالتحاق بالمدارس والجامعات المصرية على نفقت الحكومة المصرية، فكان للتبادل الثقافي الليبي المصري أثر على توثيق العلاقات بين البلدين<sup>(18)</sup>.

إضافة إلى الدعم المصري من أساتذة وإداريين ومكتبات وكتب وتجهيزات، وعملت النخب المثقفة الليبية من أمثال: مصطفى عبدالله ابيو وعبدالمولي دغمان ممن تولوا رئاسة الجامعة على جمع كافة التخصصات الأدبية والعلمية بكليات الجامعة<sup>(19)</sup>.

وبدأت الجامعة الليبية بكلية الآداب والتربية ثم زاد العدد إلى سبع كليات هي كلية الآداب والاقتصاد والعلوم والهندسة والحقوق والمعلمين والزراعة.

وقد كان عدد الطلاب في أول عام 31 طالباً، وأصبح في عامي 1967-1968م 2489 طالباً، وكان عدد أعضاء هيئة التدريس عند البداية 5، ومن ثم وصل عددهم إلى 231 عضواً في هيئة التدريس في عام 1967م.

أما المكتبة فقد كان عدد الكتب التي حوتها عند البداية لا يتجاوز خمسة آلاف كتاب ثم صار العدد عام 1968م يزيد عن 70 ألف مجلد.

وقد بلغ مجموع من يدرس على المستوى الجامعي من الجنسين عامي 1965-1966م حوالي 2447 طالباً وطالبة، منهم 700 يدرسون بالخارج أكثرهم في التخصصات العلمية وبعضهم يعد للدراسات العليا، وقد كان عدد الذين أنهوا دراستهم الجامعية من الجنسين في الخارج في نهاية ديسمبر 1965م حوالي 300 طالب، وكان عدد من تخرج من كلية الآداب والتربية وكلية العلوم والاقتصاد والتجارة في يونيو عام 1965م حوالي 749 طالب وطالبة.

وفي عامي 1967م-1968م كان مجموع من تخرج من كليات: الآداب والاقتصاد والعلوم والهندسة والحقوق حوالي 1327 خريجاً، كان منهم 167 معيداً يدرس منهم في خارج البلاد 110، والباقي سوف يرسلون في أقرب وقت ممكن، كما تقرر أن تأخذ كلية الطب مكانها بين كليات الجامعة الليبية ابتداءً من العام الدراسي 1971م-1972م<sup>(20)</sup>.

ونتيجة للنمو الكبير في الكليات وزيادة عدد الطلبة، فقد تقرر إنشاء مدينة جامعية كبيرة في مدينة بنغازي عام 1968م، وقد وضع الملك إدريس السنوسي حجر الأساس بنفسه لهذه المدينة، حيث كان في استقباله كل من رئيس الوزراء ونيس القذافي وفتحي الخوجه كبير التشرiftات والفريق سليمان بوشاح مدير



عام قوة الأمن بالمحافظات الشرقية، وضمت لجنة الاستقبال وزير التربية والتعليم الاستاذ مصطفى بعيو ورئيس الجامعة الليبية عبد المولى دغمان وأعضاء مجلسها.

وقد ألقى رئيس الجامعة الأستاذ عبد المولى دغمان كلمة تقدم فيها باسم الجامعة الليبية أساتذة وطلاباً بالشكر الجزيل والتقدير العميق على تلبية الملك للدعوة لوضع حجر الأساس للمدينة الجامعية الكبيرة، التي سوف تساهم في بناء الدولة وتكون التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على أسس العصر الحديث، وتبادل المعارف والعلوم، كما قدم الأستاذ "عبد المولى دغمان" هدية الجامعة الليبية؛ للملك إدريس وهي عبارة عن مجسم للمدينة الجامعية في إطار من الذهب، ثم تفضل الملك بوضع حجر الأساس للمدينة الجامعية الجديدة في بنغازي<sup>(21)</sup>.

وقد قدمت الجامعة الليبية الكثير من الكفاءات الذين دخلوا إلى مجال العمل في البلاد كما قامت بإيفاد الكثير من الموظفين والطلاب الليبيين للخارج لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ساهمت وزارة المعارف في ذلك الوقت عندما أوفدت في أكتوبر عام 1964م كل من السادة: سالم الزيات وصالح الجمل وسليمان العزايبي من أجل الالتحاق بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس من أجل الحصول على شهادة الماجستير باللغة الإنجليزية، وهم من خريجي الجامعة الليبية، وقد عملوا في وزارة المعارف كمدرسين للغة الإنجليزية.

كما تم ترشيح السيد رمضان موسى الطيب من قبل وزارة الصحة للالتحاق بجامعة كاليفورنيا في بريكلي للحصول على شهادة الماجستير في التربية الصحية، وهو أيضاً من خريجي الجامعة الليبية ويعمل في وزارة الصحة<sup>(22)</sup>.

واستمرت الجامعة الليبية في العطاء خلال فترة الستينيات واستمر التعليم والاهتمام بالكتاب الليبي، حيث شهدت مدينة بنغازي معرض الكتاب الليبي الأول في نهاية 1968م، وكان من المعروضات الإنتاجات الفكرية الليبية عبر العصور من تاريخ وأدب وقصة وشعر والمخطوطات القديمة النادرة حيث تجاوز عدد المعروضات 240 كتاباً، وكانت هذه بداية لهضة أدبية وثقافية ليبية تسهم في بناء الحضارة الليبية الحديثة وتستمد قوتها من نتاج فكري متطور<sup>(23)</sup>.

## 2- تأسيس الجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء:

في عام 1843م إنشاء السيد محمد بن علي السنوسي الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر، فكانت بمثابة (معهد ديني) يقوم على أساس تعلم ونشر مفاهيم أصول اللغة العربية والقرآن الكريم<sup>(24)</sup>.



وفي عام 1961م تم فتح معهد إدريس الأول السنوسي بدعم من جامع الأزهر، كما تم فتح فروع له في جميع أنحاء ليبيا؛ وقد اتبع في مناهجه؛ تدريس الصرف والإملاء والخطابة والتجويد والتحفيز وغيرها من العلوم الاجتماعية من المناظرة والتفسير والحديث وأصول الفقه وغيرها، وقد تم إفادة قرابة 68 مدرس مصري في منطقة برقة من قبل الأزهر، و21 مدرس تم افادهم من منطقة طرابلس للتدريس في المعاهد الدينية والثقافية<sup>(25)</sup>.

أما في عام 1962م فتم تأسيس (الجامعة الإسلامية الكبرى) في مدينة البيضاء، وهي تحمل اسم جامعة السيد محمد بن علي السنوسي من أجل الحفاظ على التراث الإسلامي، ودراسة العلوم الإسلامية والعربية وفروع العلوم الحديثة وتتبعها المعاهد الابتدائية والاعدادية والثانوية في مختلف أنحاء البلاد، وينطق بلسانها ويترجم رسالتها قسم الوعظ والإرشاد، كما أهتمت الجامعة أيضاً بالمدارس القرآنية التي تدرس وتحفظ القرآن الكريم للبنين والبنات<sup>(26)</sup>.

وكانت الجامعة الإسلامية تسعى خلال تلك الفترة لتطوير العلوم الدينية والمحافظة على أصول الشريعة في ظل تيار المدارس الحديثة، وتأهيل كوادر يحملون رايات القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد، فأصبحت الجامعة قبلة طلاب الدول العربية اسوه بجامعة الأزهر والزيوتونة، وقسمت الجامعة إلى ثلاثة كليات هي: كلية الشريعة وكلية اللغة العربية وكلية أصول الدين. كذلك زودت الجامعة طلابها بالكتب الدراسية للزمة والزي الرسمي، كما احتوت الجامعة على مكتبة تضم العديد من الكتب القيمة؛ حيث جهزت المكتبة بقاعة للمطالعة والدراسة<sup>(27)</sup>.

وقد كان عدد الطلاب في معهد الجامعة الإسلامية خلال عامي 1958-1959م قرابة 11 طالب، ومن ثم زاد عدد الطلاب إلى قرابة 112 طالباً خلال عامي 1962-1963م، كذلك حدث تزايد في أعداد الطلبة بالمعهد خلال عامي 1965-1966م، ليصل إلى حوالي 287 طالباً، وذلك نتيجة لتحويل المعهد إلى الجامعة الإسلامية<sup>(28)</sup>.

وبمناسبة الاحتفال بالذكرى السابعة عشر لإعلان الدستور في ليبيا قام الملك إدريس في نهاية عام 1968م بوضع حجر الأساس للمبنى الجديد للجامعة الإسلامية في مدينة البيضاء قبل أن يضع حجر أساس المدينة الجامعية الجديدة في بنغازي بيوم واحد فقط، وقد كان في استقبال الملك لجنة الاستقبال المكونة من فضيلة الشيخ عبد الحميد عطيه الديباني شيخ الجامعة الإسلامية ورئيس الوزراء السيد ونيس القذافي والسادة أعضاء هيئة كبار العلماء ومدير عام الزوايا السنوسية ونائبه ووكيل الجامعة الإسلامية وعمداء الكليات ومدير الجامعة وعضو ممثل لهيئة التدريس عن كل كلية وقد ألقى الشيخ عطيه الديباني شيخ الجامعة الإسلامية كلمة شكر فيها الملك إدريس على قدومه بالنيابة عن جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية من أجل وضع حجر أساس للمبنى الجديد للجامعة الإسلامية التي



نمت واتسعت رسالتها وتعددت فروعها وابتدت أهميتها في العالم الإسلامي كله، ولذلك تطلب إنشاء مشروعات عمرانية تخدم رسالتها وتعمل على تسهيل مهمتها<sup>(29)</sup>.

وضم المبنى الجديد للجامعة الإسلامية ثلاثة كليات وإنشاء مساكن على الطراز الحديث للأساتذة والمدرسين والموظفين ومعاهد دينية ومكتبة عامة ومطبعة حديثة وقاعة للمحاضرات تتسع لأكثر عدد ممكن إلى غير ذلك من المرافق والمنشآت، وذلك من أجل النهوض لكل مجالات العلم في البلاد، وقد تشرف فضيلة شيخ الجامعة؛ فقدم هدية جامعة محمد بن علي السنوسي للملك وهي المصحف الشريف، وكان ذلك قبل أن يضع بيده حجر الأساس للجامعة الإسلامية<sup>(30)</sup>.

وقد بلغ عدد الطلاب في كليات الجامعة الإسلامية في عام 1968م 40، في حين بلغ عدد الأساتذة والمدرسين 47 أستاذ، وعدد الوعاظ والقراء 182 واعظاً وقارئاً ومدرساً منهم 10 بالدراسات العليا.

أما عن عدد الطلبة في المعاهد الابتدائية والإعدادية والثانوية التابعة للجامعة الإسلامية، فقد بلغ حوالي 1750 طالباً، وعدد المدرسين بها 230 مدرساً، وقد بلغ عدد الطلبة في المدارس القرآنية للبنين والبنات حوالي 8534 طالباً وطالبة، وعدد المدرسين بها 742 مدرساً.

ولم تقتصر الجامعة الإسلامية على تدريس أبناء المملكة الليبية في ذلك الوقت؛ بل وفد إليها عدد من الطلبة الوافدين من بلدان المناطق الأفريقية والآسيوية والأوروبية من أجل التعلم ونشر الثقافة الإسلامية في بلادهم، فعلى سبيل المثال بلغ عدد الوافدين في عام 1968م قرابة 576 طالباً من خمسة وثلاثين دولة إسلامية.

وبذلك كانت الجامعة الإسلامية جنباً إلى جنب مع الجامعة الليبية تؤدي كل منهما رسالتها الضرورية في خدمة الوطن في شتى مجالات العلوم والمعارف من أجل خلق جيل أفضل من الشباب لتولي أمور البلاد والاهتمام بها<sup>(31)</sup>.



### ثالثاً: تطور التعليم في طرابلس:

أنه في عام 1957م قامت الجامعة الليبية بإنشاء عدة كليات أهمها: كلية العلوم والاقتصاد والتجارة والعديد من الكليات الأدبية في طرابلس، واعتمدت الجامعة أيضاً على المناهج المصرية؛ ناهيك عن تعاقدهم مع الأساتذة المصريين، ونتيجة لذلك أصبحت المؤسسات التعليمية المصرية قاعدة لانطلاق النهضة العلمية في ليبيا<sup>(32)</sup>.

كما شهدت منطقة طرابلس اهتمام بتعليم اللغة الإنجليزية منذ عام 1960م، وكان من أهم المدارس التي علمت أصول اللغة الانجليزية: المدرسة الأمريكية لتعليم اللغة الإنجليزية بطرابلس، التي تعطي أو تمنح شهادة جامعة متشيجان للغة الإنجليزية.

ومن المعروف أن معهد اللغة الإنجليزية بجامعة متشيجان يعقد امتحانات في سائر أنحاء العالم ويتحصل الناجح على شهادة تؤهله لدخول الجامعات الأمريكية، وقد نجح ثلاثة أشخاص فقط عندما عقد الامتحان لأول مرة في ليبيا عام 1960م، ولكن أصبح العدد في زيادة في السنوات اللاحقة، مثلاً في نهاية عام 1965م تحصل 10 أشخاص على الشهادات من بين 23 شخص تقدموا للامتحان في طرابلس كذلك حصل عليها ثلاثة من مدينة بنغازي وكان الذين نجحوا في امتحانات عام 1965م قد أرسلوا من قبل الشركات التي يعملون بها لاستكمال تحصيلهم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية كل في مجال تخصصه<sup>(33)</sup>.

وبذلك أدى تطور التعليم في طرابلس خلال فترة الستينيات إلى تطور ثقافي وأدبي وفكري في هذه الولاية التي شهدت افتتاح أول مكتبة شعبية في ميدان الشهداء في شهر أغسطس عام 1961م والتي يديرها السيد شعبان الشريف وكان يزورها في اليوم ما بين 300 و 350 شخص ويوجد بها العديد من الكتب والصحف والمجلات والقصص وغيرها<sup>(34)</sup>.

أما بالنسبة لنتائج تطور التعليم خلال فترة الستينيات تخرجت أول طالبة ليبية من كلية الآداب بالجامعة الليبية في بنغازي خلال العام الجامعي 1960-1961م<sup>(35)</sup>.

وكان ذلك دافعاً قوياً للمرأة للإسهام في نهضة وطنها، فدخلت إلى مجال التعليم والتدريس في المدارس والمعاهد بل وفي مدرجات الجامعة وقاعاتها، فعلى سبيل المثال كانت الأنسة قدرية بن صويد أول معيدة ليبية تلقي محاضرات عام 1964م على الطلبة في الجامعة ولأول مرة في تاريخ الجامعة الليبية أصبحت المرأة مذيعة وكاتبة في الصحافة وعاملة في التلفزيون وحرس الجمارك، ولقد باشرت المرأة العمل في هذه الدوائر وأدت عملها على خير وجه<sup>(36)</sup>.

وخير دليل على تقدم التعليم هو اشتراك ليبيا في اجتماع مجلس إدارة المركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في البلاد العربية، الذي عقد في بيروت عام 1963م، وكان وفد ليبيا برئاسة حامد





بوسريويل وكيل وزارة المعارف، حيث أن ليبيا ساهمت واشتركت في هذا المركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم منذ نشأته الأولى من أجل المساهمة في التطور والتنمية لأن المركز كان يعني بدراسة النواحي المختلفة التعليمية والتربوية ويساعد دراسة المخططات التعليمية في البلاد العربية، وقد استفادت ليبيا من اشتراكها في هذا المركز في مختلف الدراسات التربوية ورفع مستوى كبار موظفي التعليم من النواحي الإدارية والمعرفة الفنية واطلاعهم على أحدث الأساليب العلمية<sup>(37)</sup>.

أما في إقليم طرابلس الذي كان يمتاز بكثرة السكان، فقد تطور التعليم كثيراً خلال فترة الستينيات؛ لأن الإقليم امتاز أيضاً بكثرة عدد المدارس والطلبة والطالبات والمدرسين والمدارس وخير دليل على ذلك أن عدد طلبة المرحلة الابتدائية قد بلغ في عام 1965م حوالي 65128 طالباً من الذكور و20600 طالبة من الإناث، في حين بلغ عدد المدارس المتوسطة بالمحافظة 2673 مدرسة إعدادية وثانوية ومعلمات، أما عدد طلبة هذه المرحلة بلغ عام 1965م حوالي 11 ألف تلميذ وعدد المدرسين في هذه المرحلة وصل إلى 489 مدرساً.

أما عدد مدرسي المرحلة الابتدائية، فقد بلغ 1100 مدرس و550 مدرسة وقد توقع مدير عام التعليم في طرابلس الأستاذ "أحمد نبيه المصري" في عام 1965م أن عدد المدارس والمدرسين والتلاميذ سوف يزداد، حيث تم الإعلان عن إنشاء حوالي 250 فصلاً دراسياً، وسيعلن قريباً عن إنشاء 250 فصلاً آخر، وأنه سوف يشرع في إنشاء مدرسة داخلية ثانوية تسع لحوالي 750 طالباً على أحدث الطرق العصرية وسيتم بناؤها قبل بداية العام الدراسي القادم 1966م، كما سيتم مشروع مدرسة إعدادية داخلية بطرابلس في نفس السنة، حيث أن هناك إقبالاً على التحصيل والتعليم في ولاية طرابلس بشكل ملحوظ منذ بداية فترة الستينيات<sup>(38)</sup>.

ومع بداية عام 1966م تم بطرابلس توقيع اتفاقية إنشاء كلية المعلمين العليا مع اليونسكو، وقد مثل الجانب الليبي الأستاذ الطاهر باكير وزير التربية والتعليم ووكيلا الوزارة للشؤون الفنية والإدارية ومدير كلية الدراسات العليا بينما مثل اليونسكو في تلك الفترة مديرها العام المسيو "رينيه ماهو" والسيد "أفتاب حسين" الممثل المقيم لبرنامج الأمم المتحدة للتنمية بالوكالة.

وسييسهم برنامج الأمم المتحدة للتنمية بمبلغ 1.684.720 دولار للمشروع بينما تسهم الحكومة الليبية بمبلغ 5.1 مليون دولار للنفقات المحلية وستكون الكلية قادرة على تخريج مدرسين أكفاء للمرحلتين الإعدادية والثانوية كما ستعقد بها ندوات تعليمية ودورات مسائية وصيفية للمدرسين. وقد أكد الأستاذ "طاهر باكير" أن الحكومة الليبية تولي عناية كبيرة بالعلم وتنظر إليه نظرة جدية عميقة قصد تأهيل الأجيال الصاعدة لحياة العمل والإنتاج وبتوقيع اتفاقية إنشاء كلية المعلمين العليا تكون ليبيا قد بدأت أولى خطواتها نحو نهضة تربوية شاملة لأن أهم ما تحتاجه ليبيا هو المعلم ذو المستوى العالي<sup>(39)</sup>.



ومع تطور التعليم في ليبيا خلال فترة الستينيات تطورت البلاد في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، كما تطور الأدب والفن والمسرح والصحافة التي دخلت طوراً جديداً في حرية الرأي والتعبير والمساهمة في بناء الوطن ونهضته الحديثة، حيث أخذت الصحافة بأسباب تطورها وتتبع الأساليب الصحفية؛ فوصل عدد الصحف في عام 1968م إلى 20 صحيفة يومية وأسبوعية وظهرت الصحافة المتخصصة في مال واحد مثل: الرياضة أو الفن أو الأدب أو الاقتصاد، كما عرفت الصحافة الليبية أساليب المدارس الصحفية الحديثة، كما أدخلت المطابع الليبية أحدث الأجهزة الطباعية، وقد كانت وكالة الأنباء الليبية تزود الصحف والإذاعة بالأنباء المهمة من جميع أنحاء العالم، وتصدر الخبر الليبي إلى كل أنحاء العالم<sup>(40)</sup>.

وبدا الحكومة الليبية تهتم بالمؤسسات التعليمية كثيراً خلال نهاية الستينيات، حتى بلغت ميزانية وزارة التربية والتعليم خلال عامي 1968-1969م حوالي 770 و 245 و 41 جنية ليبي، وقد جاءت وزارة التربية والتعليم المرتبة السابعة من حيث تقسيم الميزانية العامة بعد السلطات العليا ورئاسة الوزراء ووزارة الداخلية والمواصلات ووزارة الأشغال العامة والدفاع، هذا إلى جانب نصيب وزارة التربية والتعليم من ميزانية التنمية التي بلغت 13.850.000 من مجموع 170 مليون جنية كميزانية للتنمية مقسمة على كل قطاعات الدولة للسنة المالية 1968-1969م<sup>(41)</sup>.

وأخيراً وليس أخراً منذ استقلال ليبيا عام 1952م إلى عام 1968م، انطلقت البلاد بخطوات مسرعة نحو المدنية الحديثة في شتى مجالات الحياة، فالمتعلمون في المدارس الابتدائية قدرت نسبتهم في نهاية عام 1968م حوالي 70% من مجموع عدد السكان، كما زادت المدارس الاعدادية والمتوسطة والثانوية، وأصبح في البلاد الجامعة الليبية للعلوم الراقية والحديثة والجامعة الإسلامية لتعليم الدين الإسلامي، فضلاً عن المعاهد المدنية والعسكرية والكلية الحربية<sup>(42)</sup>.

#### رابعاً: التعليم في فزان:

اهتمت الدولة الليبية بالتعليم بفزان؛ إذ قامت بإنشاء 17 مدرسة للبنين، و 13 مدرسة للبنات، وذلك بين عامي 61-1962م، ونتيجة لذلك ارتفع عدد الطلاب في مناطق وادي الشاطي ومرزق والجفرة وغات من 6535 إلى 7650 طالبا خلال عامي 61-1962م، كما ارتفع عدد المدرسين خلال تلك الفترة من 242 إلى 275 مدرسا.

كما شهدت تلك الفترة زيادة في اعداد المدارس من 54 إلى 67 مدرسة. ونتيجة لهذا التطور في التعليم، ارتفع عدد المعلمين والمعلمات من 96 إلى 275 خلال عام 1962م، إضافة إلى 50 معلما موفد للإقليم؛ تم توزيعهم على المناطق الداخلية بالإقليم<sup>(43)</sup>.



كذلك شهدت فزان تقدماً ملحوظاً في إنشاء المدارس القرآنية؛ حيث زادت من 41 مدرسة قرآنية عام 1961م إلى 121 مدرسة عام 1962م<sup>(44)</sup>.

وقد اهتمت الحكومة الليبية أيضاً بإفادة الطلبة المتفوقين بالإقليم إلى خارج البلاد، فتم إفادة طالب إلى كلية الطب بالقاهرة، وطالب إلى جامعة الأزهر، وطالب إلى كلية العسكرية المصرية، فضلاً عن إفاد طالب آخر إلى كلية الطب ببرطانيا، ناهيك عن إفاد ثلاثة طلاب إلى الجمهورية التركية.

وكان من نتيجة التطور التعليمي في فزان، أن ساهم في خفض نسبة الأمية، حيث تم افتتاح فصول دراسية في فزان والمناطق المحيطة بها بلغت حوالي 59 فصل، وبلغ عدد الطلاب فيها حوالي 1878 طالب وعدد المعلمين حوالي 59 معلم ومعلمة<sup>(45)</sup>.

وبذلك واكب إقليم فزان في ركب النهضة العلمية، التي أصبحت تتضح منذ الاستقلال، فكانت تلك النهضة عاملاً مهماً في تنامي التوعية السياسية، ومشاركة أبناء الإقليم ضمن المناصب الحكومية المهمة، حيث أصبح لإقليم فزان صوتاً في مجلس النواب ومجلس الشيوخ واللجنة التأسيسية ولجنة الواحد والعشرين، بالتالي أعطت تلك المتغيرات التعليمية نهضة علمية على كافة أنحاء الإقليم.

ومع إقرار اللغة العربية كلغة رسمية وأساسية في العملية التعليمية في البلاد، حظى إقليم فزان بنهضة علمية وفكرية، وخطى خطوات إيجابية نحو التقدم العلمي، وإعادة بناء الثقافة الليبية بشكلها الوطني والعربي، وذلك تعويضاً عن ما ضاع من ملامح الهوية الليبية خلال فترة حكم الإيطاليين؛ بدمجها ضمن ثقافات غربية دخيلة<sup>(46)</sup>.



### الخاتمة

مر التعليم في ليبيا بعدة مراحل قبل أن يشهد تطور ملحوظ بعد الاستقلال في عام 1951م، حيث اقتصر على تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم في العهد العثماني الأول، ثم ظهر التعليم الأوروبي، إلى جانب التعليم العربي في العهد العثماني الثاني، وفي فترة الاستعمار الإيطالي. مع تطور التعليم بشكل بسيط في عهد الإدارة البريطانية 1943 - 1948م، ولكن البلاد لم تشهد إقبالا كبيرا على التعليم إلا بعد الاستقلال عام 1951م، ومع أن الحكومة الليبية بدأت تهتم بالمؤسسات التعليمية والتعليم العالي، لاسيما بعد تأسيس الجامعة الليبية والجامعة الإسلامية ولكن هذا التعليم لم يشهد تطورا ملحوظا، إلا خلال فترة الستينيات بسبب تحسن الأوضاع الاقتصادية في البلاد . بدأت الحكومة الليبية تجني ثمار اهتمامها بالتعليم والمؤسسات التعليمية في طرابلس وبرقة منذ منتصف الستينيات بعد تخرج عدد كبير من الطلبة والطالبات من الجامعات والمعاهد في ليبيا وإيفاد عدد كبير منهم إلى الخارج لاسيما إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل استكمال دراستهم العليا وتمام دوراتهم التعليمية والعودة إلى بلادهم من أجل العمل وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ظهرت نتائج تطور التعليم واضح خلال فترة الستينيات في ليبيا من خلال تطور المؤسسات والمناهج العلمية وزيادة الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية وتطور التعليم العالي والصحافة والأدب وتعليم المرأة التي دخلت كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل وقامت بعملها في المجتمع الليبي على أكمل وجه . بلغت ميزانية ليبيا 345 مليون جنية ليبي للسنة المالية عامي 1968-1969م وهي أضخم ميزانية في تاريخ ليبيا الحديث منذ فجر استقلالها وهي مقسمة إلى الميزانية العامة 170 مليون جنية وميزانية التنمية 123 مليون جنية وميزانية الدفاع القومي والدعم العربي 52 مليون جنية . وقد بلغت نصيب وزارة التربية والتعليم من هذه الميزانية 41.245.770 من الميزانية العامة و 13.850.000 من ميزانية التنمية وهذا يعتبر تطور واهتمام بقطاع التعليم في تلك الفترة من قبل الدولة الليبية من أجل بناء الدولة الحديثة .



### قائمة الهوامش

1. أحمد محمد القماطي ، تطور تعليم البنات في الجماهيرية ماضيه وحاضره ، المنشأة العامة للنشر والإعلان ، طرابلس ، 1984م ، ص 37 .
2. شيل جريج ، تاريخ التعليم في إقليم طرابلس ، ت : أحمد محمود العاقل ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 2005 ، ص 13 .
3. على مصطفى المصراطي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، بيروت ، 1960م ، ص 256 .
4. إبراهيم أحمد المهدي ، دراسات في الأرشيف والمعلومات ، جامعة بنغازي ، 1998م ، ص 79 .
5. الهادي إبراهيم المشيرقي ، ذكريات في نصف قرن من الأحداث الاجتماعية والسياسية ، طرابلس ، 1980 ، ص 10 .
6. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص297.
7. زينب جابري، اطلاله على الحياة الثقافية بليبيا من عام 1954-1969م، طرابلس 2009م، ص7، 8.
8. شيل جريج ، مرجع سابق ، ص 19 - 56 .
9. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م ، ت : عماد حاتم ، من منشورات مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 2005 ، ص 257 .
10. التقرير الوطني عن تطور التعليم في ليبيا ، 1989-1991م ، مقدم إلى المؤتمر الدولي للتربية ، الدورة 43، جنيف ، سويسرا، 1992م .
11. ساجدة محمد الشيخ، أثر الحياة الثقافية على الاوضاع السياسية في ليبيا 1943-1969م، رسالة ماجستير غير منشور، كلية الاداب جامعة عمر المختار 2019م، ص299.
12. رأفت غنيم الشيخى، تطور التعليم في ليبيا، بحث مقدم لمؤتمر وزارة التربية والتعليم بطرابلس عام 1966م، المؤتمر التربوي الوطني البحث رقم 4، 1970م، ص18، 19.
13. محمد بن مسعود ، تاريخ ليبيا العام ، ط 1 ، طرابلس الغرب ، 1950م ، ص 108 .
14. مجلة المعرفة الصادرة عن المركز الثقافي الأمريكي في ليبيا، العدد 338 الصادر في 13 مايو 1966م، ص 141
15. مجلة المعرفة الصادرة عن المركز الثقافي الأمريكي في ليبيا ، العدد 338 ، الصادر في 13 مايو 1966م ، ص 141 .
16. عبد السلام ارحومه ، مؤشرات التنمية الاجتماعية في ليبيا 1970-1980م ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، 1988م ، ص 29 ، زينب محمد زهري ، المرأة العاملة في المجتمع العربي الليبي المعاصر ، جامعة قاريونس - بنغازي ، 1988م ، ص 28-29 .
17. انس المهدي الشريف، نبذة عن تأسيس الجامعة الليبية، مجلة اشراقة، 24 ديسمبر، عدد خاص، درنة، مركز ادريس الاول 2012م، ص112.
18. عادل محمد عثمان، العلاقات الليبية المصرية 1951-1969م، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة، 1997م، ص261-265.
19. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص305.
20. مجلة المعرفة ، العدد 393 ، الصادر في 4 نوفمبر 1968م ، ص 55 .



21. المرجع السابق ، العدد 393 ، ص 53 – 55.
22. مجلة المعرفة ، العدد 289 ، الصادر في 19 يونيو عام 1964م ، ص 50 .
23. المرجع السابق ، العدد 394 ، الصادر في 18 نوفمبر عام 1968م ، ص 69 .
24. المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس ، الوثائق العثمانية المجموعة الأولى ، ترجمة : محمد الأسطى ، طرابلس، 1990م ، وثيقة رقم 11 مؤرخة في 2 فبراير عام 1858م .
25. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص307.
26. مجلة المعرفة ، العدد 383 ، ص 141 .
27. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص310.
28. مجلة المعرفة ، العدد 383 ، ص 141 .
29. مجلة المعرفة ، العدد 393 ، ص 50-52 .
30. نفس المرجع ونفس الصفحات .
31. المرجع السابق ، العدد 393 ، ص 51، 52 ؛ أيضاً محمد بن سعود ، تاريخ ليبيا العام ، ط1 ، طرابلس الغرب ، 1950م ، ص152.
32. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص307.
33. المرجع السابق ، العدد 328 ، الصادر في 24 ديسمبر 1965م ، ص 8 ، أيضاً نبيل جريج ، مرجع سابق ، ص 67،68.
34. مجلة المعرفة ، العدد 327 ، الصادر في 10 ديسمبر 1965م ، ص 103 .
35. إبراهيم أحمد المهداوي ، مرجع سابق ، ص 28 .
36. مجلة المعرفة ، العدد 289 ، الصادر في 19 يونيو 1964م ، ص 41 ، أيضاً زينب محمد زهري ، مرجع سابق ، ص 27 .
37. مجلة المعرفة ، العدد 255 ، الصادر في 1 مارس 1963م ، ص 11 .
38. مجلة المعرفة ، العدد 327 ، الصادر في 10 ديسمبر 1965م ، ص 103 ؛ أيضاً بوبكر محمود الهوس ، تطور الضبط البيليوغرافي للمطبوعات الرسمية في ليبيا ، 1951-1977م ، مركز جهاد الليبيين طرابلس ، 1988م ، ص 108 – 111 .
39. مجلة المعرفة ، العدد 321 ، الصادر في 4 فبراير 1966م ، ص 144 .
40. مجلة المعرفة ، العدد 383م ، الصادر في 3 يوليو عام 1968م ، ص 212 .
41. المرجع السابق ، العدد 378 الصادر في 25 مارس 1968م ، ص 152 .
42. محمد بن مسعود ، المرجع السابق ، ص 149 .
43. عمر التومي الشيباني، الثقافة والتعليم في ليبيا في الايطالي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 2004م، ص31.
44. أحمد محمد القماطي، تطور الإدارة التعليمية في ليبيا، دار العربية للكتاب، ليبيا – تونس 1987م، ص260، 261
45. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص313.
46. ساجدة محمد الشيخ، المرجع السابق، ص313



## البركل جبل الحضارة والتراث

### Barkal the mountain of civilization and heritage

د. ليلي بومريش

-جامعة الجزائر 2 -أبو القاسم سعد الله

[Leilaboumriche@yahoo.fr](mailto:Leilaboumriche@yahoo.fr)

الطالبة: عبلة عبد الحي

-طالبة دكتوراه-جامعة الجزائر 2-

[ablatebessa2@gmail.com](mailto:ablatebessa2@gmail.com)

#### المخلص:

يعتبر جبل البركل "البرقل" الواقع على الضفة الشرقية للنيل، بالقرب من مدينة كريمة الحالية، من أهم المواقع الأثرية بالسودان الشقيق، إنه "الجبل المقدس" أو "الجبل الطاهر" كما ذكر في الكثير من المصادر القديمة، ورويت عنه العديد من الأساطير والحكايات، كان مركز حضارة النوبيين وفخرهم، موقع تصارعت عليه حضارات الشرق الأدنى القديم، واعتبر من بين الطرق التجارية المهمة التي ربطت بين وسط إفريقيا والجزيرة العربية ومصر، إنه مكان ميلاد الإله أمون، الإله الأكبر في حضارة مصر الفرعونية خلال الدولة الحديثة، أين بني في سفحه معبده، مقر تتويج الملوك لإضفاء الشرعية على حكمهم، وعليه ستمحور إشكالية المقال حول قداسة جبل البركل في مملكة كوش؟ وكيف أثرت هذه القداسة على واقع الحياة الدينية وحتى السياسية في المملكة؟ ذلك الواقع الذي توج بإدراج جبل البركل وما أحيط به من آثار ضمن قائمة التراث العالمي لسنة 2003.

**الكلمات الدالة:** جبل البركل، مملكة كوش، الإله أمون، مصر، التراث.

#### Abstract :

Jebel Barkal is located on the eastern bank of the Nile, near to the present-day city of Karima, one of Sudan's most important archaeological sites, which became a World Heritage Site for the year 2003. It's the "sacred mountain" that was mentioned in many ancient historical sources and the birth place of the greatest god Amun of the Egyptian pharaonic civilization of the modern state, where was erected in his temple the coronation seat of kings to legitimize their domination.

The present paper attempts to find out the impact of the sacredness jebel Barkal on the religious and political life of the Kingdom.

**key words:** Jebel Barkal, Kingdom of Kush , God Amun, Egypt, Heritage

مقدمة:



لعب السودان دورا حضاريا ملحوظا في تاريخ الحضارة المصرية القديمة والافريقية، وقد سمي بعدة أسماء، منها بلاد النوبة، اثيوبيا، وكان أبرزها اسم كوش، حيث جاء أول ذكر لهذا الاسم<sup>1</sup> في السجلات الهيروغليفية في فترة المملكة الوسطى (1550-2040 ق.م)، إذ أشار الملك "سنوسرت الأول" أنه في العام الثامن عشر من حكمه هزم عشرة أقاليم تقع جنوب مصر (أي جنوب أسوان) على يد قائده "منتو حتب"، وأن أول هذه المناطق هي كوش التي وردت بالنطق "كاش"، وقد صُور سنوسرت الأول في قمة اللوح واقفا أمام "الإله منتو" إله الحرب عند المصريين قائلًا: " لقد أتيت لك بكل أقاليم النوبة تحت قدميك أيها الإله المجيد"، وما يهم في هذا النقش ورود اسم النوبة أي كوش ككيان سياسي قائمة، وأن حدود مصر امتدت شمال أسوان قبل سنوسرت الأول، أما في فترة الدولة الحديثة فإن اسم كوش ورد في معبد الملكة "حتشبسوت" (1468-1490 ق.م) بالدير البحري في النوبة جنوب أبيدوس<sup>2</sup>.

هذه المملكة التي انحصرت وامتدت حدودها الجغرافية عبر مراحل التاريخ القديم وشكلت أولى حضارات السودان وإفريقيا، لذا اخترنا في هذه الدراسة تتبع ما حققته مملكة كوش (2500 ق.م-350م) من إنجازات حضارية بالقرب وعلى سفح جبل البركل الذي كان له دور حضاري كبير في المنطقة نحاول توضيحه. ولدراسة الموضوع اعتمدت المنهج التاريخي الوصفي من أجل قراءات متعددة لأبحاث الأثريين وكتابات المؤرخين لتاريخ السودان عامة وتاريخ جبل البركل خاصة، واستعنت بالمنهج الاستنباطي، لاستخلاص وجهات النظر المتقاربة والمتناقضة في بعض الجوانب بين مؤيدي محلية الحضارة السودانية القديمة، كونها من إنجازات أهل كوش (العنصر المحلي)، ومعارضني هذه النظرة، وأنها كانت نتاج ذو تأثير ثقافي مصري كبير.

### 1. التعريف بجبل البركل:



الصورة 1 - جبل البركل عن:

<http://etudecritiqueducoran.wifeo.com/images/g/geb/Gebel-Barkal-Napata.png>

يعد جبل البركل أو البرقل (أنظر الصورة 1) من أهم المواقع الأثرية في بلاد السودان، أطلق عليه المصريون اسم "جو-وعب" "Dju-Wa'ab" أي (الجبل النقي، الطاهر)، وهو الجبل الذي عرف أيضا بـ "الجبل المقدس" لأنه كان مسكنا للإله النوبي القديم "ديدون"، ثم أصبح مقرا للإله "أمون" منذ الدولة الحديثة<sup>3</sup>، كما ذكر في وثيقة على حوائط معبد الأقصر من عصر رمسيس الثاني

<sup>1</sup> -D. M. Dixon, The Origin of The Kingdom of Kush (Napata-Meroe), The Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 50, Published by: Sage Publications, Ltd. London, 1964, p123.

<sup>2</sup> -صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفلكور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2006، ص176-177.

<sup>3</sup> -صديق مهدي عبدالرحمن وعبدالله الزبير يوسف، التأثيرات الخارجية على معتقدات أهل كوش، مجلة النيل الأبيض للدراسات والبحوث، العدد9، الخرطوم، 2017، ص144.





باسم "عروش الأرضيين" "nswt T<sup>3</sup>wy"، وهو لقب من ألقاب إله طيبة الأقدم<sup>4</sup>.  
بينما أورد العلامة عكاشة في كتابه "القاموس النوبي الصغير"، الاسم الحقيقي للجبل هو "توركل"، والكلمة  
مكونة من عبارتين باللغة النوبية: ف "تور" تعني الله و"كل" تعني بقعة أو قرب الله، وبالتالي يكون معنى مسمى  
الجبل هو "بقعة الله" أو "قرب الله"<sup>5</sup> وفي بعض المصادر المبكرة نجده مذكور بـ "جبل بيركل"، وهو الاسم العربي  
للجبل<sup>6</sup>.

## 2. وصف الجبل:

يمثل الجبل تحفة طبيعية غير اعتيادية، إنه شامخ بلونه البنفسجي عند كل مساء مع غروب الشمس<sup>7</sup>، قابع  
في عزلة وسط بحر رمال الصحراء الذهبية، بلمحته الحادة وقمته الشبيهة بالبرج، جعلت منه معلما من المعالم  
الطبيعية في العالم القديم، وأثيرت حوله العديد من التساؤلات والتكهنات وسط الرحالة والمغامرين والباحثين الذين  
زاروا المكان، ووقفوا مذهولين أمامه، منهم الرحالة الانجليزي هوسكنز (Hoskins)، الذي زار المنطقة في أوائل  
القرن التاسع عشر ميلادي، وكتب أن شكل جبل البركل لم يكن متشابهًا للغاية مع الأكروبوليس الأثيني. وذكر أن  
ارتفاع الجبل كان فيما سبق حوالي 350 قدم ومحيطه الإجمالي قدره بـ 5000 قدم<sup>8</sup>.

والجبل عبارة عن تلة كبيرة منعزلة من الصخر الرملي الذي نقر فيه العديد من المعابد، يقع في شمال  
السودان، على طول نهر النيل بين الشلال الثالث والرابع في منطقة النوبة، على بعد كيلومترين تقريبا شرق مدينة  
كريمة الحالية<sup>9</sup>، على بعد حوالي 365 كلم شمال الخرطوم و23 كلم من سد مروى، ما بين الاحداثيات  
18° و 32° شمالا، و 31° و 49° شرقا، يبعد حوالي 1.5 كلم عن الضفة اليمنى، أسفل منتصف النيل الكبير، وجزؤه  
المقابل لنهر النيل، عبارة عن منحدر صخري يتراوح ارتفاعه ما بين 80م إلى 90م، وبطول 200م تقريبا، ويرتفع  
عن مستوى سطح الأرض بـ 104م<sup>10</sup>، وفوق مستوى سطح البحر، يتراوح ارتفاعه ما بين 240 م و 280 م<sup>11</sup>.

<sup>4</sup>- أمينة عبد الفتاح محمد السوداني، المناجم والمهاجر في مصر القديمة، رسالة دكتوراه، جامعة طنطة، القاهرة، 2000، ص 85.

<sup>5</sup>- عن مجلة In the city، مهرجان جبل البركل الدولي، الخرطوم، 2015، ص 24.

<sup>6</sup>- Timothy Kendall A Visitor's Guide to The Jebel Barkal Temples, The NCAM Jebel Barkal Mission, Nubian Archaeological Development Organization (Qatar-Sudan), Khartoum, , 2016, p3.

<sup>7</sup>- Olivier Cabon et autre, Histoire et civilisations du Soudan de la préhistoire à nos jours, Ed Soleb, Paris, 2017, p17

<sup>8</sup>- Harkless Necia Desiree, Nubian Pharaohs and Meroitic kings The Kingdom of Kush, ed; Author House, United States of America, 2006, p109.

<sup>9</sup>- صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفلكلور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2006، ص 17.

<sup>10</sup>- Kendall, Op.Cit, p3.

<sup>11</sup>- Enrico Borgogno Mondino, Luigi Perotti & Marco Piras, High resolution satellite images for archeological applications: the Karima case study (Nubia region, Sudan), European Journal of Remote Sensing, 45:1., Published by Taylor & Francis, 2012, p244.



هذا الجبل كان مسكن الإله "أمون نبتة"، الذي يقيم في "الجبل النقي". ميزته تلك القمة الشبه منفصلة (The Pinnacle)، قمة علوية قائمة بذاتها، بارتفاع حوالي 75 متراً ، ومنظر شاهق لا مثيل له في وادي النيل، كان ينظر إليه قديماً على أنه تمثال طبيعي ضخم، له العديد من الهويات المتداخلة ويجمع بين العديد من القوى الخارقة، ومن التفسيرات المسلم بها ذات المعاني (أنظر الصورة 2) المرتبطة بالجانب الديني والسياسي، نذكر على



الصورة 2: معاني الجزء المنفصل عن جبل البركل عن:

<http://etudescritiqueducoran.wifo.com/images/g/geb/>

Gebel-Barkal-Napata.png

سبيل المثال ، تفسيرها بقضيب الخالق، أو كإله في وضعية القرفصاء، أو شخصية ملكية أو إلهية متوجة بتاج أبيض، كما تم تمثيله كصليل (أو كوبرا) ، يرتدي إما قرص الشمس أو تاج أبيض طويل القامة، لأن الصليل المقدس الذي كان يوضع في مقدمة تاج الملك، كان الرمز الأساسي للسلطة الملكية ، ولأن التاج الأبيض كان رمزاً للسلطة في حكم مصر العليا أو الجنوب عموماً ، وهذا ما يوحي أن سلطة مصر امتدت إلى أقصى الجنوب، عند جبل البركل وأن كوش كانت جزء من "صعيد مصر"<sup>12</sup>.

### 3. التنقيبات الأثرية:

لقد اهتم العديد من الباحثين بآثار السودان القديم، وأجريت العديد من الحفريات الأثرية بجبل البركل، وعلى مقربة منه كشفت التنقيبات عن وجود نشاط بشري يعود بجذوره إلى عصور ما قبل التاريخ، إلى فترات العصور الحجرية القديمة، حيث اكتشف أركل (Arkell) العديد من تلك المخلفات في مناطق مختلفة من السودان تتمثل في أدوات وأسلحة وغيرها<sup>13</sup>، وأفضل عهد في هذه المنطقة هو الفترة النبتية-المروية، حيث كانت نبتة الواقعة بمحاذاة جبل البركل عاصمة للمملكة الكوشية النبتية، على الأرجح منذ نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، واحتفظ بدوره الديني والإداري حتى القرن الرابع ميلادي.

أجريت العديد من عمليات التنقيب فيه منذ أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، منها ما قامت به البعثة البروسية بإشراف الأثري كارل ريشارد ليبسوس (Karl Richard Lepsius) خلال السنوات (1842-1845م)<sup>14</sup>، وفي عام 1862م، أبلغ ضابط مصري متمركز في مروي دائرة الآثار المصرية أنه وجد لوحات من الجرانيت في أنقاض جبل البركل، وقد قام أوغست مارييت (Aug. Mariette) عالم الآثار الفرنسي-كان في ذلك الوقت رئيس القسم-بنقل اللوحات إلى متحف القاهرة، ولكن دون أي تفاصيل عن النتيجة الدقيقة للاكتشاف، وكان

<sup>12</sup> - Kendall.T, Op.Cit, p4.

<sup>13</sup> - محمد إبراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998، ص14.

<sup>14</sup>- (ICOMOS), Evaluations des biens culturels, Préparées par le Conseil International des Monuments et des Sites (ICOMOS), UNESCO, 27ème session ordinaire (29 juin - 5 juillet 2003) Suzhou (Chine), 2003, p119.



البروفيسور شيفر (Schaefer)، الذي قام بفحص علمي للغة هذه اللوحات، ونشر نصوص موثوقة لها، رأى أن كل هذه اللوحات كان مصدرها معبد أمون في البركل<sup>15</sup>، وهذا ما زاد المكان أهمية، إذ وجه السيد مارييت رسالة إلى فيكومنت دو روجي (Vicomte De Rougé)، يعلمه فيها باكتشاف ومواصفات النصب التذكاري الذي عثر عليه في الجبل، والذي قد يساهم في الكشف عن الكثير من الغموض في تاريخ مصر، إذ يمكن قراءة فيه الاسم الهيروغليفي لجبل البركل "الجبل المقدس"، كما يعلمه أن عمليات التنقيب متواصلة في الجبل، وقد وضعت في أيديهم عدة لوحات ذات قيمة تاريخية كبيرة<sup>16</sup>، وقد أعقبت هذه الفترة الكثير من التنقيبات والأبحاث في المنطقة منهم ما قام به جرفيث (F.L.Griffith) وغيره.

لكن أهم علماء الآثار الذين حققوا نتائج كبيرة في البحث بتاريخ جبل البركل نذكر منهم كل من جورج أندرو ريزنر (George Andrew Reisner)، وكذا تيموثي كيندال (Tim Kendall): حيث أجرى ريزنر حفريات برعاية جامعة هارفارد (Harvard) ومتحف بوسطن للفنون الجميلة، من عام 1907 إلى عام 1932م، وقد قام باكتشاف جبانة جبل البركل<sup>17</sup>، كما كرّس كيندال معظم طاقته ووقته وأفكاره في دراسة آثار جبل البركل، بدءاً من إعادة النظر وتقييم أعمال ريزنر، وقد ذهب إلى ما هو أبعد من التنقيب في علم الآثار النوبي، وهذا ما شهدت به "أنجليكا لواسي" (Angelika Lohwasser) التي أقامت في منزل مجاور لمنزل كيندال في مدينة كريمة خلال أعماله الميدانية في الموقع، وكانت من الأوائل الذين تعرفوا على اكتشافاته الجديدة، حيث قاما بتسليق جبل البركل معاً في ضوء القمر، لرؤية شروق الشمس وتقدير الانطباعات المختلفة التي أثّرت حول وضع أمون كإله عبد في ذلك الجبل<sup>18</sup>.

وتوالت بعد ذلك عدة بعثات أثرية ساهمت بشكل واضح في نفص الغبار عن تاريخ جبل البركل، وقد منحت الهيئة الوطنية السودانية للآثار والمتاحف (NCAM) تراخيص لخمس فرق دولية، في مهمة لإجراء عمليات استكشاف أثرية بجبل البركل ابتداءً من عام 2013م، وتم تمويلها -منها الفرق العاملة في أماكن أخرى في السودان- من قبل دولة قطر، لترويج وحفظ ونشر الاكتشافات الأثرية السودانية القديمة، والفرق الخمسة هي كالتالي:

✓ **بعثة جبل البركل (A):** شارك فيها كل من الأمريكي تيموثي كيندال، والحسن أحمد محمد مساعد مدير (NCAM)، وقاموا بمشروع حفر المباني داخل الحرم الديني القديم، هذه المنطقة التي تم اكتشافها منذ أكثر من قرن من قبل ريزنر، وتتكون بشكل رئيسي من المعابد المصرية والنبتية، فضلاً عن قصرين ملكيين (B 100 و B 1200)، ومن المحتمل أن يكون الهيكل بيتاً للكاهن الأكبر (B1700).

<sup>15</sup>- M.B. Reisner, "Historical inscriptions from Gebel Barkal: Sudan notes and records volume IV,N2, Cairo, 1921, p59.

<sup>16</sup>- Auguste Mariette, Lettre à M. le vicomte de Rougé sur une stèle trouvée à Gebel-Barkal, Extrait de lu Revue Archéologique, Librairie Académique Didier et C, Paris, 1863.

<sup>17</sup>- ICOMOS, Op.Cit, p118

<sup>18</sup>- Angelika Lohwasser, Khonsu sitting IN Jebel Barkal, 2015, p245.



✓ بعثة جبل البركل (B): شارك في إدارتها كل من السيدة إجلال محمد عصمان المالك ، رئيسة الحفظ لـ (NCAM)، والدكتورة "ماري كونسيتا لارونت" (Maria Concetta Laurenti)، وفريق من المختصين الإيطاليين للمعد العالي للحفظ والترميم في روما (ISCR) بمشروع الحفاظ على اللوحات الجدارية واستعادتها داخل المعبد (B 300) للملك تهارقا.

✓ بعثة جامعة فينيسيا الإيطالية: تحت إشراف البروفيسور إيمانويل سيامبيني (Emanuele Ciampini)، قامت بالتنقيب عن الهياكل الفخمة الكبيرة والمباني المرتبطة بها شمال وشرق الحرم الرئيسي (B 1500 حتى B 3200).

✓ البعثة الأثرية لمشاريع الواحة الإسبانية: بالتعاون مع جامعة دنقلة (فرع كريمة) ، من إشراف د. مونتسيريا دياز دي سيريو (Montserrat Diaz de Cerio)، قاموا بمشروع لحفر العديد من المباني المحلية والدينية الكبيرة النباتية- المروية على بعد 700 متر شمال شرق جبل البركل في حي العباسية في كريمة.

✓ بعثة المعهد الأثري الألماني، بإشراف الدكتورة ألكسندرا ريدل (Alexandra Riedel)، ومحمود سلمان، قاموا بمشروع لتسجيل وحفظ أهرامات جبل البركل<sup>19</sup>.

#### 4. نماذج من معالم جبل البركل:

يزخر جبل البركل بالكثير من المعالم الأثرية، فبعد احتلال المصريين لبلاد النوبة بدأوا في إنشاء نظام إداري يحكم تلك البلاد، ثم شرعوا في تمصير النوبة، فشيّدوا العديد من المعابد في جميع أنحاءها خلال حكم الأسرة الثامنة عشر والتاسعة عشر من الدولة الحديثة<sup>20</sup>، ومن المعابد ما هي مرقمة كالاتي (B200)، (B300)، (B500)، (B600)، (B700)، (B800)، (B900)، (B1300) و(B1400) والحرف B يعني البركل،



الصورة 3: تمثال ما تبقى من معبد (B300) المنقور في صخور جبل البركل عن:  
لحسن أحمد محمد الحسن، الرجح السابق، ص108.

والترقيم يعود لراينزر الذي بدأ العمل في حفريات معابد جبل البركل، فالمعابد (B200) و(B300)، هي ذات غرف منحوتة في صخر الجبل، وعادة ما يضيف الملوك حجرات إضافية أو إعادة الصيانة لها، فالمعبد (B300) (أنظر الصورة 3) يعود أصله للدولة المصرية الحديثة ثم أعاد بناءه الملك تهارقا، و(B200) من أعمال تهارقا، أما معبد البركل (B700) فقد مر إنشائه بمرحلتين، واستمرت الإضافات ولكن سقط أخيرا ، أما معبد البركل (B800) ورغم أنه شيّد بالطوب اللبن إلا

<sup>19</sup> – Kendall, Op.Cit, p8-9

<sup>20</sup> –محمد حسن محبوب، تطور البناء الجنازي خلال فترات حضارة كوش الثانية والثالثة ( 760ق.م- 350 م)، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب - قسم الآثار، 2004، ص 24.

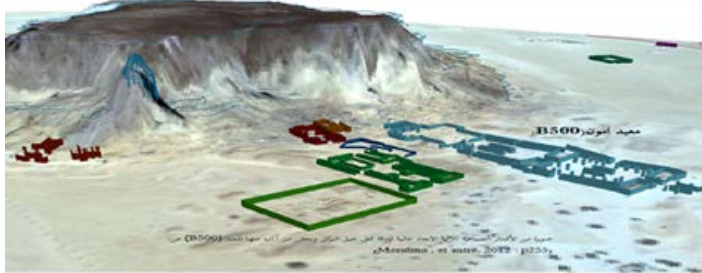


أن أعمدته وأرضيته بنيت بالحجر الرملي ويعتقد أن بعانخي قد شيده، فقد وصف كاشتا بنشاط معماري مكثف في جبل البركل، فقام بتوسعة هذا المعبد ونظم الممر الأمامي للبوابة ووضع فيه تماثيل أبي الهول برأس كبش وهي من أقدم التماثيل التي ترجع إلي هذه الفترة.

كما ألفت الحفريات والبحوث التي أجريت على هذا الجبل والمناطق المحيطة به الضوء على العديد من تلك القصور منها القصر (B100)، (B1500)، (B1200) الذي يتكون من 60 غرفة رقمهم رايزنر ابتداءً من 1201 حتى 1252 ويعود تاريخه لعهد الملك بيبي (بعانخي) أو ربما كاشتا<sup>21</sup>، بالإضافة إلى النصب والتماثيل والأهرامات وأنواع أخرى من المقابر، سنحاول في هذا المقام وصف أبرز هذه المعالم منها:

#### 1.4. معبد أمون (B500):

يعد هذا المعبد أكبر معابد جبل البركل، يرمز له بـ (B500) (أنظر الصورة 4)، تم بناؤه على الحافة الشرقية للجبل، وقد احتل مساحة 46 متر في 160متر، مكرس للإله أمون<sup>22</sup>، بدأت المرحلة الأولى من تشييده منذ فترة الدولة الحديثة واكتمل في العهد النبتي خاصة عهد بيبي (بعانخي) وتهارقا<sup>23</sup>، هذا المعبد الذي سمي أيضا بـ "معبد أمون نبتة" المعبد المركزي لدولة كوش، نجده قد وجد اهتماما بالغا من قبل ملوك كوش عامة، فأدعوا به لوحاتهم التذكارية وقدموا له الهبات والقرابين، كما لعب دورا خاصا في "طقوس التتويج"، وقد استمر دوره وأهميته دون منازع حتى القرن الأول قبل الميلاد ، عندما تم بناء "معبد أمون " (M260) بمروري كمعبد منافس له<sup>24</sup>.



الصورة 4 : معبد أمون (B500)

21-الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، السمات الكوشية في النحت الفرعوني (فترة حكم الاسرة الخامسة والعشرين)، رسالة مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفنون (نحت)، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، الخرطوم، 2016، ص95.

22- ICOMOS, Op.Cit, p118.

23-الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، المرجع السابق، ص 94

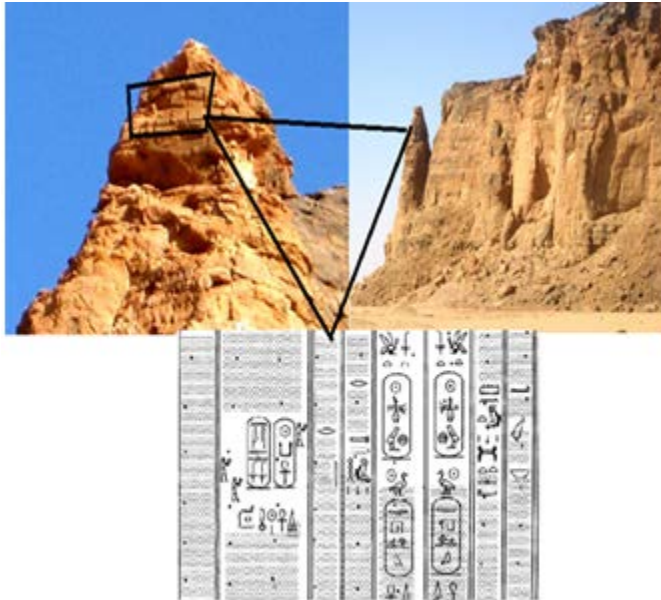
24-صديق مهدي عبدالرحمن وعبدالله الزبير يوسف، المرجع السابق، ص 145



وقد تميز معبد (B 500) بممشى تحفة ستة تماثيل لأمون على شكل الحمل المقدس إلى جانب بقايا بوابة المعبد المتآكلة، وما تبقى بها من نقوش تظهر قدرة الفنان الكوشي وإبداعه في الحفر الغائر على الحجر، كما عثر فيه على لوح النصر للملك بيبي (بعانخي) وتماثيل تهارقا وعدد من التماثيل المكسرة، واستخدم في بناء المعبد الحجر الرملي الأبيض، عدا السور فقد بني من الطين اللين<sup>25</sup>.

#### 2.4. نصب قمة تهارقا Taharqa :

واحد من أهم المعالم الأثرية في جبل البركل، بناه الملك تهارقا على قمة (The Pinnacle) يصعب الوصول إليها، في الجزء شبه المنفصلة عن الجبل، والذي يرتفع فوق المعبد (B200) و (B300)<sup>26</sup> بحوالي 75 متراً، بها لوحة منقوشة (أنظر الصورة 5) تبلغ مساحتها حوالي 1.20 م × 2.70 م ، معلقة في الأصل بورقة ذهبية، وتمثال صغير (إلا أنه فقد الآن) ، على الأرجح يمثل الملك تهارقا، متمركزاً في كوة من صنع



الصورة 5: نقش الملك تهارقا في قمة النصب عن:  
الحسن محمد أحمد الحسن، المرجع السابق، ص137.

الإنسان أسفل اللوحة مباشرة، ومحاطة بجدران حجرية مبنية لحمايتها من الرياح، تمثل هذه الكتابة انتصارات الملك تهارقا في الشرق والغرب، لا يمكن قراءتها من الأرض، لكن سطحها الذهبي جعلها واحدة من أبرز معالم الجبل قديماً، لأن تلك الورقة الذهبية اختفت، والسطح المنقوش من اللوحة تآكل بشكل سيء، ولكن خطوط النقش العمودية يمكن رؤيتها بالعين المجردة، كما يظهر الملاط الأبيض للجدران الحجرية التي كانت مبنية من قبل، على حافة المنحدر ، مباشرة قبالة قمة الذروة ، ويمكن للمرء أن يرى خط من ثلاثة ثقوب كانت تدعمها ثلاثة أعمدة خشبية عمودية<sup>27</sup>.

يعتبر نصب تهارقا غير عادي لدرجة أن المرء قد يسأل عن المعنى الذي كان يحمله أو لأي غرض كان سيخدمه، حيث يقترح كيندال نظرية حديثة، أن هذا النصب له علاقة وثيقة بهرم الملك في نوري، والذي يمكن رؤيته من قمة جبل البركل على الجانب الآخر من النيل على مسافة 9.7 كم إلى شمال شرق البلاد، عندما اكتشف عالم الآثار ريزنر قبر تهارقا في نوري سنة 1917م، أثار ذلك تساؤل علماء المصريات عن السبب وراء بناء هرمه على بعد 26 كيلومتراً من المنبع، في حين أعضاء الأسرة المالكة دفنوا في الكورو، مما يوحي بأن تهارقا كان في الواقع أكبر الملوك وقد شكل لغزاً دائماً -دون حل واضح - حتى يدرك المرء أن الهرم خلق تحالفاً

<sup>25</sup>-الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، المرجع السابق، ص95.

<sup>26</sup>-الحسن أحمد محمد الحسن، المرجع السابق، ص104.

<sup>27</sup>- Kendall, Op.Cit, p 26.



شمسيًا مع قمة جبل البركل ، والتي كانت في العقل القديم، تبدو وكأنها تضمن قيامة الملك السنوية الأبدية بعد الموت<sup>28</sup>.

### 3.4. جبانة البركل (Bar):

بجانب جبل البركل (أنظر الصورة 6) توجد مجموعتان من حوالي 30 هرما ، مجموعة واحدة تعود إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد، والأخرى يرجع تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد، قام رايزنر باكتشاف 25 مقبرة، رتبها بـ(Bar.1-Bar.25) و 5 مقابر اكتشفتها البعثة الاسبانية، وتعد أهرامات جبل البركل الأفضل حفظا في منطقة نبتة<sup>29</sup>.

الجبانة التي تمثل "موقع الأهرامات"، هي جزء من المقبرة الملكية ، وقد استخدمت هذه الجبانة في الدفن في وقت واحد مع الجبانة الملوكية في البجراوية، ويظهر ذلك في مشكلة تأريخ تلك الجبانة ، ويرى رايزنر أن مجموعتي الأهرامات الملوكية في جبل البركل يمثلان مملكتين مستقلتين قامتتا في نبتة في عهد كوش الثالثة أسماهما الأسرة المروية الأولى والأسرة المروية الثانية، وجاء بعد ذلك رفض وقبول تلك النظرية بين عدد من



الصورة 6: الأهرامات الملكية في جبل البركل عن:  
Edwards, D, Op.Cit, p229

الباحثين اللاحقين، ووفقا لأحدث قائمة أو تعيينات الدفن ، خلال الفترة من 515-270 قبل الميلاد ، وقد تم دفن خمسة حكام في البركل وهم: الملك أكتسينس (Aktisans)، الملك أرياماني (Aryamani)، الملك كاش (Kash)، الملك بعنخ رايك-كا، والملك سيراكاماني (Sabrakamani)، ربما كان أكتسينس أول من دفن في جبل البركل، ويشتهر في أنه بنى أحد مقابر الهرم المجهولة في الجزء الجنوبي من المقبرة تم تعيين هرم أرياماني أكبر هرم في الجزء الجنوبي من المقبرة<sup>30</sup>.

### 5. جبل البركل مهد الحضارة الكوشية:

#### 1.5. الدور السياسي:

سنحاول إبراز ذلك، من خلال تسليط الضوء على الحضارة الكوشية التي نمت وترعرعت بالقرب وعلى حواف جبل البركل، في منطقة النوبة، منطقة المملكة الكوشية التي مرت بثلاث مراحل:  
فترة كوش الأولى : حضارة كرمة (2500 ق.م-1500 ق.م)

<sup>28</sup> -Kendall, Op.Cit, p 29-30

<sup>29</sup> -Harkless, Op.Cit, p156.

<sup>30</sup> - Harkless, Op.Cit, p 155-156.



بدأ الاستيطان والموقع الديني في كرمة بالتطور إلى مركز سياسي، بحلول عام 2500 ق.م ، غطى في نهاية المطاف مساحة قدرها 20 هكتارًا، وشكل أول مجتمع حضري في السودان<sup>31</sup>، يمتد من منطقة الشلال الثاني حتى الشلال الرابع التي يقع ضمنها جبل البركل ، وقد قسمت فترة كرمة إلى ثلاث فترات رئيسية هي:  
-فترة كرمة القديمة (2500 ق.م-2050 ق.م).  
-فترة كرمة الوسطى (2050 ق.م-1750 ق.م).  
-فترة كرمة الكلاسيكية والمتأخرة (1750 ق.م-1500 ق.م).

هذه الفترات التي شهدت ازدهارا كبيرا كما أوضحتها مخلفاتهم الأثرية من واقع الاكتشافات الحديثة التي قامت بها البعثة السويسرية بكرمة، والتي تشير إلى أنها كانت قوة سياسية منظمة مما جعل العلماء يعرفونها الآن بمملكة كوش الأولى، وعاصرت فترة كرمة الوسطى قيام الدولة الوسطى بمصر<sup>32</sup>، واستطاعت بذلك تشكيل خطرا كبيرا لمصر الفرعونية، التي كان عليها تبني سياسة عسكرية لغزو كرمة لإزالة تهديدها خاصة بعد تخلصهم من غزو الهكسوس.

وقد خضعت كوش للنفوذ المصري في عصر المملكة الوسطى عندما تم إنشاء مركز تجاري مصري في كرمة ، وخدمة العمالة من قبل الحكام النوبيين خلال الفترة المتوسطة الثانية من المغتربين المصريين ووجود المرتزقة النوبيين في مصر، هذا التطبيع الذي ازداد ابتداءً من الأسرة الثامنة عشرة فصاعداً -التي سيطرت على المنطقة- وبحلول وقت الانسحاب المصري من النوبة، أصبحت أجيال من الكوشيين الأصليين مصبوغة بالثقافة المصرية، نلمحها من خلال المعالم الأثرية في شكل المعابد العظيمة والمباني الأخرى التي بنتها الدولة الحديثة. والتي بقيت مصدر إلهام للمؤسسين الأصليين لنظام الملكية في نبتة<sup>33</sup>.

#### فترة كوش الثانية (760 ق.م-310 ق.م): الحضارة النبتية:

لا تزال طبيعة التغيرات السياسية والاجتماعية في أعقاب نهاية الحكم المصري في النوبة غامضة، لا يعرف علم الآثار عنها إلا القليل في أواخر الألفية الثانية وأوائل القرن الأول قبل الميلاد، ومع ذلك، لقد ناقشت الأدلة الاتصال المصري بأراضي أعالي النيل وما وراءها ، قبل القرن التاسع قبل الميلاد خلال فترة الأسرة العشرين ، حيث تم التخلي عن المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والرابع من قبل المصريين، وبعد ذلك لقرابة ثلاثة قرون ، ينزل غطاء كامل من الصمت على الأحداث في تلك المنطقة، إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ظهرت في النوبة العليا مملكة مستقلة كان مركزها الرئيسي في نبتة<sup>34</sup>، التي تقع عند سفح جبل البركل، الذي أنشأت به العديد من

<sup>31</sup>- David N.Edwards, The Archaeology of Sudan and Nubia ed, Copyright, 2007, p218.

<sup>32</sup>-محمد حسن محجوب، المرجع السابق، ص22-23.

<sup>33</sup> - Dixon, Op.Cit, p122.

<sup>34</sup>- Dixon, Op.Cit, p 121.





الآثار المصرية المعمارية الضخمة منها المعابد والتي توضح أقصى امتداد للدولة المصرية في الجنوب<sup>35</sup>، والتي أشارت إليها النصوص المصرية باسم "مصر العليا الجديدة"<sup>36</sup>

إذ تنقسم فترة نبتة سياسياً إلى فترتين: الفترة الأولى تعرف باسم الأسرة الخامسة والعشرين، حيث انطلق ملوكها ليؤسسوا حكم سيطر على معظم مصر لفترة دامت قرابة القرن، حتى تم طردهم منها بواسطة الآشوريين حوالي عام 650 ق.م، وهذه الأسرة هي التي انحدرت منها سلسلة الملوك الذين وحدوا مصر والسودان<sup>37</sup>.

وقد اختلفت الآراء حول أصل مؤسسي تلك الأسرة بين الأصل الليبي والمصري والمحلي، حيث ذكر بعض الكتاب أن الملوك النبتيين ينحدرون من أصل مصري كهنوتي، تحديداً من طبقة كهنة أمون في طيبة الذين فروا من موطنهم بعد أن طوردوا من قبل الملوك الليبيين ولجأوا إلى كوش في زمن الأسرة 21 أو الأسرة 22 الليبية، وكانوا لهم دور في إقناع ملوك كوش بالاستيلاء على مصر<sup>38</sup>، لذلك السبب غزا الكوشين مصر وأسسوا الأسرة الخامسة والعشرين<sup>39</sup>، غير أننا نجد من الباحثين من يرجحون أيضاً الأصل الليبي، وبخاصة الأصل المحلي نظراً لعدة اعتبارات، وبغض النظر عن كل ما قيل، بقي التاريخ السياسي للمنطقة سطحياً سافراً بين طيات السجلات المصرية لتلك الفترة حتى وقت قريب، إلى أن كشف العمل الأثري على ما خلفته هذه الأسرة في كل من مصر والسودان<sup>40</sup> من إنجازات حضارية، شاهدة على مدى ما حققته هذه المرحلة، التي وصل ملوكها إلى ذروة قوتهم، وحكموا إمبراطورية تمتد من شواطئ البحر الأبيض المتوسط على الأقل إلى الجنوب من الجزيرة الشمالية، واستمرت تقريباً حتى 654 ق.م، عندما خسر الكوشيون أخيراً السيطرة على صعيد مصر<sup>41</sup>، وقد اشتهر الملوك الكوشين بوضع الصلین علي جباههم (أي زوج من الأقاعي) والرمز الثاني للأفعى أخذ من شكل قمة جبل البركل، ومن الملوك النبتيين نذكر:

أولاً: لعله مؤسس الأسرة 25، فقد وجد اسمه مكتوب في لوح يخص ابنته الملكة "تابيري" زوجة الملك "بعنخي"، وقد وجدت مقبرته في الكرو ورقمها 13 وبعده تولى الحكم أخوه كاشتا، ولا يعرف عنه الكثير<sup>42</sup>، وقد توفي سنة 751 ق.م، وكان قد بدأ في غزو مصر<sup>43</sup>.

<sup>35</sup> - نيل سينسر وآخرون، مصر داخل كوش إنشاء مدينة فرعونية في النوبة، مدينة عمارة غرب المعيشة في النوبة الفرعونية، المتحف البريطاني، د.ت، ص 9.

<sup>36</sup> - Hussein M. Rabie, *Nswt-bity as "king of Egypt and the Sudan" in the 25th.Dynasty and the Kushite Kingdomp*, 2011، القاهرة، العدد 12، مجلة الإتحاد العام للآثاريين العرب، 2011.

<sup>37</sup> - محمد حسن محجوب، المرجع السابق، ص 26.

<sup>38</sup> - الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، المرجع السابق، ص 25-26.

<sup>39</sup> - Haycock, Op.Cit , p32.

<sup>40</sup> - Edwards, D, Op.Cit, p219.

<sup>41</sup> - Dixon, D, Op.Cit, p 123)

<sup>42</sup> - محمد بكر، المرجع السابق، ص 77.

<sup>43</sup> - وولتر إمري، مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة هندوسة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة 2008، ص 218.



**بيي أو بيا (بعانخي):** (747-716 ق.م) وهو ابن كاشتا يقرأ (با- عنخ -ي) وظهر اسمه في النقش المعروف بلوح النصر، وفي عدد من النقوش الأخرى التي عثر عليها رايزنر في معبد أمون بجبل البركل<sup>44</sup>، كما دفن في الكرو بالمقبرة رقم 17.

**شباكا (شباكو):** هو أخ الملك بيي وابن كاشتا، أصبح ملكا لكوش ومصر، جرت مراسم تتويجه بنبتة جبل البركل، وقد دفن في كوش بالكرو هرمه رقم 15.

**-شيتاكا (شبتكو):** أخ تهارقا وأحد أبناء بيي، واجه الغزو الآشوري، دفن بالكرو الهرم 18.

**-تهارقا:** أحد أبناء بيي، ذكر مرتين في الكتاب المقدس باسم ترهاقا، تميزت فترته بالرخاء حيث أعاد بناء العديد من المعابد بجبل البركل، لكن الفترة الأخيرة من حكمه تعرض إلى كثير من الضغوط من قبل الآشوريين، الذين ادعوا أنهم غزوا مصر بأكملها وأنهم أغاروا على النوبة نفسها حيث قال أسرحدون: "إن "بعلو" ملك "تير" الذي اعتمد على طاركو (تهارقا) ملك "كسوس" (كوش): لقد أخذت منه كل مدنه وأملاكه تغلبت على موسري (مصر السفلى)، وأرض باتورسي (مصر العليا) وأرض كوش...". ، وبعدها عاد تهارقا إلى نبتة حيث توفي سنة 664 ق.م ودفن في هرمه في نوري<sup>45</sup>.

**تانوت -أماني:** تانوتامني (664-635 ق.م)، هو أحد أبناء شبتاكا، أصبح ملكاً بعد وفاة عمه تهارقا، بعد أن تراجعت آشور عن مصر، قام بغزوها مجدداً كما فعل أسلافه من قبل، وُصف الغزو الذي سجل أحداثه في مسلته المنقوشة التي عثر عليها في جبل البركل، و توجد الآن في المتحف المصري بالقاهرة<sup>46</sup>.

**والفترة الثانية** تبدأ بفقدان حكم مصر (حيث تأسست الأسرة 26) وما خلفه الغزو الآشوري في مرحلة حكم الملك تانوتامني<sup>47</sup> الذي نجح في تحقيق الانتصار ولو أن ذلك كان لفترة قصيرة، عندما علم الملك الآشوري أشوربانيبال بأن الكوشيين أعادوا سيطرتهم على مصر حتى جنونه وأرسل على الفور جيشاً جرارا للانتقام، وفي تقرير آشور بنيبال لهذه الحوادث ذكر: "وفي حملتي الثانية، توجهت إلى مصر وكوش، وسمع تانداماني عن حملاتي وأني وطلت أرض مصر فترك منف وهرب إلى طيبة لينقذ حياته....فهرب إلى ككب (نباتا)..."<sup>48</sup> وهاجم الآشوريون مدينة طيبة في جنوب مصر، وقتلوا العديد من الناس، ودمروا ونهبوا الأماكن المقدسة، وبعد ذلك لم تقم قائمة للملوك الكوشيين في مصر، وقد توفي بعد هذه الحوادث تانوت-أماني ودفن في مقبرة الكرو (رقم 16)<sup>49</sup>، وتستمر حتى عهد الملك نستاسن الذي حكم (335 ق.م-310 ق.م) آخر ملوك كوش المدفونين بنبتة نوري<sup>50</sup>

44 -عادل حبيب الله الطاهر نور الدين، الحياة الثقافية (معالم اللغة المروية) في مملكة كوش الثانية (نبتة-مروي) (750ق.م-350م)، المجلة

العلمية لجامعة الإمام المهدي، العدد 8، السودان، 2016، ص186.

45 - وولتر إمري، المرجع السابق، ص 228.

46 - الصادق القسيم، المرجع السابق، ص34.

47 -محمد حسن محجوب، المرجع السابق، ص 28.

48 - وولتر إمري، المرجع السابق، ص 230.

49 -عادل حبيب الله الطاهر نور الدين، المرجع السابق، ص 188

50 -محمد حسن محجوب، المرجع السابق، ص 28.



فبعد تأسيس الأسرة 26 في مصر على يد بسامتيك الأول، واكتفاء الكوشين بمملكة نبتة، اندلعت الحرب بعد ذلك بين الملك المصري بسامتيك الثاني الذي غزت جيوشه كوش، ودمر وحطم وأحرق بالنيران معابد جبل البركل وقصوره، فكان ذلك أحد الأهداف الرئيسية العديدة لغارة بسامتيك وهو وضع حد للأبد لمطالب الكوشيين لعرش مصر، وتدمير كل ما له علاقة بالإله أمون في جبل البركل، غير أن يوجد من الباحثين الأثريين منهم أركل الذي برر حملة بسامتيك 2، والدمار الذي ألحق بجبل البركل بالعمل الغير مقصود، بل هو مرتبط بوقوع معركة شرسة جرت بين الجيوش المتنافسة داخل المعابد، أدت بعد ذلك إلى الإفكار الدائم لكوش وعزلتها السياسية، التي شكلت الأسباب الأساسية لضعف نبتة<sup>51</sup>.

### -فترة كوش الثالثة مرووي (310 ق.م-350م)

في هذه المرحلة نقلت مقر الحكم من نبتة إلى الجنوب إلى مرووي ، والتي احتفظت بهذا الوضع حتى انهيار المملكة في القرن الرابع ميلادي، وأيا كانت الآراء التي أوردتها غير هؤلاء العلماء القائلين بعدم الانتقال، فإن مرووي أصبحت مركز الثقل السياسي، تقع على بعد مائة ميل جنوب جبل البركل<sup>52</sup>، غير أن نبتة احتفظت بمكانتها الدينية باعتبارها أكبر مركز لعبادة الإله أمون في مملكة كوش، فكان الملوك المروويون يأتون إليها في المناسبات الدينية أو في مناسبات التتويج التي عادة ما تتم في معبد أمون بجبل البركل، لأن طوال هذا الوقت، وهؤلاء الحكام تمسكوا دائما بالاعتقاد القائل أن الملوكية الخاصة، التي يمنحها أمون جبل البركل، كانت أقدم من مصر وقد نزلت إليهم مباشرة من إله الشمس في لحظة الخلق<sup>53</sup>.

### 2.5. رحلة التتويج إلى جبل البركل:

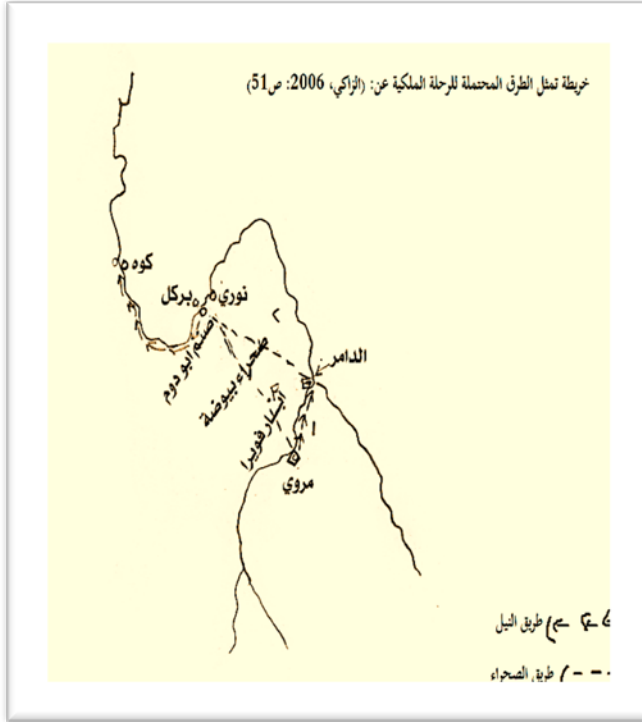
وجد لوح الملك اسبلتا (593 ق.م-568 ق.م) في جبل البركل داخل معبد الإله أمون، حيث وصف اسبلتا في بداية هذا النص وضع البلاد بعد وفاة أخيه، وقبيل اختياره ملكا، فلوح انتخاب هذا الملك ألقى الكثير من الاضواء خاصة على تتويج الملك في كوش، حيث قام العسكريون وكبار المسؤولين عن خزائن القصر الملكي والإداريين بأخذ الاموال على أيديهم، فخاطبو الناس: "تعالوا الآن نتوج سيديا ، لا ننافس قطيعا بدون راع"، وبعد التأمل والتبادل بين هذه الجموع قالوا: "سيدنا هنا، ولكننا لا نعرف من هو"، وأخيرا قال أحدهم: "لا أحد يعرف الملك الجديد ، إلا راع ...ومنذ أن خلق السماء والارض ، ومنذ أن خلق تتويج الملوك، له حق جعل ابنه المحبوب، لأن الملك صورة لرع بين البشر، وقد وضعه في هذه الارض حتى يكون نائبه" وعلى هذا النحو توالت أقوال وخطب الحاضرين، حتى أجهش الناس بالبكاء ،ثم صاحو: "أن الإله أمون رع سيد عرش البلاد هو موجود بالجبل المقدس دعونا نذهب إليه، دعونا لا نقوم بشي دون علمه ،الخير ألا تفعل إلا بعلمه، فضعوا بين يديه أمر اختيار الملك، فهو إله الملوك منذ أيام رع"<sup>54</sup>.

<sup>51</sup>- Haycock B, Op.Cit, p 61-62.

<sup>52</sup>-Harkless, Op.Cit, p 156.

<sup>53</sup>-Kendall T, Op.Cit, p 7.

<sup>54</sup>-صديق مهدي عبدالرحمن وعبدالله الزبير يوسف، المرجع السابق، ص148-149.



وبهذا يؤكد هذا اللوح دور الإله أمون في اختيار من ينوب عليه في حكم البشر، لأن الإله أمون هو المتصرف الوحيد في أمر ولاية العرش، وهو حامي ملوك كوش، المسؤول الأول عن تتويجهم بصفة رسمية، هذه الثقة التي منحها أهل كوش لأمون نابعة من مدى إيمانهم واحترامهم لعقيدة أمون، هذا التتويج الذي لا يكتسب شرعيته إلا في معبد أمون بجبل البركل، وهذا ما يوضح الدور السياسي الكبير الذي لعبه معبد الإله أمون (B500) في عملية تتويج الملك، رغم الصعوبات والمخاطر التي يتكبدها في هذه الرحلة، حيث يسير في ركبه الملكي حتى يصل، لكن التعرف على الطريق القديم الذي يسلكه هذا الراكب مثلا بين

مروي ونبته صعب، لأن الملوك لم يتعرضوا لوصفه أو تحديد الوسيلة التي يعتمدون عليها، سوى اشارات شحيحة وجدت في بعض لوحاتهم، وعلى أثرها يطرح لنا المؤرخ عمر حاج الزاكي تصوره (أنظر الخريطة) عن هذه الطرقات:

- "طريق النيل: وهو المجرى النيلي الذي يوصل بين مروي ونبته، لكن هذا الطريق طويل وصعب في نفس الوقت لأنه يعترضه الشلالين الخامس والرابع ويصعب سير المركب عبرهما خاصة في فصل الصيف.
- طريق النيل الذي يصل بين مروي ومدينة الدامر الحديثة أو بربر: والذي يفارق سالكه النهر عند أحد هاتين المدينتين، ويتجه غربا في صحراء بيوضة حتى يصل الضفة اليسرى من نهر النيل المقابل لجبل البركل.
- الطريق الثالث: الطريق الذي يفارق النهر إلى الشمال قليلا من مروي عند قرية النوبة الفادنية أو عند آبار أبي طليح ويتجه غربا عبر صحراء بيوضة لينتهي عند نوري، وقد وجدت قلعة يرجع تاريخها للعهد المروي في منتصف هذا الطريق بين نبته ومروي<sup>55</sup>.

إن الملوك الكوشيون حرصوا على القيام برحلة التتويج، وهي تتم بأربعة معابد مهمة، أولها معبد (B500)، حيث يتسلم الملك تاج المملكة الذي استخدمه أسلافه من حجرة محراب المعبد، ثم بعد ذلك يقوم الملك بزيارة المعابد الأيونية الأخرى في جوماتون (الكوة)، اوبنوس (ارقو)، ومعبد ثور تاسيتي (صنم ابو دوم)، إلا أن معبد صنم ابو دوم انقطعت عنه الزيارات الملكية وهجر منذ عهد الملك اسبلتا لأنه تعرض للدمار الذي الحقته به حملة بسماتيك الثاني<sup>56</sup>.

<sup>55</sup> - عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة، سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السودان، الخرطوم 2006، ص 50.

<sup>56</sup> - صديق مهدي عبدالرحمن وعبدالله الزبير يوسف، المرجع السابق، ص 151.



### 3.5. الدور الاقتصادي:

يتضح الدور الاقتصادي الذي لعبه جبل البركل من خلال انجازات مملكة كوش وما حققته عبر مراحل تاريخها السياسي الذي سينعكس حتما على وضعها وازدهارها الاقتصادي الذي نلمحه خاصة في تعاملاتها ومبادلاتها التجارية، فلقد شهدت حضارة كوش الأولى، كرامة انجازات مهمة كثيرة، خاصة خلال عصرها الكلاسيكي، فقد كانت مركزا انتاجيا كبيرا يقصده الفراعنة للتجارة، ويبدو أن العلاقات الاقتصادية بين كوش ومصر قد سبقت العلاقات السياسية، ويتضح ذلك من مدافن المجموعة الأولى التي تميزت بالثراء في فترة الأسرة الأولى، ربما كانت السلع المصرية عبارة عن مكافأة أو أجور الجنود الذين عملوا في الجيش المصري في الحرب التي قادت إلي توحيد مصر<sup>57</sup>، هذا إلى جانب الغلال والماشية، كما اثبتت الحفريات الجارية بوجود صناعات حرفيه متطورة، وعثر على كميات من خام البرونز والنحاس مخزن بالغرب من الدفوفة الغربية التي كان يعمل فيها حرفيون محليون، وهذا دليل على غنى المنطقة<sup>58</sup>.

وكان هناك العديد من الأنشطة الاقتصادية في فترة المملكة الحديثة وأهمها استخراج المعادن بدرجة تفوق الفترات السابقة لها، واهم تلك المعادن المستخرجة على رأسها معدن الذهب، حيث توجد وثيقة تذكر أسماء مناجم الذهب في النوبة التي عرفها واستغلها المصريون، حيث رُمز لكل منجم بمائدة قرابين، وكتب فوقها اسم المنجم، وتعود هذه الوثيقة إلى معبد الأقصر في فترة حكم الفرعون رمسيس الثاني، وهي من الجنوب إلى الشمال تذكر مناجم تقع بجبل البركل والتي تشمل مناجم أبو حامد في منطقة الشلال الرابع<sup>59</sup>، كما كانت تستورد مصر من بلاد النوبة العاج، الأبنوس، البخور، الماشية وغيرها.

أما بالنسبة للطرق التجارية، فقد كانت نبتة أي جبل البركل أسفل الشلال تشرف على طريق القوافل من الجنوب إلى الشمال، وتشرف على طريق مناطق التصدير في الصحراء الشرقية<sup>60</sup>، إذ أن التجارة هي العمود الفقري للاقتصاد النوبي، فكانت مصر أبرز الدول التي تعاملت معها، عبر طريق نهر النيل حيث تصدر الذهب قائمة الصادرات النوبية، إذ تدل القرائن على وفرته في مملكة نبتة من خلال الآثار التي وجدت بالمنطقة لمصنوعات ذهبية وجدان مزخرف بصفائح من الذهب، كما يستدل على وفرة الذهب بألواح تهارقا التي تبين أنه أعطى أكثر من 110 كيلوغرام من الذهب هدية للمعابد، بالإضافة لنقش ناستاسن الذي ذكر فيه أنه جبي أكثر من 300 كيلوغرام من الذهب من القبائل التي هزمها بالقرب من مروي، وكذلك رواية سفراء قمييز عن ملك كوش الذين قالوا مبالغين إن السلاسل التي يقيد بها السجناء الكوشيين مصنوعة من الذهب<sup>61</sup>.

كما كشفت الآثار عن وجود علاقات بين عالم البحر الابيض المتوسط ومروي عبر عدة طرق تجارية وأهم هذه الطرق وأكثرها أمنا هو طريق النيل حيث تتحرك البضائع والمسافرين على نهر النيل أو على قوافل بمحاذاته

<sup>57</sup> -الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، المرجع السابق، ص 66.

<sup>58</sup> - محمد حسن محجوب، المرجع السابق، ص 24.

<sup>59</sup> - أمينة عبد الفتاح محمد السوداني، المرجع السابق، ص 85.

<sup>60</sup> - محمد حسن محجوب، المرجع السابق، ص 26.

<sup>61</sup> -الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، المرجع السابق، ص 66.



وذلك بين مروى والاسكندرية في مصر، وطريق آخر بين مروى ومصر عبر الصحراء عبر واحة سليمة وواحة الخارجة ثم أسبوط على النيل، وهناك طريق آخر بين الاسكندرية ومروى وقورينة عبر واحتي سليمة وسيوة التي منها ينقسم الطريق إلى اتجاهين واحد إلى الاسكندرية والآخر إلى قورينة، وطريق مهم يعبر الصحراء السودانية- الليبية من مروى إلى قورينة ثم طرابلس وقرطاج<sup>62</sup>، إلى غاية المغرب القديم، حيث وجدت بقايا أثرية تتمثل في الأمفورات التي وجدت في مقبرة البجراوية رقم 28 التي لا تبعد كثيرا عن البركل، حيث تعرب السيدة فريديك ويل (Frederic Will) عن رأيها بأن الختم مكتوب باللاتينية ويشير إلى مدينة تبوسكتو (TUBUS)، (TUBUSUPTUS)، التي تنتمي إلى مقاطعة رومانية تدعى موريطانيا القيصرية<sup>63</sup>، وكل هذه الطرق كان فيها جبل البركل وقمته المشعة بنصب تهارقا الذهبي شاهدا على عبور القوافل التجارية برا أو عن طريق نهر النيل.

#### 4.5. الدور الديني:

عندما احتل المصريون في أوائل الأسرة الثامنة عشر شمال السودان أي "كوش"، وعلى مدى خمسة قرون (حوالي 1446-940 قبل الميلاد)، حددوا جبل البركل مكان الميلاد والمقر الجنوبي الرئيسي لإله الدولة أمن، وكجزء من مخطط الفتح، نشروا عبادة أمن في أماكن كثيرة في النوبة، لكن يبدو أن جبل البركل كان له أهمية فريدة بالنسبة لهم، كونه المكان البدئي لأمن، الذي يمثل "الثلة البدائية الأسطورية"، التي خلق فيه العالم، وقد مثلوه عادة كرجل برأس كبش، ويعد نصب تحتمس الثالث الذي وجد بجبل البركل، والذي يرجع تاريخه إلى حوالي 1432 ق.م، والمحفوظ الآن في بوسطن، أقدم نص مصري معروف من الموقع، يصف إله الجبل بأنه "الإله العظيم، البدئي الأول"<sup>64</sup>، وبهذا تبنى الكوشيون عبادة إله أمن منذ هذه الفترة، وحافظوا واستمروا في عبادته وتقديسه، وكانت له مكانة دينية، واعتبر الإله الأول حتى بعد تأسيسهم لمملكة كوش منذ القرن التاسع قبل الميلاد إلى القرن الرابع ميلادي.

#### 6. جبل البركل تراثا عالميا:

أدرج جبل البركل والمواقع النباتية ضمن لائحة التراث العالمي سنة 2003، تحت رقم القرار (COM 28 10A.2.3)، بناء على اتفاقية التراث العالمي لسنة 1972م، وتشمل هذه الملكية عدة مواقع أثرية تغطيها مساحة يزيد طولها عن 60 كيلومتر في وادي النيل، وجميع هذه المواقع تعود إلى الثقافة النباتية والمروية في عهد مملكة كوش الثانية، وتشمل المواقع: المقابر، والمعابد والمباني السكنية والقصور، حيث تقع المواقع على ضفتي النيل، في منطقة قاحلة تنتمي إلى بلاد النوبة.

يتم إدارة التراث الثقافي من قبل سلطة حكومية مركزية تدعى "المؤسسة الوطنية للآثار والمتاحف"، (NCAM) (National Corporation for Antiquities and Museums)، تشرف عليها وزارة البيئة والسياحة السودانية، لا تملك المواقع تاريخاً طويلاً من الحفظ؛ الإصلاحات التي نفذت مؤخرا فقط، كما تم الاضطلاع بأنشطة أخرى، لا سيما تركيب الحواجز حول المواقع في حالة الحفظ، وكما يشير كل شيء، فإن

<sup>62</sup> - صلاح عمر الصادق، المرجع السابق، ص 110.

<sup>63</sup> - Dunham, D, Op.Cit, p 186.

<sup>64</sup> - Kendall, T, Op.Cit, p 3-4.



التدهور واضح ، أساسا بسبب التعرض لظروف بيئية قاسية<sup>65</sup>، وفي المنطقة الآن عدة بعثات للقيام بمهمة الحفظ وترميم تلك المواقع.

### الخاتمة:

يمثل تاريخ السودان القديم أي بلاد النوبة أو كوش، حقبة مهمة من تاريخ الحضارة المصرية القديمة وتاريخ إفريقيا، نظرا لما حققته "أرض السمير" و"حضارة الذهب" من إنجازات كبرى شهدت عليها مخلفاتها الأثرية، ويعد جبل البركل من أهم المواقع الأثرية التي جلبت اهتمام العديد من الأثريين الأجانب والمحليين، فأفنوا أعمارهم وجهدهم من أجل التنقيب والبحث في آثاره أمثال جورج أندرو ريزنر، وتيموثي كيندال الذي لا يزال يجول بين آثار جبل البركل.

ذلك الجبل الذي ولدت وتطورت بسفحه وعلى مقربة منه حضارات مملكة كوش، التي تمتد بجذورها إلى العصور الحجرية القديمة أين تأسست "مملكة كرمة"، وبعدها نجد الكثير من الغموض يكتنف تاريخ المنطقة، إلى أن تذكر لنا نقوش ورسومات ولوحات الحضارة المصرية ابتداء من الدولة الوسطى والامبراطورية الحديثة، حروب وتوسعات ملوكهم في منطقة كوش، حيث بلغت حدودهم جبل البركل، الذي أقام فيه بعد ذلك الكوشيون دولة نبتة بعد تحررهم من مصر وقام ملوكهم بتأسيس الأسرة الخامسة والعشرون حيث توسعوا إلى الشمال على مصر، هذه المرحلة التي لم يعطيها مؤرخو الحضارة المصرية حقها في الاعتراف بإنجازاتها الحضارية التي كانوا ينسبونها إلى الارث الحضاري المصري القديم.

كما أقام النبتيون وبعدهم المرويون دولتهم التي امتدت منذ بداية القرن الثامن قبل الميلاد إلى غاية القرن الرابع ميلادي، في هذه الفترة حافظ جبل البركل ومعبد "معبد أمون نبتة" على مكانته السياسية كونه مقر تتويج الملوك الرسمي لاكتساب شرعية الحكم، كما كان مركزا دينيا مهما، لأنه المكان المقدس، مقر الاله الأكبر أمون في المملكة الكوشية (النبتية والمروية على حد سواء).

### ➤ قائمة المراجع:

#### المؤلفات:

- صلاح عمر الصادق، دراسات سودانية في الآثار والفلكلور والتاريخ، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، (د.ط)، 2006.
- عمر حاج الزاكي، مملكة مروي التاريخ والحضارة ، سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السودان، الخرطوم، ط1، 2006.
- محمد إبراهيم بكر، المدخل إلى تاريخ السودان القديم، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ط)، 1998.
- وولتر إمري ، مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة هندوسة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 2008 .

<sup>65</sup> -ICOMOS, Op.Cit, p118-119



- Timothy Kendall, A Visitor's Guide to The Jebel Barkal Temples, The NCAM Jebel Barkal Mission, Nubian Archaeological Development Organization (Qatar–Sudan), Khartoum, 2016.

#### المقالات:

- صديق مهدي عبدالرحمن وعبدالله الزبير يوسف، التأثيرات الخارجية على معتقدات أهل كوش، مجلة النيل الأبيض للدراسات والبحوث، العدد9، الخرطوم، 2017.
- عادل حبيب الله الطاهر نور الدين، الحياة الثقافية (معالم اللغة المروية) في مملكة كوش الثانية (نبته-مروي) (750ق.م-350م)، المجلة العلمية لجامعة الإمام المهدي، العدد 8، السودان، 2016.
- مجلة In the city، مهرجان جبل البركل الدولي، الخرطوم، 2015.
- نيل سبنسر وآخرون، مصر داخل كوش "إنشاء مدينة فرعونية في النوبة"، مدينة عمارة غرب المعيشة في النوبة الفرعونية، المتحف البريطاني، (Sudan - Development Archaeological N (Qatar)، د.ت.

- (ICOMOS), Evaluations des biens culturels, Préparées par le Conseil International des Monuments et des Sites (ICOMOS), UNESCO, 27ème session ordinaire (29 juin – 5 juillet 2003) Suzhou (Chine) , 2003.
- Angelika Lohwasser, Khonsu sitting IN Jebel Barkal, Der Antike Sudan, Heft 26, Published by Sudanarchäologische Gesellschaft zu Berlin e.V, Berlin, 2015.
- D. M Dixon, The Origin of The Kingdom of Kush (Napata–Meroe), The Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 50, Published by: Sage Publications, Ltd. London, 1964.
- David N. Edwards, The Archaeology of Sudan and Nubia, Annual Review of Anthropology, Volume 36, ed, Copyright, .2007.
- Dows Dunham, The Royal cemeteries of Kush, royal tombs at Meroe and Barkal, volume IV, Published by the Museum of Fine Arts Boston, Massachusetts, 1957.
- Enrico Borgogno Mondino, Luigi Perotti & Marco Piras, High resolution satellite images for archeological applications: the Karima case study (Nubia region, Sudan), European Journal of Remote Sensing, 45:1, Published by Taylor & Francis, 2012.
- Harkless Necia Desiree, Nubian Pharaohs and Meroitic kings The Kingdom of Kush, ed; Author House, United States of America, 2006.





- Hussein M. Rabie, *Nswt-bity* as "king of Egypt and the Sudan" in the 25th.Dynasty and the Kushite Kingdomp, مجلة الإتحاد العام للآثار العرب، العدد12 القاهرة، 2011.
- M. B. Reisner, "Historical inscriptions from Gebel Barkal: Sudan notes and records volume IV,N2, Cairo, 1921.
- Mariette Auguste, Lettre à M. le vicomte de Rougé sur une stèle trouvée à Gebel-Barkal, Extrait de lu Revue Archéologique, Librairie Académique Didier et C, Paris, 1863.
- Olivier Cabon et autre, Histoire et civilisations du Soudan de la préhistoire à nos jours, Ed Soleb, Paris, 2017.

#### الرسائل الجامعية:

- أمينة عبد الفتاح محمد السوداني، المناجم والمحاجر في مصر القديمة، رسالة دكتوراه، جامعة طنطة، القاهرة، 2000.
- الحسن أحمد محمد الحسن، آثار الملك تهارقا في وادي النيل(690 ق.م-664 ق.م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآثار، جامعة الخرطوم، 2007.
- الصادق القسيم فرحنا حمدت الله الفضيل، السمات الكوشية في النحت الفرعوني (فترة حكم الاسرة الخامسة والعشرين)، رسالة مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفنون (نحت)، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، الخرطوم، 2016.
- محمد حسن محجوب، تطور البناء الجنائزي خلال فترات حضارة كوش الثانية والثالثة ( 760ق.م-350م)، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب - قسم الآثار، 2004.
- Haycock, Bryan G, The foreign relations of the Napatan- Meroitic kingdom in the Sudan from the 8<sup>th</sup> century B.C. to the 4th century A.D, Durham theses, Durham University,1965.



## مجتمع حاضرة تَنْبُكْتُ في الكتابات الفرنسية

(مونوغرافية الأب والمستكشف أوغوسطان بروسبير هاكار نموذجاً)

د. عادل بن محمد جاهل

باحث في تاريخ الصحراء الأطلنتية والعلاقات الإسبانية الإفريقية،

جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب.

adil.jahil@edu.uiz.ac.ma

### ملخص باللغة العربية:

تروم هذه الورقة تسليط الضوء على جوانب من تاريخ حاضرة تَنْبُكْتُ (الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والديني، والعلمي)، في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، من خلال شهادة الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، الرجل العارف بخبايا بلاد السودان الغربي، وبعادات التوارك، وبتقاليد البيضان، والتمكن من مختلف اللغات واللهجات، التي يستعملها أهالي تلك المناطق الإفريقية، وما يزيد من أهمية البيانات التي استجمعها الأب السالف الذكر، كونها مستقاة من عين المكان، الشيء الذي يجعلنا نطمئن لها بكثير من الارتياح.

**الكلمات المفتاح:** حاضرة تَنْبُكْتُ، نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، الكتابات التاريخية الفرنسية، أوغوسطان بروسبير هاكار.

### Abstract:

This paper sheds light on aspects of the history of the social, economic, cultural, religious and scientific history of Tombouctou, at the end of the nineteenth century, through the testimony of the French father and explorer Augustin Prosper Hacquard, the man who knows the secrets of Western Sudan, the customs of the Tuareg people, and the traditions of Bidan, He is also fluent in local languages and dialects spoken by the inhabitants of those regions, What gives added value to the aforementioned explorer's data is that it is a field investigation, which makes us very satisfied with it.

**Keywords:** Tombouctou, The End of The Nineteenth Century, The French Writings, Augustin Prosper Hacquard.



#### مقدمة:

يبدو أن أغلب الرحالين والمستكشفين والعسكريين الفرنسيين، الذين جابوا مجاهل حاضرة تَنْبُكُتْ، جوهرة الصحراء الكبرى، وقلب بلاد السودان الغربي، على الأقل منذ عشرينات القرن التاسع عشر الميلادي، كانت المغامرة، وارتياح المجهول، واكتشاف العجيب والغريب، والتتقيب عن الطريف والمدهش، والخروج على المألوف، والبحث عن الثراء السريع، والرغبة في الحصول على جائزة خاصة، من الغايات الرئيسية، التي دفعتهم إلى التنقل إلى عين المكان، متجشمين عناء السفر في البر والبحر، ومخاطرين بأرواحهم وأجسادهم، أملا منهم في تحقيق بعض المكاسب المادية والمعنوية والرمزية. وعلى هذا الأساس، وانطلاقا من تلك الدواعي، وصل إلى حاضرة تَنْبُكُتْ، التي كانت تكتسي في مخيلة الأوروبيين بشكل عام طابعا غرائبيا، جمهرة كبيرة من المغامرين والمدنيين الفرنسيين، الذين ضاقت بهم سبل العيش في بلادهم، ومنهم أيضا، المستكشفين والرحالين المحترفين، الذين تعودوا على الرحلة، وركوب الأمواج، ومنهم رجال الدين، الذين رغبوا في القيام بنشر رسالة المسيح، وتعاليم الإنجيل، ومنهم رجال العلم، حملة الريشة والقلم، الذين استهوتهم الأبحاث عن الغريب في الطبيعة والإنسان. ونجد من بين هؤلاء المستكشفين، أيضا، الضباط العسكريين، الذين عملوا على إعداد معرفة جغرافية، ورصد أحوال المنطقة والسكان، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والبيانات، مهما بدت صغيرة وتافهة، تمهيدا لغزو قد يأتي لا محالة، ومنهم المستكشف بالصدفة، الذي وصل إلى المنطقة، بكيفية أو بأخرى، فاستهوته مجاهل حاضرة تَنْبُكُتْ، حاضرة "العجائب"، و"الغرائب"، و"الخوارق"، و"الإثارة"، فحرّر على إثرها، ارتسامات، وخواطر، وانطباعات، مرتبطة بالمجال والإنسان التنبكتي.

علاوة على ما تقدّم، نجد أن أغلب هؤلاء الرحالين والمستكشفين والعسكريين الفرنسيين، قبل أن تطأ أقدامهم حاضرة تَنْبُكُتْ، والمناطق الإفريقية القريبة منها، كَوّنوا خلفية تاريخية، وجغرافية، ودينية، وأصيلة وعميقة، حيث درسوا الثقافة الإفريقية، بأبعادها المختلفة، بل أكثر من هذا، تعلموا اللهجات المحلية، والعلوم الإسلامية، وعادات السكان المحليين؛ وذلك كله، من أجل تسهيل مأموريتهم والنجاح في مهمتهم. وانطلاقا من ذلك، تمكّن هؤلاء الرحالين والمستكشفين والعسكريين الفرنسيين، من جمع كم هائل ومهم من الأخبار، والمعلومات، والمعطيات، والبيانات، القيّمة، عن: الوضعية السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والقبلية لحاضرة تَنْبُكُتْ، كما كانوا شهود عيان على الكثير من التفاصيل الدقيقة عن أوضاعها، وجغرافيتها، ومسالكها، وحياة قاطنيها، ومثلهم الأخلاقية، خلال طيلة الشهور والسنوات التي قضاها فيها؛ قصد التقصي والاستخبار عن جزء مهم واستراتيجي من بلاد السودان الغربي.

في المقابل، واجه هؤلاء المستكشفين والرحالين والعسكريين الفرنسيين، أثناء تسللهم للحاضرة المذكورة، أو أثناء إجراءهم لبحوثهم الميدانية فيها، صعوبات، وعراقيل، ومشقات، جمّة، حيث إن بعضهم تعرض للأسر، والإغارة، والسرققة، والموت، والجوع، والعطش، والتهديدات البشرية، وتباين الألسنة، واختلاف العادات، ومنهم أيضا، من واجه الحرارة المفرطة، والزوابع الرملية والغبارية، والرياح الجافة والساخنة، والمرض، والأوبئة، وأعباء



السفر، وطول مسافة السفر، وعدم وضوح معالم الطريق، ولسعات العقارب المميتة، ولدغات الحيات والأفاعي القاتلة.

وكيفما كان الحال، ورغم الصعوبات، والمشاق، والعقبات، الطبيعية والسوسيو ثقافية، الكثيرة والمتنوعة، التي اعترضت هؤلاء الرحالين والمستكشفين والعسكريين الفرنسيين، أثناء تسللهم للحاضرة المذكورة، أو أثناء أبحاثهم وتحرياتهم الميدانية فيها، إلا أنهم تمكنوا جميعهم، من تقديم مادة معرفية أولية، عمّا شاهدوه، وسمعوه، وعينوه، عن شؤون وأوضاع هذه الحاضرة الإفريقية المجهولة، وغير المعروفة لديهم، سكانا، وقبائل، وشيوخا، خاصة وأن هذا المجال، يُعتبر من المجالات التي لم يتيسر للرواد والمستكشفين الفرنسيين الأوائل، زيارتها ومعرفة تفاصيل أحوالها وشؤونها عن قرب.

ويعتبر كتاب "مونغرافية تَنْبُكْتُ" للأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار، من بين الشواهد المصدرة التاريخية الأجنبية القليلة التي أرخت لحاضرة تَنْبُكْتُ، في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، خاصة لما لهذه المرحلة من أهمية قصوى من الناحية التاريخية، إذ تميزت بتسارع الأحداث، وتلاحق الوقائع، إضافة إلى ما كان لها من تأثير كبير في توجيه تاريخ حاضرة تَنْبُكْتُ، وإحداث تحولات كان لها وقعا عميقا في بنيتها المختلفة، سواء من الناحية السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الدينية، أو الديموغرافية، وحتى الثقافية. وهكذا تضمن الكتاب السالف الذكر، معلومات، ومعطيات، وإيماءات، تعتبر بحق، نادرة، وثمينة، ومثيرة، ولما تلتقت إليها المصادر المحلية الإفريقية، المتميزة بالشح والابتسار، على صعيد عناصرها الإخبارية، وهي خصيصة، تشترك فيها كل المجالات الصحراوية البدوية، والتي تتميز بضعف التدوين، وقلة المكتوب<sup>1</sup>. وفي مقابل تأخر انتشار ثقافة التدوين وتقاليدته في المنطقة المذكورة، نجد غلبة الثقافة والرواية الشفهية، التي تتوارثها الأجيال الإفريقية أبا عن جد، في أحيان كثيرة جدا خارج سياقاتها الطبيعية زمنيا وموضوعا، الشيء الذي يجعل من المستحيل أمام هذه الوضعية الإسطوغرافية المحدودة والهزيلة، تكوين صورة متكاملة وشاملة حول تاريخ المنطقة الإفريقية وحضارتها بدقة وموضوعية. وهكذا، يمكن اعتماد الكتابات الأجنبية، كبديل مكمل ومنطلق أساسي، في إعادة تركيب جزء من أحداث الماضي التبتكي بشكل خاص، وإفريقيا الغربية بشكل عام، خلال الحقبة التاريخية المذكورة أعلاه؛ وذلك بعد تمحيص تلك الشهادات المصدرة الأجنبية والتدقيق فيها، وفق منهج علمي صارم وواضح المعالم، قصد استخلاص الجيد والاستفادة منه، وطرح الرديء والتخلص منه.

إن، ما هي الصور التي رسمها الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار ( Augustin Prosper Hacquard)، عن حاضرة تَنْبُكْتُ؟ وإلى أي حد تمكّن من تشخيص الواقع الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والديني والعمراني للحاضرة المذكورة، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؟  
هذه الأسئلة، وغيرها، هي التي سنحاول البحث عن أجوبة لها، في قادم سطور هذه الدراسة.

#### أولا: التعريف بالأب أوغوسطان بروسبير هاكار ومونغرافيته

<sup>1</sup> - عادل جاهل، "البحث الكولونيالي الإسباني حول مجتمع إفريقيا (الصحراء الأطلننتية نموذجا): محاولة في التعريف والتركييب"، في مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة، تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، طرابلس، لبنان، العدد 51، مارس 2019، (صص.65-84)، ص.82.



## 1: من هو الأب أوغوسطان بروسبير هاكار؟

ازداد أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) في فرنسا يوم 18 شتبر 1860م، وتحديدا في قرية ألبيرسטרروف (Albestroff)، التابعة لمقاطعة نانسي (Nancy)، الواقعة في إقليم اللورين (Lorraine)<sup>2</sup>، استهل دراسته الابتدائية في قريته المذكورة، وبعد ختمه لدرسته فيها عام 1873م، التحق بمدرسة "بونت-أ-موسون" (Pont-à-Mousson) في حلقة دراسية صغرى، قبل أن يلتحق سنة 1877م بحلقة دراسية كبرى في مقاطعة نانسي (Nancy)، وفي سنة 1878م قدم طلبا للقبول في الجمعية الإفريقية للمبشرين (الآباء البيض)، التي أسسها الكاردينال شارل مارتيا لافيغوري (Charles Martial Lavigerie) عام 1868م في "الجزائر الفرنسية"<sup>3</sup>، ورغم رفض والديه لرغبته في الانضمام للجمعية المذكورة، سافر في مطلع شتبر 1878م نحو مارسيليا ثم إلى "ميزون كاري" (Maison-Carrée) أو مدينة الحراش، والقريبة من مدينة الجزائر العاصمة، وفيها تولى التدريس ما بين سنوات 1881م و1883م، وتحديدا في معهد قرطاج (Collège de Carthage)، وبموازاة مع ما تقدم، تم تعيين الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) في 8 شتبر 1884م "قسا" (Prêtre) ثم أستاذا في مدرسة سانت أوجين (Saint-Eugène) بالجزائر العاصمة<sup>4</sup>، وفي فترة لاحقة عينه الكاردينال شارل مارتيا لافيغوري (Charles Martial Lavigerie) محافظا للدروس في نفس المدرسة الآتفة الذكر، وهكذا شرع يعد لامتحانات التاريخ بكلية "إيكس أون پروفانس" (Aix-en-Provence)، وبها حصل في 28 يوليوز 1884م على شهادة الإجازة بميزة (حسن)، محققا بذلك الرتبة الأولى في فوجه، وبعد هذا التفوق البين طلب منه الكاردينال شارل مارتيا لافيغوري (Charles Martial Lavigerie) السالف الذكر، إعداد أطروحة دكتوراه حول موضوع (إفريقيا المسيحية القديمة)<sup>5</sup>.

إلى جانب ما سلف ذكره، أسند الكاردينال شارل مارتيا لافيغوري (Charles Martial Lavigerie) سنة 1891م للأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، مهمة رئاسة هيئة دينية وعسكرية حديثة في مدينة بسكرة بـ "الجزائر الفرنسية"، هذه الهيئة أطلق عليها اسم "رهبان الصحراء المسلحون" (Les Frères Armés du Sahara)<sup>6</sup>، وقد أخذت هذه المؤسسة على عاتقها مهمة محاربة العبودية والاسترقاق، وأيضا استقبال العبيد الفارين من أسيادهم في المنطقة المذكورة، ونتيجة ذلك تمكن أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) من خلق علاقات وصلات جيدة ومتينة مع الجنود الفرنسيين أو مع أهالي تلك المناطق<sup>7</sup>، ونلاحظ من جهة أخرى، أن الأب الآتف الذكر سرعان ما استبدل بطريقة أو بأخرى، العلم والرهينة بالاستكشاف والمغامرة، وهكذا أضى يوجه اهتمامه بشكل عميق نحو اكتشاف مجاهل ومفاوز السودان

<sup>2</sup>- Aylward Shorter, **Les Pères Blancs au Temps de la Conquête Coloniale: Histoire des Missionnaires d'Afrique 1892-1914**, [Traduit de l'Anglais par Gérard Guiraudin], Paris: Édition Karthala, 2011, p.67.

<sup>3</sup>- Jean-Claude Ceillier, **Histoire des Missionnaires d'Afrique (Pères Blancs): de la fondation par Mgr Lavigerie à la mort du fondateur (1868-1892)**, Paris: Édition Karthala, 2008, p.277.

<sup>4</sup>- Aylward Shorter, **Les Pères Blancs...**, op.cit., p.67.

<sup>5</sup> - انظر: أوغوسطان هاكار، **مونوغرافية تمبوكتو**، (تقديم وترجمة زولبخة بنرمضان وحسن أميلي)، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، طبعة 2017، ص.15.

<sup>6</sup>- Aylward Shorter, **Les Pères Blancs...**, op.cit., p.67.

<sup>7</sup>- Ibidem.



الغربي، في إقبال نادر، ورغبة جامحة، واندفاع غريب، بقصد الاستخبار والتقصي، وتجميع معلومات تهم بالأساس الميادين: العسكرية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعمرائية.

لذلك، أسندت إليه الدوائر الاستعمارية الفرنسية، مهمة استكشاف بلاد التوارك في 12 يناير 1894م، هو مجموعة من الرهبان، خاصة وأن الأخير كان يجيد اللغة العربية واللهجات المحلية، وتحديدًا لهجة "التماشق التواركية"، إضافة إلى طريقته الخاصة والفريدة في التعامل مع الساكنة المحلية<sup>8</sup>، وقد حققت هذه البعثة انطلاقًا من تلك المؤشرات الغايات المرجوة منها، وهي تكوين صورة واضحة وجليّة حول مجال السودان الغربي، المراد الانقضاء والسيطرة عليه، وهو ما يمكن أن نطلق عليه "مرحلة التأسيس للغزو وتعبيد الطريق أمامه"، وفي ذات الاتجاه، قام الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) برحلة استكشافية جديدة في 25 دجنبر 1894م مع بعض "الرهبان البيض" (Les Pères Blancs)، من أجل تعميق البحث حول بعض الحواضر الإفريقية، وتحديدًا حاضرة تَنْبُكْتُ وبعض المناطق القريبة منها، مثل: موبتي (Mopti)، وجني (Djenne)، وباندياگارا (Bandiagara)، وسانسانديگ (Sansanding)، إضافة إلى حوض النيجر والداهومي العليا، وغيرها من المناطق الإفريقية الأخرى.

توفي الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، المعروف لدى أهالي حاضرة تَنْبُكْتُ باسم "عبد الله"، في أوج عطائه العلمي والتبشيري، يوم الخميس 4 أبريل 1901م، في ظروف تبدو غامضة ومبهمّة، بيد أن بعض الشهادات المصدرة البريطانية، تُبيّن بجلاء أن الرجل توفي غريقًا في منطقة "سيگو" (Ségo) بحوض النيجر، أثناء قيامه بالاستحمام أو السباحة هناك<sup>9</sup>، كما أن جثته لم يُعثَر عليها أبدًا، وهكذا فقدت الدوائر الاستعمارية الفرنسية، عصرئذ، أحد أقطابها الكبار في بلاد السودان الغربي، من ناحية الاستكشاف، والمغامرة، والتبشير<sup>10</sup>، مخلفًا وراءه أعمالًا تاريخية دقيقة، وبحوثًا جغرافية قيّمة، عن أهم المجالات والحواضر الإفريقية، وعلى وجه الخصوص حاضرة تَنْبُكْتُ وباديتها.

## 2: مونوغرافية تَنْبُكْتُ (قراءة في قيمتها العلمية، ومكانتها التاريخية)

يُعتبر كتاب "مونوغرافية تَنْبُكْتُ" للأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، من بين الأعمال العلمية التاريخية والاثنوغرافية والاجتماعية والعسكرية والروحية، العظيمة القدر والأهمية، حول أهم وأعرق حاضرة في بلاد السودان الغربي "تَنْبُكْتُ"، خاصة وأن المؤلف أرخ للحاضرة المذكورة في فترة كانت حبلًا بأحداث جسام، شهدتها مجمل البلاد السودانية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، لعل أبرزها الهجمة الامبريالية الأوروبية الشرسة على إفريقيا الغربية، وما يزيد من أهمية هذا الكتاب، هي الطريقة والمنهجية التي اعتمدها المؤلف أثناء تحرير صفحات كتابه، والقائمة أساسًا على المشاهدة المباشرة والوصف الدقيق لأحوال مجتمع حاضرة تَنْبُكْتُ، التي زارها المستكشف وخبر شؤونها عن قرب، ويكفي أن يلقي المرء إطلالة سريعة على مضامين الكتاب، ليتأكد عن كثب على جودة المواضيع التي عالجها صاحب التأليف بأرقى أساليب

<sup>8</sup> - Augustin Hacquard, **Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des Études Coloniales et Maritimes, 1900, pp.VI-VII.

<sup>9</sup> - Aylward Shorter, **Les Pères Blancs...**, op.cit., p.68.

<sup>10</sup> - Augustin Hacquard, **Monographie...**, op.cit., p.VII.



التعبير، لذلك ليس غريبا إذا لاحظنا أن الدوائر الاستعمارية الفرنسية تنعت به “الرجل الذي يعرف جيدا [خبائيا] السودان الفرنسي”<sup>11</sup>.

لعل ما يسترعي الانتباه في هذا الصدد، هو أن مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار ( Augustin Prosper Hacquard)، تعتبر فريدة في بابها، متميزة على غيرها، حيث لم تكن ممزوجة بالخيال والسذاجة، كما لم يغلب عليها روح المغامرة والإثارة، ولم يكتنفها الكثير من الغموض، غموض حاضرة تَبْئُكْتُ، عندما حاول الرواد الأوائل اقتحامها أو الكتابة عنها، وينبغي ألا يغيب عن الأذهان، في هذا السياق، أن صاحب التأليف كان خبيراً ومتمكناً من مادته المعرفية، عارفاً بخبائياها، سابرا لأغوارها، كيف لا؟ والمؤلف “كان على دراية تامة بالبليطان وبعادات التوارك ويجيد مختلف اللغات واللهجات التي يستعملها ساكنة السودان”<sup>12</sup>. على أن ما يسترعي انتباهنا أكثر، في هذا الباب، هو أن الكتاب رغم أنه أُلِفَ بتوجيه خاص من طرف الحركة الاستعمارية الفرنسية، إلا أنه يحمل في طياته ومضامينه نسبة كبيرة من الدقة والموضوعية، عكس بعض الكتابات الأجنبية الأخرى، التي غابت الحقائق عنها، أو غيبتها عن عمد أو قصور، لدواعي امبريالية مكشوفة، أملت الظرفية والمرجعية الاستعمارية، الشيء الذي جعلها تسقط في الكثير من التناقضات والمزالق العلمية، إضافة إلى تكريسها تلك النظرة الاستعمارية النمطية المتحاملة، المبنية على التفوق الغربي، وعلى هيمنت الحضارة الغربية الرأسمالية، وكل ذلك، من أجل خدمة أجندة الاحتلال والاستغلال، حيث صوّرت الساكنة المحلية، كأجناس متوحشة تارة، وهمجية ومتخلفة تارة أخرى، تعيش خارج نطاق التاريخ، وتفتقد إلى الحضارة والمدنية، وبالتالي، وجب إخراجها من عتمة البدايات إلى دائرة ضوء الحضارة الأوروبية المتقدمة.

الملاحظة الرئيسة التي لا بد من إبرازها، هنا، هي أن مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، هي عبارة عن تحريات وأبحاث ميدانية دقيقة، وفي عين المكان، كما استغلت أيضا مجمل الروايات الشفهية المتواترة، ممّن لهم خبرة وتجربة بالمجال والإنسان التبتكتي، أجنب كانوا أم من الأهالي، الشيء الذي جعل من مونوغرافيته عبارة عن تسجيلات وثائقية، تُصوّر بدقة متناهية ما يثير الملاحظة حقا، بحيث قلّمنا نجد لها نظيرا في باقي مصادر تاريخ بلاد السودان الغربي الأخرى، سواء المحلية منها أو الأجنبية، لكن، ورغم أهمية هذا المصنف المونوغرافي، في التأريخ لـ “حاضرة تَبْئُكْتُ” بشكل خاص والسودان الغربي بشكل عام، إلا أننا نجد هذا التراث العلمي، ظلّ لحقبة طويلة، مغمورا، خامل الذكر، بعيدا عن كل إشارة؛ لأسباب مختلفة ومتعددة، منها: النظرة السلبية للإنتاج الكولونيالي، الذي يُوصف في الغالب الأعم، وإلى عهد قريب، بأنه تحصيل حاصل، لا يقدّم ولا يؤخّر، أو أداة للهيمنة والسيادة على الآخرين، إضافة إلى صعوبة الوصول إلى هذه النوعية من المصادر النفيسة، التي تبقى في المجمل حبيسة رفوف الخزانات والريائد الأجنبية.

ومهما يكن من أثر، فإن مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار ( Augustin Prosper Hacquard)، تفرد بعدة خصائص ومميزات، أمكن إجمالها على الشكل التالي:

أ: من حيث طبيعة المواضيع المدروسة

<sup>11</sup>- Ibid., p.VI.

<sup>12</sup>- Ibid., pp.VI-VII.



درس المؤلف جملة من المواضيع المتنوعة، ذات الصلة بـ: التاريخ، والسياسة، والدين، والاقتصاد، والجغرافيا، والأنثروبولوجيا، والسوسيولوجيا، وغيرها، لكن ما يميز هذا الكتاب أكثر، هو دراسته المستفيضة للمواضيع الاجتماعية، مثل: القضايا المرتبطة بالتركيبة السكانية، والاستهلاك، والتغذية، والأسرة، والعادات، والتقاليد، والصحة، واللباس، وسلوك السكان المحليين، والممارسات الدينية والروحية، هذا دون نسيان الأنشطة الفلاحية والثروات الطبيعية والحيوانية، التي تتمتع بها حضرة تَنْبُكْتُ وباديتها، كما أنه أرخ لمنسي التاريخ، ولمن لا تاريخ لهم، من: بسطاء، ومستضعفين، ومهمشين، وغيرهم، الشيء الذي جعل من مونوغرافيته المذكورة، مجال "التاريخ اللامفكر فيه" أو مجال "التاريخ المنسي"، وهكذا أفرز لنا هذا الكتاب، منتوجا علميا، بالمعنى والكلمة، جدير بالاهتمام والدراسة.

#### ب: من حيث الفترة الزمنية المدروسة

عالج صاحب التأليف، فترة زمنية دقيقة ومعقدة، وهي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أما عن أهمية هذه الفترة، فتكمن في كونها تؤرخ لمرحلة تاريخية سماتها الأساسية، هي تزايد واشتداد الضغوط والأطماع الاستعمارية الفرنسية على إفريقيا الغربية، وقد توجت هذه الضغوط، طبعا، بالسيطرة الفرنسية الكاملة على حضرة تَنْبُكْتُ في 6 يناير 1894م، وقد أثار هذا الحدث المأسوي بطبيعة الحال، ردود أفعال كثيرة، سواء في الأوساط السودانية، أو العربية، أو الإسلامية.

#### ج: من حيث اللغة، والأسلوب، والمنهجية المتبعة

اعتمد صاحب التأليف، أسلوبا ومنهجا علميا واضح المعالم، فهو لم يعتمد أسلوب الاستهزاء والسخرية، أو أسلوب الدهشة والغرائبية، الممزوج بطابع النزعة الأوروبية الاستعلائية، التي تحاول احتقار الآخر والتقيص من شأنه وقيمته، بل نجده يعتمد أسلوبا علميا صارما، أساسه الدقة والموضوعية، ويؤكد هذا القول، الباحث حسن أميلي والباحثة زوليخة بنرمضان، حيث ذكرا بأنه "بالنظر للقيمة العلمية للكتاب من حيث مادته المتنوعة ومنهجه الدقيق وصفا وتحليلا، تكون المدرسة التاريخية الفرنسية الإفريقية قد تجاوزت مع نهاية القرن 19م مرحلة المغامرات الكشفية الفردية والجماعية، المدنية والرسمية (...). ليسد فراغا مهولا (...). مصححا بذلك الزلات التي وقع فيها [مواطنوه]"<sup>13</sup>. أما عن منهجيته وطريقته المتبعة في تحرير صفحات كتابه، فهي تستند بالأساس إلى مشاهداته ومعانياته الشخصية، إضافة إلى ما حصل عليه من بيانات ومعطيات، أثناء تحرياته الميدانية في عين المكان، أي في بلاد السودان الغربي، والذي خبر شؤونه وأحواله، كيف لا؟ وهو الذي عاش فيه لسنوات طوال<sup>14</sup>.

#### د: من حيث أهمية الكتاب في الأوساط الاستعمارية والعلمية

استطاع هذا الكتاب أن يفرض وجوده منذ اللحظة التي خرج فيها من دور النشر والطباعة إلى دور المكتبات والخزانات العلمية، حيث بفعل وزنه العلمي المتميز، وكذا بفعل مادته المتنوعة والمضبوطة، "تمكن من فرض أهميته في الأوساط الاستعمارية الفرنسية (...). في وقت لم يتم فيه طبع التواريخ السودانية المحلية

<sup>13</sup> - أوغوسطان هاكار، مونوغرافية...، م.س، صص. 11-12.

<sup>14</sup> - Augustin Hacquard, *Monographie...*, op.cit., p.VI.





الثلاث "تذكرة النسيان" (1910)، لمؤلف مجهول، و"تاريخ الفتاش" لمحمود كعت وحفيده (1911)، و"تاريخ السودان" لعبد الرحمن السعدي (1913)، مفاتيح الذاكرة السودانية التي عززت لاحقا الكتابات الاستعمارية والأكاديمية<sup>15</sup>.

والخلاصة، التي تتحصل لدينا من هذه المعطيات، أن مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) حول تاريخ حاضرة تَنْبُكْتُ، منارة بلاد السودان الغربي، تعتبر بحق، من بين التصانيف المهمة والقليلة التي حاولت دراسة الحاضرة المذكورة، بكيفية أصيلة وعميقة، من أجل تكوين مادة معرفية دقيقة لدوائر الحركة الاستعمارية والأوساط العلمية والاستكشافية الفرنسية. وهكذا، استعاد هؤلاء مما تحتوي عليه من بيانات متنوعة، ومعطيات عالية القيمة، كما ونوعا، كيف لا؟ وهي لامست جوانب كثيرة من تاريخ المنطقة وحضارتها، وبنياتها: الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والدينية، والروحية، والعمرانية.

### ثانيا: حاضرة تَنْبُكْتُ (الموقع والمظهر العام للمنطقة)

تتضمن مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) بيانات مهمة ودقيقة حول العناصر الجغرافية، والطبيعية، والمناخية، والهيدروغرافية لحاضرة تَنْبُكْتُ، وهي معلومات تمتح وتستقي قيمتها من كونها عبارة عن تحريات وأبحاث ميدانية، وفي عين المكان، الشيء الذي يجعلنا نطمئن إلى نتائجها ودقتها وصدقها. وهكذا، يُشير الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تَنْبُكْتُ تقع بين خط عرض 16° وخط الطول 5° شرق غرينيتش<sup>16</sup>، ويُضيف بأن حاضرة تَنْبُكْتُ شيدت عند جانبي تلة أو كَثِيب رملي، ينحدر اتجاهه من ناحية الشرق إلى الغرب، وعلى منحدر جنوبي لكثيب رملي آخر موازي للأول وإلى الشمال منه، وعليه تتخذ المنطقة شكل مثلث قاعدته عند الجنوب<sup>17</sup>.

إلى جانب هذه المعطيات، يذكر المستكشف والمبشر السالف الذكر، بأن حاضرة تَنْبُكْتُ تعرف مجموعة من الهضاب الحديدية بمتوسط ارتفاع يتراوح ما بين 90 و100 متر، كما تعرف أيضا سلسلة جبلية مرئية طويلة، تمتد من الشرق من بحيرة "فاكيبين" (Faguibine) وبحيرة "تيلي" (Télé)<sup>18</sup>. وإلى جانب ما سبق ذكره، أورد رحالتنا تفاصيل مهمة عن الموارد المائية التي تتمتع بها حاضرة تَنْبُكْتُ والمناطق المجاورة لها، ومما ينبغي تسجيله بخصوص هاته المعطيات، هو أن الحاضرة المذكورة تعتمد أساسا وبشكل كبير على مياه الأنهار والبحيرات، حيث يبين صاحب التأليف أن نهر النيجر يمثل "روح السودان وقلبه"<sup>19</sup>، هذا النهر الذي ينبع من شمال جمهورية ليبيريا عند جبل "كوكونوتي" (Kokonaute)، والذي يتدفق بدايةً نحو ناحية الشمال الشرقي إلى أن يبلغ حاضرة تَنْبُكْتُ، ثم ينحرف نحو الشرق إلى أن يصل إلى "غاو" (Gao) أو "غوگو" (Gogo)، ومن هذه المنطقة يستمر تدفقه في اتجاه جنوب الجنوب الغربي ليصب في خليج البنين<sup>20</sup>، كما أن هذا النهر توجد روافده

<sup>15</sup> - أوغوسطان هاكار، مونوغرافية...، م.س، ص.12.

<sup>16</sup> - Augustin Hacquard, *Monographie...*, op.cit., p.1.

<sup>17</sup> - Ibidem.

<sup>18</sup> - Ibid., p.13.

<sup>19</sup> - Ibid., p.8.

<sup>20</sup> - Ibidem.



الأساسية على الضفة اليمنى حيث رافد "باني" (Bani)، وأيضا على الضفة اليسرى حيث رافد "سوكوتو" (Sokoto) ورافد "بينوي" (Bénoué)<sup>21</sup>.

ويُخبرنا رحالتنا أن نهر النيجر له أسماء عديدة ومختلفة، وذلك حسب المناطق التي يخترقها ويتدفق فيها، حيث نجد مثلا أنه في بلاد البامبارا (Pays Bambara) يُطلق عليه اسم "جوليبا" (Djoliba)، وفي بلاد السنغاي (Pays Songoy) يُطلق عليه اسم "إيزا" (Isa)، وفي بلاد التوارك (les Touareg) يُطلق عليه اسم "إيغيريو" (Egherreo)<sup>22</sup>، إلى جانب نهر النيجر، توجد في جميع أنحاء حاضرة تَنْبُكْتُ بعض البرك الطبيعية، أو التي هي من صنع الإنسان المحلي، إذ توفر هذه الأخيرة، كميات معتبرة من المياه للسكان المحلية، بيد أن هذه البرك أثناء فيض النهر السالف الذكر، يصيبها الجفاف، وهو ما حصل فعلا في سنة 1898م، حيث جفت تلك البرك تقريبا، لدرجة أن الساكنة لم تجد مياها صالحة للشرب إلا بالكاد<sup>23</sup>.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وفيما يتعلق بالمناخ والأحوال الجوية، يذكر رحالتنا، أن مناخ حاضرة تَنْبُكْتُ هو "مناخ (...) صحي نسبيا، لأنه جاف"<sup>24</sup>، وذلك رغم أن المنطقة تعرف فترات مطيرة للغاية بين شهري يونيو وأكتوبر، وتصل كميات التساقطات في السنة إلى 250 ملم، وتتراوح عدد العواصف الرعدية والأعاصير، ما بين 15 و20 خلال الأشهر الأربعة المذكورة آنفا<sup>25</sup>، وكلها تهب من جهة الشمال الشرقي، ومن جهة الشرق، ومن جهة الجنوب الشرقي، وتُعتبر العواصف الآتية من الشمال الشرقي الأكثر عنفا وخرابا، حيث غالبا ما تُحدث هاته العواصف أضرارا كبيرة وفادحة في حاضرة تَنْبُكْتُ، من خلال الإطاحة بالجدران التي تغمرها الأمطار، وكانت أقوى عاصفة لوحظت منذ أربع سنوات حسب رحالتنا، هي العاصفة التي حدثت في يوم 30 يوليوز 1898م، إذ بلغت تقريبا كمية التساقطات آنذاك إلى حوالي 63 ملم<sup>26</sup>، أما الحرارة فتتراوح درجاتها في السنة ما بين 50° إلى 4° في الظل، بينما نجدتها ترتفع بشكل مهول في الفترة ما بين أبريل وأكتوبر، كما أن الحاضرة المذكورة تسودها في الفترة ما بين أكتوبر وأبريل رياحا شرقية، والتي تتحول بسرعة إلى رياح غربية<sup>27</sup>، كما تشهد الحاضرة من وقت لآخر (رياح القبلي)، الذي يهب من جهة الشمال، والذي يلهب الجو بشكل كبير، وما يزيد من لهيب هذا الجو الحار والساخن، هو غياب الجبال في الحاضرة المذكورة<sup>28</sup>.

وبموازاة مع ما تقدّم، يحتفظ لنا صاحب التأليف بمعلومات وإيماءات عديدة، تتعلق أساسا حول الغطاء النباتي الموجود في حاضرة تَنْبُكْتُ والمناطق المجاورة لها، وهكذا يصف ذلك الغطاء النباتي بالفقير والرديء، حيث يُشير إلى أن أفضل وأجمل الأشجار في الحاضرة المذكورة لا تتجاوز خمسة أو ستة أمتار<sup>29</sup>، ويُضيف بأن

21- Ibid., p.9.

22- Ibid., pp.8-9.

23- Ibid., p.13.

24- Ibidem.

25- Ibid., pp.13-14.

26- Ibid., p.16.

27- Ibid., p.14.

28- Ibidem.

29- Ibid., p.16.



المنطقة المسماة بـ "كيسو" (Kissou)، والمنطقة المسماة بـ "كيللي" (Killi)، هي أكثر المواقع السودانية غنى بالأشجار والنباتات والأعشاب<sup>30</sup>.

ومن شأن ما أثبتناه من معطيات أعلاه، أن يُعطينا فكرة واضحة وجلية حول الأهداف البارزة التي جعلت المستكشفين والرحالين الفرنسيين يجوبون هذه المجهل الإفريقية، وهي جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات والأخبار، مهما بدت تافهة أو بسيطة أو سطحية، بيد أن الدوائر الامبريالية الفرنسية، وقتذاك، اعتبرت بيانات ثمينة ونادرة ومهمة، وصالحة حقا لتوظيفها في إعداد خطة للتغلغل في المجالات السودانية، التي يمكن أن تكون في يوم من الأيام جزءاً من الإمبراطورية الفرنسية الشاسعة الأطراف.

### ثالثاً: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية في حاضرة تَنْبُكُتْ

تناول الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) جملة من القضايا، ذات البعد الاجتماعي، والاقتصادي، والعلمي، والديني لحاضرة تَنْبُكُتْ وباديتها، وهي تفاصيل، غلب عليها طابع التجسس، والاستخبار، ومراكمة المعلومات، هي في المجمل، عبارة عن شتات من الأخبار، توخّدها رغبة استجلاء تاريخ بلاد السودان الغربي وحضارته، وهكذا، كان بإمكان هذه البيانات المتنوعة التي استجمعها الأب الأنف الذكر، أن يطويها الزمن، وتحشر في غياهب النسيان، لولا أنه اختزنها في ذاكرته، ودونها في مؤلفه.

#### 1: الحياة الاجتماعية

##### أ: السكان والفئات الاجتماعية

يُشير الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) أن ساكنة حاضرة تَنْبُكُتْ تنقسم إلى ثلاثة عناصر مختلفة ومتمايزة، الأولى هي "عصر السنغاي" (les Songoy)، والثانية هي "عصر الأرمي" (les Arma) أو "الرماء" (Rouma)، ويبين أن العنصر الأول هو أكثر أصالة وعراقة واستقراراً بالحاضرة المذكورة، قبل مجيء العنصر الثاني القادم من بلاد المغرب الأقصى<sup>31</sup>، كما تعرف المنطقة أيضاً عنصر ثالث، هو "عصر الألفا" (Alfa) أو "العلماء" (les Savants)، هذه الفئة الأخيرة، ليست متجانسة إثنياً، بل هي فئة قَدِمَتْ من مختلف أقطار المعمور، إما للدراسة أو التدريس؛ ورغم ذلك فهي تشكل طبقة مؤثرة جداً، وذات نفوذ قوي<sup>32</sup>.

وفي ذات السياق، أورد رحالتنا بيانات دقيقة حول عدد ساكنة حاضرة تَنْبُكُتْ، وتحديدًا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبالضبط في سنة 1898م، حيث ذكر أن ساكنة الحاضرة المذكورة تنقسم إلى ساكنة ثابتة (la Population Fixe)، وأخرى متحركة (la Population Flottante)، الأولى تقدر بحوالي 5000 نسمة، بينما الثانية تقدر بحوالي 4000 نسمة، هذه الفئة الأخيرة أي الساكنة المتحركة، نجدها تتألف أساساً من: التجار العرب، والمغاربة، والطرابلسيين، والغدامسين، وتجار تندوف، وتاجاكانت، وتوات. وجميع هذه العناصر تأتي إلى حاضرة تَنْبُكُتْ وباديتها، لقضاء بضعة أشهر كل عام، من أجل التجارة أو التبضع<sup>33</sup>.

<sup>30</sup> - Ibid., p.18.

<sup>31</sup> - Ibid., p.25.

<sup>32</sup> - Ibidem.

<sup>33</sup> - Ibid., p.24.



### ب: الحياة الأسرية

يذكر الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) أنه في حاضرة تَنْبُكْتُ وباديتها، وعلى غرار بقية الشعوب الإسلامية، فإن تعدد الزوجات يُعتبر من الأمور العادية، بل تُشكل في كثير من الأحيان (قاعدة)، وهكذا يُحدد مدى ثراء كل رجل في حاضرة تَنْبُكْتُ من خلال ما يتوافر عليه من زوجات، بينما الفقير عندهم، هو كل شخص لا يحظى إلا بزوجة واحدة، ويُخبرنا كذلك بأن (الحريم) لا يعيش في نفس المنزل، حيث تحظى كل زوجة بمنزل خاص تعيش فيه مع أطفالها<sup>34</sup>، وحسب بيانات المؤلف، فإن الطلاق شائع جدا في حاضرة تَنْبُكْتُ، حيث بمجرد أن تتوقف المرأة عن الإثارة والإعجاب، يتم إهمالها في منزلها، وغالبا مع أطفالها أيضا<sup>35</sup>.

### ج: السكن والمأوى

يُستشف من معطيات وبيانات الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) أنه كان مهتما بشكل كبير بالمنازل والبيوت المشيدة في حاضرة تَنْبُكْتُ، حيث خصص لها حيزا مهما في مونوغرافيته، وهكذا يُشير إلى أن أغلبية الدور والمسكن الموجودة في الحاضرة المذكورة، هي إما مبنية بالطوب (Briques)، أو بمادة الصلصال المجفف في الشمس (Poignées d'argile Séchées au Soleil)<sup>36</sup>، ومما يلفت النظر بهذا الصدد، هو عدم استعمال الساكنة المحلية مادة الحجر في عملية البناء، والسبب راجع بالأساس حسب رحالتنا، إلى ندرة هذه المادة في حاضرة تَنْبُكْتُ<sup>37</sup>، ويُضيف بأن الهندسة المعمارية في الحاضرة المذكورة، تُعتبر في المجلد بسيطة وعادية للغاية، بيد أنه لم يفته التأكيد على أن بعض البيوت تتوفر على مظهر مرضي، بل وتشكل مشهدا لطيفا ورائعا نسبيا للعين، حيث الواجهة محاطة بأعمدة كبيرة وضخمة، وحينما يتوفر البيت أو المنزل على (طابق)، يكون مزينا بأعمدة صغيرة، تتخلله نوافذ مشيدة بدقة ومهارة، يغلب عليها الطابع والأسلوب (الموريسكي)<sup>38</sup>.

علاوة على هذه المعطيات المهمة، يذكر رحالتنا أن ثلث المنازل التي تعود إلى علية القوم في حاضرة تَنْبُكْتُ مجهزة تجهيزا جيدا، وغالبا ما كانت هذه الدور تتكون من عدة غرف، حيث نجد غرفة تدعى "سيفا" (Sifa)، غالبا ما نجد فيها بعض العبيد ينتصبون هناك واقفين، وربما في بعض الأحيان سيد المنزل، وهي غرفة مخصصة للزيارات، ثم إلى جانب هذه الغرفة، هناك غرف أخرى خلفها محجوزة أيضا للزيارات، كما تتوفر هذه المنازل على ساحات داخلية واسعة نوعا ما، ومحاطة بغرف خاصة بالعنصر النسوي<sup>39</sup>، وغالبا ما كان العبيد يقومون بسحق الدُّخْن والقَمْح في هذه الساحات، في حين نجد النسوة يقمن بتخليص القطن من بذوره، ومراقبة

<sup>34</sup> - Ibid., p.46.

<sup>35</sup> - Ibidem.

<sup>36</sup> - Ibid., p.5.

<sup>37</sup> - Ibidem.

<sup>38</sup> - Ibidem.

<sup>39</sup> - Ibid., pp.5-6.



المطبخ واستقبال الزيارات، إضافة إلى هذا نجد أيضا أن هذه المنازل تتوفر على السطوح، تفتح عليها شقتان أو ثلاث تشكل طابقا، هذا هو مكان استقبال الأصدقاء أو الشخصيات المميزة والنافذة<sup>40</sup>.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، يبين رحالتنا أن منازل الساكنة الفقيرة والمعوزة في الحاضرة المذكورة، غالبا ما كانت عبارة عن أكواخ بسيطة، مصنوعة أساسا من مادة القش، أما عبيد التوارگ، فهم الآخرون، لا يتوفرون إلا على خيام منخفضة، مصنوعة من مادة الجلد<sup>41</sup>، والجدير بالملاحظة هنا، أن أثاث منازل ودور حاضرة تَنْبُكْتُ، يغلب عليه طابع البساطة وعدم التكلف، هذا الأثاث، يتكون في الغالب من بعض المستلزمات والأدوات المنزلية، مثل: الفرش، والأغطية، وأدوات الطبخ، وصناديق مصنوعة من الخشب، يضعون فيها ملابسهم، كما يضعون فيها أيضا الأشياء الثمينة، مثل: النقود والمجوهرات، أما السرير فغالبا ما يتكون من سجادة وبعض البطانيات، الممدودة على الحصير أو على "الكارا" (kara)، هذه الأخيرة، هي عبارة عن منصة من الخشب أو من التراب<sup>42</sup>، وتوثت الوسائد والحصير مختلف الشقق، وهي غنية من حيث البطانيات، المصنوعة من الصوف المتعدد الألوان، كما أن بعض الساكنة وخاصة فئة التجار، غالبا ما كانوا يحتفظون بغرفة أو أكثر، حيث يستخدمونها كمخازن لهم<sup>43</sup>.

#### د: العادات الغذائية

أورد الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان پروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) بيانات وارتسامات عديدة وثرية حول العادات الغذائية، بكل مكوناتها وتلاوينها وعناصرها في الحاضرة المذكورة، ويظهر بجلاء أن الأطعمة والأشربة التي كانت توثت المائدة التنبكتية، في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، يغلب عليها طابع البساطة والتشيف، وهو طابع يلائم ظروف ونمط العيش في حاضرة تَنْبُكْتُ، وهي ظروف تتسم بقساوة البيئة وصعوبة المجال، وقمين بالإشارة في هذا السياق، أن الغذاء الرئيسي لمعظم سكان حاضرة تَنْبُكْتُ، يتجلى بالأساس في مادتي الدخن والأرز، حيث لا تنتج المدينة سوى القليل من الحبوب، أو لا تُنتجها على الإطلاق، حيث يتم استيرادها من مناطق عدة، مثل: "جيمبالا" (Djimballa)، و"جني" (Djenné)، و"كيسو" (Kissou)، وغالبا ما كانت تصل كميات هائلة من جميع أنواع الدخن والأرز من منطقة "كابارا" (Kabara) في نونبر ودجنبر<sup>44</sup>.

ومما ينبغي لفت النظر إليه بهذا الشأن، هو أن مادة القمح كانت تشكل غذاءً مميزا للطبقة الغنية والميسورة، بينما الخضروات والفواكه فهي تكاد تكون غير معروفة في حاضرة تَنْبُكْتُ، أما لحوم الجاموس والغنم والماعز، فكانت من بين المواد الاستهلاكية، التي يفتت عليها سكان حاضرة تَنْبُكْتُ، خاصة وأن سعرها كان منخفضا وزهيدا نسبيا<sup>45</sup>، وإلى جانب ما سبق، شكلت أسماك نهر النيجر، هي الأخرى، مادة استهلاكية مهمة

<sup>40</sup> - Ibid., p.6.

<sup>41</sup> - Ibid., pp.7-8.

<sup>42</sup> - Ibid., p.8.

<sup>43</sup> - Ibidem.

<sup>44</sup> - Ibid., p.34.

<sup>45</sup> - Ibid., p.35.



بالنسبة للطبقة العاملة وحتى للفقراء والمعوزين، بينما كان الميسورون منهم يزدرونها ويمقتونها، والسبب يرجع إلى أن تلك الأسماك تصل إلى حاضرة تَنْبُكْتُ في حالة يرثى لها، حيث تصل نتنة وجافة وفاقدة لكل طعم<sup>46</sup>. ونستدل من بعض الإشارات الأخرى، أن ساكنة الحاضرة السالفة الذكر، كانت تقتات أيضا على لحوم الصيد والطراند، ومن ضمن هذه الأنواع، نجد كل من: الأرناب البرية، والغزلان، والظباء، والدجاج، والحمام. ولحوم هذه الأخيرة، كانت رائجة وبوفرة كبيرة في أسواق الحاضرة المذكورة<sup>47</sup>، وحسب إحدى الإشارات التي دوتها رحالتنا، فإن فقراء حاضرة تَنْبُكْتُ كانوا أيضا يَتَعَدَّوْنَ على بعض الأعشاب والثمار البرية، غير القابلة للاستهلاك البشري، والتي لا تأكلها عادة إلا الماشية، وذلك لأجل سد الرمق، ومصارعة الجوع، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، عشبة تدعى "الداني" (les Daney)، هذه العشبة كان يتم استغلال بذورها من طرف الفقراء التبتكتيين، في إعداد بعض الوجبات الغذائية<sup>48</sup>.

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه أعلاه، يحفل نص "مونوغرافية تَنْبُكْتُ" بمعطيات عديدة، حول ما يمكن أن نسميه بتقاليد المائدة وآداب الأكل بالحاضرة المذكورة، ومما أمكن التقاطه من إشارات وشهادات في هذا الجانب، ما ذكره الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، حيث يبين أن ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ كانوا يتناولون ثلاثة وجبات رئيسة مختلفة في اليوم، الأولى هي وجبة الفطور أو ما يسمى في اللسان المحلي بـ"الجير كاري" (le Tjirkare)، هذه الوجبة تتناولها الساكنة عند حوالي الساعة الثامنة صباحا، وغالبا ما كانوا يتناولون فيها بقايا وجبة الليلة السابقة، أو يتناولون فيها الخبز المبلل في الزبدة والعسل، أو حساء يدعى في اللهجة المحلية بـ"الدون" (Don)، وهو حساء يتألف من الطحين أو الدهن أو القمح والتوابل، ثم وجبة ثانية تدعى "التيركوزي" (le Tjirkose)، هذه الوجبة تتناولها ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ في حوالي الساعة الثانية والنصف بعد الزوال، وأخيرا وجبة المساء في حوالي التاسعة ليلا، والمسماة في اللسان المحلي بـ"الهاورو" (le Haourou)، بالإضافة إلى هذه الوجبات، هناك وجبات أخرى تتناولها الساكنة المحلية، منها وجبة "التازو" (le Taso) أو الكسكس<sup>49</sup>.

أما بالنسبة للأشربة المنتشرة في حاضرة تَنْبُكْتُ، في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، فيتضح بجلاء من خلال نص "مونوغرافية تَنْبُكْتُ"، أنها كانت تتمثل أساسا في الماء لا غير، ويُخبرنا في هذا الصدد رحالتنا أنه بفعل تحريم الشريعة الإسلامية شرب ومعاقرة الخمر، فإن الساكنة المحلية يكتفون فقط بشرب الماء، الذي يحتفظون به غالبا في جرار طينية كبيرة، بيد أنه في المقابل يُشير إلى أن هناك مشروب محلي يُستهلك بكثرة، هذا الأخير، كان يتم إعداده من الدخن، أو العسل، أو سيقان النجيلية، المعروفة في اللسان التبتكتي بـ"الكوندو-هاري" (koundou-Hari)، وتعتقد الساكنة المحلية بأن هذا المشروب، يكون أكثر متعة وروعة وفائدة حينما يسكّر<sup>50</sup>، إضافة إلى هذا المشروب، هناك مشروب آخر مسكّر ومنعش في نفس الآن، هذا المشروب يُصنع من قصب

<sup>46</sup> - Ibid., p.36.

<sup>47</sup> - Ibid., pp.35-36.

<sup>48</sup> - Ibid., p.17.

<sup>49</sup> - Ibid., p.38.

<sup>50</sup> - Ibid., p.39.



السكر، حيث يحتوي ساق هذا القصب الأحمر اللون، على عصير من خلاله يتم إعداد ذلك المشروب<sup>51</sup>، ومما يلفت الانتباه في هذا السياق، أنه في حاضرة تَنْبُكْتُ كانت بعض الأشرية حكرا فقط على الفئات الغنية، وخاصة مشروب الشاي، الذي كان من أهم المشروبات الفاخرة، التي تقبل عليها الفئة الميسورة أيما إقبال، بينما نجد أن مشروب القهوة قليل ما يُستهلك في حاضرة تَنْبُكْتُ والمناطق المجاورة لها، والسبب راجع بالأساس إلى قلة البن وندرته في الحاضرة السالفة الذكر<sup>52</sup>.

وفي الأخير، تجدر الإشارة، إلى أن فئة قليلة من ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ الثرية، كانت تقبل على تناول واستهلاك بعض الأغذية والأطعمة الفاخرة، حيث وصفها رحالتنا بـ "الأغذية الكمالية" ( les Accessoires de L'Alimentation)، وهي في المجمل، عبارة عن حلويات ومملحات، وهي كثيرة ومتنوعة، منها المسماة بـ "الكاجي" (les Katji)، و"الفينتا" (les Finta)، و"الفياتي" (les Fitati)، و"الكولو" (les Kolo)، و"الفورمي" (les fourme)، و"النيمتي" (les Nempti)، و"الجيميتا" (les Djimita)، وكل هذه الأنواع من الحلويات والمملحات السودانية التنبكتية، تصنع عادة من: طحين القمح، والعسل، والأرز، والفاصولياء، والدُّخن، والفلفل الحار<sup>53</sup>.

#### هـ: اللباس والزينة

أورد الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) تفاصيل عديدة حول الألبسة والأزياء التي كان يرتديها إنسان تَنْبُكْتُ، والعادات والتقاليد المتبعة في كيفية ارتدائها، كما لم يفته الإشارة إلى لباس العبيد وأدوات الزينة، التي يستعملها الرجل وحتى المرأة، في حاضرة تَنْبُكْتُ وبعض المناطق المجاورة لها. بالنسبة لملايس الرجل، يُشير رحالتنا أنها تتكون عادة من "سيبي" (Sibi)، وهو عبارة عن سروال واسع شيئا ما، وغالبا ما يكون مصنوعا من القطن الأزرق أو الأبيض، ثم من "تيلبي" (Tilbi)، وهو عبارة عن لباس واسع مفتوح الجانبين، مخيط فقط على الأطراف السفلية، كما يحتوي على جيب كبير عند الصدر<sup>54</sup>، هناك لباس آخر يدعى "المصاورية" (Messaouria)، وهو عبارة عن قميص ذو أكمام واسعة<sup>55</sup>، إضافة إلى هذا، يرتدي الرجل في حاضرة تَنْبُكْتُ نوعا من العمامة، هي على شكل قبعة طويلة، مصنوعة من القطن لونها إما أصفر أو أزرق، والبعض الآخر يرتدي قبعة يونانية بيضاء اللون تحت العمامة<sup>56</sup>. وفي خصوص النعال والأحذية التي ينتعلها رجل حاضرة تَنْبُكْتُ، يذكر رحالتنا أنها تكمن في نوع من الخفاف العربية، المصنوعة من الجلد ذو اللون الأصفر<sup>57</sup>، بينما يُبين أن أثرياء الحاضرة المذكورة، غالبا ما ينتعلون أحذية طويلة صفراء أو حمراء اللون، في حين نجد أن الفقراء وهم غالبية حاضرة تَنْبُكْتُ يمشون حفاة، أو ينتعلون نعلا هو عبارة عن بطانة من الجلد، مربوط بالقدمين بأحزمة جلدية، يُطلق عليها في اللسان المحلي التنبكتي بـ "الجيلامبو" (Tjelambou)<sup>58</sup>.

51- Ibid., pp.17-18.

52- Ibid., p.39.

53- Ibid., pp.39-40.

54- Ibid., p.27.

55- Ibid., p.28.

56- Ibid., p.30.

57- Ibid., p.28.

58- Ibid., p.30.



في المقابل، نجد أن ألبسة النساء التبتكيات، غالبا ما كانت تتجلى في ثوب أو قماش مصنوع إما من الكتان، أو من القطن، أو من الحرير، وعادة ما يتم استيراد هذه الأنواع من الأثواب من أوروبا الغربية، كما يرتدين كذلك "الصاية" (la Saya) أو "المصاورية" (Messaouria)، ذات الأكمام الطويلة والواسعة التي تنتهي بذروة<sup>59</sup>، كل هذه الملابس التي ترتديها النساء في حاضرة تَنْبُكْتُ، هي مزينة بشكل أو بآخر بالحرير الأحمر، أو الأبيض، أو الأصفر، أو الأخضر، وذلك وفق ثروة وإمكانيات تلك النسوة<sup>60</sup>، أما فيما يتعلق بلباس الرأس فعادة ما نجد أن نساء الحاضرة المذكورة، يخرجن برؤوس عارية أو مغطاة بغطاء أسود اللون<sup>61</sup>، بينما ينتعلن على مستوى أرجلهن نعالا، ذات بطانة رقيقة مزركشة بالحرير<sup>62</sup>، أما فيما يخص ألبسة العبيد فهي تتألف أساسا من ألبسة جلدية، تكمن في الغالب الأعم من جلباب طويل ضيق، يغطي الكتفين والجسم حتى الركبتين، هذا بالنسبة للرجل العبد، في حين ترتدي الإماء "تتورة" (Jupon)، هي الأخرى مصنوعة من الجلد، تتكون عادة من قطع متنوعة الألوان، مزينة بشرائط طويلة، ذات أشكال ورسوم مختلفة<sup>63</sup>.

وبموازاة مع ما تقدّم، يذكر رحالتنا أن الرجال في حاضرة تَنْبُكْتُ لا يترزنون إلا بالخواتم والدمالج، المصنوعة إما من الحجر أو الرخام أو الصلصال، والمزدانة باللون الأخضر أو الأبيض أو الأحمر<sup>64</sup>، بينما نجد النسوة التبتكيات يترزّن بمجوهرات وحلي عديدة ومختلفة، مثل: الخواتم، والدمالج، والخالخل، المصنوعة من النحاس، أو الفضة، والمرصعة والمزدانة بالأحجار الكريمة<sup>65</sup>.

#### و: الصحة والأمراض

سجّل الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) بيانات قليلة حول الأمراض والأوبئة التي كانت متفشية ومنتشرة بين ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ، وهكذا أورد معطيات عابرة متناثرة هنا وهناك لا تسمح مطلقا، بإعطاء تصور واضح ودقيق حول الوضعية الصحية في الحاضرة المذكورة، خاصة في الفترة الزمنية التي تهمنا هنا، أي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ومهما يكن من أثر، فإن الأب السالف الذكر يُخبرنا بأن مناخ تَنْبُكْتُ صحي نسبيا نظرا لشدة جفافه<sup>66</sup>، ورغم ذلك يُبين أنه في حاضرة تَنْبُكْتُ وباديتها، توجد بعض الطفيليات الخطيرة، التي تسبب بعض الأمراض والعلل المتباينة الخطورة، منها "دودة غينيا" (le Ver de Guinée)، هذه الأخيرة، كما يتبين من إشارات وإيماءات رحالتنا، تنجح في كثير من الأحيان في شل وتشويه المريض المهمل<sup>67</sup>، ثم هناك "الديدان المعوية" (les Vers intestinaux)، التي لا تقل خطورة عن الطفيلية الأولى، وهي الأخرى، منتشرة بشكل مهول في الحاضرة المذكورة، وتسبب مجموعة من المشاكل الصحية<sup>68</sup>.

#### ز: العادات الاجتماعية

<sup>59</sup>- Ibid., p.28.

<sup>60</sup>- Ibidem.

<sup>61</sup>- Ibid., p.30.

<sup>62</sup>- Ibid., p.28.

<sup>63</sup>- Ibid., p.33.

<sup>64</sup>- Ibid., pp.31-32.

<sup>65</sup>- Ibid., p.31.

<sup>66</sup>- Ibid., p.13.

<sup>67</sup>- Ibid., p.21.

<sup>68</sup>- Ibidem.





أورد الأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) مجموعة من المعطيات الثمينة والنادرة، حول العادات الاجتماعية الرائجة والمألوفة في حاضرة تَنْبُكْتُ، وهي عادات كثيرة ومتنوعة، ومن بين هذه العوائد المتفشية بين ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ، وعلى نطاق واسع، “عادة حمل السلاح”، و “عادة التدخين”، و “عادة وسم الندب على الوجه ونقش الخدين والجبهة عند النساء”، و “عادة حمل العصا والتمايم عند الخروج من البيت”.

#### ○ عادة حمل السلاح

يُخبرنا الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) أن حمل السلاح يشكل إحدى أهم العادات الاجتماعية المألوفة والشائعة في حاضرة تَنْبُكْتُ، ومنذ أزمنة قديمة، حيث يُشير إلى أن مجمل ساكنة هذه الحاضرة تُعتبر حمل السلاح والتجوال به عادة جيدة، ويرجع السبب الرئيسي لانتشار هذه العادة بينهم، هو الخشية من الاضطدام مع التوارك الذين يبتزونهم ويسئون لهم في كل وقت وحين، ومن بين أهم أنواع الأسلحة المنتشرة في حاضرة تَنْبُكْتُ، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، نجد كل من: الرماح، والسيوف، والبنادق<sup>69</sup>.

#### ○ عادة شرب الدخان

يُعتبر شرب الدخان في حاضرة تَنْبُكْتُ من العادات الاجتماعية الرائجة والمألوفة بشكل منقطع النظير، حيث يتبين بجلاء من خلال “مونوغرافية تَنْبُكْتُ” أن كل فئات هذه الحاضرة، كبارا وصغارا، إناثا وذكورا، كانوا يستهلكون التبغ، ويتعاطونه علانية، وفي كل وقت وحين<sup>70</sup>، وما زاد من الإقبال على هذه العشبة في تلك الحاضرة السودانية، هو كثرتها، حيث يُخبرنا الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، في هذا الصدد، أنه في تَنْبُكْتُ وحتى في المنطقة الشرقية منها، وتحديدا في مدينة “بامبا” (Bamba)، يُعتبر التبغ من المحاصيل الهامة والرئيسية، إذ تستهلك منه المنطقة المذكورة أكبر جزء منه، أما الباقي فيتم تصديره إلى قرى الجنوب، والجنوب الغربي، وإلى بلاد التوارك<sup>71</sup>.

#### ○ عادة وسم الندب على الوجه، ونقش الخدين والجبهة عند النساء

تُمثل عادة وسم الندب على الوجه بالنسبة للنسوة التنبكيات، من العادات الاجتماعية المتوارثة عبر الأسلاف، وعليه يُعتبرون وسم الندب على الوجه، من صميم التقاليد المحلية الأصيلة، والتي وجب المحافظة عليها، ويُخبرنا في هذا السياق الأب الأنف الذكر أن هذه العادة تُعدّ من العلامات المميزة لأهالي حاضرة تَنْبُكْتُ، وهكذا كانت نساء تلك الحاضرة يخضعن لعملية ندب صغيرة وعمودية في وجوههم، حيث يبلغ طولها حوالي 1.5 سم عند التقاء العينين، كما يقمن كذلك إلى جانب وسم الندب على الوجه، بنقش الخدين والجبهة بخطين أو ثلاثة<sup>72</sup>.

<sup>69</sup> - Ibid., pp.33-34.

<sup>70</sup> - Ibid., p.32.

<sup>71</sup> - Ibid., p.23.

<sup>72</sup> - Ibid., p.31.



○ عادة حمل العصا عند الخروج من البيت

يذكر الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) أن الرجال في حاضرة تَنْبُكْتُ يحافظون بشكل مثير على عادة حمل العصا، حيث يُشير إلى أنهم لا يخرجون من بيوتهم إلا وهم حاملون لها، هذه الأخيرة، غالبا ما تكون طويلة ومزينة بشرائح من النحاس<sup>73</sup>.

○ عادة حمل التعاويذ والتمائم

يُبين الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) أن حمل التمامم والتعاويذ من قبل ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ، تُعتبر من العوائد الاجتماعية العادية والمتفشية بشكل كبير في الحاضرة المذكورة، حيث يحملون معهم تعاويذ كثيرة أو قليلة، ومن مختلف الأشكال والأحجام<sup>74</sup>.

2: الأنشطة الاقتصادية

يبدو من خلال المعطيات والارتسامات التي دونها الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard) في إطار مونوغرافيته السالفة الذكر، أن حاضرة تَنْبُكْتُ العاصمة الروحية لبلاد السودان الغربي، كانت تتوفر على إمكانيات اقتصادية مهمة ومتنوعة، سواء من ناحية الثروات الفلاحية (زرعا وضرعا)، أو من ناحية الإمكانيات التجارية الكبيرة التي تتميز بها (الأسواق، والحرف، والصنائع، والمنتجات)، الشيء الذي جعل من الحاضرة السودانية المذكورة أنفا، مركز وقطب اقتصادي وتجاري بامتياز.

أ: الإنتاج الفلاحي

○ الثروة الزراعية

يظهر من بيانات ومعلومات الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تَنْبُكْتُ كانت تتمتع في أواخر القرن التاسع عشر، بثروات فلاحية مهمة، ومنتجات زراعية مختلفة، وقد ساعدها في ذلك ما تعرض له الحاضرة من فيضانات لمدة طويلة تتراوح ما بين 7 أو 8 أشهر في السنة، وهو ما انعكس بالإيجاب على أنشطتها الفلاحية، ومن بين المنتجات الفلاحية التي تتمتع بها الحاضرة المذكورة، نجد الأرز بمختلف أشكاله وألوانه، والذي يُشرع في حصاده في شهر نونبر وينتهي في شهر دجنبر، ثم هناك أيضا زراعة الدُّخْن بنوعيه الأسود والأبيض الكبير والصغير<sup>75</sup>، كما أن الحاضرة تُنتج أيضا كميات مهمة من القمح، فرغم تواضع جودة الأخير إلا أنه يمد الأهالي بالخبز<sup>76</sup>، وإلى جانب ما سبق، تُنتج بساتين حاضرة تَنْبُكْتُ كميات مهمة وهائلة من: البطيخ الأبيض، والأصفر، والأحمر، وقليل من الشامام ذي اللون الأخضر والقشرة البيضاء، إضافة إلى مجموعة من الخضروات، مثل: القرع، والفاصولياء، والكرنب، واللفت، والبصل<sup>77</sup>، والملوخية<sup>78</sup>، وأمام

<sup>73</sup>- Ibid., p.32.

<sup>74</sup>- Ibidem.

<sup>75</sup>- Ibid., pp. 22-23.

<sup>76</sup>- Ibid., p.23.

<sup>77</sup>- Ibidem.

<sup>78</sup>- Ibid., p.35.



ندرة الطماطم في الحاضرة المذكورة، فغالبا ما كانت تستورد كميات معتبرة منها، من بعض المناطق العربية أو الأوروبية<sup>79</sup>.

#### ○ الثروة الحيوانية

يتبين جليا من خلال مونوغرافية الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تَنْبُكْتُ كانت غنية من حيث الإنتاج الحيواني، الذي يظهر أنه كان متنوعا إلى درجة كبيرة، ومن بين الأصناف الحيوانية المعروفة في الحاضرة المذكورة، نجد كل من: الجاموس، والغنم، والماعز<sup>80</sup>، والإبل، وخاصة النوع المسمى في اللسان المحلي التنبكتي بـ "هيو" (Hio)<sup>81</sup>، كما تتمتع الحاضرة أيضا بأنواع مختلفة من الدواجن، مثل: البط<sup>82</sup>، والدجاج الحبشي<sup>83</sup>.

#### ب: النشاط الحرفي

تحتوي "مونوغرافية تَنْبُكْتُ" للأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، على معلومات عديدة وكثيفة حول الأنشطة الحرفية، وكذا الصناعات التقليدية الرائجة وقتذاك في حاضرة تَنْبُكْتُ، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وما يميز هذه الحرف والصناعات المتنوعة، هي أن كل فئة من فئات الحاضرة المذكورة تختص في حرفة أو حرف معينة، وهكذا نجد أن فئة "الألفا" (les Alfa) أو "العلماء" (les Savants) تختص في أعمال الخياطة، أما فئة "الأرما" (les Arma) ذي الأصول المغربية، نجدها تختص في صناعة الأحذية والنعال، في حين نجد أن السكان ذوي "الأصول السنغية" (la Population Songoy) يقومون بأعمال وحرف متنوعة ومختلفة، ومنها حرف: الجزارة، والحدادة، والسباكة، والنجارة، وصناعة الأثاث، وحياسة القماش، والحلاقة، والسمسرة، والبناء<sup>84</sup>، بينما الساكنة ذي "الأصول الصاندينغية" (Sansanding) يختصون في أعمال صباغة الأقمشة وخياطة النسيج<sup>85</sup>.

ولعل ما يلاحظ، في هذا الصدد، هو أن هذه الحرف، وهذه الصناعات المختلفة، كان يُشرف عليها مشرفون وأمناء خاصون، حيث كانوا يمارسون نوعا من السلطة، على الأعضاء الذين ينتمون إليها، فمثلا نجد أن أمين الجزارة كان يراقب سوق اللحوم، ويصادر اللحوم النتنة والفاسدة، واللحوم المباعة بسعر أعلى من السعر الذي حدده سلفا<sup>86</sup>، وقد ساعد على ازدهار هذه الحرف والصناعات، توفر الحاضرة المذكورة على المواد الأولية المحلية، وعلى الأسواق التجارية، التي ساعدت بشكل كبير، في تسهيل عمليات البيع والشراء بين الأهالي.

#### ج: النشاط التجاري

تُعتبر حاضرة تَنْبُكْتُ من حواضر بلاد غرب إفريقيا القليلة التي عرفت رواجًا ونشاطًا تجاريًا مهما، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث سمح موقعها الجغرافي الاستراتيجي المتميز، الذي هو

<sup>79</sup>- Ibid., p.23.

<sup>80</sup>- Ibidem.

<sup>81</sup>- Ibid., p.22.

<sup>82</sup>- Ibid., p.20.

<sup>83</sup>- Ibidem.

<sup>84</sup>- Ibid., p.40.

<sup>85</sup>- Ibid., p.43.

<sup>86</sup>- Ibid., p.40.



عبارة عن ملتقى طرق القوافل التجارية التي تجوب الصحراء الإفريقية الكبرى، "وهزمة وصل بين العالم العربي وإفريقيا السوداء"<sup>87</sup>، في خلق مركز تجاري مهم استقطب مجمل تجار أقطار المعمور، سواء القادمين من إفريقيا الشمالية، أو من المناطق الإفريقية الزنجية، أو من أوروبا الغربية، أو من بعض المناطق الشرقية، وكل هذا خلق حركة ودينامية اقتصادية مهمة، وعليه اعتبر الأب أوغوسطان بروسبير هاكار ( Augustin Prosper Hacquard)، حاضرة تَنْبُكْتُ "مكان التقاء أولئك الذين يسافرون بالقوارب وأولئك الذين يسافرون بالجمال"<sup>88</sup>، وحتى نستشف بجلاء القيمة الاقتصادية والتجارية لحاضرة تَنْبُكْتُ في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، يقول شارل بغوسلاغ (Charles Brosselard) أحد أقطاب الإدارة الاستعمارية الفرنسية في القارة الإفريقية على لسان أحد المغاربة: "تَنْبُكْتُ] أرض مباركة. إنها منجم ذهب، كل ما عليك فعله هو الانحناء لجمعه؛ رحلة واحدة إليها تثري المرء"<sup>89</sup>.

وفي ذات الاتجاه، يُخبرنا كل من الباحثين الفرنسيين لوسيان هوبير (Lucien Hubert) وموريس دولافوس (Maurice Delafosse)، أن حاضرة تَنْبُكْتُ كانت تُشكل لفترة طويلة السوق الكبير للصحراء الغربية المغربية<sup>90</sup>، وهكذا كانت تستقبل تلك الحاضرة وإلى سنة 1887م، ما يقرب عن 400 قافلة تجارية، وكان عدد الإبل المكونة لتلك القوافل حوالي 350 رأس<sup>91</sup>، ومن جهته، يُشير الأب أوغوسطان بروسبير هاكار ( Augustin Prosper Hacquard) إلى أن حاضرة تَنْبُكْتُ كانت تُشكل مكانا تجاريا متميزا لتبادل مجمل منتوجات بلاد السودان الغربي بمنتوجات (طرابلس، وتونس، والجزائر، والمغرب، وواحات الصحراء)، حيث من الشمال تصل كميات معتبرة من: (الملح، والأقمشة، والجلود، والأسلحة، ومسحوق البارود، والأواني الزجاجية، والسكاكين، والسكر، والشاي، والتمر)، أما جهة الجنوب فتأتي منها مواد كثيرة ومتنوعة، مثل: (الدُّخْن، والأرز، وزبدة الشيا، والعسل، وجوز الكولا، والأسماك المجففة، والحديد)<sup>92</sup>.

وتجدر الإشارة هنا، أن ساكنة حاضرة تَنْبُكْتُ ورغم أن كل واحد من هذه الساكنة يتوفر على مهنة أو حرفة معينة إلا أنهم يمتنون التجارة وعلى نطاق واسع، من البائع الصغير للخبز، والعناب، وبذور البطيخ، إلى كبار التجار في الأقمشة، والحبوب، والعبيد، حيث كلهم لا يستغلون ذكاءهم وفطنتهم إلا لحساب الربح المحتمل في قضية ما<sup>93</sup>، ويذكر الأب السالف الذكر أنه بعد استقرار مجموعة من التجار الفرنسيين، وتحديدًا من سانت لويس (Saint-Louis) في حاضرة تَنْبُكْتُ، أضحووا يستوردون بعض المنتوجات الأوروبية، وعليها أصبحوا ينافسون التجار المغاربة والطرابلسيين<sup>94</sup>.

- محمد ولد عبيد، "حاضرة تَنْبُكْتُ تاريخها ومنجزها الحضاري وصورتها في مآيا الرحالة"، مقال ضمن ندوة بعنوان: الرحلة العربية: المغرب منطلقا ومونلا، [تحرير وتقديم نوري الجراح]، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2009، ص.184.

<sup>88</sup>- Augustin Hacquard, **Monographie...**, op.cit., p.48.

<sup>89</sup>- Charles Brosselard, **Tlemcen et Tombouctou**, Alger : Imprimerie de A. Bourget, 1861, p.7.

<sup>90</sup>- Lucien Hubert et Maurice Delafosse, **Tombouctou: Son Histoire-Sa Conquête**, Paris: Édition Grand Imprimerie Parisienne, 1894, p.5.

<sup>91</sup>- Ibid., p.11.

<sup>92</sup>- Augustin Hacquard, **Monographie...**, op.cit., p.48.

<sup>93</sup>- Ibidem.

<sup>94</sup>- Ibidem.



ونلاحظ، من جهة أخرى، وحسب رحالتنا دائما، أن مجمل العمليات التجارية في حاضرة تَنْبُكُتْ، كانت تُجرى في السوق وذلك مباشرة بعد أن أقرت السلطات الاستعمارية الفرنسية ذلك، حيث كان التجار في السابق يمارسون تجارتهم أمام منازلهم وفي الساحات وفي الأزقة المجاورة<sup>95</sup>، سوق حاضرة تَنْبُكُتْ كما يذكر رحالتنا، هو سوق حديث وفسيح، مستطيل الشكل، شيدت جوانبه على شكل أروقة، يقيم بها الباعة مع بضائعهم، هذا السوق كان إلى غاية عام 1896م يتكون من عدد كبير أو أقل من أكواخ مصنوعة من القش، ومآوي الحصير فوق ساحة ضيقة<sup>96</sup>، هذا السوق أيضا كانت تُعرض فيه منتجات متنوعة وشديدة الاختلاف، من أبرز هذه المنتجات، نجد كل من: (الدُّخْن، القمح، الأرز، البطيخ، الدجاج، الحمام، البيض، الكولا، الفلفل الحار، الملح، التوابل، الملوخية، البرتقال، البصل، الثوم، الجبن، الحليب، الزبدة، الفول السوداني، الأسماك، الحلويات، العسل، التبغ، الزجاج، المجوهرات بمختلف الأشكال، الأقمشة بمختلف الألوان، الأحذية)، وغيرها كثير<sup>97</sup>.

وفي نفس السياق، يرى رحالتنا أنه بفعل تنوع المنتجات والبضائع التي يشهدها سوق حاضرة تَنْبُكُتْ، يُؤلِّدُ بكيفية أو بأخرى، حركية كثيفة تجعل من السوق المذكور، الجزء الأكثر حيوية في حاضرة تَنْبُكُتْ برمتها<sup>98</sup>، وفي إشارة فريدة يذكر صاحب التأليف أن أغلب الباعة في الحاضرة المذكورة هم من النساء، حيث لا يبيع الرجال سوى الأقمشة، والملح بالجملة، واللحوم، والأحذية، كما يذكر أن أغلب التجار هم من فئة "الإماء"، يعمل البعض لحساب أسيادهن، في حين الأخريات، وهم الأغلبية، يعيشن على عائدات ما يستبدلونه من منتجات، وعندما يحصلون في المساء على فرنك أو ثلاثة، لن يكن قد أضعن أبدا يومهم، حيث بإمكان العديد منهم استيفاء حاجياتهم المختلفة؛ لأن الحياة المعيشية ليست مكلفة بالحاضرة المذكورة، إذ بـ 0.15 فرنك أو 0.20 أن يقضين يومهم على ما ينبغي أو أكثر<sup>99</sup>.

من زاوية أخرى، يُخبرنا رحالتنا أن البنية التجارية لحاضرة تَنْبُكُتْ، سواء مع المغرب، أو مع أوروبا، أو مع حواضر بلاد غرب وشرق إفريقيا، أو مع بعض المراكز التجارية في شمال إفريقيا، تتلخص على الشكل التالي:

- الصادرات: ريش النعام<sup>100</sup>، الصمغ<sup>101</sup>، العاج<sup>102</sup>، التبغ<sup>103</sup>.
- الواردات: النحاس<sup>104</sup>، الحديد<sup>105</sup>، الملح<sup>106</sup>، الطماطم<sup>107</sup>، الدخن، الأرز<sup>108</sup>.

وهكذا، ومن خلال ما سبق، نستطيع القول إن حاضرة تَنْبُكُتْ تُعد من أكبر الحواضر السودانية التي شهدت حركية تجارية ودينامية اقتصادية معتبرة، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، رغم الصعوبات

<sup>95</sup> - Ibidem.  
<sup>96</sup> - Ibid., p.5.  
<sup>97</sup> - Ibid., p.49.  
<sup>98</sup> - Ibidem.  
<sup>99</sup> - Ibid., pp.49-50.  
<sup>100</sup> - Ibid., p.23.  
<sup>101</sup> - Ibid., p.51.  
<sup>102</sup> - Ibid., p.23.  
<sup>103</sup> - Ibidem.  
<sup>104</sup> - Ibid., p.41.  
<sup>105</sup> - Ibid., p.42.  
<sup>106</sup> - Ibid., pp.50-51.  
<sup>107</sup> - Ibid., p.23.  
<sup>108</sup> - Ibid., p.34.



والعراقيل الجمّة، التي عرفتها الحاضرة بشكل خاص، وبلاد السودان الغربي بشكل عام، والتي تتجلى بالأساس في الهجمة الامبريالية الفرنسية، التي اكتسحت الحاضرة المذكورة في سنة 1893م، الشيء الذي أثر على الدينامية التجارية في الحاضرة المذكورة.

### 3: الأوضاع الدينية والثقافية والعلمية

يخفل نص "مونوغرافية تَنْبُكْتُ" للأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار ( Augustin Prosper Hacquard)، بمعطيات ومعلومات مهمة وغنية عن الأوضاع (الدينية، والثقافية، والعلمية) بحاضرة تَنْبُكْتُ، حيث يتضح بجلاء أن هذه الحاضرة السودانية، كانت ملتقى للعلماء والطلبة من مختلف الأقطار الإفريقية والعربية، غايتهم الأساسية اكتساب العلم والتنافس في طلبه، وركوب المخاطر من أجله، والاعتراب عن الأهل والأحبة في سبيل تحصيله، هدفهم الاستكثار من لقاء العلماء الأعلام، والحصول على إجازاتهم بأسانيدهم في رواية الكتب والعلوم، وجلب أحمال الكتب والنوادير من المؤلفات والمخطوطات.

#### أ: الأوضاع الدينية

يُخبرنا الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن دين حاضرة تَنْبُكْتُ هو الإسلام، وأن جميع عاداتها وكل تقاليدها مستمدة منه<sup>109</sup>، وحسب نفس المؤلف، فإن ما تتميز به حاضرة تَنْبُكْتُ "جوهرة الصحراء"، و"مدينة الأولياء"، هي كثرة مساجدها، هذا دون احتساب المصليات الخصوصية المنتشرة في مختلف ربوع الحاضرة، ومن المساجد المعروفة والشهيرة في الحاضرة المذكورة، نجد مسجد "جينجيري بير" (Djingerey-Ber) الواقع في أقصى الجنوب الشرقي من الحاضرة السالفة الذكر، هذا الأخير تم تشييده في القرن الحادي عشر الميلادي من قبل أحد "المرابطين" (Marabout)، المعروف باسم "الكالي-الأكيب ألكوم" (Alakoum Alkali-Alakib)، ثم مسجد "سانكوري" (Sankore)، الواقع في شمال الحاضرة، والمشيد في نفس الفترة الذي شيد فيه المسجد الأول، هذا المسجد شيد من طرف امرأة ثرية<sup>110</sup>، ثم هناك أيضا مسجد آخر معروف باسم "سيدي يحيى" (Sidi Yahya)، هذا الأخير يقع وسط الحاضرة، وقد شيد في القرن الخامس عشر الميلادي، من طرف عمر حاكم تَنْبُكْتُ وقتذاك<sup>111</sup>، وفي ذات الاتجاه، يُشير الأب الأنف الذكر أن كل مسجد من مساجد حاضرة تَنْبُكْتُ، يتوفر على إمام يشرف على إقامة الصلاة العامة (la prière publique)، والوعظ والإرشاد بالمسجد، وغالبا ما يتم اختيار هؤلاء الأئمة من فئة "الألفا" (les Alfa)، المعروفين بعلمهم الغزير وتقواهم<sup>112</sup>.

#### ب: الأوضاع الثقافية والعلمية

يُشير الأب أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، أن حاضرة تَنْبُكْتُ تُعتبر من الناحية الثقافية، أحد أكبر المراكز العلمية، والأكثر أهمية للعلوم الإسلامية في بلاد السودان الغربي، مدارسها عديدة، حيث يرتادها ليس فقط شباب وفتيان الحاضرة، ولكن أيضا من قبل العديد من الطلبة الأجانب، الذين

<sup>109</sup> - Ibid., p.25.

<sup>110</sup> - Ibid., p.2.

<sup>111</sup> - Ibid., pp.3-4.

<sup>112</sup> - Ibid., p.43.



يعودون إلى وطنهم بعد إقامة معينة في حاضرة تَنْبُكْتُ، لتلقين مواطنيهم مختلف ما تلقوه من الدروس والعلوم<sup>113</sup>، إلى جانب ما سلف ذكره، يُضيف رحالتنا أن حاضرة تَنْبُكْتُ، تتوفر على حوالي عشرين مدرسة، وعادة ما يُشرف على هذه المدارس فئة "الألفا" (les Alfa)، حيث يقومون بتدريس اللغة العربية، والإشراف على تحفيظ القرآن الكريم، وتفسيره للطلبة، في مقابل هذا يتلقى المدرسون أجره متناسب ومكانة الوالدين، وغالبا ما تُقام الدروس في الصباح عند الفجر، ثم نحو الساعة الثالثة بعد الظهر، وفي المساء عند حوالي الساعة التاسعة مساءً، وحسب رحالتنا فإن الأطفال المتدربين يلتحقون بالمدارس وحلقات الدرس بالتناوب في أوقات مختلفة من اليوم، ومن يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، يُفترض أنه قد أنهى دراسته؛ وبعد ذلك تُقام حفلة عائلية على شرفه، ويتم الطواف به بفخر منقطع النظير عبر الحاضرة برفقة بعض أصدقائه، ثم يتلقى المدرس هدية خاصة على ذلك، تتألف عادة من أحد العبيد<sup>114</sup>.

#### خاتمة عامة:

بيدو من حصاد ما سلف، أن "مونغرافية تَنْبُكْتُ" للأب والمستكشف الفرنسي أوغوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، نفيسة ونادرة، نظرا لما تزخر به من معطيات ومعلومات قيمة، في غاية من الأهمية، من شأنها، إذا ما استغلت بالكيفية المثلى، أن تساعدنا لا محالة على ملأ الفراغ المعرفي الذي تشكو منه الكتابات التاريخية السودانية، المتميزة بالشح والابتسار، على صعيد عناصرها الإخبارية. وعليه، فالعودة إلى مثل هذه الكتابات الأجنبية، رغم نظرتها الاستعلائية، وأحكامها المسبقة، وخطابها الذي يشرع للغزو والهيمنة، أضحت اليوم ضرورة ملحة، يفرضها البحث التاريخي المعاصر، من أجل الاستفادة منها، خاصة في مقارنة مواضيع وقضايا جديدة، تهم أساسا: التاريخ الذهني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديني، صحيح أن هذه الكتابات، لن تمكننا أبدا من رسم صورة شاملة وكاملة وواضحة، حول تاريخ الحاضرة المذكورة وحضارتها، بيد أنها على الأقل بإمكانها أن تستكمل لنا بعض التصورات، وتسد بعض الفجوات، التي تعاني منها المصادر المحلية السودانية.

#### لائحة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

- جاهل، عادل بن محمد، "البحث الكولونيالي الإسباني حول مجتمع إفريقيا (الصحراء الأطلنتية نموذجاً): محاولة في التعريف والتركيب"، في مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة، تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، العدد 51، مارس 2019، (صص.65-84).
- عبيد، محمد ولد، "حاضرة تنبكتو تاريخها ومنجزها الحضاري وصورتها في مرايا الرحالة"، مقال ضمن ندوة بعنوان: الرحلة العربية: المغرب منطلقا وموتلا، (تحرير وتقديم نوري الجراح)، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2009، (صص.175-193).
- هاكار، أوغوسطان، مونوغرافية تمبوكتو، (تقديم وترجمة زوليخة بنرمضان وحسن أميلي)، الرباط: دار أبي رقرق للطباعة والنشر، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، طبعة 2017.

<sup>113</sup> - Ibid., p.25.

<sup>114</sup> - Ibid., p.44.



- Brosselard, Charles, **Tlemcen et Tombouctou**, Alger : Imprimerie de A. Bourget, 1861.
- Ceillier, Jean-Claude, **Histoire des Missionnaires d'Afrique (Pères Blancs): de la fondation par Mgr Lavigerie à la mort du fondateur (1868-1892)**, Paris: Édition Karthala, 2008.
- Hacquard, Augustin, **Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des Études Coloniales et Maritimes, 1900.
- Hubert, Lucien et Delafosse, Maurice, **Tombouctou: Son Histoire-Sa Conquête**, Paris: Édition Grand Imprimerie Parisienne, 1894.
- Shorter, Aylward, **Les Pères Blancs au Temps de la Conquête Coloniale : Histoire des Missionnaires d'Afrique 1892-1914**, [Traduit de l'Anglais par Gérard Guiraudin], Paris: Édition Karthala, 2011.





بحث بعنوان:

## رؤية نظرية مقترحة للبناء التنظيمي والأكاديمي لمعهد فني تقني متوسط في مجال الآثار والتراث

الدكتور: احمد عيسي فرج

استاذ مساعد بقسم الآثار اكلية الآداب جامعة عمر المختار (متخصص في حماية وادارة الآثار والتراث الليبي)

الدكتور: محمد مفتاح فضيل

استاذ مشارك بقسم الآثار اكلية الآداب جامعة عمر المختار (متخصص في المسكوكات الكلاسيكية)



محتويات البحث:

### المقدمة

- أهمية دراسة الآثار والتراث
- علاقة الآثار والتراث بالهوية الوطنية
- تطور دراسة الآثار في ليبيا
- الاستراتيجية المقترحة للمعهد المقترح
- رؤية المعهد
- رسالة المعهد
- أهداف المعهد
- البرنامج والأنشطة التعليمية
- البرنامج النظري
- البرنامج الميداني والتطبيقي
- الشراكة مع المؤسسات المعنية
- الاحتياجات المادية والتجهيزات العلمية
- المقررات المقترحة للسنوات الثلاث.
- المعلمون والمدربون



## المقدمة:

تُعد ليبيا من الدول التي تتميز بأتساع رقعتها الجغرافية وغازرة مصادرها الثقافية وتنوع الحضارات التي ازدهرت على أرضها، حيث تعتبر من أغنى دول حوض المتوسط بالمواقع الأثرية خاصة من ناحية التسلسل الزمني فنجد مواقع ما قبل التاريخ في شمال البلاد وجنوبها وغربها، ومن ثم العصور التاريخية في جنوب وشمال غرب ليبيا، حيث أسست المستوطنات الفينيقية. والمستوطنات الإغريقية في شمال شرق ليبيا، كما شهدت ليبيا ازدهارا بعد الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي وانتهت هذه المرحلة بنهاية الدولة العثمانية في أوائل القرن الماضي. وما من شك أن دراسة هذا التراث والموروث الإنساني والحفاظ عليه يتطلب برنامجاً طموحاً تتبناه مؤسسات عامة وخاصة.

كل هذا الزخم من الأحداث والمخلفات يستلزم دراسته والبحث فيه لمعرفة التطور الإنساني وما تركه الإنسان على أرضها من أدلة ومواد تلقي الضوء على إسهاماته في دورة الحضارة الإنسانية، ومن هنا جاءت الرغبة لتأسيس معهد متوسط لعلوم التراث والآثار والرقي به ليوكب التطور الذي شهده علم الآثار، وعلى الرغم من هذا الغنى في المصادر الثقافية إلا أن دراسة الآثار في ليبيا مازالت تُعتبر حديثة نسبياً مقارنة مع التخصصات الأخرى. ونحن بحاجة إلي تخريج كوادر وطنية مؤهلة للمحافظة على هذا التراث والموروث الحضاري الإنساني الوطني بالشكل الذي يفرضه متطلباتنا ويخدم قضايا وتطلعات ومستقبل أجيالنا.

أن الوضع الحالي للدولة الليبية من جهة والآثار من جهة أخرى يفرض علي مصلحة الآثار الليبية و جهاز المدن التاريخية واجب وطني وخاص تجاه حماية هذه المدن والمواقع الأثرية بتأسيس كوادر فنية متخصصة علي قدر عالي من المهنية، لكي تساهم في المحافظة علي هذا التراث والموروث الثقافي في ليبيا، وان يكون لمصلحة الآثار الليبية دور ايجابي وكبير في تحسين قدرات وأداء المختصين في مجال الآثار، بحيث يكون لهم حد معقول من الخبرة والمعرفة حول هذا التراث وأهميته.

ومما لاشك فيه أن هذا الدور ستكون له فائدة كبيرة عندما يكتمل بالتعاون مع وزارة التعليم، ويُتوج بتأسيس معهد متوسط لعلوم وتقنيات التراث والآثار، في مدينة شحات كتجربة أولية نظرا لخصوصية هذه المدينة بشكل خاص ومنطقة الجبل الأخضر بشكل عام، بعدها يعمم علي باقي المناطق الليبية لتخريج دفعات فنية ذات تقنية عالية وعلي قدر كبير من الخبرة والمعرفة، علي أيدي مجموعة من الأساتذة المختصين في هذا المجال، وتحت إشراف دائم ومستمر من مصلحة الآثار، هذا التعاون بين وزارة التعليم من جهة ومصلحة الآثار وجهاز المدن التاريخية من جهة أخرى، سيؤدي إلي تحقيق الهدف المطلوب وهو تكوين قاعدة أساسية وممتينة لبناء جيل من الخبراء والفنيين في جميع مجالات علوم وتقنيات الآثار، تساهم في حمايته والمحافظة عليه، وبالتالي يأخذ دوره كمورد اقتصادي مستدام وبديل للنفط في ليبيا.



### اهمية دراسة الاثار والتراث:

لا شك ان دراسة الاثار والتراث صارت من الدراسات المهمة، خاصة بعد ازدياد الاهتمام بالاثار و التراث وكل القضايا المتعلقة به، علي الصعيدين الوطني والدولي، وللتراث قيم ومعاني كثيرة كالقيمة الحضارية والثقافية، حيث هناك صلة قوية بين التراث والثقافة، فالتاريخ والتراث هي المكونات الأساسية لجميع الثقافات عبر الزمن، وبالتالي يمكن القول إنه لا يوجد تراث دون القيم الثقافية، التي تستخدم لبناء الانتماء الثقافي، ووفقا لميثاق بورا وفي المادة رقم 1 " الأهمية الثقافية تعني القيم الجمالية والتاريخية والعلمية والاجتماعية والروحية للماضي، والمستقبل، والحاضر"<sup>(1)</sup>. و يجب ان يؤخذ في الاعتبار بان التنوع الثقافي للحضارة الإنسانية، يساعد في نشر السلام العالمي، وذلك عبر قبول الاخر وان اختلفت ثقافته وافكاره ومعتقداته.

ولا يمكن أهمل الأهمية أو القيمة الاقتصادية للتراث، فالسياحة توفر فائدة اقتصادية قوية في معظم البلدان التي لديها ميزات مثيرة للاهتمام من شأنها أن تكون بمثابة مناطق للجذب السياحي<sup>(2)</sup>، والسياحة الثقافية هي واحدة من انواع السياحة انتشاراً وخاصة في البلدان النامية، فهو الأسرع نمواً، لذلك ينظر إليها على أنها أداة هامة للتخفيف من حدة الفقر والتنمية الاقتصادية المجتمعية<sup>(3)</sup>؛ على سبيل المثال، فإن الفائدة الاقتصادية المباشرة تأتي من خلال ما دفعت من قبل الزوار من رسوم، والمرشدين السياحيين، والخدمات المساعدة الأخرى، وبناءً على هذا، هناك بعض الأفكار التي تعتمد على ربط العلاقة بين المجتمع المحلي وتراثها من حيث المنفعة الاقتصادية<sup>(4)</sup> (من خلال توفير فرص العمل). وللتراث ايضا اهمية اجتماعية، حيث يتحدث ميثاق بورا عن القيمة الاجتماعية في المادة 1<sup>(5)</sup> ويمكن أن يقال هذا لتسليط الضوء على كيفية تركز القيمة الاجتماعية للتراث على ربط الماضي بالحاضر. اما الأهمية التاريخية فهي جوهر التراث، وهو الشاهد المادي للتاريخ الذي يحدد ويوضح العلاقة بين الماضي والحاضر، والذي بدوره يزيد من ترابطها ويعزز قيمة التراث<sup>(6)</sup>، ويبين ميثاق بورا كيف قيمة تاريخية قد تكون موجودة في المكان الذي أثرت أو تأثر الأحداث أو الشخصيات الهامة؛ وبالتالي فإن التراث بمثابة شهادة حقيقية عن مثل هذه الشخصيات أو الأحداث<sup>(7)</sup>. ولا يمكن اغفال الأهمية العلمية: فلا تزال مواقع التراث مصدرا للمعلومات العلمية في كافة المجالات، سواء الأثرية أو الفنية، أو المعمارية، ويحمل التراث أيضا أهمية تعليمية لأنه يوفر لزواره دليلا على التطور التاريخي للتكنولوجيا والفن، يمكن استخدام مواقع التراث لتعليم طلاب المدارس والجامعات من خلال تنظيم الزيارات العلمية<sup>(8)</sup>.



فضلا عن قيم أخرى، فينبغي أن يقال هذا التصنيف لأهمية التراث الثقافي في العناصر الحضارية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والعلمية قد تكون ناقصة وغير كافية، كما يمكن إضافة المزيد من القيم اعتمادا على موقع التراث نفسه، مثل الفنية والدينية، والرمزية والقيم الوطنية أيضا.<sup>(9)</sup>  
**علاقة الآثار والتراث بالهوية الوطنية:**

قبل الخوض في مسألة علاقة الآثار والتراث بالهوية الوطنية، يجدر بنا تعريف الهوية أولاً: **الهُويَّةُ**

(في اللغة): هي معالِمُ الأمة وَحَصَائِصُهَا الْمُمَيَّزَةُ وَأَصَالَتُهَا. والهوية لأي أمة أو لاي مجتمع هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية، و الهوية تعني ايضا الشعور بالأمان على الرغم من التغيرات الاجتماعية المفاجئة.<sup>(10)</sup> وترتبط الهوية بالممارسات، والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات - وكذلك الادوات والمصنوعات والاماكن الثقافية المرتبطة بها- والتراث الغير مادي المتوارث عبر الاجيال يُعد تفاعل مع الطبيعة وتاريخها، ويوفر الشعور بالهوية والاستمرارية. وبالتالي تعزيز احترام التنوع الثقافي و الإبداع البشري.<sup>(11)</sup>

وهذا يؤكد ارتباط الهوية بالتراث (المادي وغير المادي) بل ان التراث هو عامل مهم لتشكيل الهوية الوطنية، ولعل افضل مثال لهذا الولايات المتحدة الامريكية والتي لا تملك تراثاً ثقافياً كبيراً، ذا قيم مشتركة، الا انها استطاعت ان تصنع وحدة ثقافية قوية، عبر اظهار وتقوية وتعزيز مصادرها التراثية والتي انشئت لها المتاحف والمعالم، فلا تكاد تخلو مدينة ولا قرية من متحف يحكي التراث الامريكي ويظهره.<sup>(12)</sup>

مصطلح "الهوية الثقافية" الذي يعني سائر الخصائص والمميزات والمكونات الفكرية والاجتماعية والتاريخية التي تتفرد بها ثقافة ما، تمتلكها جماعة بشرية ما، تتميز بها هذه الثقافة عن غيرها من الثقافات الأخرى،<sup>(13)</sup> ولا يتناقض هذا المفهوم مع مبادي الحريات كما يصور البعض.<sup>(14)</sup>

وقد اكد المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية في المكسيك عام 1982 على حق الشعوب في الحفاظ على هويتهم وتراثهم الثقافي، وذكر بأن: " لا بد من الاعتراف بالمساواة والكرامة لجميع الثقافات ، ومن حق كل الناس وكل المجتمعات الحفاظ على هويتها الثقافية، وأنها تحترم هذه الهوية من قبل الآخرين ".<sup>(15)</sup>

### تطور دراسة الآثار في ليبيا

أن غني ليبيا بالتراث الحضاري ، كان الداعي الرئيسي لتدشين مؤسسات تعليمية تعنى بشؤون الآثار وتأخذ علي عاتقها تأهيل الكوادر العلمية والفنية للعمل بهذا الحقل الهام.



أن القوى الوطنية في السنوات الأولى لاستقلال ليبيا، أدركت بأن حماية وصيانة وإدارة الثروة الأثرية التراثية الليبية لن تتحقق بمجهودات البعثات الاجنبية، والتي كانت جهودها عرضية و مؤقتة، فهذه الثروة المنتشرة علي مساحات واسعة تحتاج لفرق وطنية باعداد مناسبة وبتأهيل مهني.<sup>(16)</sup> في تلك المرحلة المبكرة كانت حتي إدارة الآثار الليبية الناشئة (مصلحة الآثار) تدار بواسطة أثريين أجنب، بعضهم ذاع صيتهم في التاريخ المعاصر منهم المستشاريين: آلان رو Alan Rowe ، و آلان ويس Alan J. B. Wace ، و جى بي وارد-بيركنز J. B. Ward-Perkins، ولعل أشهر المراقبين الاجانب البرفسور جود تشايلد Goodchild الذي شغل هذا المنصب في الفترة 1953-1966م.<sup>(17)</sup> ثم حلت مرحلة جديدة تتلمذ فيها لبيبيون على أيدي هؤلاء الاثريين الاجانب، و لم يتلقوا تعليماً عالياً في هذا التخصص، ومع تطور التعليم العالي في الجامعة الليبية فقد ظهرت الحاجة الماسة لتدريس هذا العلم (علم الآثار) في ليبيا لتأهيل الليبيين في هذا التخصص ليقع على كاهلهم القيادة والإشراف على مصلحة الآثار ، وقد حانت الفرصة عندما أوصى المؤتمر العلمي الذي عقد في كلية الآداب في بنغازي في المدة بين 16-23 مارس 1968م حول ( ليبيا في التاريخ ) بإنشاء قسم يختص بتدريس علم الآثار في كلية الآداب ، وقد بذلت الكثير من الجهود لإنشاء القسم لعل أشهرها حرص المرحوم عوض السعداوية رئيس مصلحة الآثار آنذاك الذي خاطب الجامعة من اجل إنشاء القسم ووجد الاستجابة من قبل أساتذة عرب لبيبين وأشقاء عرب آخرين في الجامعة لتحقيق ذلك، وقد تحقق إنشاء القسم بالفعل خلال العام الدراسي 1970-1971م، وقد تخرجت الدفعة الأولى من القسم عام 1973م.<sup>(18)</sup>

ومع تدشين عدد من الجامعات في ليبيا، وافتتحت عدد كبير من اقسام الاثار في شرق البلاد وغربها، حتي غدى الأمر مبالغ فيه ففي مدينة واحدة (مدينة البيضاء) صار هناك قسمين للدراسات الاثرية (قسم بكلية الآداب ، وقسم بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي)، بل حتي ان جامعة عمر المختار نفسها تضم 4 اقسام اثار موزعة بين كلياتها في البيضاء وسوسة ودرنة. فضلا عن كلية للآثار والسياحة بمدينة طبرق واخري في الخمس ومصراتة وقسم للآثار في ترهونة... الخ، كما دشنت جامعة بنغازي - والتي هي صاحبة قسم الاثار الرائد في ليبيا - قسم للآثار في توكرة تحول فيما بعد لكلية للدراسات الاثرية والسياحية.

وفي الواقع هذه الاقسام والكليات تنتج باحثين واكاديميين يظل عملهم ناقص في خدمة التراث الاثري الليبي، في غياب معاهد تؤهل وتدريب الفنيين في مجالات خدمة الاثار (من ترميم وصيانة، وحفريات وغيرها من الاعمال الفنية التقنية)

وفي الحقيقة لم تقم الدولة الليبية بانشاء اي معهد فني وتقني للآثار، الا عبر تجربة واحدة يتمية لم يكتب لها النجاح، عام 1988م و مع تزايد الاهتمام بفتح المعاهد والثانويات التخصصية في ليبيا قامت أمانة اللجنة



الشعبية للتعليم (سابقا) بالجبل الأخضر بتأسيس وافتتاح ثانوية تختص بالعلوم الأثرية ، ووطنها بمدينة سوسة. خرجت هذه الثانوية حوالي أربعة دفعات، ونتيجة لعدم الدعم المستمر ولغياب عمليات الدراسة والتقييم لها، ولضعف مخرجاتها وعدم اعتماد أمانة التعليم في تلك الفترة علي كوارر فنية متخصصة من مراقبات الآثار في تحديد طرق تعليم الطلاب أكاديميا وفنيا ورسم الخطط المستقبلية للثانوية التخصصية وإعدادهم لسوق العمل، فقد عجزت الثانوية علي القيام بدورها في تنمية وتطوير الكوارر الفنية الأثرية ولذلك فقد أقفلت أبوابها أمام الطلاب الراغبين في الالتحاق بها في تلك الفترة. (19)

كما ان هذه الثانوية أهلت من تخرج منها للاتحاق بالدراسة في اقسام الاثار بالجامعات الليبية، وبالتالي فقد تحول هؤلاء الخريجين لباحثين، ولم يعدو فنيين تقنيين وبالتالي فقدت هذه الثانوية مبرر وجودها. ومن باب إعطاء كل ذو حق حقه فأن هذه الثانوية قامت علي أكتاف إدارة الثانوية وبعض الأساتذة المهتمين بهذا المجال في ذلك الوقت، حيث كان من مميزاتا أنها الثانوية الوحيدة المتخصصة في مجال الآثار في المنطقة الشرقية، والثانية علي مستوى ليبيا. وخرجت أربعة دفعات اغلبهم التحق بالدراسة الجامعية، ولذلك لم يعد موظف بسيط أو فني بل تحول إلي باحث أو أكاديمي يحتاج إلي عمل مكتبي قل ما يستفاد منه في هذا المجال الذي يعتمد علي العمل الفني والميداني.

ووفق هذا لو سلنا كيف استطاعت مصلحة الاثار الليبية عبر تاريخها الطويل، ايجاد وتأهيل الفنيين اللذين استطاعوا القيام بالاعمال اللازمة من اعمال تنقيب وترميم وصيانة...الخ؟ حولنا معرفة اجابة هذا السؤال من خلال الفنيين بقسم الترميم بمراقبة اثار شحات، وسألهم كيف تعلموا مهارتهم الفنية من ترميم ومعرفة حول الاثار واساليب التنقيب وطرقه، وكانت اجابتهم تتفق جميعاً في الاتي:

1. لم يتلقوا اي تعليم مهني وفني حول الاثار
2. معارفهم اكتسبوها من عملهم مع من سبقهم من الفنيين.
3. تعد مشاركتهم مع البعثات الاثرية العاملة في ليبيا مصدرا مهم لمعرفةهم
4. تمول البعثات الاثرية دورات تدريبية للفنيين بالخارج – وان كانت محدودة – (20) وهذه الاجابة يدعمها ايضا حتي المسؤولين في مراقبة الاثار شحات، (21) بل هناك منهم من اوصي بضرورة ايجاد معاهد لتأهيل الفنيين. (22)

ووفق لهذا نؤكد علي انه ليبيا لم تنش اي معهد لتأهيل الفنيين والتقنيين للعمل بمجال الاثار، وهذا كان احدى الصعوبات التي واجهت حماية وصيانة وتأهيل الآثار والمواقع الأثرية، وبالتالي فأن ليبيا يجب أن تطلق الخطوة الأولى لتدشين معهداً لتأهيل الفنيين للعمل بمجال الآثار.



## استراتيجية مقترحة لمعهد تقني متوسط لعلوم الآثار والتراث

### رؤية المعهد

التميز في المقررات والبرامج والانشطة النظرية والعملية بما يساهم في خلق وتأهيل الكوادر القادرة علي العمل في مجالات الآثار والتراث.

### رسالة المعهد

التعريف بالقيمة التاريخية والحضارية للمدن والمواقع الأثرية في ليبيا، واعداد وتأهيل الطلاب والباحثين في تخصصات التقنيات الفنية اللازمة في مجالات الآثار والتراث، الامر الذي سوف يساهم في حماية هذا الإرث الحضاري الليبي العالمي ، والتشجيع علي الدراسات الميدانية والتدريب واستخدام التقنية الحديثة، في التنقيب والترميم والتصوير والمساحة والرفع المعماري والتوثيق وإدارة المواقع الأثرية.

### أهداف المعهد

يهدف برنامج المعهد المقترح الي اعداد اخصائي في المجالات التقنية للآثار والتراث، وتأهيله مهنيًا، واكسابه مجموعة من المعارف والمهارات الفنية والتقنية التي تؤهله للمشاركة الفاعلة ، في مجال تخصصه، وزيادة قدرته علي المنافسة في سوق العمل، ويمكن تحديد اهم الاهداف التي يسعى المعهد المقترح لتحقيقها في:

1. تطوير المحتوى العلمي للمقررات التي يقوم بتدريسها من خلال المراجعات والتحديث المستمرين، بحيث تراعي وتواكب احدث التطورات التي يتوصل إليها المختصون في جميع أنحاء العالم.
2. تزويد الطلبة بالمعارف الفنية والتقنية اللازمة لهم في حياتهم المستقبلية بما يتناسب والمجالات التقنية في التراث والآثار.
3. تنمية مهارات الطلبة في مجالات الآثار باستخدام الأساليب العلمية الحديثة في الترميم والتنقيب عن الآثار وتحليل اللقى الأثرية وكيفية تصويرها وتوثيقها ودراستها دراسة علمية دقيقة للحصول علي نتائج ممتازة.
4. تزويد الطلبة بالجوانب النظرية من خلال مقررات المعهد التي تحاول الإلمام بالحضارات القديمة في المشرق والمغرب القديم، مع التركيز علي الحضارات التي سادت ليبيا.
5. إسهام أعضاء هيئة التدريس بالمعهد في نشاطات البحث العلمي للمساهمة بشكل أفضل في تطوير أدائهم.
6. إعداد الأخصائيين للعمل في مجالات الآثار الفنية والعملية المختلفة.

### البرامج والأنشطة التعليمية





## 1) البرنامج النظري:

تنظيم زيارات دورية ضمن العملية التعليمية للمختصين من مصلحة الآثار وجهاز المدن التاريخية ومن الجامعات الليبية، والبعثات العلمية الاثرية العاملة في ليبيا للمعهد لإلقاء محاضرات في بعض التخصصات الفنية، والتقنية هذه المحاضرات تركز علي المشاكل الفنية والنقص في الكوادر الوظيفية المتخصصة التي تحتاجها مصلحة الآثار، وواجب هؤلاء الطلاب تجاه الآثار والتراث.

## 2) البرنامج العملي:

تنظيم زيارات ميدانية لطلاب معهد المقترح للمدن والمتاحف والمعامل والمواقع الأثرية، للتعرف علي الأخطار البيئية والطبيعية والبشرية، التي تهدد الآثار وكيفية معالجتها وبالتالي المحافظة عليها وحمايتها، إضافة إلي إشراكهم في الأعمال الفنية والحفريات وأعمال المسح والتسجيل والتوثيق والترميم في هذه المدن والمواقع الأثرية.

### الشراكة في المؤسسات المعنية

لقيام بالدور الفعلي والمطلوب من فكرة إنشاء المعهد المقترح، من اجل تخريج خبراء وفنيين تقنيين لمواكبة التقنية الحديثة، يجب أن تساهم في دعمه كل المؤسسات العامة والخاصة التي تختص أو تهتم بالتراث والموروث الثقافي العالمي، أسوة بالدول العربية والغربية، والمتمثلة في وزارة التعليم والجامعات الليبية ومصلحة الآثار، وجهاز المدن التاريخية ووزارة الثقافة ومؤسسات المجتمع المدني.

### الاحتياجات المادية والتجهيزات الفنية

#### أ- الاحتياجات المادية

الدعم المالي اللازم لتوفير المعامل والمستلزمات الخاصة والضرورية، من اجل القيام بأعمال الحفريات التدريبية والعملية، والزيارات الميدانية للمدن والمواقع الأثرية، وإدارة الآثار ومراكز التسجيل والتوثيق ومعامل الترميم وأقسام التصوير والمتاحف، للتدريب وترسيخ المعلومات النظرية التي تم أخذها خلال العام الدراسي.

#### ب- التجهيزات الفنية

أجهزة جي بي أس Gps ، وأجهزة الرفع المساحي والرسم الفني من أجهزة ومعدات والطاولات الخاصة بالرسم، ومعامل الترميم، ومعدات الحفر، واحداث آلات التصوير، والمعامل الخاصة بعمل الأرضيات الفسفوسائية وبطاقات ومنظومة خاصة بالتسجيل والتوثيق، ومعمل للحاسب الآلي، وأجهزة كشف المعادن.

### المقررات المقترحة للسنوات الثلاثة



## 1. السنة الدراسية الأولى

- لغة عربية  
في هذه المادة يتم تدريس الطلاب قواعد اللغة العربية وآدابها، من حيث النحو والصرف والإملاء.
- لغة انجليزية أ  
تهتم هذه المادة بتدريس اللغة الانجليزية للمبتدئين والتعرف على قواعد اللغة الإنجليزية، كما تستخدم العديد من الكلمات والمصطلحات الأثرية وتهيئة الطلاب لدراسة النصوص والمصطلحات الأثرية.
- مدخل لعلم الآثار  
وفي هذه المادة يدرس الطالب مقدمة عامة، ثم التعريف بعلم الآثار ومراحل التطور التي مر بها علم الآثار في الوطن العربي، وطرق ومتطلبات البحث الأثري، ونشأة علم الآثار وتاريخه، وكيف تتكون المواقع الأثرية وكيف تختفي، ولماذا التنقيب عن الآثار والوسائل المستخدمة في تأريخ الآثار وأخيراً أنواع الحفريات الأثرية.
- جغرافية ليبيا  
وفي هذه المادة يدرس الطلاب مقدمة عامة حول طبيعة الأراضي الليبية والمواد الخام المحلية، وتأثيرها في طرق البناء والإنشاء، كما يدرس الطلاب أيضاً التكوينات الجيولوجية في ليبيا.
- تطبيقات ميدانية  
يتم من خلال التطبيقات الميدانية إلقاء الضوء حول تطور المواقع الأثرية خلال العصور القديمة وذلك من خلال إجراء بعض الحفريات الانتقائية التي تضع في الاعتبار النظر إلى طبيعة العمارة وتخطيط الموقع والنشاط الاقتصادي والعائدي للموقع.
- عصور ما قبل التاريخ  
يتم في هذه المادة تدريس الطلاب آثار ما قبل التاريخ في ليبيا والمغرب، وتطور البحث الأثري في هذه العصور والعصور الحجرية وتقسيماتها مع التركيز على الفن الصخري في ليبيا.
- حضارات المشرق والمغرب العربي  
وفي هذا المقرر يتم استعراض آثار الشرق الأدنى القديم من خلال التطور الذي شهدته هذه المنطقة، ودراسة نشأة الفنون القديمة في منطقة الشرق الأدنى بجميع جوانبها بما في ذلك الفخار والأختام والنحت المجسم والبارز والعاجيات. وفي هذا المقرر يتم تدريس حضارة بلاد وادي الرافدين والحضارة الكنعانية والحضارة الآرامية إضافة إلى تدريس الطلاب الحضارات القديمة التي سادت في المغرب القديم، كتأسيس مدينة قرطاج ودورها في المغرب القديم والصراع الفينيقي الروماني.
- حضارات الإغريق والرومان



الهدف من تدريس هذه المادة تدريس الطلاب التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي للحضارة الإغريقية والرومانية، وكيفية تأسيس وإنشاء مستعمراتهم في أوروبا واسيا وإفريقيا، مع التركيز علي تاريخهم ومدنهم في ليبيا.

#### • مواقع أثرية في ليبيا

يهدف تدريس هذه المادة إلى تعريف الطالب على المواقع الأثرية في ليبيا حسب الفترات الزمنية، من آثار عصور ما قبل التاريخ، والفترة الكلاسيكية، والعصر الإسلامي.

#### 2. السنة الدراسية الثانية

#### • إدارة التراث والموروث الثقافي (1)

تشمل المادة دراسة الأسس التي يمكن من خلالها تحديد المواقع الأثرية الخاصة بكل فترة، كذلك دراسة أسس إدارة المواقع الأثرية وتسجيلها ضمن التراث العالمي.

#### • تقنيات المساحة ورفع معماري

الهدف من تدريس هذا المقرر تدريب الطلاب على الرسم الهندسي الذي تتطلبه أعمال التنقيب والمسح الأثري، وذلك من خلال رسم خارطة الارتفاعات المتساوية والمقاطع الرأسية والأفقية، إضافة إلى المساقط والمخططات اللازمة التي يحتاجها الأثري في مجال الآثار.

#### • التقنيات والأساليب الحديثة في التنقيب عن الآثار

يعتمد منهج هذه المادة دراسة الأساليب الحديثة في الكشف أو التنقيب عن الآثار من حيث مفهوم ومضمون علم الآثار، وأنواع البعثات الأثرية، والخطوات الواجب إتباعها قبل البدء في أعمال التنقيب، و المبادئ الأساسية لتخطيط الحفريات، ونظام الحفر وتخطيطه، و قوانين دراسة الطبقات الأثرية، ونظام المحتوي الفردي، والاختيار وصنع القرار في الحفريات الأثرية، وتجميع والنقاط العينات البيئية واللقى الأثرية.

#### • عمارة إغريقية ورومانية

تتضمن هذه المادة أعطاء الطالب فكرة عامة وشاملة حول العمارة الإغريقية والرومانية من الفترة الإغريقية المبكرة وحتى نهاية العصر الروماني الإمبراطوري، وتشمل دراسة مواد البناء وطرق الإنشاء والطرز المعمارية، مع خلال دراسة المعابد والمدن ودور السكن والأسواق والمسارح والحمامات، والتطورات المعمارية للعمارة الإغريقية والرومانية، مع التركيز على نماذج من داخل ليبيا.

#### • عملات إغريقية ورومانية



تعنى هذه المادة بدراسة البيئة المادية الدالة على ماضي الإنسان والتي تشمل في هذا المنهج. التعريف بعلم المسكوكات، ودراسة نظام المقايضة و التبادل التجاري قبل ابتكار العملة، وتقنيات تصنيع العملة، والمواد التي استخدمت في صناعتها وتاريخ تطورها وأهمية دراستها وعرض نماذج من العملة الإغريقية والرومانية من إقليم كيريناياكا.

- فخار إغريقي وروماني

تعتمد هذه المادة علي أهمية دراسة الفخار الإغريقي والروماني، وطرق تصنيعه، وأماكن صناعته، وكيفية الحصول على الرسومات والألوان، وطرق تحضير طينته، وأشكاله، وأصوله.

- نحت إغريقي وروماني

تتضمن هذه المادة مقدمة عامة حول نشأة فن النحت الإغريقي والروماني وتطوره، وتأثير هذا الفن على الحضارات الأخرى، ويدرس الطالب في هذا الجزء من المنهج المراحل الحضارية التي مر بها فن النحت من العصر المبكر وحتى نهاية العصر الإمبراطوري الروماني.

- عمارة إسلامية في ليبيا

وفي هذه المادة يتم تقسيمها إلى أربعة أقسام، في الأول يتم تدريس عناصر العمارة الإسلامية كالعقود والأعمدة والدعامات والبواري والأروقة، وفي القسم الثاني يتم تناول مواد البناء كالحجر والرخام والآجر و الكلس و الجص والبازلت والقرميد وغيرها من مواد البناء، أما في القسم الثالث فيتم تناول المنشآت المعمارية في المدينة الإسلامية وعلى وجه الخصوص المساجد كجامع أحمد باشا القرماني وجامع درغوت باشا، والمآذن العثمانية في ليبيا ، وفي القسم الأخير يتم التطرق للعناصر المدنية كبيوت السكن والفنادق والحمامات.

### 3. السنة الدراسية الثالثة

- إدارة التراث والموروث الثقافي (2)

تشمل المادة دراسة الأسس التي يمكن من خلالها تحديد المواقع الأثرية الخاصة بكل فترة، كذلك دراسة أسس إدارة المواقع الأثرية وتسجيلها ضمن التراث العالمي.

- أصول متحفية وتقنيات العرض المتحفي

وفي هذه المادة يتم دراسة نشأة علم المتاحف وأهميته وتطوره حتى عصرنا الحاضر، إضافة إلى العوامل التي ساعدت على نشأة المتاحف وتعدد أنواعها والرسالة والوظيفة التي تؤديها، وأنواع المتاحف، و عمارة المتاحف من حيث الموقع والتصميم وطرز البناء والإضاءة، وتوزيع مساحات العرض وخدمات المتحف، والمتطلبات الفنية والهندسية الخاصة بإنشاء المتاحف، ثم الحماية والأمن المتحفي وتسجيل مقتنيات



المتحف ودور المتحف التعليمي ودوره في المجتمع والمنظمات الدولية والإقليمية المعنية بالتراث والمتاحف.

● تقنيات الترميم وصيانة الآثار

ويتم التعريف بأهمية مادة الترميم وصيانة الآثار، وعلاج وصيانة القطع الأثرية، وعوامل تلف الآثار البيئية أو الطبيعية أو البشرية، والطرق المستخدمة في صيانة الأحجار الجيرية، وترميم وصيانة الفخار، وعلاج وصيانة الزجاج، وعلاج وصيانة الآثار المعدنية، وأخيراً علاج وصيانة المواد العضوية.

● تقنيات التسجيل والتوثيق

يتم في هذه المادة تدريس الطلاب كيفية التدريب علي عمليات التسجيل والتوثيق، والتي تبدأ بعمليات استخدام الأجهزة الحديثة في تحديد النقاط الثابتة للمواقع الأثرية، والكتابة وتنتهي بالرسم والتصوير. هذا التسجيل سيساعد فيما بعد علي حماية وحفظ المواقع واللقى الأثرية، وبالتالي استرجاع المشهد علي الورق في شكل نص كتابي مقرأ.

● أعمال ما بعد الحفر

وفي هذه المادة يتم تدريب الطلاب علي كيفية القيام بالإعمال المهمة والمكاملة للحفريات الأثرية، والتي تأتي بعد عمليات التنقيب، كتنظيف وترميم وتسجيل اللقى الأثرية التي يتم العثور عليها في المواقع الأثرية، مثل المنحوتات والفخار والعملة والنقوش والحلي... الخ.

● تقنيات التصوير الفوتوغرافي

يتم في هذه المادة تدريس الطلاب كيفية التدريب علي التوثيق بالتصوير الضوئي، وكيفية فهرست الصور، واتجاه اللقطة ومجال المشهد، مما يجعل الموضوع مدركاً بشكل واضح ومنسجماً مع وسائل التسجيل الأخرى. إضافة إلي تعريف الطلاب بأنواع الكاميرات التي يجب أن تستخدم في التصوير الأثري.

● فنون إسلامية

ويتم في هذه المادة تدريس الطلاب الفنون الإسلامية في المغرب والأندلس وتشمل الزخارف الجدارية والفخار والخزف والخشب والمنسوجات والتحف العاجية و المعدنية والزجاج والبلور الصخري، كما يتم أيضاً دراسة الفنون الإسلامية في العصر العثماني كالتحف الخزفية والمعدنية والخشبية والتحف العاجية والزجاجية والتصوير العثماني، مع التركيز علي أمثلة من ليبيا.

● حفريات تدريبية

يعد هذا الجانب الحافز الأساسي لهذه الحفريات، ويعد التدريب على عملية المسح والتنقيب الأثري أهم الأسس التي يقوم عليها التدريس في علم الآثار.



### المعلمون والمدرسون:

1. المتخصصين في الآثار الكلاسيكية والإسلامية
2. المتخصصين في التاريخ القديم
3. المتخصصين في الجيولوجيا
4. المتخصصين في العلوم
5. المتخصصين في الجغرافيا
6. المتخصصين في اللغات القديمة
7. المتخصصين في الهندسة المدنية
8. يمكن الاستعانة بأساتذة البناء والتشييد

### الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول ان العمل علي انشاء هذا المعهد هي ضرورة تفرضها أهمية وقيمة التراث الأثري في ليبيا و واجبنا نحوه، والعمل علي ضمان استدامته وبقائه للأجيال اللاحقة هذا من جهة، ومن جهة ثانية فتح مجالات جديدة وفرص عمل حقيقية.

أن معرفة احتياجات المجتمع التعليمية و توجيه الشباب نحو انواع التدريب والتعليم الذي يكفل لهم اكتساب معارف ومهارات تساعدهم علي ايجاد درو رئيسي في بناء مؤسسات الدولة، وكسب دخل وتوظيف مستدام هي اهم الخطط الاستراتيجية. ونحن نقدم مقترحنا هذا كفكرة استراتيجية لمعهد "نوعي" تقني لتأهيل فنيين الآثار في كل المجالات التي طالما احتاجها ولايزال قطاع الآثار والتراث الليبي يحتاجها.



الهوامش:

1. ICOMOS. (1988). The Australia ICOMOS charter for the conservation of places of cultural significance (the Burra charter). Retrieved 6 March 2014, from <http://www.marquis-kyle.com.au/burra88.htm>.
2. Abuharris, A. T. (2005). Tourism and sustainable economic development. marketing implications and strategic framework: the case study of Libya. university of Salford : unpublished PhD thesis. p p 18,19
3. WTO. (2006). World Trade Report 2006. Retrieved 4 November 2013, from The World Trade Organization (WTO): [http://www.wto.org/english/res\\_e/reser\\_e/wtr\\_e.htm](http://www.wto.org/english/res_e/reser_e/wtr_e.htm). P 37
4. Moser, S., Phillips, J., el Nemr, L., Mousa, M., Aiesh, R., Richardson, S., et al. (2002). Transforming archaeology through practice: strategies for collaborative archaeology and the Community Archaeology Project at Quseir, Egypt. World Archaeology 34 (2), 220–248.p203; Darabseh, F. M. (2010). A Strategy for The Development of A Tourist Trail of The Decapolis Sites in Northern Jordan. University of Birmingham: Unpublished PhD thesis. P 203
5. ICOMOS. Op. cit.
6. Darabseh. Op. cit. p29,30
7. ICOMOS. Op. cit.
8. Darabseh. Op. cit. p28.29
9. الزاهراني، عبدالناصر بن عبدالرحمن (2012) ادارة التراث العمراني، الرياض: الجمعية السعودية للدراسات الاثرية، الجمعية السعودية للدراسات الاثرية. ص ص 32، 34
10. Council of Europe (1075), The Declaration of Amsterdam, Amsterdam.
11. اليونسكو، (2003) اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، باريس.
12. جمال عليان (2005)، الحفاظ علي التراث الثقافي، عالم المعرفة، الكويت، ص 79
13. بوبكر جيلالي (2014)، الهوية الثقافية، صحيفة المثقف <http://www.almothaqaf.com/thaqafat/885787.html>
14. Tok, Nafiz (2001) Culture, identity and politics : an identity-based approach to culture-related issues, Unpublished PhD thesis University of Exeter. P04.
15. Vasiliadou, Xanthippi(2009) Myth, myth-making and the formation of cultural identity in Greece: a study across the museum and secondary school, Unpublished PhD University East Anglia.
16. Goodchild, R. (1976). *Libyan Studies*. (J. Reynolds, ed.) London: Elek Books Ltd. p 336
17. Abdulkariem, Ahmad (2014), Factors of Deterioration of the Archaeological Sites and Protection Methods in the Archaeological Site of Cyrene (Shahat), Unpublished PhD thesis University of Exeter. Pp 36-38
18. الرحيبي، عبدالله و خالد الهدار (2016) قسم الاثار اجامعة بنغازي في سطور، مقالة منشور في مواقع جامعة بنغازي (السابق).
19. الباحثان من خرجي الدفعة الاولى بهذا الثانوية.
20. ابريك، عبدالله (رئيس قسم الترميم)، و عبدالكريم فرج (احد المرميمين بالقسم) (2017) قسم الترميم بمراقبة اثار شحات (اتصال شخصي)



21. بوفجرة، عادل (مدير الشؤون الفنية السابق) ، و احمد الصابر(مراقب اثار شحات السابق) (2016) مراقبة اثار شحات (اتصال شخصي)
22. عبدالجليل، ناصر " مراقب اثار شحات سابقا" (2016)،مراقبة اثار شحات (اتصال شخصي)





## محمد بن شهاب الزهري

ت 124 هـ

الدكتور: إبراهيم أحمد أبو شبكية

الأستاذ المساعد في التاريخ والحضارة الإسلامية

الجامعة الإسلامية - كلية الآداب - غزة

قسم التاريخ



## Introduction

Medina is one of the first schools of Islamic history, where initially concerned with the Prophet's biography and invasions of the Prophet, peace be upon him, and then graduated to study the history of Islam, and that school relied heavily on the attribution method in the context of reporting news and historical events. Books of biography and invasions appeared in Medina, and this is normal, in the city of the Prophet peace be upon him, and where he lived and honorable companions, who taught people the biography and conquests of the Prophet

The historians of that era were most dependent on oral narratives, as were the narrators of the hadith "Muhammad ibn Shihab ibn Muslim al-Zuhri," who was famous for conservation and perfection, he gained the confidence of modern scholars in his time, which earned his narratives great scientific importance, and lies the importance of this research in that they study the character of Al-Zuhri. It is a figure of great importance at the beginning of the codification of the history of Muslims, and won the trust of scholars of his time, and narrated from senior followers and some of the companions, and is one of the earliest historians of Islamic history, not only the novel invasions that he told about his Sheikh, "Orwa bin Zubair", but he is a wide search for the city's narratives and conversations, and wrote what he heard to help his memory, has examined those novels and placed them in a clear and solid framework, and the study of his novels that reached us make us tend to be the first to give the biography, which is the expression used by a limited structure, and draw its lines clearly, as Al-Zuhri studies dealt with the reign of the caliphs, and something From the Umayyad state.

## المقدمة

تعد مدرسة المدينة المنورة من أول مدارس التاريخ الإسلامي، حيث عنيت بداية بالسيرة النبوية ومغازي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تدرجت إلى دراسة تاريخ صدر الإسلام، واعتمدت تلك المدرسة كثيراً على الطريقة الإسنادية في سياق إيرادها للأخبار والروايات التاريخية، وظهرت كتب السيرة والمغازي في المدينة المنورة، وهذا أمر طبيعي، في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها عاش وأصحابه الكرام، الذين قاموا بتعليم الناس سيرة ومغازي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان أكثر اعتماد مؤرخي تلك الحقبة على الرواية الشفهية، شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث النبوي، ومن أبرز مؤرخي تلك الحقبة " محمد بن شهاب بن مسلم الزهري" ، الذي كان مشهوراً بالحفظ والانتقان، وحاز على ثقة علماء الحديث في عصره، مما أكسب مروياته أهمية علمية كبيرة، وتكمن أهمية هذا البحث من حيث أنها تدرس شخصية الزهري، وهي شخصية ذات أهمية كبيرة في بداية تدوين علم التاريخ عند المسلمين، وحاز على



ثقة علماء عصره، وروى عن كبار التابعين وبعض الصحابة، ويعد من المؤرخين الأوائل للتاريخ الإسلامي، فلم يقتصر على رواية المغازي التي رواها عن شيخه " عروة بن الزبير " ، بل قام ببحث واسع عن روايات المدينة وأحاديثها، وكتب ما كان يسمع ليعين ذاكرته، وقد محص تلك الروايات ووضعها في إطار متين واضح، ودراسة رواياته التي وصلت إلينا تجعلنا نميل إلى أنه كان أول من أعطى السيرة وهو التعبير الذي استعمله هيكلاً محدوداً، ورسم خطوطها بوضوح، كما تناولت دراسات الزهري عهد الخلفاء الراشدين، وشيئاً من الدولة الأموية.

#### أهمية الدراسة:

- إلقاء الضوء على شخصية محمد بن شهاب الزهري.
- إبراز دور محمد بن شهاب الزهري في نقل العلم والأحاديث الشريفة
- الاطلاع على آثار ما قدم للإسلام والمسلمين ولتاريخ البشرية.
- تزويد الباحثين والمختصين بدراسة جادة حول شخصيته.

#### منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي.

#### تقسيمات الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة ، وقائمة المصادر والمراجع، المبحث الأول تناول نسبه ومولده وصفاته الخلقية ونشأته ثم وفاته، أما المبحث الثاني ألقى الضوء على مؤلفاته، والمدرسة التي ينتمي إليها وشيوخه، وأما المبحث الثالث درس مكانته العلمية، ورأي العلماء به ومروياته، ومنهجه في كتابة التاريخ.

#### المبحث الأول

محمد بن شهاب الزهري ( نسبه، مولده، صفاته، نشأته، و وفاته )

#### نسبه ومولده:

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري، ويكنى أبا بكر<sup>1</sup>، والده من رواة الحديث

<sup>1</sup> ابن الكلبي: جهرة، ج1، ص15، ابن سعد: الطبقات، ج5، ص222.



المشهورين<sup>2</sup>، من الرجال الذين وقفوا مع عبد الله بن الزبير ضد الأمويين<sup>3</sup>، أما أمه فهي عائشة بنت أهبان<sup>4</sup> بن أقصى بن عروة بن صخر بن يعمر بن قدامة بن عدي بن الدليل بن بكر بن عدي بن عبد مناة بن كنانة<sup>5</sup>.

اختلف المؤرخون في تحديد ولادة الزهري، فقد قيل أنه ولد سنة 50هـ<sup>6</sup>، وقيل سنة 51هـ<sup>7</sup>، وقيل سنة 56هـ<sup>8</sup>، وقيل سنة 58هـ<sup>9</sup>.

والأرجح انه ولد عام 51هـ، لأن أكثر المؤرخين ذكروا أنه توفي وهو ابن اثنين وسبعين عاماً، وذلك في عام 124هـ، فإذا حسبنا المدة التي عاشها بين تاريخ ولادته وفاته كما قال الواقدي لوجدناها 66 سنة، فقول الواقدي غير دقيق.

**صفاته الخلقية:** قال سفيان: " رأيت الزهري أحمر الرأس واللحية، وفي حمرتها انكفاء قليل<sup>10</sup>، كأنه يجعل فيه كتماً<sup>11</sup>، وكان أعمش<sup>12</sup>، وعليه جميمة<sup>13</sup>، وكان رجلاً قصيراً، قليل اللحية، له شعيرات طوال، خفيف العارضين<sup>14</sup>.

**نشأته:** نشأ الزهري في المدينة المنورة فقيراً<sup>15</sup> وقد حفظ الزهري القرآن الكريم في ثمانين ليلة، وهذا يدل على قوة حفظه وعزيمته<sup>16</sup>، وتوجه إلى تعلم الأنساب فذهب إلى عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوي<sup>17</sup>، وكان عالماً بالأنساب، فجلس يتعلم منه الأنساب عامة، ونسب قومه خاصة، ثم تلقى علوم الفقه والحديث على يد سعيد بن المسيب، وبقي ملازماً له حوالي ثمانين سنوات، ثم تحول إلى عروة بن الزبير، وتلقى علم المغازي على يديه، وكان من شيوخه أيضاً عبيد الله بن عتبة<sup>18</sup>، وهو من أعظم شيوخه، كذلك أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام<sup>19</sup>.

<sup>2</sup> ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج9، ص149.

<sup>3</sup> أبو زرعة: تاريخ، ج1، ص46، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص300.

<sup>4</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص222، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص308.

<sup>5</sup> الزبير بن: نسب قرين، ج1، ص89، ابن سعد: الطبقات، ج5، ص228.

<sup>6</sup> انظر، أبي زرعة: تاريخ، ج1، ص613.

<sup>7</sup> ابن خياط: تاريخ، ص165.

<sup>8</sup> ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص305.

<sup>9</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص227.

<sup>10</sup> انكفاء أي تغيير. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ج4، ص183.

<sup>11</sup> الكتم: نبت يخلط مع الوسمة، ويصغ به الشعر، وقيل هو الوسمة وهي نبت، وقيل شجر باليمن يخضب بورقه الشعر. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ج4، ص150-185.

<sup>12</sup> العمش في العين يعني ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. الرازي: مختار، ص250.

<sup>13</sup> جميمة: تصغير جمعة، والجمعة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين. ابن الأثير: النهاية، ج1، ص300.

<sup>14</sup> الفسوي: المعرفة، ج1، ص352، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص313.

<sup>15</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص222.

<sup>16</sup> الفسوي: المعرفة، ج1، ص352، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص313.

<sup>17</sup> عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوي: حليف بني زهرة، كنيته أبو محمد، يقال له صحبة وقد مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأسه ووجهه يوم

الفتح ودعا له، ومات سنة 89هـ أو 87هـ. ( ابن حجر: الإصابة، ج3، ص165).

<sup>18</sup> عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي: تابعي جليل من الفقهاء السبعة في المدينة المنورة، توفي سنة 98هـ أو 99هـ. ( ابن سعد: الطبقات، ج5،

ص127).

<sup>19</sup> أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: تابعي جليل، أحد الفقهاء السبعة في المدينة، فقيه كثير الحديث، توفي في المدينة

سنة 94هـ. ( ابن سعد: الطبقات، ج5، ص106).



ولما أصاب أهل المدينة الفقر والحاجة في زمان فتنة ابن الأشعث سنة 80هـ، فعمت جميع بيوتها، وكان الزهري من أشدهم حاجة، حتى ضاقت عليه الأرض فلا يدري أين يتجه ليحصل على مال ليسد به حاجته وأهل بيته ويقضي ديونه، فتوجه إلى الشام، ودخل دمشق سنة 82هـ، والتحق ببلقة العلم للشيخ قبيصة بن ذؤيب<sup>20</sup>، وفي أحد المجالس العلمية عُرض على طلاب العلم مسألة علمية في المواريث، أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان في طلب جواب لها، ولم يعرف أحد الجواب غير الزهري، فاصطحبه قبيصة إلى الخليفة ليسمعه الجواب بنفسه، فلما أدخل على الخليفة وأخبره عن الحكم الشرعي في المسألة أعجب الخليفة بنباهته وفطنته، فأجزل له العطاء، وفرض له مرتباً من بيت المال، وجعله من خاصة أصحابه، وقضى دينه، وأقطع أرض بالمدينة، ثم عاد إلى المدينة بتوجيه من الخليفة عبد الملك بن مروان، والذي حثه على طلب العلم والانشغال به، وأن يستفيد من علماء الأنصار في المدينة، ومنهم خارجة بن زيد بن ثابت<sup>21</sup>، وعبد الرحمن بن يزيد بن جارية<sup>22</sup>، فنهل علمهم، ثم جعل يتردد بين الشام والحجاز في طلب العلم، والتقى بدمشق بالصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، فنهل من علمه، ورحل إلى مصر ليتعلم على يد علمائها، ولزم الوليد بن عبد الملك بعد وفاة عبد الملك بن مروان، ثم لزم سليمان بن عبد الملك، ثم لزم عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، الذي جعله على القضاء، ثم لزم هشام بن عبد الملك، ولما حج هشام حج معه الزهري، وجعله هشام مع أولاده يعلمهم ويفقههم ويحدثهم ويحج معهم، فلم يفارقهم حتى مات بالمدينة<sup>23</sup> كان الزهري من شدة حرصه على طلب العلم واعتنائه به إذا جاء لبيته يأتي جارية له، وهي نائمة فيوقظها فيقول لها: اسمعي، حدثني فلان كذا، وحدثني فلان بكذا، فتقول: مالي ولهذا الحديث، فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعي به، ولكني سمعته الآن فأردت أن أستذكره، وكان يقول: ما استودعته قلبي شيء قد فنسيته<sup>24</sup>.

ومن المواقف التي تدل على قوة حفظه، قول مالك بن انس: حدثني الزهري يوماً بحديث فلما قام قمت فأخذت بعنان دابته، واستفهمته قال: تستفمني! ما استفهمت عالماً قط، ولا رددت شيئاً عن عالم قط، فقال فجعل عبد الرحمن بن مهدي يعجب، يقول: فذلك الطوال وتلك المغازي<sup>25</sup>.

وكان عبد الرحمن بن مهدي يتعجب من حفظه للأحاديث الطويلة أو المغازي، التي تحتوي على تفاصيل دقيقة وكثيرة، وكان الزهري شديد الحرص على كتابة العلم وتقييده، إذ كان يصطحب معه كل ما يلزم من ألواح لكتابة وتقييد العلم، ويكتب كل ما يسمعه، قال إبراهيم بن سعد: ما سبقنا ابن شهاب بشيء

<sup>20</sup> قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة بن عمرو: تابعي جليل، ثقة، مأمون، كثير الحديث، ولأبيه صحب، مات سنة 86هـ. (ابن سعد: الطبقات، ج5، ص89).

<sup>21</sup> من الفقهاء السبعة مات سنة 100هـ. (ابن حجر: التقريب، ج1، ص210).

<sup>22</sup> عبد الرحمن بن يزيد بن جارية الأنصاري: يقال ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وذكره ابن حبان في ثقة التابعين، مات سنة 93هـ. (ابن حجر: التقريب، ج1، ص502).

<sup>23</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص222، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص297-526.

<sup>24</sup> الفسوي: المعرفة، ج1، ص353، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص333.

<sup>25</sup> ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص327.



من العلم إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره، ويسأل عما يريد، وكنا تمنعنا الحداثة"، وقال أبو الزناد<sup>26</sup>: " كنت أطوف أنا وابن شهاب ومع ابن شهاب الألواح والصحف، قال: فكنا نضحك به"<sup>27</sup>، وهذا يبين شدة حرصه في طلب العلم وتقييده، إذ كان يصطحب معه كل ما يلزم لتقييد العلم، وقال أيضاً: " كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه، علمت أنه أعلم الناس"، وقال صالح بن كيسان<sup>28</sup>: " كنت أطلب العلم أنا والزهري، فقال نكتب السنن، قال: فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: تعال نكتب ما جاء عن الصحابة، قال: فكتب، ولم أكتب، قال: فأنجح وضيعت"<sup>29</sup>.

وكان الزهري يبكي ويقول: " يذهب العلم، وكثير ممن كان يعمل به، والله ما نشر أحد العلم نشري، وما صبر عليه صبري، لقد كنا نجلس إلى ابن المسيب، فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدي الحديث أو يأتي رجل فيسأله عن أمر قد نزل به، قد طالت مجالستنا إياه، حتى ما كنا نسمع منه إلا الجواب"<sup>30</sup>.

كان اهتمام الزهري بالكتابة والتدوين هو الذي مكنه من نشر علمه، وبوأن تلك المكانة العلمية الرفيعة وحظى بها في أوساط العلماء، وفي بلاط الخلفاء ومجالسهم، وكان شديد الفخر بذلك.

#### وفاته:

توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء 17 رمضان سنة 124هـ / 741م، وقيل توفي عام 125هـ<sup>31</sup>، ولعل ما يرجح أنه توفي سنة 124هـ، قول ابن أخيه وهو قول أخص أصحابه وجمهور المؤرخين من بعدهم<sup>32</sup>، وكان عمره حين وفاته 72 سنة<sup>33</sup>.

وقد توفي رحمه الله في ضيعة له تسمى آدامي تقع بين المدينة وأيلة، وكان رحمه الله قد أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليدعوا له المارة<sup>34</sup>

**المبحث الثاني :- ( مؤلفاته - المدرسة التي ينتمي إليها - شيوخه )**

#### مؤلفاته:

<sup>26</sup> عبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد، ثقة، فقيه، مات سنة 130هـ. (ابن حجر: تقريب، ج1، ص413).  
<sup>27</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص319.  
<sup>28</sup> صالح بن كيسان المدني، أبو محمد، ثقة فقيه، كان مؤدياً لأولاد عمر بن عبد العزيز، مات بعد عام 130هـ. (ابن حجر: التقريب، ج1، ص362).  
<sup>29</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص320.  
<sup>30</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص227، العصفري: تاريخ، ص281، المزي: تهذيب الكمال، ج26، ص441.  
<sup>31</sup> الذهبي: سير، ج4، ص538.  
<sup>32</sup> البخاري: التاريخ الكبير، ج1، ص121، المزي: تهذيب الكمال، ج26، ص441، الذهبي: سير، ج4، ص538، ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص376.  
<sup>33</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص311، الذهبي: سير، ج4، ص538، المزي: تهذيب، ج26، ص441.  
<sup>34</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص227.



ذكر حاجي خليفة أن الزهري وضع كتاباً في المغازي النبوية<sup>35</sup>، وهذا الكتاب مفقود لم يصلنا، وقد قام سهيل زكار بجمع مرويات الزهري من بطون الكتب ونشرها، في كتاب تحت عنوان " المغازي النبوية"<sup>36</sup>، وقد قام عبد العزيز الدوري بجمع بعض هذه المرويات ووضعها في إطار تاريخي بهدف الحصول على هيكل تقريبي لتلك المغازي<sup>37</sup>.

ولقد ضاع ما كتبه ودونه الزهري بنفسه، ولم يصل إلينا كما هو، ولولا ما بقي لنا من علمه مما رواه تلامذته، وبصفة خاصة أشهرهم وأنبغهم محمد ابن اسحاق، لكانت خسارتنا فادحة، فإلى ابن اسحاق يرجع الفضل الأكبر في حفظ علم أستاذه الزهري، فهو الذي أوصله إلينا، لأنه كانت تربطه بأستاذه علاقة متينة قائمة على الحب والاحترام، ومما دل على قوة تلك العلاقة ومتانتها ورفعة مكانة ابن اسحاق عند أستاذه وثقته فيه، أنه كان يعتبره مرجعه الأول في كل ما يتعلق بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يحصل عليه من معلومات من طرق أخرى ليتثبت من صحتها، فعندما زار ابن اسحاق مصر والتقى بعالمها الكبير " يزيد بن أبي حبيب المصري" أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان، وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال: ابن اسحاق فبعث به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه<sup>38</sup>.

وتوجد إشارات عند الفسوي وابن عساكر أن للزهري كتاباً في النسب خاص بنسب قومه، وفيه بعض الشعر، قال قرّة بن عبد الرحمن<sup>39</sup>: " لم يكن للزهري إلا كتاب فيه نسب قومه" ، وعن يونس قال: " قلت للزهري أخرج إليّ كتبك، فقال: يا جارية هاتي ذلك السفط، قال: فجاءت بسفط فإذا فيه شيء من نسب قومه، وشعر، فقال: ليس عندي مكتوب أو نحو هذا"<sup>40</sup>.

#### المدرسة التي ينتمي إليها:

يُعد الزهري من مدرسة المدينة المنورة، وهي أول مدارس التاريخ الإسلامي، حيث عنيت بدايةً بالسيرة النبوية ومغازي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تدرجت إلى دراسة تاريخ صدر الإسلام، واعتمدت تلك المدرسة كثيراً على الطريقة الإسنادية في سياق إيرادها للأخبار والروايات التاريخية، وظهرت كتب السير والمغازي في المدينة المنورة ، وهذا أمر طبيعي، فهي مدينة رسول الله ، وقد كان أكثر اعتماد مؤرخي تلك الحقبة على الرواية الشفهية، شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث النبوي، ومن أبرز مؤرخي تلك

<sup>35</sup> كشف الظنون، ج2، ص1746.

<sup>36</sup> انظر، أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 22.

<sup>37</sup> الدور، نشأة علم التاريخ، ص70.

<sup>38</sup> عبد الشافي، عبد اللطيف: السيرة النبوية، ص27.

<sup>39</sup> قرّة بن عبد الرحمن بن حويزيل البصري، صدوق، مات سنة 147هـ. (ابن حجر: التقريب، ج2، ص125).

<sup>40</sup> الفسوي: المعرفة، ج1، ص385.



الحقبة " محمد بن شهاب بن مسلم الزهري " ، الذي كان مشهوراً بالحفظ والانتقان، وحاز على ثقة علماء الحديث في عصره، مما أكسب مروياته أهمية علمية كبيرة<sup>41</sup>.

شيوخه:

روى عن أنس بن مالك، وسهل بن سعد، وأبي الطفيل، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، ومحمود بن الربيع، وعبد الرحمن بن أزهر، وروى عن ابن عمر، وروى عن أبان بن عثمان، وغيرهم<sup>42</sup>. وروى عنه: عراك بن مالك، وأخوه عبد الله بن مسلم، وبكير بن الأشج، ومنصور بن المعتمر، وعمرو بن شعيب، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وصالح بن كيسان، وسليمان بن يزيد، وعقيل، والأوزاعي، والزيدي، وغيرهم.

المبحث الثالث : (مكانته العلمية ورأي العلماء بالزهري - مرويات الزهري - منهج الزهري في كتابة التاريخ)

مكانته العلمية ورأي العلماء بالزهري:

تبوأ الزهري مكانة علمية هامة، وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عطرًا، بل إن بعضهم فضله على كثير من علماء عصره المشهورين، قال عمر بن عبد العزيز: " عليكم بابن شهاب هذا فإنكم لا تلقون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه"، وقال أيضاً: " ما رأيت أحداً سواً للحديث إذا حدث من الزهري " ، وقال: " ما قال الزهري مما رواه فاشدد يدك به"<sup>43</sup>، وهذا كلام عمر بن عبد العزيز وهو الغني عن التعريف، فهو يمتدح ابن شهاب، ولا يقول مثل ذلك الكلام عن ابن شهاب إلا إذا كان الرجل فعلاً يستحق هذا الثناء من الخليفة العالم، بما بلغ من مكانة علمية، والحق أن ابن شهاب كان موضع احترام وإجلال خلفاء بني أمية، لأنه إلى جانب تجرعه في العلوم كان يحترم نفسه، ولم يدهن في الحق، وقد امتاز عن معاصريه بكثرة الكتابة والتدوين واقتناء الكتب، وكان إذا جلس في بيته بين كتبه اشتغل بها عن كل شيء سواها من أمور الدنيا، حتى يروي أن امرأته كانت تقول له: " إن هذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر " لانشغاله بها عنها<sup>44</sup>.

ولما سئل عراك بن مالك<sup>45</sup>، عن أفضه أهل المدينة قال: " أما أعلمهم بقضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان، وأفقههم فقهاً، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس فسعيد بن المسيب، وأما أغزرهم حديثاً فعروة بن الزبير، ولا تشأ أن تفجر من عبيد بن عبد الله بجرأ إلا فجرته، قال وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب، فإنه جمع علمهم جميعاً إلى علمه"<sup>46</sup>.

<sup>41</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص105.

<sup>42</sup> أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج1، ص385.

<sup>43</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص335، 338، 344، الذهبي: سير، ج4، ص528-529.

<sup>44</sup> ابن خلکان: وفيات الأعيان، ج4، ص177.

<sup>45</sup> عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني، ثقة، فاضل، مات في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد سنة 100 هـ. (ابن حجر: التقريب، ج2، ص17).

<sup>46</sup> الفسوي: المعرفة، ج1، 346، الذهبي: سير، ج4، ص530.





وقال مكحول<sup>47</sup>: " ابن شهاب أعلم الناس سنة ماضية"، وقال أيضاً: " أي رجل هو ما أفسد نفسه بصحبة الملوك"، وقال الذهبي معلقاً: " بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري لكونه كان مداخلاً للخلفاء، ولئن فعل ذلك لهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري رحمه الله<sup>48</sup>.  
وقيل لمكحول: " من أعلم من لقيت يا أبا عبد الله، قال: ابن شهاب الزهري، قيل ثم من، قال: ابن شهاب، قيل ثم من، قال: ابن شهاب"<sup>49</sup>.

وقال قتادة<sup>50</sup>: " ما بقي أحد أعلم بالسنة من الزهري ورجل آخر يعني نفسه"<sup>51</sup>.  
وقال عمرو بن دينار<sup>52</sup>: " ما رأيت أحداً أعلم من الزهري"، وقال أيضاً: " ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري، وما رأيت أحداً الدراهم أهون عليه منه إن كانت الدراهم عنده بمنزلة البعر"<sup>53</sup>.  
وقال أيوب بن أبي تميمة السختياني<sup>54</sup>: " ما رأيت أحداً أعلم من الزهري، فقال له صخر بن جويرية ولا الحسن البصري، فقال: ما رأيت أحداً أعلم من الزهري"<sup>55</sup>.  
وقال معمر<sup>56</sup>: " ما رأيت مثل الزهري في الفن الذي هو فيه"، وكان يقول: " لم أر من هؤلاء أفه من الزهري وحماة وقاتدة"<sup>57</sup>.

وقال أبو بكر الهذلي<sup>58</sup>: " لقد جالسنا الحسن البصري وابن سيرين، فما رأينا أحداً أعلم منه يعني الزهري"، وقال سعيد بن عبد العزيز<sup>59</sup>: " ما ابن شهاب إلا بحر"<sup>60</sup>.  
وقال الليث بن سعد<sup>61</sup>: " قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن جميل: " يا أبا عبد الحارث لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن"<sup>62</sup>.

وعن الليث قال: " ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب، لقلت ما يحسن غير هذا، وإن حدثت عن الأنبياء وأهل الكتاب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدثت عن الأعراب والأنساب، قلت لا يحسن غير هذا، وإن حدثت عن القرآن والسنة كان حديثه"<sup>63</sup>.

47 مكحول الشامي أبو عبد الله، ثقة، فقيه، مات حوالي سنة 110هـ. (ابن سعد: الطبقات، ج7، ص213).

48 الذهبي: سير، ج4، ص529.

49 الذهبي: سير، ج4، ص530، ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص350.

50 قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب البصري، ثقة، ثبت، مات مائة وبضع عشر. (الذهبي: سير، ج4، ص488).

51 ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص343.

52 عمرو بن دينار المكي، أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم، ثقة، ثبت، مات سنة 126هـ. (الذهبي: سير، ج4، ص506).

53 ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص245-336.

54 أيوب بن أبي تميمة السختياني، ثقة، ثبت، حجة، من كبار الفقهاء العباد، مات سنة 131هـ، وله خمس وستون سنة. (ابن سعد: الطبقات، ج7، ص126، الذهبي: سير، ج5، ص9، ابن حجر: تقريب، ج1، ص89).

55 ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص346.

56 معمر بن راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، ثقة، ثبت، فاضل، مات سنة 158هـ. (الذهبي: سير، ج5، ص239).

57 ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص352.

58 أبو بكر الهذلي: قيل اسمه سلمى ابن عبد الله، وقيل روح، إخباري، متروك الحديث، مات سنة 167هـ. (ابن حجر: تقريب، ج2، ص401).

59 سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، ثقة، إمام، مات سنة 167هـ. (الذهبي: سير، ج6، ص17).

60 ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص348، الذهبي: سير، ج4، ص529.

61 الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث المصري، ثقة، ثبت، إمام مشهور، مات سنة 175هـ. (الذهبي: سير، ج6، ص71، ابن حجر: تقريب، ج2، ص138).

62 ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص346.

63 الذهبي: سير، ج1، ص109، ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص379.



وعن مالك بن أنس قال: " ما أدركت بالمدينة فقيهاً محدثاً غير واحد، هو ابن شهاب الزهري" <sup>64</sup>، وقال: " كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج الزهري" ، وقال: "أدركت مشايخ بالمدينة أبناء سبعين وثمانين لا يؤخذ عنهم، ويقدم ابن شهاب وهو دونهم في السن، فيزدحم الناس عليه" ، وقال: " إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أميناً لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدم علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب وهو شاب فيزدحم على بابهِ" <sup>65</sup>، وقال أيضاً: " أول من دون العلم ابن شهاب" <sup>66</sup>.

وقال سفيان بن عيينة <sup>67</sup>: " كانوا يرون الزهري يوم مات وليس أحد أعلم بالسنة منه" ، وقال أيضاً: " جالست الحسن وغيره، ما رأيت مثل الزهري: وقال: " كان الزهري أعلم أهل المدينة" <sup>68</sup>.

وقال الشافعي: " لولا الزهري لذهبت السنن من المدينة" <sup>69</sup> وذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين من أهل المدينة، وقال: " الزهري ثقة كثير الحديث، والعلم والرواية فقيهاً جامعاً" <sup>70</sup>.

وعن علي بن المديني <sup>71</sup> قال: " لا أعرف أحداً أحسن حديثاً من ابن شهاب"، وقال: " أفتى أربعة الحكم وقتادة وحماد والزهري، والزهري عندهم أفضههم" <sup>72</sup>، وقال أيضاً: " كان هؤلاء الستة ممن اعتمد عليهم الناس في الحديث، الزهري لأهل المدينة، وعمرو بن دينار لأهل مكة، وأبو اسحاق والأعمش لأهل الكوفة، ويحيى بن أبي كثير وقتادة لأهل البصرة" <sup>73</sup>.

وقال أحمد بن حنبل: " الزهري أحسن الناس حديثاً وأجود الناس إسناداً" ، وقال أيضاً: " الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، مدني تابعي ثقة" <sup>74</sup> ، وقال أحمد بن صالح <sup>75</sup>: " كان يقال فصحاء زمانهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله رحمهم الله" <sup>76</sup> وقال العجلي: " الزهري

<sup>64</sup> ابن سعد: الطبقات، ج2، ص388.

<sup>65</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص351، الذهبي: سير، ج4، ص535.

<sup>66</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص334.

<sup>67</sup> سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة، فقيه، إمام، حجة، مات سنة 198هـ. (الذهبي: سير، ج6، ص253، ابن حجر: تقريب، ج1، ص321).

<sup>68</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص334، 348.

<sup>69</sup> النووي: تهذيب الأسماء، ج1، ص124.

<sup>70</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص222-228.

<sup>71</sup> علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيب السعدي مولاهم، أبو الحسن بن المديني البصري، ثقة، ثبت، إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتى قال البخاري: " ما استصغرت نفسي إلا عنده، مات سنة 234هـ. (ابن حجر: تقريب، ج2، ص40).

<sup>72</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص338.

<sup>73</sup> الفسوي: المعرفة، ج1، ص346، الذهبي: سير، ج4، ص536.

<sup>74</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص339.

<sup>75</sup> أحمد بن صالح، الإمام الكبير حافظ زمانه بالديار المصرية، المعروف بابن الطبري، توفي سنة 248هـ. (الذهبي: سير، ج8، ص79).

<sup>76</sup> ابن كثير: البداية والنهاية، ج5، ص379.



تابعي ثقة<sup>77</sup> ، وأورده ابن حيان<sup>78</sup> في كتابه الثقات، وقال عنه: " كان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار، وكان فقيهاً فاضلاً"<sup>79</sup> .

وقال الذهبي<sup>80</sup>: " الزهري أعلم الحفاظ"<sup>81</sup> ، وقال أيضاً: " الإمام العلم، حافظ زمانه"<sup>82</sup> .

وقال ابن حجر: " الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة"<sup>83</sup> . والطبعة الرابعة هم من تكن رواياتهم عن كبار التابعين ومنهم الزهري وقتادة<sup>84</sup> .

وقد عاب بعض المحدثين على الزهري أنه يرسل بعض الأحاديث ولا يسندها، فقد قال يحيى بن سعيد القطان<sup>85</sup>: " مرسل الزهري هو شر من مرسل غيره، لأنه حافظ، وكل ما قدر أن يُسمى سمي، وإنما يترك من لا يحب أن يسميه"<sup>86</sup> .

وقال الذهبي: " مراسيل الزهري كالمعضل"<sup>87</sup> ، لأنه قد سقط منه اثنان ولا يسوغ أن نزن به أنه أسقط الصباحي فقط، ولو كان عنده عن صباحي لأوضحه، ولما عجز عن وصله، ثم ذكر الذهبي قول الشافعي " يقول نُحابي، ولو حابينا لحابينا الزهري، وإرسال الزهري ليس بشيء"<sup>88</sup> . وقال علي بن المديني: " مراسلات الزهري رديئة"<sup>89</sup> .

ومع ذلك لم يعدم الزهري من يدافع عنه من علماء الحديث، ويرد عنه هذه التهمة، ولذلك لما قيل لأحمد بن صالح أن يحيى بن سعيد قال: " مرسل الزهري يشبع لا شيء"، غضب أحمد بن صالح وقال: " ما ليحيى ومعرفة علم الزهري، ليس كما قال يحيى" .

وعاب بعض علماء الحديث على الزهري أنه كان مدلساً<sup>90</sup> ، فقد وصفه الشافعي والدارقطني بذلك<sup>91</sup> ، ولكن الذهبي أوضح أن تدليسه كان نادراً<sup>92</sup> ، وقد ذكره العلاني<sup>93</sup> في الطبقة الثانية من طبقات المدلسين،

<sup>77</sup> العجلي: الثقات، ج2، ص253.

<sup>78</sup> محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، توفي عام 354هـ، من علماء الحديث المعروفين، صاحب تصانيف.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص296).

<sup>79</sup> العجلي: الثقات، 349.

<sup>80</sup> الإمام الحافظ المؤرخ الكبير شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مات 748هـ.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص585).

<sup>81</sup> تذكرة الحفاظ، ج1، ص108.

<sup>82</sup> الذهبي: سير، ج4، ص522.

<sup>83</sup> ابن حجر: تقريب التهذيب، ج2، ص207.

<sup>84</sup> ابن حجر: تقريب، ج1، ص5.

<sup>85</sup> يحيى بن سعيد القطان البصري، ثقة، حافظ، توفي سنة 198هـ.(ابن حجر: تقريب، ج2، ص348).

<sup>86</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص368، الذهبي: سير، ج4، ص531، ابن حجر: تقريب، ج9، ص398.

<sup>87</sup> الحديث المعضل: هو ما سقط إسناده اثنان فصاعداً على التوالي، وهذا هو المعتبر عند المحدثين، وبذلك يتميز عن المرسل الذي سقط منه الصباحي، والمقطع الذي سقط منه راو واحد في موضع أو في أكثر.(ابن شعبة: الوسيط، ص290).

<sup>88</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص368، الذهبي، سير، ج4، ص531.

<sup>89</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص369.

<sup>90</sup> التدليس: هو أن يروي الراوي عن شيخه الذي لقيه وسمع منه ما لم يسمعه منه، أو عن عاصره، ولم يلقه موهماً أنه سمع منه بصيغة تحتل السماع ك( عن ، أو قال)، وعلى الإجمال ترد رواية المدلس المكثّر من التدليس إلا زردت بالنعنة، ولم يصرح فيها بالسماع، و أما المقل من التدليس والذي لا يدلس إلا عن ثقة، فعننته محمولة على السماع، إلا أن يتبين أنه قد دلس حديثاً بعينه، وذلك يتبين بعد جمع طرق حديثه.(سليم، عمرو: تيسير علوم الحديث، ص50-55).

<sup>91</sup> ابن حجر: تعريف أهل التقديس، ج1، ص45.

<sup>92</sup> الذهبي: ميزان الاعتدال، ج4، ص40.

<sup>93</sup> صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكليدي العلاني، من علماء الحديث المشهورين، توفي سنة 761هـ.(ابن كثير: البداية والنهاية، ج7، ص623، ابن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص51).



وهم من احتمل علماء الحديث تدليسهم، وحكموا على أحاديثهم بالصحة، بسبب إمامتهم وقلة تدليسهم، قال العلائي: "وثانيها من احتمل الأئمة تدليسه وخرّجوا له في الصحيح، وإن لم يصرح بالسماع، وذلك لإمامته أو لقلة تدليسه في جنب ما روى، أو لأنه يُدلس إلا عن ثقة، كالزهري والنخعي"<sup>94</sup>.

ولكن إذا صاحب الزهري الخلفاء فما فعل منكراً، لأنه كان واثقاً من نفسه أنه إن لم ينفع، فإنه لن يضر، بل نفعه يكون أقرب، فكان الزهري ينصح الأمراء والخلفاء ويحميهم من الوقوع في مزالق الضلال. لذلك قال الذهبي: "بعض من لا يُعتد به لم يأخذ عن الزهري، لكونه كان مُداخلاً للخلفاء، ولئن فعل ذلك فهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري رحمه الله"<sup>95</sup>.

وروى ابن عساكر عن الأوزاعي قال: "ما أدهن ابن شهاب قط لملك دخل عليه ولا أدركت خلافة هشام أحداً من التابعين أفقه منه"<sup>96</sup>.

فقد كان الزهري ينصح الأمراء والخلفاء ويحميهم من الوقوع في مزالق الضلال، ومن ذلك أن الزهري دخل على الوليد بن عبد الملك، فقال له: "ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: "يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعية كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات"، قال الزهري: باطل يا أمير المؤمنين، أنبيي خليفة أكرم على الله، أم خليفة غير نبي؟ قال الوليد: بل نبي خليفة، قال الزهري: فإن الله يقول لنبيه داوود: "يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديد بما نسوا يوم الحساب"، فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال الوليد: "إن الناس ليغفوننا عن ديننا"<sup>97</sup>.

وقد كان الزهري جريئاً في قول الحق، يصدح بالحق، ولا يخاف لومة لائم، فقد رويت عنه هذه القصة، وهي سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك، فقال له سليمان: من الذي تولى كبره منهم فقال ابن سلول، قال كذبت بل هو علي، فقال سليمان: أمير المؤمنين أعلم بما يقول، فدخل ابن شهاب فقال يا ابن شهاب من الذي تولى كبره قال ابن أبي، فقال له كذبت، بل هو علي، قال: أنا أكذب لا أبا لك، فو الله لو نادى منادٍ من السماء إن الله قد أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد وعروة وعبيد الله وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي، قال فلم يزل القوم يغرون به فقال هشام ارحل فو الله ما كان ينبغي لنا أن نحمل من مثلك، فقال: ولم أنا اغتصبتك على نفسي أو أنت اغتصبتني على نفسي فخل عني، فقال له: لا ولكنك استدنت ألفي ألف، فقال: قد علمت أبوك قبل أني ما استدنت هذا

<sup>94</sup> العلائي: جامع التحصيل، ج1، ص113.

<sup>95</sup> الذهبي: سير: ج5، ص339.

<sup>96</sup> ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص161.

<sup>97</sup> ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج1، ص75.



المال عليك ولا على أبيك، فقال هشام: إنا إن تهج الشيخ يهج الشيخ، فأمر فقضى من دينه ألف ألف، فأخبر بذلك فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده"<sup>98</sup>.

وأما الخبر الثاني، ففيه عمرو بن عبيد، وهو عند أهل الحديث متروك، وأما عمرو بن رديح، فقد ذكره ابن حجر في "لسان الميزان" ولم يذكره في التهذيب، وقد وثقه قوم، وضعفه آخرون، ولكن لم يروى عن الزهري، ولم يذكر في تلاميذه، فما الذي وصله بالزهري، هو و عمرو بن عبيد، وهما بصريان فلعل القصة موضوعة"<sup>99</sup>.

### مرويات الزهري:

كان الزهري من العلماء الأجلء، وكان مشهوراً بالحفظ، ولذلك كانت له مرويات متعددة، ولقد كان أهم الموضوعات التي تناولها في مروياته بدء الخلق، وأخبار الأنبياء، وأحداث ما قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرته في العهد المكي والمدني، وتناولت مروياته كذلك حقبة حكم الخلفاء الراشدين، وطرفاً من حقبة حكم الدولة الأموية.

أولاً: بدء الخلق وأخبار الأنبياء، يلاحظ أن الزهري قد أخذ أخبار الأنبياء وبدء الخلق عن مجموعة من الرواة أهمهم: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، والشعبي<sup>100</sup>، و على سبيل المثال روايته عن هبوط آدم عليه السلام من الجنة<sup>101</sup>.

ولم يحظ موضوعي بدء الخلق وأخبار الأنبياء بالاهتمام الكبير لدى الزهري، إذ يبلغ عدد مرويات الزهري عن أخبار الأنبياء ثلاثة عشر رواية فقط، منها بعض الروايات تتحدث عن خلق الملائكة والجن، وخلق آدم عليه السلام، ونص الحديث: عن عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " خُلقت الملائكة من نور، و خُلقت الجن من نار، و خُلقت آدم مما وصف لكم"<sup>102</sup>.

وروايات تتحدث عن اليوم الذي خُلقت فيه آدم أبو البشر عليه السلام، ومنها نص الحديث: " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خير يوم طلعت في الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها"<sup>103</sup>.

وروايات تذكر أن آدم كان أول من بنى البيت الحرام وطاف به<sup>104</sup>، ورواية أخرى عن ابتداء التاريخ البشري منذ هبوط آدم من الجنة إلى الأرض، وذكر نوح عليه السلام وانتشار أبنائه وذريته في الأرض، وتقسيما بينهم، وأن قومه أرخوا بمبعثه<sup>105</sup>، ورواية تتحدث عن تسلسل كل أمة في بداية تدوين تاريخها،

<sup>98</sup> ابن عساکر: تاریخ دمشق، ج55، ص371.

<sup>99</sup> شراب، محمد: الإمام الزهري، ص309.

<sup>100</sup> عامر بن شرحبيل السعدي، ثقة، مشهور، فقيه فاضل، مات بعد سنة 100هـ. (ابن حجر: تزيين، ج1، ص387).

<sup>101</sup> الطبري: تاريخ، ج1، ص193.

<sup>102</sup> مسلم: صحيح، ج2996، ص1550.

<sup>103</sup> مسلم: صحيح، ج854، ص405، المقدسي: البدء والتاريخ، ج1، ص43، الطبري: تاريخ، ج1، ص114.

<sup>104</sup> الأزرقى: أخبار مكة، ج1، ص9.

<sup>105</sup> الطبري: تاريخ، ج1، ص193.



ومنها تأريخ بني إسماعيل منذ بناء البيت الحرام<sup>106</sup>، وتعرض للحديث عن قصة هجرة إبراهيم إلى أرض فلسطين، وقصة أمر إبراهيم بذبح إسماعيل عليه السلام<sup>107</sup>، وقصة لوط عليه السلام، وقصة الخضر وموسى<sup>108</sup>.

ثانياً: أحداث ما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم: روى الزهري مرويات قليلة عن فترة ما قبل البعثة، ومنها ذكره لقصة عمرو بن لحي الذي أدخل عبادة الأصنام إلى مكة، وذكره أخبار جد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وقصة حفر بئر زمزم، وزواج والد النبي عليه الصلاة والسلام، ووفاة والده، وحادثة شق الصدر، ووفاته جده، وكفالة عمه أبي طالب له، وبناء الكعبة<sup>109</sup>، وخبر اشتراك صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول<sup>110</sup>.

ويورد الزهري روايات عن دلائل النبوة، وتجارة النبي صلى الله عليه وسلم في أموال خديجة رضي الله عنها، ومن ثم زواجه منها، وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة<sup>111</sup>.

ويلاحظ أن الزهري أخذ رواياته خلال تلك الحقبة من مجموعة من الرواة أهمهم: أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف<sup>112</sup>، وسعيد بن المسيب<sup>113</sup>، وقبيصة بن ذؤيب<sup>114</sup>، ومجموعها عشر روايات.

ثالثاً: أحداث البعثة النبوية، كان الزهري مهتماً بالمرحلة المكية، وروى مرويات مهمة خلال تلك المرحلة، منها روايات عن بدء الوحي<sup>115</sup>، ووفاة خديجة رضي الله عنها، ومصير ورقة بن نوفل، وبدء الدعوة وموقف قريش منها، وأول الناس إسلاماً<sup>116</sup>، ونشر الدعوة بين القبائل مثل كندة، وبني عامر بن صعصعة، وبيعة العقبة الأولى<sup>117</sup>، وحادثة الإسراء والمعراج، وقصة إسلام عمر، وفرض الصلاة، ووصف الأنبياء أثناء رحلة الإسراء والمعراج، والهجرة إلى الحبشة<sup>118</sup>، ومقاطعة قريش لبني هاشم وعبد المطلب<sup>119</sup>.

وتناولت مرويات الزهري في المرحلة المدنية كافة التفاصيل المتعلقة بتلك المرحلة، واهتم اهتماماً خاصاً بالمغازي، ومن أبرز الرواة الذين أخذ عنهم الزهري تلك الروايات: أنس بن مالك رضي الله عنه، عروة بن الزبير، سعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عتبة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله

<sup>106</sup> الطبري: تاريخ، ج2، ص390.

<sup>107</sup> الطبري: تاريخ، ج1، ص247.

<sup>108</sup> البخاري: صحيح، ج3387، ص566.

<sup>109</sup> الصنعاني: المصنف، ج5، ص313-314، الطبري: تاريخ، ج2، ص239-240.

<sup>110</sup> الأصفهاني: الأغاني، ج117، ص289.

<sup>111</sup> الصنعاني: المصنف، ج5، ص320-321.

<sup>112</sup> الطبري: تاريخ، ج2، ص191.

<sup>113</sup> البخاري: صحيح، ج3521، ص592.

<sup>114</sup> ابن هشام: السيرة، ص179.

<sup>115</sup> الصنعاني: المصنف، ج5، ص321، ابن هشام: السير، ص179، البخاري: صحيح، ج3، ص1-2.

<sup>116</sup> الطبري: تاريخ، ج2، ص349.

<sup>117</sup> ابن هشام: السيرة، ص303-310.

<sup>118</sup> البخاري: صحيح، ص62، الصنعاني: المصنف، ج5، ص328، ابن هشام: السيرة، ص247-286.

<sup>119</sup> ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج1، ص165.



بن كعب بن مالك، ومن تلك الروايات: حادثة الهجرة، حادثة سراقه بن جعشم الذي حاول أن يطارد النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتأريخ منذ قدومه المدينة<sup>120</sup>، وبناء مسجد المدينة، وإصابة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بالحمى في المدينة<sup>121</sup>، وسرية عبد الله بن جحش التي تسمى سرية نخلة في رجب سنة 2هـ<sup>122</sup>، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود، وموقفه من المنافقين وعلى رأسهم عبيد الله بن أبي بن سلول، وتحويل القبلة، وفرض صيام شهر رمضان وزكاة الفطر، وذكر غزوة بدر وأحداثها، وبقية غزوات وسرايا النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: غزوة السويق، بني قينقاع، أحد، غزوة الخندق، حمراء الأسد، يوم الرجيع، حادثة بئر معونة، وإجلاء بني النضير عن المدينة، مؤتة، فتح مكة، غزوة حنين، تبوك، وبقية أحداث السيرة حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>123</sup>.

رابعاً: أحداث زمن الخلافة الراشدة، تناول الزهري في مروياته حقبة الخلافة الراشدة، ويلاحظ أنه أبرز في مروياته الأحداث الكبرى التي جرت في أواخر فترة الخلافة الراشدة، خاصة حادثة مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تبعها من أحداث الفتنة، وصولاً إلى تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة، لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، واغلب مرويات تلك الحقبة أخذها الزهري عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، ويلاحظ أن الزهري روى بعض الروايات بشكل مباشر دون واسطة، خاصة فيما يتعلق بموقعة الجمل وصفين، وتنازل الحسن عن الخلافة<sup>124</sup>.

**خلافة أبو بكر الصديق:** من الروايات التي رواها الزهري حديث السقيفة، والبيعة العامة لأبي بكر وخطبته في الناس، ومطالبة فاطمة والعباس بميراثهما من رسول الله، ووفاة فاطمة رضي الله عنها، وبيعة علي لأبي بكر، وبعض التفاصيل عن حياة أبي بكر، وبعث أبي بكر الجيوش لفتح بلاد الشام، واستخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب من بعده<sup>125</sup>.

**خلافة عمر بن الخطاب:** من الروايات التي رواها الزهري تسمية عمر بالفاروق، وعزل المغيرة عن البصرة في عهد عمر، وعزل خالد بن الوليد عن قيادة جيش المسلمين في الشام، وخصومة علي والعباس حول ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخبر أبي لؤلؤة المجوسي وطعنه لعمر، وتاريخ طعن عمر، وتعيين عمر بعض الصحابة للشورى في أمر الخلافة من بعده، وسن عمر عند وفاته، وقتل عبيد الله بن

<sup>120</sup> الطبري: تاريخ، ج 2، ص 388.

<sup>121</sup> ابن هشام: السيرة، ص 405.

<sup>122</sup> الطبري: تاريخ، ج 2، ص 410.

<sup>123</sup> البلاذري: فتوح البلدان، ص 33، ابن هشام: السير، ص 621.

<sup>124</sup> الصنعاني: المصنف، ج 5، ص 439، الطبري: تاريخ، ج 3، ص 203-207.

<sup>125</sup> الطبري: تاريخ، ج 3، ص 210، الصنعاني: المصنف، ج 5، ص 472،



عمر الهرمزان، و جفينة وكانا قد اتهما في جريمة قتل الخليفة عمر بن الخطاب، ونماذج من خطب عمر<sup>126</sup>.

**خلافة عثمان بن عفان:** من الروايات التي رواها الزهري عن أحداث تلك الحقبة، بداية الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله عنه، وغزوة ذات الصواري البحرية، ومقتل عثمان، وصفات عثمان الخُلَيفة<sup>127</sup>.  
**خلافة علي بن أبي طالب:** روى الزهري روايات عديدة عن تلك الحقبة منها: بيعة طلحة والزبير لعلي، ومسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، وبلوغ عائشة منطقة الحواب، ونبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقعة الجمل، وخبر قيس بن سعد بن عبادة والي مصر من قبل علي، ومكيدة معاوية له، وقدم فيس إلى علي بالبصرة، ومعركة صفين، وقضية التحكيم، وتناول الزهري في مروياته المدة التي سبقت حكم بني أمية، ومن تلك الروايات: بيعة الحسن ورغبته في الصلح مع معاوية، وكتابة الحسن لمعاوية ودخول معاوية الكوفة وبيعته، والصلح بين قيس بن سعدن ومعاوية ودخوله في طاعته<sup>128</sup>.

**خلافة بني أمية:** على الرغم من أن الزهري كان ملازماً للخلفاء الأمويين ومؤدباً ومعلماً لأبنائهم<sup>129</sup>، إلا أن رواياته عن تلك الحقبة قليلة ومعدودة، لا تتعدى بعض الأخبار عن مدة حكم بعض الخلفاء وسنهم عند وفاتهم، وقد رواها مباشرةً بدون واسطة، ويرجع ذلك إلى اهتمام الزهري بتدوين السيرة النبوية، وتكليف الخلفاء الأمويين إياه بالاهتمام بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان الزهري صاحب دراسات وأبحاث في التاريخ والحديث والفقهاء، وقد كلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز أو هشان بن عبد الملك بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدَوّن ذلك في كتاب حفظ في خزانة الكتب، وكان يكتب ما يسمعه ويجمعه من مشايخه، ولكن للأسف لم يبق من مؤلفاته تلك شيء<sup>130</sup>.

ومن الروايات التي أوردها عن الحقبة الأموية: سؤال الوليد بن عبد الملك الزهري عن أعمار الخلفاء، وخبر يزيد بن معاوية مع عبد الله بن الزبير، وعُمر يزيد بن معاوية عند وفاته، ومدة ولايته، ومدة حكم الوليد بن عبد الملك، وخبر عن الرحمن بن الضحاك والي المدينة من قبل يزيد بن عبد الملك<sup>131</sup>.

### منهج الزهري في كتابة التاريخ:

تبدأ دراسة الزهري للسيرة بذكر بعض الروايات عن زمن ما قبل الإسلام، التي تتصل بحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يتناول النواحي الهامة من المدة المكية من حياة الرسول، ثم الهجرة إلى المدينة، ويتناول المغازي وفتح مكة، وبعض السفارات التي أرسلها الرسول، والوفود التي قدمت عليه، ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول، ثم مرضه وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، وراعى الزهري التسلسل

<sup>126</sup> الطبري: تاريخ، ج4، ص69-195، الصنعاني: المصنف، ج5، ص483.

<sup>127</sup> الطبري: تاريخ، ج4، ص292-419، الصنعاني: المصنف، ج5، ص456.

<sup>128</sup> انظر: الصنعاني: المصنف، ج5، ص457، الطبري: تاريخ، ج4، ص580-599.

<sup>129</sup> ابن سعد: الطبقات، ج5، ص223، ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج55، ص324، الذهبي: سير، ج4، ص526.

<sup>130</sup> عثمان، محمد فتحي: المدخل إلى التاريخ الإسلامي، ص699.

<sup>131</sup> الطبري: تاريخ، ج5، ص325.





التاريخي في حوادث السيرة، وأعطى تواريخ الحوادث المهمة واتبع الزهري منهجاً وأسلوباً مميزاً للروايات المختلفة، كان منها:

1- اتبع الزهري المنهج التفصيلي الدقيق في الروايات مع التسلسل التاريخي الزمني، واهتمامه بوضع التواريخ لبعض الأحداث المهمة، ومثال ذلك فتح مكة، حيث ورد عن الزهري، قال: " افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم، مكة لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الله تعالى " إذا جاء نصر الله والفتح"<sup>132</sup>، قالوا: وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمكة خمس عشرة يصلي ركعتين، ثم غدا يوم السبت ليال خلون من شوال، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلى بهم، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقهاء<sup>133</sup>.

2- إن دراسة الزهري للتاريخ يدل على أن الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملاً هاماً في نشأة الكتابة التاريخية، فمبدأ الإجماع وظهور الأحزاب السياسية والجدل بينها حول الأحداث الماضية وبخاصة الفتنة، ومسألة الخلافة وهل هي بالانتخاب أم بالوراثة، ومشكلة التنظيم الإداري وبخاصة تنظيم الضرائب، والديوان، كل تلك المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية، والزهري قدم لنا روايات المدينة، وتلك الروايات بصورة عامة تظهر الأمة على صواب، فمثلاً نفهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يسم أحداً بعده للخلافة، فقررت مبدأ الانتخاب لا الوراثة، وانتخبت الأمة أبا بكر، حجة إن علياً لم يرتح أول الأمر للنتيجة، ثم بايعه فيما بعد مختاراً، وهو يرينا أن أبا بكر وعمر مثلين ممتازين للصلاح، ولكن مشكلة الفتنة فيها تعقيد كبير، فقد أظهرت ان علي بن أبي طالب اتخذ موقف الناصح في البدء، ثم اعتزل، ولكنه انزعج للغاية من مقتل عثمان، وانتخب علي لأنه المرشح الطبيعي لمنزلته ومزاياه، وعند الحديث عن خروج طلحة والزبير، تقف الروايات التي يوردها الزهري بجانب علي، وتلقي ظلاً خفيفاً على الثوار، وفي النزاع بين علي ومعاوية، تبدو قضية علي هي العادلة مع إظهار معاوية بمظهر الدهاء، ولكن الزهري يروي أن الحسن تنازل لمعاوية عن الخلافة، وبذلك يختم القصة، إن الملاحظات المارة تظهر أن الزهري لم يكن متأثراً بالحزبية السياسية، وأنه حاول أن يقدم صورة للحوادث كما تراها المدينة<sup>134</sup>.

3- استشهاده بالآيات القرآنية على بعض الأحداث والروايات المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تكاد تخلو رواية عن غزوة من الغزوات إلا واستشهد الزهري بآيات من القرآن الكريم تتحدث عن مجريات تلك الغزوة، أو سبب نزول الآيات، ونذكر على سبيل المثال غزوة حنين: عن الزهري، عن سعيد

<sup>132</sup> سورة النصر، آية 1.

<sup>133</sup> الواقدي: مغازي، ج3، ص889.

<sup>134</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص110.



بن المسيب، قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " يا رسول الله لا نغلب اليوم من قلة"، فأنزل الله عز وجل في ذلك: " لقد نصركم الله في مواطنٍ كثيرة" <sup>135</sup>.

ومنها عن ابن اسحاق: حدثني ازهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله بن أبي، دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحولت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا؟ أعدد أيامه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى إذا أكثرت، قال: يا عمر، أخرجني إني قد خيرت فاخترت، قد قيل لي: " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين" <sup>136</sup>، فلو أعلم أنني إن زدت على السبعين غفر له، لزدت. قال: ثم صلى الله عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه، قال: فعجبت لي ولجراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسوله أعلم، فو الله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان: " ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ" <sup>137</sup>، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى <sup>138</sup>.

4- أدخل الزهري شيئاً جديداً في كتابة السيرة، وهو الإسناد الجمعي، حيث يدمج عدة روايات في خبر متسلسل، وبذلك يسير خطوة مهمة نحو الكتابة التاريخية المتصلة <sup>139</sup>.

5- أسند الزهري رواياته، واشتهر بقوة إسناده ونظرتة في ذلك تمثل نظرة عصره، حيث نجده يعُدُّ رواية التابعين أحياناً وافية بشروط الإسناد <sup>140</sup>.

6- مع أن الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره، لم إنه كان ضليعاً فيه، إلا أن استعماله له محدود في مغازي، فهو بعيد عن أسلوب الأيام في كتاباته <sup>141</sup>، ومن الروايات القليلة التي أورد فيها الشعر، خبر إنشاد حسان بن ثابت الأنصاري، الرسول صلى الله عليه وسلم، وما قاله في مدح أبي بكر، وخبر حجة عمر بن الخطاب الأخيرة، وما قيل من الشعر في التنبؤ بموته، وخبر مسير علي بن أبي طالب إلى البصرة، وتمثله ببعض الرجز حين وصل إليها <sup>142</sup>، ونذكر هنا رواية مقتل فروة بن عمرو النافرة الجذامي النفاثي، الذي أرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان من منزله معان وما حولها من أرض الشام، فقد

<sup>135</sup> سورة التوبة، آية 25..

<sup>136</sup> سورة التوبة، آية 80.

<sup>137</sup> سورة التوبة، آية 84.

<sup>138</sup> ابن هشام: السيرة، ج2، ص552.

<sup>139</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص28.

<sup>140</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص28.

<sup>141</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص28.

<sup>142</sup> عطوان: رواية الشاميين للمغازي والسير، ص138.



روى ابن هشام عن الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه، أي فروة، قال: بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي. ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء<sup>143</sup>.

7- اتسمت رواياته بصراحتها وبطابعها الإنساني، ويندر فيها ما نشاهده لدى المؤرخين فيما بعد من مبالغة، كما أن الاتجاه نحو الجبرية في تفسير الحوادث، وهو اتجاه شجعه الأمويين، لا يبدو واضحاً لديه، بل إننا نجد أن أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم ذاتها تعرض أحياناً على أنها موحى بها، وتعد في بعض الحالات مجرد تدابير بشرية محضة وعملية، كما في قصة حفر الخندق<sup>144</sup>.

8- يعرض الزهري في رواياته تفصيلات صحيحة، وجزئيات لطيفة للأحداث، ويقدم أكثرها في صور مختصرة موجزة، ويعرب عنه بلغة فصحة عالية، ويصوغها صياغة محكمة راقية، لا عوج فيها ولا غموض ولا مبالغة، شأنه في ذلك شأن رواياته للسيرة النبوية، ولكنه قدم أقلها في صور طويلة مسهبة، ولا سيما ما يتصل منها بالسخط على عثمان بن عفان، والتمرد عليه والفتك به<sup>145</sup>.

9- أخذ الزهري جل مواده عن السيرة النبوية من الحديث النبوي الشريف، ولا نجد إلا أثراً بسيطاً للقصص فيما كتب، كما أننا نجد صدقاً ضعيفاً في مادته لقصص الأنبياء التي اهتم بها كما يبدو، ودراسته تدل على أن خطوط السيرة وضعت في القرن الأول الهجري، ولم يكن واضعها من القصص مثل وهب بن منبه، بل كانوا محدثين على قدر محمود من المقدرة على نقد الروايات وتحريها، أما القصاص الذين طوروا القصص الشعبي، وأخذوا من الإسرائيليات في قصصهم فإن أثرهم يظهر بعد جيل الزهري<sup>146</sup>.

10- نقل الزهري شيئاً ضئيلاً من القصص في رواياته، مثل خبر التكهن بموت عمر بن الخطاب، وخبر رؤية عبد الله بن عباس لعمر بن الخطاب في المنام بعد موته، وخبر رؤية عبد الرحمن بن عوف الزهري له كذلك، ولكن أثر القصص محدود في رواياته لتاريخ صدر الإسلام، كما أنه محدود في رواياته للسيرة النبوية<sup>147</sup>.

11- لم تقتصر دراسات الزهري التاريخية على المغازي، بل شملت الأنساب وتاريخ صدر الإسلام، وقد عرف باطلاعه الواسع على الأنساب وقد سأله خالد القسري أن يكتب أنساب العرب، فبدأ بأنساب مضر، ولكنه لم يتم ذلك، وأخذ عنه مصعب الزبيري في كتابه "نسب قريش"، وهذا يعزز قول قره بن عبد الرحمن إنه كتب كتاباً في نسب قريش<sup>148</sup>.

<sup>143</sup> ابن هشام: السيرة، ج2، ص2591.

<sup>144</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص29.

<sup>145</sup> عطوان: رواية الشاميين، ص139.

<sup>146</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص107.

<sup>147</sup> عطوان: رواية الشاميين، ص141.

<sup>148</sup> الدوري: نشأة علم التاريخ، ص107.



12- كان الزهري يعلن رأبه في بعض الأحداث والأشخاص، ولكن بأناة وتثبت، فإنه لم يكن يعلن رأيه إلا بعد جمع الأخبار، وتمحيص الروايات، وهو حيناً يصرح برأيه، وليس أبين من ذلك من تقويمه لعهد عثمان بن عفان وسياسته<sup>149</sup> فهو يقول: " لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً، وإنه لأحب إلى قریش من عمر، لشدة عمر، ولين عثمان لهم، ورفقه بهم، ثم توانى في أمرهم، واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر، وأهملهم، وكتب لمروان بن الحكم بخمس أفريقية، وأعطى أقاربه المال، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال، واستسلف من بيت المال، وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما، وإني آخذه فأصل به ذوي رحمين فأنكر الناس ذلك عليه"<sup>150</sup>.

وفي حيناً آخر لا يفصح عن رأيه، بل يختار من الروايات ما يوحي به، وما يشير إليه، ومضامين رواياته تكشف عن رأيه، وتدل عليه، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، وهي مبنوثة فيما روى من أخبار عثمان، وأخبار علي بن أبي طالب، وأخبار النزاع بين علي ومعاوية<sup>151</sup>.

13- التزم الزهري الحيدة في رواياته، ولم يتأثر بالفرق والمذاهب الحزبية، بل كان ناهياً عنها، ويثبت ما اصطفى من الروايات، وما أبدى من رأيه في بعض الأحداث والأشخاص حيدته ونزاهته، فإنه لم يتعصب فيها لفئة، ولم يتحامل على فئة أخرى، بل كان حريصاً على نقل الروايات القوية<sup>152</sup>.

#### الخاتمة :

أهم النتائج التي خلص إليها البحث في النقاط التالية:

- أظهر البحث أهمية شخصية الزهري العملية، لأنه كان آية في الحفظ والذكاء، لأنه كان يتميز بين أقرانه بمكانة عالية، وقد حاز على ثقة علماء عصره، فقبلوا روايته واحتجوا بها.
- روايات الزهري كانت ذا قيمة علمية كبيرة، حيث أنه تناول أحداثاً تاريخية بالتفصيل.
- استقى الزهري علمه من بعض الصحابة رضي الله عنهم، وكبار التابعين الثقة، الذين كان لهم دور كبير في تنمية ثقافته وغزارة علمه، كما أن تلاميذه الذين أخذوا عنه كانوا أيضاً من كبار العلماء كمعمر بن راشد وموسى بن عقبة، وابن اسحاق، والأخيران إمامان في المغازي.
- ركز الزهري على مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- نقل أئمة الحديث كعبد الرزاق الصنعاني والبخاري ومسلم كثيراً من مرويات الزهري، خاصة في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم.

#### المصادر والمراجع :-

<sup>149</sup> عطوان: رواية الشاميين، ص 141.

<sup>150</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج 55 ص 251.

<sup>151</sup> عطوان: رواية الشاميين، ص 141.

<sup>152</sup> عطوان: رواية الشاميين، ص 142.



أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606هـ):

- 1- النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.
- 2- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، د.ت.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب:
- 3- الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط2.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ):
- 4- الصحيح الجامع، دار الفحاء، دار السلام، ط2، 1999م.
- 5- التاريخ الكبير، د.ت.
- ابن بكار، الزبير:
- 6- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة العروبة، ط1.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ):
- 7- فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، 1991م.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـ):
- 8- الثقات، دار الفكر، ط1، 1975م.
- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني:
- 9- تقريب التهذيب، تحقيق: عبد الوهاب اللطيف، ط2، 1975.
- 10- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت.
- 11- تعريف أهل التقديس، تحقيق: عاصم القريوطي، مكتبة المنار، الأردن.
- 12- تهذيب التهذيب، د.ت.
- 13- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي:
- 14- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.
- ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري:
- 15- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، 1993م.



- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:  
16- سير أعلام النبلاء، دار الصفا، مصر، ط1، 2002م.  
الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر:  
17- مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، د.ط.  
الرازي، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس:  
18- الجرح والتعديل، د.ط.  
الزبيرى، مصعب:  
19- نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنزال، ط3.  
أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله:  
20- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.  
السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن:  
21- الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت.  
22- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.  
ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري:  
23- الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.  
24- ابن سيد الناس، محمد بن محمد اليعمري الربيعي أبو الفتح:  
25- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار القلم، بيروت، ط1، 1993م.  
26- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام:  
27- المصنف، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2.  
28- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:  
29- تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، ط6.  
30- العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح:  
31- معرفة الثقات، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1989.  
32- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي:  
33- تاريخ مدينة دمشق، ج55، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998م.  
34- العلائي، صلاح الدين أبو سعيد كيكلي:  
35- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، دار الكتب، بيروت، ط2، ص1986م.



- 36- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان:  
37- المعرفة والتاريخ، دار الكتب، بيروت.  
38- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل:  
39- البداية والنهاية، دار البيان العربي، مصر، 2006م.  
الكلبي، هشام بن محمد بن السائب:  
40- جمهرة النسب، د.ط.  
المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج:  
41- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.  
مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج:  
42- صحيح مسلم، دار ابن رجب، 2002م.  
المقدسي، المطهر بن طاهر:  
43- البدء والتاريخ، د.ط.  
أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله:  
44- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.  
النووي، أبي زكريا محيي بن الدين بن شرف:  
45- تهذيب الأسماء واللغات.  
ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري:  
46- السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.  
الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد:  
47- المغازي، عالم الكتب، بيروت.  
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله:  
48- معجم البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.  
ثالثاً: المراجع  
أحمد، مهدي رزق الله:  
49- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ط1، 1992م.  
حاجي، خليفة:  
50- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.  
الدوري، عبد العزيز:



51- نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000م.

سليم عمرو عبد المنعم:

52- تيسير علوم الحديث للمبتدئين، دار الفاروق، ط4، 2000م.

عثمان، محمد فتحي:

53- المدخل إلى التاريخ الإسلامي، دار النفائس، بيروت، ط2، 1992م.

عطوان:

54- رواية الشاميين للمغازي والسير في القرنين الأول والثاني الهجريين، دار الجيل، ط1، 1986م.

الوافي، محمد عبد الكريم:

55- منهج البحث في التاريخ التدوين التاريخي عند العرب، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي.





## ظاهرة نسخ المخطوطات بالجزائر منطقة معسكر أنموذجا

د بوكعبير تقي الدين  
جامعة وهران 01 أحمد بن بلة  
الجزائر



## مقدمة

عرف المسلمون عملية النسخ منذ بداية الدعوة النبوية، حيث اتخذ النبي صل الله عليه واله وسلم كتيبة للوحي كما كان بعض الصحابة يدونون بعض أحاديث رسول الله مستعملين كل ما يصلح للكتابة من ورق وسعف نخل وعظام. وقد جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ونسخ في عدة نسخ ووزع على الأمصار. ومع تطور العلوم واهتمام المسلمين بها وكثرت حركة التأليف ظهر ما يعرف بالنساخ والوراقين، وهي الفئة التي اهتمت بنسخ مختلف الكتب حتى صار لها في بعض العواصم العلمية كبغداد وفاس وقرطبة رواق خاص بهم رواق الوراقين .

لم تكن الجزائر (المغرب الأوسط) بمعزل عن هذا النشاط خاصة مع اهتمام علماء الجزائر بالعلوم العقلية والنقلية فأكثروا من حركة التأليف وراجت كتبهم الأمر الذي أدى إلى رواج مهنة النسخ وهذا في غياب استعمال آلة الكتابة، التي كانت معروفة آنذاك في أوروبا. فمن العلماء الذين عرفوا بنسخ المخطوطات الإمام السنوسي حيث اتصف بكثرة جمعه ونسخه لكتب العلم أو اختصارها خاصة إذا كانت للمتقدمين من أهل العلم قال الملالي رحمه الله: "ينسخ بيده من تصانيف العلماء ودواوين القدماء، وقد رأيت عنده كثيرا من كتب العلماء بخطه رضي الله عنه".<sup>1</sup>

عرفت معسكر كغيرها من المدن العلمية الجزائرية ظاهرة نسخ المخطوطات<sup>2</sup>، أشهرهم وأكثرهم نسخا الشيخ محمد بن يوسف الزياتي والشيخ البشير محمودي، اللذان كرسا حياتهما لنسخ مخطوطات علماء المنطقة كالشيخ أبي راس الناصر وغيرهم من الأعلام. وعليه سأحاول خلال هذه المداخلة التعريف ببعض هؤلاء النساخ مع تحديد منهجيتهم في نسخ المخطوطات والأدوات التي استعانوا بها، مع وضع نماذج عن بعض المخطوطات التي نسخوها.

### أ) ترجمة الشيوخ النساخ:

#### 1 سيدي عبدالقادر بن يسعد:

أبو ابراهيم عبدالقادر الشهير بالبرذعي، من الأشراف القادمين من المغرب الأقصى والذين استقروا بسهل غريس توفي سنة 1055هـ / 1645م، تتلمذ رحمه الله على يد الشيخ سيدي محمد بن علي المجاجي، كما حرص رحمه الله على نسخ الكتب حيث بلغ مقدارها عشر مائة كتاب حيث كان يكلف طلبته بنسخها له، ونظرا لمواقفه

<sup>1</sup>الملالي: المواهب القدسية في المناقب السنوسية، مخطوط مصور بمكتبتي، اللوحة 24

<sup>2</sup> نشير على سبيل المثال إلى:

- أبي محمد عبد القادر بن يسعد البرادعي المعسكري عاش خلال القرن 10 هـ ، الذي نسخ مخطوط إظهار صدق المودة للشيخ زروق
- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن بغداد المعسكري الذي نسخ مخطوط زهر الشماريخ لأبي راس الناصر .
- محمد المشرفي المعسكري الذي نسخ مخطوط رحمة الأمة في اختلاف الأئمة لأبي راس الناصر اطلعت على بعضه ومنعني صاحبه من تصويره فحسبنا الله .
- السنوسي بن عبد القادر الدحاوي الذي نسخ مخطوط كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق
- محمد بن عبد القادر بن المصطفى المشرفي المعسكري الذي كان ينسخ المخطوطات بالأزهر الشريف بعد رحيله من الجزائر اثر الاحتلال الفرنسي .



من بعض الحشم القاطنين بغريس انتقل إلى منطقة الدبة حيث بني لمكتبته هذه قبة لاتزال إلا اليوم قائمة بها بعض الأوراق المتناثرة<sup>3</sup>.

#### بعض المخطوطات التي نسخت له:

- مخطوط خير الكلام على البسمة والحمدلة للشيخ أبي زكريا الأنصاري نسخه للشيخ عبد القادر بن يسعد، تلميذه الشيخ أبي محمد عاشر بن يحيى بن عاشر الأندلسي بتاريخ 6 ربيع الأول 1051هـ / 14 جوان 1641م.

- شرح إظهار صدق المودة في شرح البردة للإمام زروق نسخه تلميذه الشيخ أبي محمد عاشر بن يحيى بن عاشر الأندلسي بتاريخ.

#### 2 محمد المصطفى بن هدية بن المصطفى بن محمد بن بن علي الخروبي القلعي الراشدي

##### المخطوطات التي قام بنسخها:

جزء من ديوان العبر لابن خلدون يشتمل على الطبقة الرابعة من العربية المستعجمة فرغ من نسخه يوم الخميس عند اصفرار الشمس في آخر شهر الله شوال سنة 1200هـ / أوت 1786م

#### 3 محمد بن احمد بن محمد المكني أبو زيان

نسخ حاشية الشيخ الشبرخيتي على خليل كتاب البيوع فرغ من نسخه 22 رمضان 1258 هـ / 26 أكتوبر 1842م<sup>4</sup>.

#### 4 الشيخ محمد المشرفي:

محمد بن محمد بن المصطفى المشرفي قال عنه العربي المشرفي " أنجب أهل الوقت في علم الأدب<sup>5</sup> "، وقال عنه: " فاق أقرانه في فصاحة اللسان وبلاغة الحسان .... ولا زال صغير السن كبير القدر في الفن<sup>6</sup> ". ولد حوالي سنة 1839م / 1255 هـ<sup>7</sup>، وهاجر أبوه إلى فاس في حدود سنة 1844 م / 1260 هـ<sup>8</sup>، درس محمد المشرفي على أبرز شيوخ عصره وأشهرهم فكرا وفقها و تدينا وتدريسا في مقدمتهم ابن عمه العربي المشرفي<sup>9</sup>.

##### المخطوطات التي قام بنسخها:

- البيديري: تنوير قلوب أهل التقوي والمعارف بنسب سادات غريس الموسومين بالمشارف.
- التوجيني: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس.
- تقييد في نسب المشارف
- أبو راس الناصر: رحمة الأمة في اختلاف الأئمة

<sup>3</sup> تقييد نسب سيدي عبد القادر بن يسعد، مخطوط مصور بمكتبتي ورقة واحدة

<sup>4</sup> مخطوط بخزانة الشيخ البشير محمودي

<sup>5</sup> العربي المشرفي: باقوتة النسب، اللوحة 21

<sup>6</sup> العربي المشرفي: ذخيرة الأواخر، ص 74.

<sup>7</sup> محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي: الحل البهية، ج 01، ص 65.

<sup>8</sup> محمد المشرفي: الحل البهية، ج 01، ص 66

<sup>9</sup> عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، ج 01، ص 147.



- تقيدات محمد الدسوقي على شرح أم البراهين لمحمد بن يوسف السنوسي نسخة بالأزهر الشريف  
5 محمد بن عبد الرحمن بن مرسل:

#### المخطوطات التي قام بنسخها:

- سيرة الأمير عبد القادر لأخيه محمد السعيد بن محي الدين
- منظومة الشيخ احمد بن محمد بن فرج الاشبيلي
- منظومة سؤال بعض أهل الذمة من اليهود لأهل السنة والجواب عليها للشيخ أبو سعيد فرج بن القاسم الثعلبي الغرناطي.
- قصيدة للأمير عبد القادر
- غوثية للشيخ أبي الفضل قاسم البوني
- القصيدة اللامية للشيخ أبي حفص عمر بن الورد

#### 6 محمد بن يوسف الزياتي<sup>10</sup> :

هو الشريف الصمداني القدوة الرياني العلامة السيد محمد بن عبد القادر بن عدة بن احمد بن يوسف<sup>11</sup> الزياتي، ولعل المقصود بالبرج هنا برج شلابي أو ببرج الشيخ بن زيان بأعلا سيق، ولذا عرف بالزياتي، وليس المقصود به برج عياش أو برج ولد المخفي كما ذهب إلى ذلك كل من الشيخ المهدي البوعبدلي والأستاذ يحي بوعزيز رحمهما الله، وهو ينتمي إلى عائلة علمية فتشير المصادر مثلا أن عمه أحمد بن يوسف كان مستشارا للباي إبراهيم الملياني.

لا يعرف تاريخ ميلاده ولا وفاته بدقة كان حيا في الربع الأول من القرن التاسع عشر ميلادي، حيث من يقرأ مخطوطة أقوال التأسيس يكاد يجزم بأن صاحبها يتحدث عن أحوال الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى وبالتالي فإن الشيخ عياش أحداث هذه الفترة، يشير الشيخ المهدي البوعبدلي أنه تولى خطة القضاء في كل من البرج سنة 1861م، ثم انتقل ليتولى خطة القضاء بتليلات سنة 1883م ومنها انتقل إلى سيق ليتولى خطة القضاء بها إلى أن مات بها<sup>12</sup>.

من شيوخه الشيخ الشقراني<sup>13</sup> صاحب كتاب القول الأوسط بأخبار من حل بالمغربيين الأقصى والأوسط ومن تلامذته الأغا بن عودة المازاري الذي ذكر وصية شيخه له فقال: " عليك بتقوى الله العظيم في الحركة

<sup>10</sup> ترجم له كل من :

- الأغا بن عودة المازاري : طلوع سعد السعود، ج 01 ، دار البصائر الجزائر 2007 ، ص 368 .  
- محمد بن يوسف الزياتي : دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم و تحقيق المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1978 .  
<sup>11</sup> الجزء الثاني من مختصر خليل نسخ الشيخ الزياتي ، مخطوط بمكتبة خاصة ، اللوحة الأخيرة .

<sup>12</sup> الزياتي : نفس المصدر، ص28

<sup>13</sup> أحمد بن عبد الرحمن المداحي البوشيخي الشقراني المعسكري:

إن المعلومات حول هذه الشخصية تكاد تكون منعدمة اللهم إلا ما يمكن استخلاصه من كتابه القول الأوسط ففيه أشار أنه كان يدرس بقرية افكان ثم انتقل للدراسة بمدينة معسكر سنة 1253 هـ / 1837 م حيث قال متحدثا عن بعض زملائه: " وكنا نقرأ نحن وطلبهم في المعسكر ... " ، ويظهر أنه كان حي إلى غاية تاريخ 1303 هـ / 1885 م وهو آخر تاريخ يذكره بكتابه، وأنه توفي قبل سنة 1890 م وهو تاريخ إنهاء كتابة طلوع سعد السعود حيث جاء فيه نص يفهم منه أنه حين ألف المازاري كتابه كان الشيخ أحمد قد مات حيث قال : " اسكنه الله بفضله دار التهاني." من أشهر تلامذته الزياتي الذي قال عنه: " شيخنا العلامة السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمن الشقراني "، ووصفه المازاري تلميذ تلميذه فقال: " العلامة شيخ شيخنا السيد الحاج احمد بن عبد الرحمن البوشيخي الشقراني... " ، وقال مرة أخرى: " العلامة الرباني الشيخ السيد الحاج بن عبد الرحمن البوشيخي الشقراني."



والسكون ، والأداء لما فرضه الله عليك من قواعد الإسلام الخمسة التي هي نقطة الظل والحركة والسكون ، وملازمة الطهارة مائة أو ترابية ، لبدل الثانية عن الأولى في حالة الأعذار المصابية ، وعليك بالمدامومة لذكر الله حتى يكون لسانك رطبا بذكر الله ، وإياك والترخي أو الغفلة عن أداء فرض الله ودع الظلم فإنه ظلمة يوم القيامة، وإلزم العدل فإنه يكون صاحبه في أعلا (كذا) الدرج في الجنان ولا يخشى في مواقف القيامة، وكن محبا للعلماء والأولياء وسائر الطلبة والشرفاء ، وراحما بالفقراء والمساكين والأرامل واليتامى والضعفاء وكن كافلا لليتامى والأرامل، ومرقفا برعبتك ومشفقا من حالهم في سائر المسائل، فإنك راع لهم وكل راع مسئول عن رعايته، وألزمهم الصدق تخلص من رذائل الشيطان في بديانه (كذا) ووسطه ونهايته، وممل مع الحق حيث مال واجتنب الباطل ولا تلتفت فيه لقول من قال، واخفض جناحك لجملة العباد، وإياك الكبر والتجبر فإنه هو عين المضرة والفساد، وعليك بزيارة ذوي الفضل أحياء وأمواتا، وادع لنفسك ونسلك وقرابتك وكافة المومنين عندهم بما فيه النجاة يوم تصير الناس عظاما رفاتا، ولا تمل (كذا) من مطالعة الكتب سيما كتب الفقه والتفسير والحديث، فإن فيها النجاة من البلاء القديم والحديث، فهذا ما أوصيك به وإذا عملت بهذه الوصية الباهرة، نجوت من سائر الأضرار والمهلكات في الدنيا والآخرة. وكتب محمد بن يوسف الزياتي، رحمه الله ورحم أبويه وكافة المؤمنين وأسكن الجميع دار التهانى<sup>14</sup>.

كما كان للشيخ الزياتي مراسلات مع علماء زمانه مثل الشيخ علي بن عبد الرحمن الجزائري مفتي وهران. يظهر أن الشيخ محمد بن يوسف أتقن علوم عديدة معلم اللغة والتاريخ والتفسير والفقه وحتى علم الحديث، حيث يذكر المازاري عن شيخه الزياتي فائدة حديثية، قال ما نصه: "فلقد حدثني عنه شيخنا العلامة الصمداني ، الدراكة الرباني، الحسنسي السديدي محمد بن يوسف الزياتي، أنّ هذا المرحوم سأل بمحضره العلامة الرباني الشيخ السيد الحاج بن عبد الرحمن البوشيخي الشقراني، عن قوله صلى الله عليه وسلم أكرموا عمّتكم النخلة هل هذا الحديث صحيح أو باطل، وعلى صحته فما وجه تسميتها بالعمّة في أكرم الأقاويل، فأجابته الشيخ بأنه لم يسمع بهذا

مما ذكره تلميذه الزياتي وتلميذ تلميذه المازاري يفهم أن الشيخ أحمد يرجع في نسبه إلى أولاد سيدي الشيخ دفين لبييض سيدي الشيخ حاليا فهو من ذرية أبي بكر الصديق، وقد استقر بمنطقة معسكر عدد من البوشيخين على سبيل المثال السيد عبد القادر بن الحمياني شيخ الطلبة والذي توفي ودفن بجبال بن شقران سنة 1285هـ/ 1868م وقره مشهور بزار، و السيد الحاج الموفق الكبير بن سعيد الشقراني ثم البوشيخي الذي عاش زمن الباي خليل وكان ممن دعى على هذا الباي نظرا لظلمه وتجبره.

أما كلمة المداحي فلم يظهر لنا معناها كما يفهم كذلك مما أورده تلميذاه أن الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني ممن حج بيت الله الحرام لكن لا تسعنا المصادر في تحديد تاريخ رحلته إلى المشرق .

من خلال كتابه القول الأوسط يظهر أن الرجل كان من النخبة المتعلمة، مطالعا لكتب التاريخ مستشهدا بها، ذو ثروة لغوية وثقافة دينية فكثيرا ما يقتبس من القرآن ويستشهد بالأحاديث النبوية ويذكر بعض الآيات الشرعية، وإن ذكر المازاري أنه عجز عن الجواب عن سؤال وجه له حول صحة حديث النبي صل الله عليه وآله وسلم: "أكرموا عمّتكم النخلة"، فأجاب بأنه لم يسمع به إلا حين طرح عليه السؤال وأن فهمه وعلمه قاصر عن إدراك معنى الحديث لقلّة بضاعته في الصناعة الحديثية.

أشار المازاري أن الشيخ أحمد الشقراني ممن شارك في صفوف جيش الأمير عبد القادر خلال معركتي المقيتلة والمقطع حيث قال ما نصه : " السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمان المداحي البوشيخي الصديقي الذي من بني شقران ، في كتابه وكان حاضرا للواقعة ، ذات الأحوال الناصعة". من مؤلفاته القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط حقه ونشره الدكتور ناصر الدين سعيدوني، كما نسب له الشيخ يحي بو عزيز رحمه الله كتاب " القول اليقين في وقائع هبرة مع الإسبانيين "، في حين أن المازاري نسبه للحافظ أبي العباس أحمد ابن محمد الشقراني، فهل هما شخصية واحدة أم شخصيتين مختلفتين، لا يسعنا الآن الجزم في ظل عدم أطلاعنا على مخطوط القول اليقين والتأكد من هوية مؤلفه. انظر ترجمته:

- احمد الشقراني: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، ط01، دار الغرب الإسلامي 1991.

- الزياتي : نفس المصدر، ص 178

الأغا بن عودة المازاري: نفس المصدر، ج01 و ج02

<sup>14</sup> الأغا بن عودة المازاري: نفس المصدر، 294-293/2



الحديث إلا منه في هذه الساعة وأنه في فهم معناه لقليل البضاعة، فسأل شيخنا من شيخه الإذن في الجواب، فأذن له فقال له شيخنا إن الحديث صحيح مذکور في غير ما كتاب، وقال صاحب المزیة فيه النخل هو شجر البلح وهي أول شجرة استقرت على وجه الأرض، وأنها شجرة مباركة توجد في كل مكان في النفل والفرص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا عمّكم النخلة، وإنما سميت عمّتنا في واضح القولة، لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام ولأنها تشبه الإنسان بالاحتكام، من حيث استقام قَدّها وطولها بالإثبات، وامتنياز ذكرها من بين النبات، واختصاصها باللقاح، ورائحة طلعها كرائحة المني بالإنشراح، ولطلعها غلاف، كالبشمة (كذا) التي يكون فيها الولد للاغتلاف، ولو قطع رأسها لماتت، ولو أصاب جمارها أفة (كذا) لهلكت وفاتت، وأن الجمار من النخل كالمخ من الإنسان، وعليها الليف كشعر الإنسان، وإذا تقارنت ذكورها بين أناتها ألقحتها بالريح لاشتراقه، وربما قطع أفعها من الذكور فلا تحمل بفراقه، وإذا دام شربها للماء العذب تغيّرت وإذا سقيت المالح وطرح الملح في أصولها حسن ثمرها وتحررت، ويعرض لها أمراض مثل الإنسان، منها الغم والعشق ومنع الحمل وسقوط الثمر بعد الحمل كما ذلك في الإنسان، فأخذ السائل يد شيخنا وقبلها، وشرفها في التقبيل<sup>15</sup>.

#### مؤلفاته ونشاطه العلمي:

1- لعل أهم عمل تركه لنا الشيخ محمد بن يوسف الزباني والذي لا يمكن لاي باحث في تاريخ بابلك الغرب أن يستغني عنه كتابه دليل الحيران وأئيس السهران في أخبار مدينة وهران، هذا الكتاب الذي يعتبر خلاصة تاريخ وهران حيث اعتمد فيه صاحبه على أهم المصادر التي كانت متاحة أمامه خاصة مؤلفات الشيخ أبي راس الناصر المعسكري وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ المهدي البوعبدلي، لكن يظهر أن الشيخ تصرف في متنه ولم يحققه كله .

2- أقوال التأسيس عما وقع وسيقع من الفرنسيين: هذا الكتاب وبمراجعة جل النسخ الخطية المتوفرة منه نجده منسوباً للشيخ أبي راس الناصر المعسكري لكن نجد الشيخ المهدي البوعبدلي ومن بعده الشيخ أبو القاسم سعد الله يشككان في نسبته له ويرجحان أنه من تأليف الشيخ محمد بن يوسف الزباني نفسه حيث يعتبر الشيخ المهدي البوعبدلي أن مخطوط أقوال التأسيس هو تنمة لكتاب دليل الحيران حيث يقول في مقدمة تحقيقه لدليل الحيران: "ومؤلفنا من أصحاب هذه الفكرة كان يقظاً بصيراً بالشؤون العالمية فاراد أن ينبه مواطنيه ويرشد الشعب إلى خطر خطة الإستعمار وقد اختفى وراء المؤرخ أبي راس الذي هو محل ثقة الشعب..."<sup>16</sup>.

3- طلوع سعد السعود: هذا الكتاب الهام في بابيه عقد محققه المرحوم يحي بوعزيز مبحث عنونه بـ: "هل مخطوط طلوع سعد السعود من تأليف المازاري؟" نقل في هذا المبحث بعض النصوص التي صرح أصحابه بأن مؤلف طلوع سعد السعود هو محمد بن يوسف الزباني وليس المازاري معتمداً على بعض الروايات المحلية والتي مفادها أن الشيخ الزباني تنازل عن هذا الكتاب للمازاري مقابل وظيفة ، وأن القدرات العلمية للمازاري لا تأهله لكي يؤلف كتاباً مثل طلوع سعد السعود والنقطة الثالثة أن مضمون طلوع سعد السعود يشبه تماماً مضمون دليل الحيران .

<sup>15</sup> الأغا بن عودة المازاري: نفس المصدر، 310/2

<sup>16</sup> الزباني: نفس المصدر، ص30



ويخلص الشيخ يحي بوعزي في الأخير فيقول: " إن هذه المقارنة تثبت لما لا يدع مجالاً للشك بأن مخطوط طلوع سعد السعود إما أن يكون للزياني نفسه ونسبه المازاري لنفسه لظرف من الظروف التي حكي منها شيئاً مارسيل بودان، أو يكون المازاري نقله حرفياً من كتاب دليل الحيران وتصرف فيه قليلاً .... واستغل مركزه كأغا ليقنع شيخه الزياني أو يرغمه على السكوت وقبول الأمر والواقع وليس هناك تفسير آخر غير هذين التفسيرين<sup>17</sup> .

على أنه فيه بعض المعطيات التي لم يذكرها الزياني في دليل الحيران وأوردها المازاري في طلوع سعد السعود ولعله دليل قوي على أن هذا الكتاب للمازاري وربما استعان بالمصادر السابقة خاصة كتابات شيخه الزياني .

-4 فتاويه: للشيخ الزياني فتاوي عديدة بحكم منصبه كقاضي صرح الشيخ المهدي البوعبدلي بإطلاعها على الكثير منها بعضها مبثوث في حواشي المخطوطات التي كان ينسخها.  
**مواقفه من بعض قضايا عصره:**

لقد أبدى الشيخ محمد بن يوسف موقفه بكل صراحة من السلطة التركية بالجزائر خاصة في آخر عهدها إذ قال: " واعلم : أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم وفسادهم ، وعتوهم في الخلق وعنادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم والمناكر ، وتواتر ذلك على الألسنة بغاية المتواتر فاشتغل العلماء في ذكر ذلك في نثرهم ونظمهم ، وسألت الناس الله أن يزيل بهم ما حلّ من ظلمهم ، فمن ذلك قول العلامة الأديب الشاعر الدراكة اللبيب الماهر أبي عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني الحاذق النبيل ، في قصيدته النونية التي هي من بحر الطويل

بنا السدّ ذو القرنين للناس رحمة \*\*\* فيا ليتته من شوكة الترك هتّنا<sup>18</sup>"

أما موقفه من السلطة الفرنسية فواضح خاصة من خلال تقلبه في منصب القضاء وإن صحت نسبة كتاب أقوال التأسيسي له ففيه كثير من النقد للسياسات الفرنسية بالجزائر ولعل سبب عدم تصريحه بنسبته له نظراً لما احتواه من انتقادات ضد سلطة الاحتلال الفرنسي .

#### المخطوطات التي قام بنسخها:

- الكوكب الدرّي في الكلام على الجدري لأبي راس الناصر فرغ من نسخه يوم الاثنين 6 محرم 1312هـ<sup>19</sup>
- الإبريز والإكسير في علم التفسير للشيخ أبي راس الناصر مبتور الأخير و بالتالي يستحيل معرفة تاريخ نسخه .
- الجزء الأول من واسطة عقد الحواشي علي جيد شرح الشيخ الخراشي لأبي راس الناصر .

<sup>17</sup> الأغا بن عودة المازاري: نفس المصدر، 46/1

<sup>18</sup> الأغا بن عودة المازاري: نفس المصدر، 369-368/1

<sup>19</sup> الموافق لـ 8 / 7 / 1894 م انظر:

- أبو راس الناصر : الكوكب الدرّي في الكلام على الجدري ، تحقيق بوكعبر بلقرّد ، مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر ، 2004 ، ص ص 43\_44 .



- منظومة نظم عجيب في فروع قليل نصها مع كثرة الوقوع للشيخ أبي راس الناصر .
  - الشقائق النعمانية للشيخ أبي راس الناصر مبتور الأخير<sup>20</sup> .
  - شرح العقيدة السنوسية لسيد علي بن سعد العسكري .
  - رسالة حول الخرقفة الشريفة لسيد أحمد بن يوسف الملياني لم يقيد بها تاريخ نسخها .
  - \_ الجزء الثاني من مخطوط مختصر خليل فرغ من نسخه في 18 جمادي الثاني 1288 هـ<sup>21</sup>
  - كناش يظم مجموعة من الأشعار و الأخبار .
  - كتاب دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران وهو من مؤلفاته .
  - مخطوط ورد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي مبتور الأخير .
- 7 الشيخ البشير محمودي<sup>22</sup>:**

البشير بن الحاج قدور بن البشير محمودي ولد الشيخ بقرية عمراوة ببلدية المناور في 3 جوان 1906 حفظ القرآن الكريم في طفولته ثم رحل طلبا للعلم إلى عدة زوايا حيث بقي بسجراة مدة خمس سنوات يدرس العلم الشرعي ثم انتقل إلى قرية قريبة من تلمسان ليتم فيها تعليمه جند في صفوف الجيش الفرنسي ضمن الخدمة العسكرية الإجبارية وتعرض للسجن مدة 10 سنوات بتهمة قتل بهائم الكولون وقطع الأشجار كما تعرضت أسرته مرات عديدة لمضايقات الاستعمار كان أشدها حرق خزانة مخطوطات جده سيدي عمر بن دوية التي كانت تضم أكثر من 400 مخطوط .

تفرغ الشيخ من جديد للعلم وبدأ في جمع ونسخ المخطوطات في ميادين مختلفة حيث سافر إلى مدن عديدة لا شيء سوى لنسخ المخطوطات وإعادة مكتبة مخطوطات الأسرة كما كانت عليه من قبل، فتوجه نحو فاس والقيروان وجامع الزيتونة. واستطاع الشيخ أن يعيد مكتبة أجداده إلى ما كانت عليه حيث تظم الآن بين رفوفها أكثر من 400 مخطوط.

توفي رحمه الله في 4 فبراير 2003 ودفن بالبرج \_ ولاية معسكر \_، فرحمه الله ما أكرمه وجعل عمله هذا \_ حماية التراث \_ في ميزان حسناته.

نسخ الشيخ حوالي 37 مخطوط ونتيجة لتمكنه وإمامه بتراث علماء الجزائر، فإنه كانت بينه وبين بعض العلماء والباحثين مراسلات عديدة نذكر على سبيل المثال الشيخ النعيمي والشيخ المهدي البوعبدلي<sup>23</sup> .

### بعض المخطوطات التي قام الشيخ البشير بنسخها:

<sup>20</sup> لم يرد اسم الناسخ في هذه المخطوطة لكن خطها يشبه كثيرا خط الزياني حتى طريقة استعمال الألوان و طريقة رسم الحرف و التعليقات في الهامش ما جعلني أرجح أنها من نسخ الزياني  
<sup>21</sup> الموافق لـ 1871 / 9 / 3 م  
<sup>22</sup> ترجمة للشيخ اعتمادا على:  
- مقابلة مع ابنه أحمد في بيت الشيخ ببلدية البرج بولاية معسكر بجوان 2014  
- حمدادو بن عمر :مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي ، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، العدد الأول جوان 2003 ، ص ص 156 \_ 168 .

<sup>23</sup> طبعة ضمن الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي الجزء 06 وهي من بين المراجع الهامة الخاصة بتاريخ بابلوك الغرب .





- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جري بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار حيث أتم نسخه كما هو مسطر في المخطوطة يوم الخامس مارس 1962 .
  - مخطوط الخبر المعرب عن الأمر المغرب والحال بالأندلس وثور المغرب انتهى من نسخه في رجب 1266هـ .
  - الدر المهدي لغوثية أبي المهدي وهو شرح لأبي راس الناصر على غوثية أبي المهدي سيدي عيسى بن موسى، انتهى من نسخه في 25 سبتمبر 1961
  - الدر الأنيقة في شرح العقيدة انتهى من نسخه يوم 24 جويلية 1961
  - منظومة للشيخ لأبي راس الناصر في القضاء .
  - الرحلة القمرية في السيرة المحمدية لابن زرفة الدحاوي .
  - شرح على منظومة الشيخ أبو عبد الله محمد بن احمد البرجي الفلالي للشيخ محمد بن احمد بن إبراهيم السملالي تاريخ نسخها 17 أفريل 1963 م
- كما أن الشيخ نسخ مخطوطات أخرى لأعلام الآخرين مثل عقد الجمان النفيس وغوثية أبي المهدي وكثير من الكتب الفقهية مثل مختصر خليل وشرح الصغرى للسنوسي ودليل الحيران وأنيس السهران للزياني وغيرها الكثير .

#### 8 الشيخ بلعيد برواين:

هو الشيخ الحافظ المقرئ النسابة المؤرخ بل هو مؤرخ الراشدية بلا شك الشيخ بلعيد برواين من مواليد 16 ديسمبر 1963م ببلدية بوحنيفية ولاية معسكر، عاش الشيخ رحمه الله يتيما حيث توفي والده وهو صغير فتولي تربيته تربية صحيحة الولية الطاهرة الطبية الماهرة العارفة الصابرة موجيلالي ( أم الجيلالي) رحمها الله.

تتلمذ الشيخ على مشايخ المنطقة أشهرهم الشيخ الجليل الطاهر الشارف رحمة الله عليه، فأحفظ القرآن الكريم وأتقن رسمه حتى صار ممن يشار لهم بالبنان في هذا الفن بناحية معسكر، يعتبر الشيخ بلعيد خاتمة نساخ المخطوطات بمنطقة معسكر على الطراز القديم من استعمال الأدوات الطبيعية كصناعة الأقلام والمداد بمختلف أنواعه، كما يعتبر الشيخ من أحفظ انساب المنطقة وأعلم بتاريخها وتراجم رجالها، ومن ذلك اشتغاله بتأليف كتاب حول تراجم أسلافه سماه "أريج زهر رعي الحمام في سيرة الأسلاف العظام ونسب شرفاء وادي الحمام"، كما له مقالات حول تاريخ الأمير عبد القادرو بعض تراجم رجال المنطقة، وما يلي يمثل ثبت المخطوطات التي قام بنسخها:

- القول الأعم للشيخ الطيب بن مختار
- منظومة سيدي عيسى بن موسى وشرحها للشيخ الأعرج السليمان الغريسي
- السلسلة الوافية والياقوتة الصافية للشماوي
- كتاب الإعتبار وجواهر الأسرار

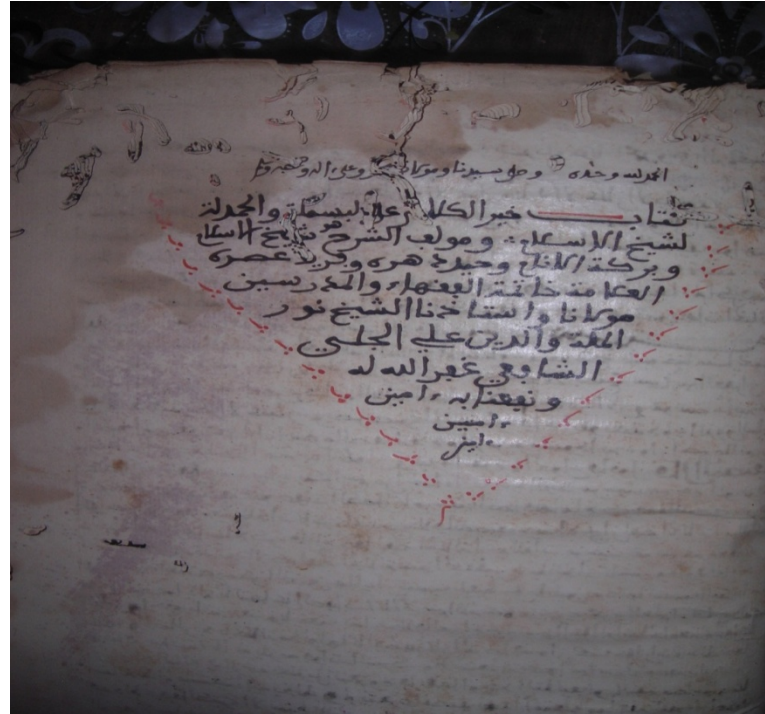


- رد العربي المشرفي على أبي راس الناصر
- فلك الكواكب للشيخ أبي عبد الله المغوفل
- رسالة سيدي علي الشريف إلى شيخه سيدي علي بن عثمان والد خله سيدي عبد الرحمن المعروف بسيدي دحو
- نسخ أعمدة نسب عديدة طلبت منه، وتراجم لبعض الشخصيات العلمية بالمنطقة
- نسخ مجموعة من الأنصاف القرآنية تعود لشيخه الحاج الطاهر الشارف رحمه الله



ب) نماذج عن المخطوطات المنسوخة:

نماذج عن بعض المخطوطات المنسوخة للشيخ عبد القادر بن يسعد:



خير الكلام على البسملة والحمدلة



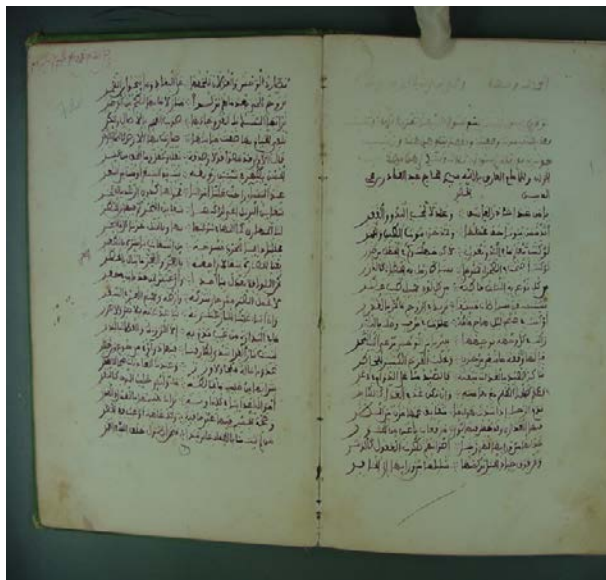
أظهار صدق المودة بشرح البردة



نماذج عن بعض المخطوطات التي نسخها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن مرسل:

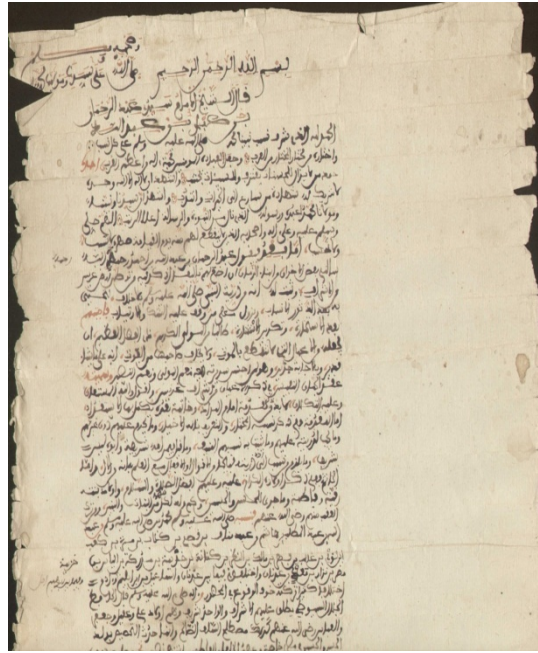


سيرة الأمير عبد القادر لأخيه محمد السعيد

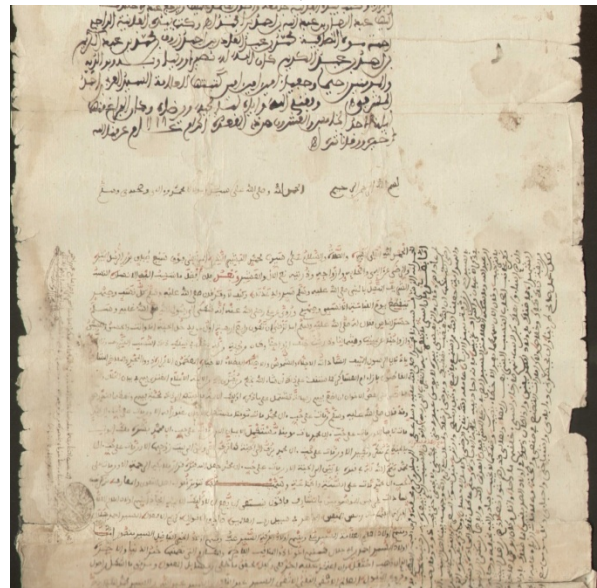


قصيدة للأمير عبد القادر

نماذج من بعض المخطوطات التي نسخها الشيخ محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي:



ابو زيد عبد الرحمن التوجيني: عقد الجمان النفيس

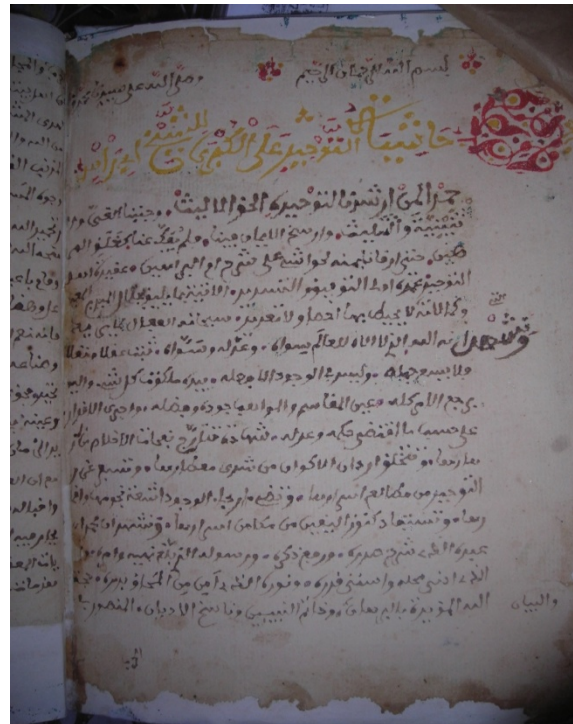


البيدري: تنوير قلوب أهل التقوي والمعارف بنسب سادات غريس الموسومين بالمشارف



تقييدات على أم البراهين لمحمد الدسوقي

د/ نماذج عن بعض المخطوطات التي نسخها الزياتي :



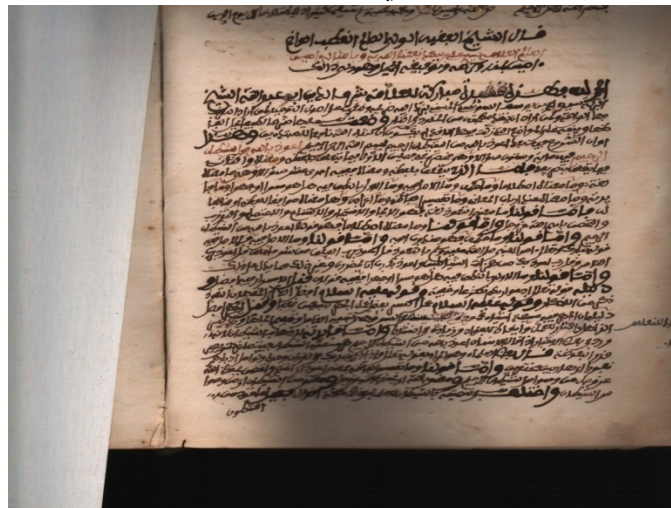
حاشية الشيخ أبي راس الناصر على كبرى الإمام السنوسي



الإكسبر الإبريز في تفسير القرآن للشيخ أبي راس الناصر



الشفايق النعمانية للشيخ أبي راس الناصر



شرح سيدي علي بن سعد المعسكري على السنوسية  
نماذج لمخطوطات نسخها الشيخ البشير محمودي :



ياقوتة النسب الوهاجة للشيخ أبي محمد العربي المشرفي



عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس للشيخ عبد الرحمن التوجيني



الدر المهدي لغوثية الشيخ أبي المهدي للشيخ أبي راس الناصر





عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لأبي راس الناصر



دليل الحيران للزياني

### ج) أهمية عمل هؤلاء الناسخ:

بملاحظة العناوين التي قام المشايخ بنسخ مضايمينها فإن أغلب هذه المخطوطات تخص علماء وتاريخ منطقة معسكر خلال فترة التواجد التركي ويمكن أن نلخص أهمية عملهم هذا في النقاط التالية:

- الحفاظ على الموروث الثقافي لعلماء المنطقة، وحفظه من الضياع.
- المحافظة على مهنة نسخ المخطوطات، التي بوفاة الشيخ محمودي انقطع العمل بها.
- مد الباحثين و المفكرين بمادة علمية لو لم يحافظ عليها ولم يتم نسخها لضاعت.
- ذكر تراجم بعض الأعلام من علماء الجزائر عموما ومعسكر خصوصا.
- إمكانية تحديد سلاسل نسب الأسر الشريفة بالمنطقة، حيث كان النساخ دائما ما يدونون في آخر المخطوط سلسلة نسبهم.



### الخاتمة:

لقد حافظ هؤلاء المشايخ بعملهم هذا على جزء كبير من مورثنا الثقافي، وعلى نصيب كبير من تاريخ الجزائر عموماً، لأن هذه المصادر التي قاموا بنسخها لو رجعنا لأي بحث أكاديمي يتمحور حول هذه الفترة إلا ووجدنا هذه العناوين تتصدر القائمة الببليوجرافيا لهذا البحث .

تعكس هذه المخطوطات المنسوخة ثقافة النساخ فهي ثقافة دينية بحث قائمة على التمسك بالموروث المحلي لعلماء المنطقة والعمل والإفتاء على منواله، فيظهر من خلال المخطوطات التي نسخوها أنهم كان يعتزون ويحاولون الحفاظ على ما خلفه من سبقه ممن الأعلام إدراكاً منهم لأهميته في تحديد معالم الشخصية الوطنية العربية الإسلامية التي كان المستعمر الفرنسي آنذاك يسعى لتحطيمها .

كما تعكس هذه المخطوطات المنسوخة دقة انتباه النساخ، وعلى مهارتهم في استعمال الخط المغربي الدقيق ودقة المحاكاة، وبالتالي يمكن اعتبار هؤلاء النساخ إضافة إلى كونهم علماء فقهاء متمرسين يمكن اعتبارهم خطاطين فنانيين مبدعين في فن الكتابة والخط.

رغم هذه الأهمية فإن تاريخ هؤلاء المشايخ لم ينفذ عليه الغبار وما نالوا حقهم من الدراسة، فهي دعوة للمهتمين والباحثين من أجل تسليط الضوء أكثر عليهم، وإعطائهم حقهم من البحث والتتقيب خاصة وأن كل ما قاموا بنسخه متاح يمكن الوصول إليه بسهولة.



## نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي ودوره في تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى

جانب قوات الحلفاء 1940 - 1943 م

د. صالح عبد المولى

### ملخص البحث :

جاء تحت عنوان : نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي ودوره في تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى جانب قوات الحلفاء 1940 - 1943 م.

وقسمت عناصر البحث كالآتي :

أولاً : نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي .

ثانياً : جيش التحرير ودوره أثناء الحرب .

ثالثاً : الموقف الشعبي الليبي الداعم لجيش التحرير وقوات الحلفاء أثناء الحرب.

أما أهداف البحث فهي على النحو التالي :

- إبراز فكرة إنشاء جيش التحرير الليبي .

- إبراز مراحل تكوين وتدريب جيش التحرير الليبي .

- إبراز المجهود الذي قام به جيش التحرير أثناء الحرب.

- إبراز الموقف الشعبي الليبي الداعم لجيش التحرير والحلفاء أثناء الحرب .

أهم نتائج البحث :

- توضيح وتبيان فكرة إنشاء وتكوين جيش التحرير الليبي والمعروف بالقوة العربية الليبية والجيش السنوسي .

- مراحل تدريب جيش التحرير الليبي عسكرياً .

- دور جيش التحرير الليبي الهام إلى جانب قوات الحلفاء حتى تحرير بلاده من الاستعمار الإيطالي .



### Abstract of the search

Find below the title: "**The emergence and composition of the Libyan Liberation Army and its role in the liberation of Libya by the reconstruction forces alongside the Allied forces 1940 - 1943.**"

and divided search criteria as follows:

First: origins and composition's Liberation Army of Libyan.

Second: Liberation Army and its role during the war.

Third: position of the popular Libyan booster's stance supporting the Liberation Army and Allied forces during the war.

The objectives of the search is on as follows:

- highlight the idea of the establishing of Liberation of Army Libyan.
- highlight stages configuration and training of Liberation of Army Libyan.
- highlight efforts done with it's of Liberation of Army Libyan.
- highlight position of the popular Libyan boosters' Liberation Army and allies during the war

The important Search results are -:

- Clarifying indicate the idea of the establishment of composition of Liberation Army of Libyan known by Force Arab Libyan Army Snoussi.
- Stages training Liberation Army of Libyan militarily.
- Snoussi of the important to me by Allied forces edit His country of colonialism Italian.



## المقدمة

بعد انتهاء اجتماع مؤتمر جاردن ستي بالقاهرة عام 1940م وعملاً بنص المادة السادسة من قرارته تم الشروع في إنشاء وتكوين جيش التحرير الليبي المعروف بالقوة العربية الليبية والجيش السنوسي ، محاولاً الباحث إبراز فكرة إنشائه وتتبع مراحل تدريبه عسكرياً ومحاولة حصر أعداد المتطوعين من الليبيين والعرب والتعرف على أهمية المواقف الشعبية الداعمة لهذا الجيش وقوات الحلفاء وحتى تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي .

### أهمية البحث :

جاء هذا تحت عنوان نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي ودوره في تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى جانب قوات الحلفاء 1940 - 1943م.

وتعد هذه الفترة الزمنية والتي مرت بها ليبيا مرحلة هامة من حيث تاريخها السياسي والاجتماعي في بلاد المهجر أعطت البحث أهمية تاريخية تستحق البحث والدراسة.

### أهداف البحث :

- إبراز فكرة إنشاء جيش التحرير الليبي .
- إبراز مراحل تكوين وتدريب جيش التحرير عسكرياً .
- إبراز المجهود الذي قام به جيش التحرير أثناء الحرب .
- إبراز الموقف الشعبي الليبي الداعم لجيش التحرير والحلفاء أثناء الحرب .
- ومن أسباب اختيار هذا البحث :-
- لقد جاءت معظم الدراسات والبحوث التاريخية السابقة والتي تناولت الحديث عن جيش التحرير الليبي " القوة العربية الليبية" لم تول اهتماماً ملحوظاً بالدور المهم الذي لعبه هذا الجيش إلى جانب الحلفاء أثناء أحداث الحرب ، كما أن المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع جاءت مبعثرة ومتناثرة وغير متماسكة لاسيما المتعلقة منها بإبراز أهم المتطوعين الليبيين الذين كان لهم دور بارز وهام في أحداث الحرب إيماناً منهم بضرورة تخليص ليبيا وتطهيرها من دنس الاستعمار الإيطالي .

### المنهج العلمي المتبع في البحث :

اعتمد الباحث على المنهج العلمي التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها الأولية ثم القيام بفحصها وتحليلها للوصول إلى أفضل النتائج .

وقد استعان الباحث بجملة من الوثائق الخاصة الغير منشورة والمنشورة وبعض المقابلات الشخصية والكتب والمجلات والرسائل العلمية والصور التذكارية والتي غطت معظم أجزاء البحث .

أما تقسيم البحث فهو كالآتي :



نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي ودوره في تحرير ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى جانب قوات الحلفاء  
1940 - 1943م.

أولاً : نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي.

ثانياً : جيش التحرير ودوره أثناء الحرب .

ثالثاً : الموقف الشعبي الليبي الداعم لجيش التحرير وقوات الحلفاء أثناء الحرب.

وقد استغرق إنجاز هذا البحث قرابة العام تمكنت خلاله من جمع المادة العلمية المتعلقة بالبحث والقيام  
بإجراء بعض المقابلات الشخصية لمحاولة إثراء موضوع البحث علمياً وتاريخياً.

وفي النهاية لا أدعي الكمال ولا يوجد شيء كاملاً سوى كتاب الله عز وجل ، بل هي محاولة متواضعة  
مني لسد النقص في كتاباتنا العربية عامة والليبية خاصة.

والله الموفق



## أولاً: نشأة وتكوين جيش التحرير الليبي :

ترجع فكرة إنشاء وتكوين جيش التحرير الليبي المعروف بالقوة العربية الليبية والجيش السنوسي إلى قرارات مؤتمر جاردن ستي<sup>(1\*)</sup> بالقاهرة والمنعقد في الفترة من 7-9 أغسطس 1940م وبمقتضى المادة السادسة من قراراته ، قام الأمير إدريس السنوسي بتشكيل لجنة خماسية من بعض الزعماء السياسيين والمحاربين القدماء ، وهم صالح الأطيوش وعبد الحميد العبار وعبد الجليل سيف النصر وعمر فائق شنيب وسعيد شلبي ، لدراسة أمر تأسيس القوة العربية الليبية والتي عرفت فيما بعد بجيش التحرير الليبي والجيش السنوسي نسبة إلى صاحب الفكرة الأمير إدريس السنوسي وتم رفع توصياتها إلى الجنرال "كلايتون" حتى يسلمها بدوره إلى الجنرال "ويلسون" قائد القوات البريطانية في مصر والذي كان يرى ضرورة سرعة المبادرة بتشكيل هذا الجيش.<sup>(1)</sup>

ولم يكن هذا الاستعجال البريطاني لتشكيل الجيش الليبي دون مبرر ، فقد كانت بريطانيا تدرك مدى أهمية اشتراك الليبيين في الحرب التي كانت على وشك أن ينقل الحلفاء عملياتها إلى عمق الأراضي الليبية ، فوجود الليبيين إلى جانب الحلفاء يعطي الإنجليز ميزة شرعية للقتال داخل الأراضي الليبية.<sup>(2)</sup> وبالفعل بدأت بريطانيا في تشكيل هذا الجيش وتوفير جميع ما يلزمه من عدة وعتاد أسوة بجيوشها ، فأنشأت أول مكتب لتجنيد المتطوعين الليبيين في القاهرة بشارع بركات بقصر النيل بالقرب من القيادة العامة البريطانية في مصر.<sup>(3)</sup>

وفي يوم 12 أغسطس 1940م ، بدأ تجنيد النواة الأولى لجيش التحرير الليبي واتخذت الشارة السوداء والهلال والنجمة البيضاء رمزاً وراية وطنية له.<sup>(4)</sup>

وتم فتح مكتب آخر لتجنيد المتطوعين الليبيين في الإسكندرية يوم 3 سبتمبر 1940م<sup>(5)</sup>. تم تتابع بعد ذلك إنشاء معسكرات التدريب والإعداد للمتطوعين الليبيين بأبي رواش بمركز إمبابية وعند النقطة الواقعة غرب الأهرام عند الكيلو 9 من الطريق الصحراوي الذي يربط بين القاهرة والإسكندرية وقد تم وضع نصب تذكاري هناك تخليداً لهذا الحدث التاريخي ولا يزال موجوداً إلى غاية الآن ، كما تم تعيين العقيد " بروملو" لقيادة تلك الجيش ويساعده الرائد " ديبروج " .

<sup>1\*</sup> عقد هذا المؤتمر نتيجة اجتماع الأمير إدريس السنوسي مع ويلسون قائد الجيوش البريطانية في مصر ، الذي أبلغه موافقة بريطانيا بمساعدتهم في تأسيس قوة عسكرية من القبائل الليبية الموجودة في مصر من أجل استرداد وتخليص ليبيا من أيدي الإيطاليين وعلى أثر ذلك دعا الأمير إدريس السنوسي مشايخ وزعماء المجاهدين بالقطر المصري أو خارجه للاجتماع بالقاهرة لأجل التباحث في شروط الخدمة المقترحة من بريطانيا ، انظر ، عامر على محمد عبد القادر : موقف مصر تجاه ليبيا منذ القضاء على حركة المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي حتى الانقلاب على الملكية (1931-1969) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، 2016 ، ص 80 ، كذلك ، محمد فؤاد شكري ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة وثائق تحريرها واستقلالها ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، 1957م ، ص 271.



الصورة التذكارية والتي تجسد النصب التذكاري لتأسيس الجيش التحرير الليبي والمعروف بجيش السنوسي ، والمحافظة لدى أسرة التواتي عبدالجليل العرابي .

وعين " أندرسون " ضابط اتصال انجليزي والنقيب عمر فائق شنيب ضابط اتصال ليبي ، كما خصص للخدمة في الجيش الليبي عدد من الضباط الإنجليز ، كان من بينهم النقيب "هزلن" والرائد "بليئر" وملازم أول "بينكوف" وملازم أول "قريتوريكس".<sup>(6)</sup>

وفي بداية تكوين جيش التحرير الليبي حاول بعض المعارضين من المهاجرين الطرابلسيين إثارة الفتن حول تكوين الجيش الليبي في أوساط المهاجرين الليبيين ، فقاموا بتوجيه اللوم والاتهام للأمير إدريس السنوسي مع المخططات البريطانية التي جعلت مصير هذا الجيش في أيديها.<sup>(7)</sup>

وفي اعتقاد الباحث أن هذه ليست الحقيقة المقنعة من وراء إثارة هذه الفتن ومحاولة شق الصف بين المهاجرين الليبيين ، وكما هو معلوم للمتابع لتاريخ المهاجرين الليبيين في مصر يلاحظ بوضوح وجود خلافات سياسة بين الأمير إدريس السنوسي والزعماء الطرابلسيين حول القضايا السياسية ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لعل موقف المهاجرين الطرابلسيين مرده لكون تكوين جيش التحرير الليبي جاء بتوجيهات من الأمير إدريس السنوسي واعتقد الزعماء الطرابلسيين أن تكوينه مقتصر على المهاجرين البرقاويين والدليل على ذلك ما قام به هؤلاء الزعماء الطرابلسيين بضرورة تشكيل جيش طرابلسي منفصل وقد تحقق لهم ذلك حينما توسط لهم عبد الرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية لدى المسؤولين البريطانيين ، وبالتالي فتحوا لهم مكتباً للتجنيد في حي الحلمية الجديدة بالقاهرة.<sup>(8)</sup>

كما اسفر موقف المعارضة الطرابلسية عن محاولة أخرى قام بها الطرابلسيون في تونس عندما تحول إليها اثنان من زعمائهم هما المجاهد السابق عون سوف والسياسي المناوئ لسياسة الأمير إدريس السنوسي محمد توفيق الغرياني من أجل تكوين قوة ليبية تحالف فرنسا ، وقد نجمت هذه المحاولة في تجنيد أفراد





هذه القوة من المهاجرين في تونس والجزائر تقدر بحوالي "2500" جندي ، ولكن استسلام فرنسا حال دون تدريب وتأهيل هؤلاء المجندين وإتمام الخطة.<sup>(9)</sup>

وعلى أية حال ، فقد تشكلت النواة الأولى لجيش التحرير الليبي من الليبيين المتطوعين في سرايا العرب بلواء الحدود المصرية الذين كانوا تحت قيادة " بروملو " <sup>(10)</sup>. ومن الذين شاركوا في السابق في حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي وفي مقدمتهم صالح الأطيوش وعبد الجليل سيف النصر وعبد الحميد العبار <sup>(11)</sup> . وقد بذل هؤلاء جهوداً كبيرة في حث المهاجرين على الانضمام إلى الجيش الليبي غداة انتهاء اجتماع 19 أغسطس ورفع العلم الليبي على ساريتة ويؤيد هذا القول الشهادة الشفوية التي أدلى بها معزب عبد ربه الغنאי والتي جاء فيها ، ذكره لاتصالات عبد الحميد العبار وصالح الأطيوش وناصر عبد السلام الكزة بمهاجري الصعيد والوجه القبلي لحثهم على الانضمام لجيش التحرير الليبي <sup>(12)</sup> كما أشار أيضاً في المقابلة ذاتها إلى تكليف شمس الدين السنوسي وموسى محمد الطريف بالاتصال بمهاجري الوجه البحري من الإسكندرية إلى السلوم.<sup>(13)</sup>

ولاستكمال تكوين الجيش قام الأمير إدريس السنوسي بزيارة بعض المدن والأرياف المصرية حاثاً المهاجرين الليبيين على الانضمام إلى الجيش الليبي والتعاون مع قوات الحلفاء<sup>(14)</sup> وقام بالتوقيع على منشورات أعدت له بالخصوص حيث ألقته الطائرات على تجمعات المهاجرين وكذلك أذاع نداءات للمهاجرين الليبيين من محطة الإذاعة ناشدهم فيها مناصرة بريطانيا في الحرب.<sup>(15)</sup>

وقد بذل المشايخ والزعماء السياسيون في القاهرة والإسكندرية جهوداً مضنية في استقبال وضيافة المتطوعين القادمين من الصحراء الغربية ومن مصر الوسطى والسفلى للالتحاق بالتدريب حتى استكملت الكتائب من الليبيين من الأولى إلى الخامسة بناءها . فكانوا يقدمون لهم الطعام والخدمات مجاناً وكان من بين هؤلاء الشيوخ حسين عبد الملك الذي اتخذ من بيته بالحمام قاعدة لإيواء المتطوعين حتى استكمال إعدادهم وتدريبهم <sup>(16)</sup> . والصديق الرضا الذي بذل جهوداً كبيرة حتى استطاع إقناع المهاجرين في الصحراء الغربية بضرورة تجنيد أبنائهم في الجيش الليبي <sup>(17)</sup> ، وقد بلغ عدد الذين تم تجنيدهم بواسطته عن طريق مكتب تجنيد الليبيين في الإسكندرية خلال الفترة الممتدة من "13" سبتمبر 1940م إلى تاريخ انتهاء الالتحاق وإقفال السجلات بتاريخ "15" يناير 1941م ، "761" جندياً.<sup>(18)</sup>

كما توالى التحاق العديد من المتطوعين المصريين في جيش التحرير الليبي إلى جانب أشقائهم الليبيين ، فمثلاً تطوع من سيدي براني "1981" مجند ومن مرسى مطروح "2320" مجند ومن الضبعة "1065" مجند ومن السلوم "412" مجند ومن وادي النطرون "26" مجند ، كما عبر الشعب المصري عن دعمه لهذا الجيش الذي يعمل على تحرير بلاده من الاستعمار الإيطالي إلى جانب الحلفاء .<sup>(19)</sup>



تم توالى بعد ذلك التحاق المهاجرين الليبيين بجيش التحرير الليبي ، وكان عدد المتطوعين يتزايد كل يوم بصورة مطردة ، لا سيما من بين الليبيين الذين كانوا يسلمون أنفسهم أسرى بعد أن تم تجنيدهم في الجيش الإيطالي (20) فقد عملت قيادة الجيش الثاني البريطاني على استمالة هؤلاء المجندين في جيوش المحور وكانوا برفقة القوات الإيطالية الزاحفة على مصر ، وذلك عن طريق الاتصالات المباشرة وإلقاء المنشورات وتوزيعها على المجندين الليبيين في الجيش الإيطالي ، حيث كلفت القيادة العامة البريطانية بعض الضباط الليبيين في القوة العربية الليبية بالاتصال المباشر بإخوانهم المجندين في صفوف الجيش الإيطالي ، وكان من هؤلاء الضباط موسى محمد الطريف الذي تقمص شخصية تاجر مصري يبيع البيض لمعسكر المجندين الليبيين في منطقة شرق سيدي براني وقد نجح هذا الضابط في إقناع عدد من المتطوعين الليبيين في الالتحاق بجيش التحرير الليبي (21) ، ومن المنشورات السرية التي أقيمت على المجندين بالطائرات البريطانية أو تلك التي جرى توزيعها سراً من قبل بعض البدو الليبيين منشور الجنرال " ويفل " أحد قادة الجيش البريطاني الذي نبه فيه المجندين الليبيين إلى السياسة الإيطالية الرامية إلى إبادتهم بوضعهم في الصفوف الأمامية ليكونوا وقوداً للحرب الإيطالية الخاسرة (22) ، كما ذكرهم في منشوره بالفضائح المأسوية للاستعمار الإيطالي في ليبيا .

وأخيراً دعا ويفل المجندين الليبيين إلى الانضمام إلى القوة العربية الليبية العاملة مع الحلفاء من أجل تحرير وطنهم من الاستعمار الإيطالي البغيض (23) ، وكان أثر هذا المنشور إيجابياً في نفوس المجندين الليبيين الذين ما أن شاهدوا الجيش الليبي زاحفاً براياته وأعلامه مع الحلفاء حتى بادروا بتسليم أسلحتهم للحلفاء ، وذلك لأنهم كانوا غير مقتنعين بخوض غمار حرب من أجل مستعمر احتل ديارهم وصادر أراضيهم ، ويقدر بعض الباحثين عدد هؤلاء المجندين الليبيين بحوالي "17.000" (24).

ومما تجدر الإشارة إليه أن جيش التحرير الليبي لم يشمل على الجنود والضباط الليبيين وحدهم ، وإنما شاركهم الأخوة العرب من السودانيين والمصريين والفلسطينيين واليمنيين جنوداً وضباطاً من أجل تحرير جزء عزيز من بلادهم العربية. (25)

كما كانت تصرف لهم أجور مادية تصل إلى ستة جنيهاً مصرية وهو مرتب يفوق ما كان يصرف للجندي الليبي ثلاث مرات . (26)

ثانياً : جيش التحرير ودوره أثناء الحرب :

كانت فكرة إنشاء جيش التحرير الليبي مبدئياً قائمة على أساس إعداده ليحارب حرب عصابات ومن أجل ذلك بدأ تدريب أفرادها على الأساليب الحديثة وحرب العصابات (27) وقد تولى مهمة تدريبهم مجموعة من الضباط البريطانيين والمصريين المتخصصين في حرب العصابات والتكتيك ، وكان لهؤلاء الضباط خبرة في العمل بجيش سرايا العرب بلواء الحدود المصرية . وقد تلقوا تدريباً راقياً على يد البعثة العسكرية رقم



"102" بقيادة " بروملو" وكانت القيادة البريطانية تعدهم للعمل خلف خطوط قوات المحور في الصحراء المصرية الليبية.<sup>(28)</sup>

بيد أنه لم تلبث هذه القوة العربية الليبية طويلاً حتى أعيد تنظيمها فيما بعد وتحولت إلى وحدات نظامية مقسمة إلى خمس كتائب ، بدأت التدريب أولاً على السير الطويل ثم الأسلحة الحديثة <sup>(29)</sup> ، وعندما استكملت الكتيبة الأولى إعدادها تحت قيادة الميجر "جنكيز" وكانت الكتيبة الثانية قد قطعت شوطاً كبيراً في تدريباتها تشكل أول جيش ليبي للاشتراك مع الجيش البريطاني واحتقل بهذه المناسبة احتقالاتاً كبيراً ورفع العلم الليبي على ساريتة لأول مرة يوم 9 أكتوبر 1940م.<sup>(30)</sup>

وبما أن هذه القوة العربية الليبية لم تعد لحرب الآليات الميكانيكية التي تتطلب درجة عالية من التحضير التقني والاعداد والتدريب فقد استخدمت أساساً في حراسة الأسرى ومراقبة المنشآت العسكرية وخطوط المواصلات ومساندة أجهزة الاستخبارات البريطانية.<sup>(31)</sup>

حينما تأزم الموقف البريطاني استخدمت بعض الفرق الليبية في المعارك الحربية الفعلية مثل معارك طبرق والبراني والعلمين ، وعلى أية حال ما إن حل عام 1940م حتى وقعت أحداث الحرب العالمية الثانية 1939-1945م ، بين الحلفاء والمحور في جبهة شمال أفريقيا وتحديداً المنطقة الشرقية من ليبيا والغربية من مصر، والتي كانت ميداناً فسيحاً لتصارع هاتين القوتين لفترة من الزمن امتدت من سبتمبر 1940م حتى يناير 1943م تبادل خلالها المتحاربون المراكز الاستراتيجية المهمة لأكثر من مرة في مراحل عديدة من الكر والفر ، وخاضوا صدامات وموجعات حربية عنيفة ، ومنوا بخسائر فادحة في الأرواح والعتاد ، وفي أثناء هذه الحرب كانت الانتصارات تتأرجح بين الخصمين<sup>(32)</sup> ، وبدخول قوات المحور من الألمان والإيطاليين إلى الأراضي المصرية في منطقة العلمين تحقق نصر غير حاسم على الحلفاء حينئذ ظنوا أنهم قد اقتربوا من تحقيق أهدافهم في الوصول إلى قناة السويس<sup>(33)</sup> بيد أن ذلك لم يدم طويلاً حتى تمكنت قوات الحلفاء من الإنجليز والفرنسيين من استعادة الموقف لصالحها إلى أن تم لهم طرد قوات المحور من الأراضي المصرية ، ثم مطاردتهم داخل الأراضي الليبية حتى هزيمتهم وخروجهم من ليبيا نهائياً عام 1943م.<sup>(34)</sup>

كما أن أحداث الحرب العالمية الثانية قد خصص لها الكُتّاب والباحثون من العرب والأجانب صفحات كثيرة ، ولا يتسع المجال لذكر كل ما يتعلق بها من أحداث سياسية وعسكرية ، والذي يهمنا ذكره محاولة التعرف على الدور البطولي لجيش التحرير الليبي أثناء هذه الحرب .

كان لحماس أفراد جيش التحرير الليبي المشارك إلى جانب قوات الحلفاء بقيادة البريطانيين دور فعال في إلحاق الهزيمة بقوات المحور ، وجاء هذا الموقف نابغاً من إيمان الشعب العربي الليبي وفصائله المحاربة أن هزيمة الإيطاليين ستؤدي حتماً إلى انتزاع استقلال بلادهم واستكمال سيادتها.<sup>(35)</sup>



ثالثاً : الموقف الشعبي الداعم لجيش التحرير الليبي وقوات الحلفاء أثناء الحرب :

وإلى جانب دور جيش التحرير الليبي في تلك الحرب ، كانت هناك بعض المساعدات المقدمة من الأهالي إلى جيش التحرير الليبي وقوات الحلفاء حسب الظروف القائمة من تقديم المؤن والزياد وإسعاف الجرحى من جنود الحلفاء وإيواء الضباط والجنود التائبين والمتكبرين وتقديم المعلومات لرجال المخابرات البريطانية الذين اعتمدوا كلياً على الشعب الليبي وفصائله الباسلة<sup>(36)</sup> ، فمثلاً أرسلت القيادة البريطانية الضابط الليبي سعد على ارحومه رفقة أحد الضباط البريطانيين والجنود الليبيين لجمع معلومات عسكرية في المنطقة الممتدة من بنغازي حتى منطقة عين الغزالة ويقول هذا الضابط موضعاً مهمته : " زرت في المرحلة الأولى معظم قبائل العبيدات الغربية وبعض قبائل البراعة والدرسة وقولنا في كل مكان بالترحيب الودي والكرم ولقد كانت المعلومات التي كنا نرسلها يومياً بواسطة اللاسلكي إلى الجيش البريطاني على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية " .<sup>(37)</sup>

كما قدم أحد البدو الليبيين ويدعى محمد على معلومات عسكرية للبريطانيين حول خطط الألمان وهجوماتهم تلقاها مباشرة من الضباط الألمان الذين كانوا يتحدثون في حضوره عن خططهم الحربية بلغتهم الألمانية ولم يكن يخطر ببالهم أن بعض السكان الليبيين يجيدون اللغة الألمانية<sup>(38)</sup> ، وكان هناك العشرات من الليبيين الآخرين الذين كانوا يأتون للقيادة العامة البريطانية بمعلومات كثيرة مؤكدة عن قيام الألمان والإيطاليين بإجراء تجمعات للجنود في نقاط معينة.<sup>(39)</sup>

وقد كانت لهذه المعلومات في الواقع أهمية كبيرة لإنزال الهزائم بالقوات الألمانية والإيطالية في الأراضي الليبية ، كما قام الليبيون من ضباط الجيش الليبي وغيرهم بأعمال أخرى كثيرة هامة ، خاصة خلف خطوط العدو وقد أتت هذه الجهود ثمارها على طول الجبهة بينما لم يحدث أي عمل تخريبي واحد ضد قوات الحلفاء<sup>(40)</sup> ، كما قام الليبيون بأعمال تخريبية كثيرة ضد قوات المحور استهدفت مخازن تموينه ومحروقاته وخطوط مواصلاته ، فعلى سبيل المثال ، قام بعض الضباط الليبيين بمساعدة السكان الليبيين بوضع خطة في شهر يوليو 1942م لنسف مستودع كبير للبتترول خارج بلدة العقبة.<sup>(41)</sup>

وقامت فرقتان من الجيش الليبي بقيادة عبد الجليل سيف النصر بالاستطلاع خلف خطوط العدو للوقوف على مدى استعداداته العسكرية وخصصت للفرقة الأولى المنطقة الممتدة من الحدود المصرية الغربية حتى منطقة العقيلة ، أما الفرقة الثانية فقامت بعملية استطلاع للمنطقة من واحة الكفرة حتى وصلت إلى مدينة مرزق وانتهت الفرقتان من عملهما في أوائل أغسطس 1941م ، وقد كشفتنا ضعف قوات العدو وعدم استعداده للدفاع عن المنطقة.<sup>(42)</sup>

وخطر السكان المدنيون بحياتهم من أجل حماية الضباط والجنود البريطانيين الفارين من الأسر ، حيث كان لهم الفضل في إنقاذ بعض الضباط من الوقوع في الأسر أثناء هجمات " رومل" قائد الجيش الألماني



الخاطفة ، فعلى سبيل المثال ، قام أحد الليبيين بمعالجة أحد ضباط سلاح المدفعية البريطانية الذي أصيب بجروح خطيرة حتى تماثل للشفاء بعد ستة أشهر ، ثم حمله فوق جملة إلى أن أوصله سالماً إلى مقر القيادة البريطانية وقد قام هذا الرجل بتلك النخوة كما تذكر بعض المصادر التاريخية دون إعلان لاسمه أو طلب أية مكافأة.<sup>(43)</sup>

كما قام الملازم الليبي سعد على ارحومه بالتعاون مع الشيخ على البرعصي باعداد خطة لتهديب عدد من الأسرى البريطانيين الموجودين في قبضة الإيطاليين في درنة خلال صيف 1942م ، وقد تمكنا من تهديب بعضهم من المستشفى ومن المعسكر دون علم قوات المحور.<sup>(44)</sup>

وهكذا كان للشعب الليبي وجيشه البطل الأثر الكبير في انتصار قوات الحلفاء وتحرير ليبيا من العدو الإيطالي الذي ظل جاثماً على صدور الليبيين طوال سنوات عديدة . وقد قدم أبطال جيش التحرير الليبي التضحيات البطولية أثناء الحرب ، فمثلاً ، كان أغلب المتطوعين الليبيين في هذا الجيش قد استشهدوا في تلك الحرب ، فضلاً عن الإصابات للكثير منهم ، كما كانت المهام الحربية التي يقومون بها تتمثل في القيام بالعمليات البطولية بالخطوط الأمامية لجيش الحلفاء بحجة أنهم أهل البلاد ولديهم الخبرة الكافية بطبيعة الأرض ومسالكها ودروبها وهذا ما جعلهم أكثر عرضة للأخطار والإصابات التي مُنوا بها .<sup>(45)</sup>

ومن الأهمية بمكان ، فقد قدمت بعض الشخصيات السياسية والعسكرية البريطانية في تصريحاتها واعترافاتها تقيماً وافياً لأعمال القوات الليبية المحاربة ومن بين هؤلاء " أنتوني إيدن"<sup>(2\*)</sup> وزير الخارجية البريطانية الذي أدلى بتصريح في مجلس العموم البريطاني في 8 يناير 1942م أشار فيه إلى جهود جيش التحرير الليبي في الحرب قائلاً : " قامت هذه القوة بخدمات كبيرة ساندتنا فيها أثناء الحرب الناجحة في الصحراء الغربية في شتاء 1940-1941م ، وهي تقوم الآن بدور فعال في الحملة القائمة حالياً وإنني أعتنم هذه الفرصة لأعرب عن امتنان صاحب الجلالة للعون الذي قدموه ولا يزالون يقدمونه في الجهد الحربي البريطاني إننا نرحب بمشاركتهم لقواتنا في محاولة القضاء على الخصوم المشتركين " .<sup>(46)</sup> وفي الثاني من أكتوبر 1943م اعترف " فوت " أحد المسؤولين البريطانيين بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الأحداث الأخيرة التي شهدتها الحرب العالمية الثانية قائلاً : " إن تلك الشجاعة التي اشتهر بها الليبيون عن جدارة واستحقاق قد ثبتت مرة أخرى في الحملات الأخيرة ، فنحن لا نزال نجهل قسطاً كبيراً من المساعدة التي قدموها لنا خلف خطوط الأعداء ، كما أن مساعدتهم الفردية لكثير من الضباط البريطانيين شواهد ناطقة عن الكرم العربي للمجاذفة " .<sup>(47)</sup>

<sup>(2\*)</sup> هو سليل أسرة عريقة منتزعة سياسياً لحزب محافظين ، وقد تلقى تعليماً راقياً أهله لتقلد أعلى المناصب المهمة منها وزارة الخارجية عام 1938م ، ثم رئيساً للوزراء عام 1955م ، وهو نجم الدبلوماسية البريطانية في القرن العشرين لما أبداه من تعامل حكيم مع زعماء العالم أمثال موسوليني وهتلر وروزفلت وستالين وترومان وديجول ، كما شارك في معالجة الكثير من الأزمات السياسية ، وأبدى تعاطفاً مزمعاً مع أمال العرب مبدياً مناصرة ظاهرة لقضاياهم ، وهو ما يتضح من خلال تصريحه في 25.5.1941م المؤيد للتطلعات الاستقلالية العربية ، انظر : عز الدين عبد السلام مختار العالم ، تاريخ ليبيا المعاصر والسياسي والاجتماعي 1922-1948م ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ص226.



كما يأتي في هذا السياق شهادة الضابط الإنجليزي " بنيكوف" دعماً آخر لموقف الليبيين في الحرب فقد اعترف في حديث له أذاعه من محطة لندن اللاسلكية في 31 مايو 1947 بدور جيش التحرير الليبي في العمليات الحربية للحلفاء متناولاً في حديثه ذكرياته الطيبة في الجبل الأخضر وأثنى على المشايخ الذين تعامل معهم قائلاً : " ولم أكن الشخص الوحيد الذي نعم في ظل الضيافة العربية الكريمة بالراحة والطمأنينة فإن مئات الطيارين والأسرى الفارين وغيرهم ممن فصلوا عن وحداتهم كانوا موضع عناية العرب وحسن ضيافتهم إلى أن أعادوهم سالمين إلى صفوفنا..." ، ولعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت : إن جميع جنود الجيش البريطاني الذي قاتل في الجبل الأخضر يدينون بالشكر للعرب ، فكثيرون منا مدينون لهم بحياتهم وسوف لا ننسى كيف مهد هؤلاء العرب بإخلاصهم وتضحياتهم طريق النصر الأخير للحلفاء. (48)

ولم يقتصر هذا الاهتمام بدور جيش التحرير الليبي عند هذا الحد بل حظى باهتمام وتقدير السلطات العليا البريطانية ، وخير دليل على ذلك ما أشارت إليه الوثيقة الخاصة والمنشورة رقم "4376" والصادرة بتاريخ 15 يناير 1946م والخاصة بمنح المتطوع صالح عبد المولى حسين المنفي نيشان ملك بريطانيا لجرى الحرب والإعفاء من الخدمة العسكرية والذي أصيب في أثناء الحرب داخل الأراضي الليبية ، بعد ما تم اسعافه وعلاجه وإعفاؤه من مواصلة الخدمة العسكرية بسبب الإصابة التي تعرض لها والتي خلفت له عاهات وتشوهات مستديمة حتى وفاته عام 1991م بمدينة طبرق. (49)

كما أشارت " مجلة المجال " من خلال لقاء مندوبها مع نجل شيخ الشهداء محمد عمر المختار أنه تحصل على نيشان ملك بريطانيا كذلك نظير تطوعه في جيش التحرير الليبي ومواقفه البطولية أثناء أداء خدمته بجيش التحرير الليبي. (50)

كما تمكن البعض من المتطوعين الليبيين أن يكونوا من بين الضباط بجيش التحرير الليبي برتب عسكرية مختلفة ويتبين لنا ذلك من خلال المقابلة الشخصية التي أجراها الباحث بتاريخ 2019/2/18م بمنزله في مدينة طبرق مع السيد عبد الناصر شعيب التواتي وهو حفيد المجاهد المعروف التواتي عبد الجليل العرابي المنفي والذي كان أحد مستشاري ورفاق شيخ الشهداء عمر المختار أثناء مرحلة جهاده المقدس ضد الإحتلال الإيطالي لليبيا ، حيث ذكر السيد عبد الناصر أن جده قد التحق كمتطوع بجيش التحرير الليبي منذ تكوينه وكان يحمل الرقم العسكري أحد عشر وهو من بين الضباط الليبيين بالجيش الليبي برتبة ملازم أول (51) وقد منح هذه الرتبة بموجب الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطانية في مصر عام 1940م بناء على تزكية الكولونيل " بروملو" قائد جيش التحرير الليبي. (52)

كما أشارت الصورة التذكارية إلى البذة العسكرية بكامل تجهيزاتها وعليها عدداً من الأوسمة والنياشين العسكرية المتحصل عليها التواتي العرابي أثناء أداءه لخدمته العسكرية بجيش التحرير الليبي (53). نظير



مواقفه البطولية والشجاعة وحسن سيرته وسلوكه حتى تم إنهاء خدمته وفصله عن الخدمة العسكرية بتاريخ 1943/8/31 م. (54)

وفي أثناء عهد المملكة الليبية المتحدة تم تكريمه بمنحه ميدالية عمر المختار نظير جهوده الوطنية والجهادية خلال مرحلة الجهاد المقدس ضد الاستعمار الإيطالي ، فضلاً عن اختياره نائباً بالبرلمان الليبي عرفاناً وتقديراً لما قدمه من تضحيات جسام أثناء جهاده مع عمر المختار ودوره المميز بجيش التحرير الليبي. (55)

كما تم منح رتبة ملازم ثان للمتطوع رحومه اجبالي عوض المنفي بجيش التحرير الليبي بأمر القائد العام للجيش البريطاني الصادر عام 1940م نظير كفاءته العالية والأهلية التي كان يتمتع بها هذا الضابط. (56)

وتشير بعض الوثائق التاريخية إلى أن هذا الضابط كان أيضاً أحد مجاهدي حركة الجهاد الليبي ضد الإحتلال الإيطالي إبان جهاد عمر المختار ولهذا فقد تم تكريمه بمنحه ميدالية عمر المختار من الملك إدريس السنوسي ملك المملكة الليبية المتحدة على ما قام به من جهود وطنية وحسن أداء الواجب (57)، كما حظى باحترام السلطات العليا في المملكة الليبية المتحدة لا سيما وزير الدفاع الذي اخصه بتقديم كل مساعدة ممكنة في حدود القانون لكونه عضو جماعة المجاهدين القدماء وأحد ضباط جيش التحرير الليبي. (58)

وفي رأي الباحث فإن منح هؤلاء المتطوعين الليبيين رتب عسكرية بجيش التحرير الليبي ما هو إلا عرفاناً وتقديراً لهم عن دورهم الوطني والجهادي إبان مرحلة الجهاد المقدس ضد الإحتلال الإيطالي لليبيا وهذا أقل ما يمكن تقديمه لهم.

وعلى أية حال ، فقد جرى في عام 1943م تسريح جيش التحرير الليبي وحل محله قوة دفاع برقه وأصبحت تعرف بهذا الاسم طيلة فترة حكم الإدارة البريطانية في برقة. (59)

### الخاتمة

هكذا يمكننا أن نستخلص مما تم سرده من خلال هذه الدراسة أن فكرة إنشاء وتكوين جيش التحرير الليبي هي وليدة اجتماع مؤتمر جاردن ستي بالقاهرة عام 1940م برعاية الأمير إدريس السنوسي ، كما بينت الدراسة مراحل تكوين وتدريب المتطوعين عسكرياً ، والدور الذي بذله الجيش الليبي والذي كان له بالغ الأهمية في دعم قوات الحلفاء أثناء الحرب ومن خلال التصريحات الرسمية للمسؤولين الإنجليز والتي أكدت على مدى الشجاعة والاحترام لمتطوعي الجيش الليبي الذي استطاع البعض من أفراد الحصول



على الرتب العسكرية المختلفة نظير خبرتهم وكفاءتهم في هذا المجال وكذلك الموقف الشعبي الداعم لهذا الجيش وقوات الحلفاء حتى تحققت لهم الانتصارات بدخول ليبيا وتحريرها من دنس الاستعمار الإيطالي نهائياً.

#### أهم نتائج البحث :

- توضيح وتبيان فكرة إنشاء وتكوين جيش التحرير الليبي والمعروف بالقوة العربية الليبية والجيش السنوسي .
- مراحل تدريب جيش التحرير الليبي عسكرياً .
- دور جيش التحرير الليبي الهام إلى جانب قوات الحلفاء حتى تحرير بلاده من الاستعمار الإيطالي .





### الهوامش

1. محمد الهادي أبو عجيلة " 1987م " ، كفاح الشعب الليبي من أجل الاستقلال والوحدة 1939-1963م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ، ، ص 34.
2. صلاح العقاد ، " 1970م " ، ليبيا المعاصرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ص 52 .
3. وثائق دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس ، مذكرات محمد الفقي عبد الملك عن الجهاد ، ص 3.
4. مذكرات فدائي ، " 1992م " ، ترجمة : محمد عبد الرازق مناع ، مطابع المختار ، الإسكندرية ، ص 18.
5. دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس ، مذكرات محمد الفقي عبد الملك عن الجهاد، مرجع سابق ، ص 4.
6. رويحي محمد علي قناو، " 1993م " ، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين من 1911-1945م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة قاريونس ، ص 241.
7. محمد الهادي أبو عجيلة ، المرجع السابق ، ص 34.
8. محمد فؤاد شكري ، " 1957م " ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ص 287.
9. أنجيلو أديل بوكا ، " 1995م " ، الإيطاليون في ليبيا ، ج 2 ، ترجمة : محمود النائب ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ص 339-344 .
10. محمد الهادي أبو عجيلة ، المرجع السابق ، ص 41.
11. محمد الطيب الأشهب ، " 1947م " ، برقة العربية أمس واليوم ، مطبعة الهواري ، القاهرة ، ص 534 .
12. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، شعبة الرواية الشفوية- رواية المجاهد معزب عبد ربه الغناي شريط رقم 16/158 .
13. عزالدين العالم ، " 1992م " ، نشاط المهاجرين العرب الليبيين السياسي في مصر من اندلاع الحرب العالمية الثانية حتى هزيمة جيش الايطاليين في ليبيا 1939-1943م " مرحلة المواجهة العلنية" ، مجلة الشهيد ، العددان الثاني عشر والثالث عشر ، أكتوبر ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ص 273 .
14. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124- تقرير عن ليبيا بعنوان " للحقيقة والتاريخ" .
15. عز الدين العالم ، المرجع السابق ، ص 274 .
16. دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس ، مذكرات محمد الفقي عبد الملك عن الجهاد ، المرجع السابق .
17. رويحي محمد علي قناو ، المرجع السابق ، ص 242 .
18. عز الدين العالم ، المرجع السابق ، ص 274 .
19. عادل محمد عثمان ، " 2004م " ، مصر والقضية الليبية فيما بين عامي 1932-1951م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، القاهرة ، ص 147-148 ، كذلك : عامر علي محمد عبد القادر ، " 2016م " ، موقف مصر تجاه ليبيا منذ القضاء على حركة المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي حتى الانقلاب على الملكية 1931-1969م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، ص 87 .
20. نيكولاي ايليتش بروشين ، " 1988م " ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر وحتى عام 1969م ، ترجمة : عماد حاتم ، مراجعة : ميلاد المقومي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، ، ص 230 .
21. رويحي محمد علي قناو ، المرجع السابق ، ص 283 .



22. هنري أنيس ميخائيل ، "1970م"، العلاقات الإنجليزية الليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ص 123.
23. عز الدين العالم ، المرجع السابق ، ص 275 .
24. محمد فؤاد شكري ، "1984م" ، السنوسية دين ودولة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 184 .
25. عامر المجبري ، د.ت ، من كفاح ليبيا ، منشأة المعارف ، القاهرة ، ص 66 .
26. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، شعبة الوثائق العربية ، ملف اللجان والأحزاب رقم 36 وثيقة رقم 36.
27. بروشين ، المرجع السابق ، ص 231 .
28. محمد الهادي أبو عجيلة ، المرجع السابق ، ص 41 .
29. مجيد خدوري ، "1966م" ، ليبيا الحديثة ، ترجمة : نقولا زيادة ، مراجعة : نصر الدين الأسد، دار الثقافة ، بيروت - نيويورك ، ص 45 .
30. محمد الهادي أبو عجيلة ، المرجع السابق ، ص 42 .
31. بروشين ، المرجع السابق ، ص 230 .
32. صلاح صالح عبد المولى حسين ، "2012م" ، التدخلات الأجنبية وتأثيرها في الاقتصاد الليبي من الاحتلال الإيطالي حتى بدايات النفط 1912-1963م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، القاهرة ، ص 159 ، كذلك ميشل كارمر، د.ت ، معارك طبرق ، ترجمة : إدارة التوجيه المعنوي ، قسم الإعلام والثقافة، طرابلس ، ص 9 ، كذلك : هشام خضر ، "2010م" ، الحرب العالمية الثانية ، 1939-1945م الدار العالمية للكتب والنشر ، القاهرة ، ص 60 .
33. Balance of power , 1935-1957 United States Naval Institute proceedings, Lxxxiv(Mar,1959).
34. فاروق الحريري ، "1983م" ، حملات الحرب العالمية الثانية مع الدروس المستنبطة من كل حملة ، ج 1 ، مدينة المطابع العسكرية ، بغداد ، ص 168 .
35. عمر أبو النصر، "1969م" ، المارشال رومل ، مكتب أبو النصر للتأليف والترجمة ، بيروت، ، ص 277 .
36. Paul Crell. The Foxes of he Desert " New York, 1961" p.251.
37. محمد فؤاد شكري ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، المرجع السابق ، ص ص 110-111.
38. بول كارل ، "1980م" ، ثعالب الصحراء ، ترجمة دار القلم ، بيروت ، ص 189
39. عز الدين العالم ، المرجع السابق ، ص 285 .
40. بول كارل ، المرجع السابق ، ص 391.
41. محمد فؤاد شكري ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، المرجع السابق ، ص 111 .
42. محمد الهادي أبو عجيلة ، المرجع السابق ، ص 46.
43. محمد فؤاد شكري ، ميلاد ليبيا الحديثة ، المرجع السابق ، ص 107 .
44. عز الدين العالم ، المرجع السابق ، ص 286.
45. صلاح صالح عبد المولى حسين ، المرجع السابق ، ص 163 .



46. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124 محفظة رقم 75 تقرير انتوني ايدن وزير الخارجية البريطانية بتاريخ 8 يناير 1942م.
47. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124 اعتراف مسؤول بريطاني يشيد بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب ضد قوات المحور بتاريخ 1943/10/2م.
48. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124 ، محاضرة ، بنيكوف بعنوان " عرب ليبيا الكرام " أذيعت من محطة لندن اللاسلكية في 13 مايو 1947م .
49. وثيقة منشورة رقم (4376) بتاريخ 15 يناير 1946م ، بشأن منح نيشان " ملك بريطانيا لجرحي الحرب للمتطوع صالح عبد المولى حسين المنفي وهي من الوثائق الخاصة المحفوظة لدى أسرة الباحث.
50. مجلة المجال للثقافة والعلوم، " 2009م " العدد الواحد والعشرين ، فصل الخريف ، منشورات جامعة عمر المختار البيضاء ، ص 13 وما يليها .
51. مقابلة شخصية أجراها الباحث مع السيد/ عبد الناصر شعيب التواتي بتاريخ 2019/2/18م في مدينة طبرق .
52. وثيقة شخصية غير منشورة ، عبارة عن الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطاني في مصر ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1940م بشأن ترقية التواتي عبد الجليل إلى رتبة ملازم أول بجيش التحرير الليبي .
53. الصورة التذكارية التي تشير إلى البذة العسكرية بكامل تجهيزاتها للملازم أول التواتي عبد الجليل العراقي وهي تحمل عدداً من الأوسمة والنياشين المتحصل عليها أثناء تأدية الخدمة العسكرية بجيش التحرير الليبي .
54. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن شهادة فصل من الخدمة العسكرية للملازم أول التواتي عبد الجليل صادرة عن القوة العربية الليبية جيش التحرير الليبي ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1943/8/3م.
55. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطاني في مصر ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1940م بشأن منح رحومه اجبالي عوض رتبة ملازم ثاني بجيش التحرير الليبي .
56. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن شهادة منح ميدالية عمر المختار للمجاهد رحومة اجبالي عوض ، نظير جهوده الوطنية وحسن أداء الواجب والصادرة عن إدريس الأول ملك المملكة الليبية المتحدة .
57. وثيقة شخصية غير منشورة ، بدون رقم ، وتحمل تاريخ 1959م ، وهي عبارة عن تعريف شخصي للمجاهد رحومة اجبالي عوض ، وقد ذكر بها أنه برتبة ملازم بجيش التحرير الليبي .
58. وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، مذكرة دي كاندول عن الجمعية الوطنية البرقاوية رقم (98324-371.F.O) بتاريخ 1951/10/27م.



## الملاحق

1. وثيقة شخصية غير منشورة ، عبارة عن الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطانية في مصر ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1940م بشأن ترقية التواتي عبد الجليل إلى رتبة ملازم أول بجيش التحرير الليبي ، والمحافظة لدى أسرته .





2. الصورة التذكارية التي تشير إلى البذة العسكرية بكامل تجهيزاتها للملازم أول التواتي عبد الجليل العرابي وهي تحمل عدداً من الأوسمة والنياشين المتحصل عليها أثناء تأدية الخدمة العسكرية بجيش التحرير الليبي ، والمحفوظة لدى أسرته .





3. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن شهادة فصل من الخدمة العسكرية للملازم أول التواتي عبد الجليل صادرة عن القوة العربية الليبية جيش التحرير الليبي بدون رقم وتحمل تاريخ 1943/8/3م ، والمحفوظة لدى أسرته .

بدلاً من امتحانة الجيش ب ١٠٨٠

القوة العربية الليبية

شهادة فصل من الخدمة العسكرية

الرتبة ملازم أول

الاسم بالكامل تواتي عبد الجليل صالح

الوحدة التي كان بها عند الفصل اللازم الأولي شركة دمناج

(أوصاف العسكري عند الفصل)

سنة الميلاد ١٩٠٠ الطول ٥ قدم ٨ بوصة

اللون تحت لون العينين سود لون الشعر أبيض

علامات مميزة أو ألقاب جروح

تاريخ الالتحاق بالجيش ١٤ سبتمبر ١٩٤١

تاريخ الفصل ٢١ أكتوبر ١٩٤٢

مدة الخدمة ١ سنة ٤٥١ يوم

سبب الفصل مؤتمنة ١٩٤٠ (١٨) (١٤) مؤتمنة ١٩٤١

سلوكه العسكري جيد جداً

سلوكه العام أثناء الخدمة وهو طيب متعاون

على الأصر وهو متعاون مخلص مخلص مخلص

إمضاء العسكري عند الفصل عبد الجليل

امضاء عبد الجليل

ضابط مسئول قلم القدرات عبد الجليل

التاريخ ١٩٤٣ المكان البحيرة

رتبة ملازم أول

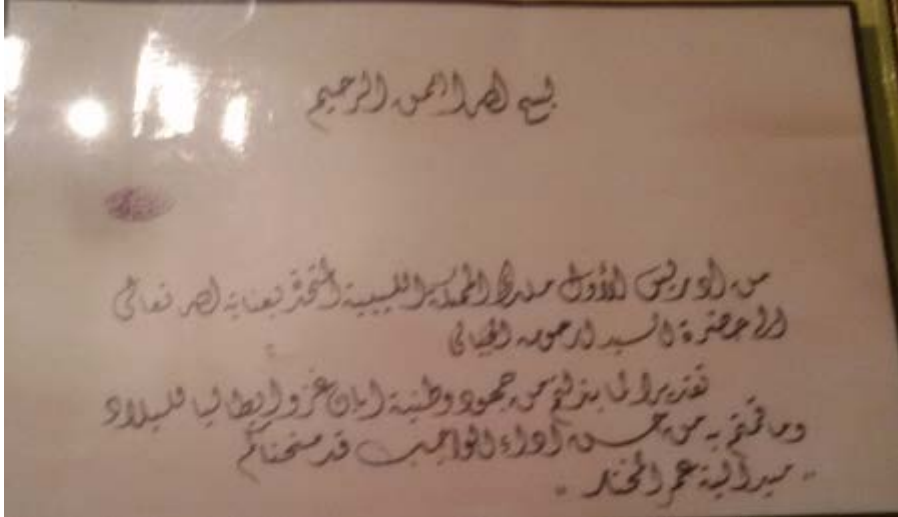


4. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطانية في مصر ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1940م بشأن منح رحومه اجبالي عوض رتبة ملازم ثان بجيش التحرير الليبي ، والمحفوظة لدى أسرته .





5. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن شهادة منح ميدالية عمر المختار للمجاهد رحومة اجبالي عوض ، نظير جهوده الوطنية وحسن أداء الواجب والصادرة عن إدريس الأول ملك المملكة الليبية المتحدة ، والمحفوظة لدى أسرته .



6. وثيقة شخصية غير منشورة ، بدون رقم ، وتحمل تاريخ 1959م ، وهي عبارة عن تعريف شخصي للمجاهد رحومة اجبالي عوض ، وقد ذكر بها أنه برتبة ملازم بجيش التحرير الليبي ، والمحفوظة لدى أسرته .







7. الصورة التذكارية والتي التقطت لأحدى جلسات البرلمان الليبي في عهد المملكة الليبية المتحدة ويظهر فيها النائب التواتي عبدالجليل العرابي جالساً بالصف الأمامي أقصى جهة اليمين حاملاً الأوسمة والنياشين الممنوحة له ومن بينهما ميدالية عمر المختار ، والمحفوظة لدى أسرته.





## قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

1- الوثائق الغير منشورة :

1. وثيقة شخصية غير منشورة ، بدون رقم ، وتحمل تاريخ 1959م ، وهي عبارة عن تعريف شخصي للمجاهد رحومة اجبالي عوض ، وقد ذكر بها أنه برتبة ملازم بجيش التحرير الليبي .
2. وثيقة شخصية غير منشورة ، عبارة عن الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطاني في مصر ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1940م بشأن ترقية التواتي عبد الجليل إلى رتبة ملازم أول بجيش التحرير الليبي .
3. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن الأمر العسكري الصادر عن القائد العام للجيش البريطاني في مصر ، بدون رقم وتحمل تاريخ 1940م بشأن منح رحومه اجبالي عوض رتبة ملازم ثاني بجيش التحرير الليبي .
4. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن شهادة فصل من الخدمة العسكرية للملازم أول التواتي عبد الجليل صادرة عن القوة العربية الليبية " جيش التحرير الليبي" بدون رقم وتحمل تاريخ 1943/8/3م .
5. وثيقة شخصية غير منشورة ، وهي عبارة عن شهادة منح ميدالية عمر المختار للمجاهد رحومة اجبالي عوض ، نظير جهوده الوطنية وحسن أداء الواجب والصادرة عن إدريس الأول ملك المملكة الليبية المتحدة .

2- الوثائق المنشورة :

6. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124 ، محاضرة ، بنيكوف بعنوان " عرب ليبيا الكرام " أديعت من محطة لندن اللاسلكية في 13 مايو 1947م .
7. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124 اعتراف مسؤول بريطاني يشيد بالدور الخطير الذي قام به الليبيون في الحرب ضد قوات المحور بتاريخ 1943/10/2م .
8. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124- تقرير عن ليبيا بعنوان " للحقيقة والتاريخ" .
9. دار الوثائق القومية المصرية ، القاهرة ، محافظ عابدين رقم 124 محفظة رقم 75 تقرير انتوني ايدن وزير الخارجية البريطانية بتاريخ 8 يناير 1942م .
10. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، شعبة الوثائق العربية ، ملف اللجان والأحزاب رقم 36 وثيقة رقم 36 .
11. وثائق دار المحفوظات التاريخية ، طرابلس ، مذكرات محمد الفقي عبد الملك عن الجهاد .
12. وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، مذكرة دي كاندول عن الجمعية الوطنية البرقاوية رقم "98324-371.F.O" بتاريخ 1951/10/27م .
13. وثيقة منشورة رقم "4376" بتاريخ 15 يناير 1946م ، بشأن منح نيشان " ملك بريطانيا لجرحي الحرب للمتطوع صالح عبد المولى حسين المنفي وهي من الوثائق الخاصة المحفوظة لدى أسرة الباحث .



ثانياً : المقابلات الشخصية :

14. مقابلة شخصية أجراها الباحث مع السيد/ عبد الناصر شعيب التواتي بتاريخ 2019/2/18م في مدينة طبرق .

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

15. أنجيلو أديل بوكا ، "1995م" ، الإيطاليون في ليبيا ، ج2 ، ترجمة : محمود النائب ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس .

16. بول كارل ، "1980م" ، ثعالب الصحراء ، ترجمة دار القلم ، بيروت .

17. صلاح العقاد ، "1970م" ، ليبيا المعاصرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .

18. ميشل كارمر ، د.ت ، معارك طبرق ، ترجمة : إدارة التوجيه المعنوي ، قسم الإعلام والثقافة ، طرابلس .

19. هشام خضر ، "2010م" ، الحرب العالمية الثانية ، 1939-1945م الدار العالمية للكتب والنشر ، القاهرة .

20. عامر المحجيري ، د.ت ، من كفاح ليبيا ، منشأة المعارف ، القاهرة .

21. عمر أبو النصر ، "1969م" ، المارشال رومل ، مكتب أبو النصر للتأليف والترجمة ، بيروت .

22. فاروق الحريري ، "1983م" ، حملات الحرب العالمية الثانية مع الدروس المستنبطة من كل حملة ، ج1 ، مدينة المطابع العسكرية ، بغداد .

23. مجيد خدوري ، "1966م" ، ليبيا الحديثة ، ترجمة : نقولا زيادة ، مراجعة : نصر الدين الأسد ، دار الثقافة ، بيروت - نيويورك .

24. محمد الطيب الأشهب ، "1947م" ، برقة العربية أمس واليوم ، مطبعة الهوارى ، القاهرة .

25. محمد فؤاد شكري ، "1957م" ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة .

26. محمد فؤاد شكري ، "1984م" ، السنوسية دين ودولة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

27. مذكرات فدائي ، "1992م" ، ترجمة : محمد عبد الرازق مناع ، مطابع المختار ، الإسكندرية .

28. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، شعبة الرواية الشفوية- رواية المجاهد معزب عبد ربه الغناني شريط رقم 16/158 .

29. نيكولاي ايليتش بروشين ، "1988م" ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر وحتى عام 1969م ، ترجمة : عماد حاتم ، مراجعة ميلاد المقومي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس .

30. هنري أنيس ميخائيل ، "1970م" ، العلاقات الإنجليزية الليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

31. Balance of power , 1935-1957 United States Naval Institute proceedings, Lxxxiv(Mar,1959).

32. Paul Crell. The Foxes of he Desert " New York, 1961".



خامساً : الدوريات العربية :

33.مجلة المجال للثقافة والعلوم ، " 2009م " العدد الواحد والعشرين ، فصل الخريف ، منشورات جامعة عمر المختار - البيضاء .

34. عزالدين العالم ، " 1992م " ، نشاط المهاجرين العرب الليبيين السياسي في مصر من اندلاع الحرب العالمية الثانية حتى هزيمة جيش الايطاليين في ليبيا 1939-1943م " مرحلة المواجهة العلنية" ، مجلة الشهيد ، العددان الثاني عشر والثالث عشر ، أكتوبر ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس .

سادساً : الرسائل العلمية :

35. محمد الهادي أبو عجيبة " 1987م " ، كفاح الشعب الليبي من أجل الاستقلال والوحدة 1939-1963م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

36. عادل محمد محمد عثمان ، " 2004م " ، مصر والقضية الليبية فيما بين عامي 1932-1951م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، القاهرة .

37. صلاح صالح عبد المولى حسين ، " 2012م " ، التدخلات الأجنبية وتأثيرها في الاقتصاد الليبي من الاحتلال الإيطالي حتى بدايات النفط 1912-1963م ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، القاهرة .

38. رويحي محمد على قناو ، " 1993م " ، الكفاح الوطني للمهاجرين الليبيين في 1911-1945م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكتبة الآداب - جامعة قارون .

39. عامر على محمد عبد القادر ، " 2016م " ، موقف مصر تجاه ليبيا منذ القضاء على حركة المقاومة الليبية ضد الاحتلال الإيطالي حتى الإنقلاب على الملكية 1931-1969م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

سابعاً : الصور التذكارية :

40. الصورة التذكارية التي تشير إلى البذة العسكرية بكامل تجهيزاتها للملازم أول التواتي عبد الجليل العرابي وهي تحمل عدداً من الأوسمة والنياشين المتحصل عليها أثناء تأدية الخدمة العسكرية بجيش التحرير الليبي .

41. الصورة التذكارية والتي التقطت لأحدى جلسات البرلمان الليبي في عهد المملكة الليبية المتحدة ويظهر فيها النائب التواتي عبدالجليل العرابي جالساً بالصف الأمامي اقصى جهة اليمين حاملاً الأوسمة والنياشين الممنوحة له ومن بينهما ميدالية عمر المختار ، والمحفوظة لدى أسرته .